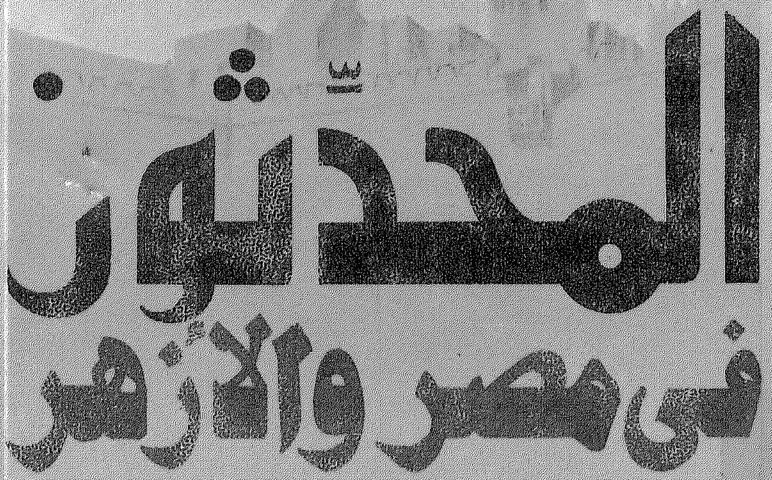
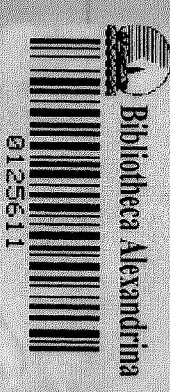
الدكتور أحمد عمر هاشم



المحدثون فى مصر والأزهر

ودورهم فى إحياء السنة النبوية الشريفة





مكتبة غريب

المحدثون فى مصر والأزهر

ودورهم فى إحياء السنة النبوية الشريفة

تأليف

أ. د. الحسينى عبدالمجيدهاشم
وكيل الأزهر السابق

أ. د. أحمد عمر هاشم
نائب رئيس جامعة الأزهر

الناشر
مكتبة غريب
٣٠١ شارع كامل صدقى (الفجالة)
تليفون ٩٠٢١٠٧

قال الله تعالى :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾

صدق الله العظيم

﴿ بســم الله الرحمــن الرحيــم ﴾

مقدمة الطبعة الثانية

الحمـد لله رب العـالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ـ أما بعد .

فهذه هى الطبعة الثانية من كتاب : « المحدثون فى مصر والأزهر ودورهم فى احياء السنة النبوية » ، وقد أكملت فى هذه الطبعة تراجم بعض المحدثين من اعلام مصر والأزهر الذين فاتنا فى الطبعة الأولى أن نذكرهم ، فرأيت أن أضيف تراجم أخرى إلى تراجم هؤلاء المحدثين جزاهـم الله تعالى خير الجزاء على ماقدموه من جهود مباركة فى خدمة السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام . .

وتأتى هذه الطبعة بمزيد من التصحيحات والتصويبات والأضافات التى رأيت أن فيها إبرازاً لجوانب هامة فى هذا الموضوع العظيم .

كما نوهت فى هذه الطبعة بأمر هام يتصل بالمحدثين وآثارهم الباقية حتى يومنا هذا ، وذلك عن طريق مقارىء الحديث النبوى ، التى كانت تقام فى مصر ، كمقارىء القرآن الكريم ، عناية بالأصلين الكريمين : القرآن والسنة .

وأسأل الله تعالى أن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم وأن يوفقنا لخدمة الكتاب والسنة إنه سميع قريب وبالله التوفيق .

د. أحمد عمر هاشم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد .

فقد شاء الله تعالى للفتوح الإسلامية أن تتوالى ، وأن تتسع فتم فتح مصر سنة عشرين من الهجرة كما فتح غيرها من الأقطار والمدن الإسلامية ، ودخل كثير من أهل هذه البلاد فى الإسلام ، فأرسل الخلفاء إليهم من الصّحابة ، من يعلمهم ويفقههم ومن الصحابة من رحل إلى تلك الأقطار معلما وموجها ، ومنهم من استوطن هناك حتى توفى .

وفى كل قطر إسلامى نزل فيه الصحابة كان يلتف حولهم طلاب العلم والحديث النبوى . فتخرج على أيديهم فى كل مكان طبقة من التابعين ، كونوا مدارس للحديث الشريف لم تكن على مانحن عليه الآن ، ولكنها فى بساطتها كانت أكثر تحصيلا وتطبيقا وإشراقا ونورا وكانت المساجد آنئذ هى ملتقى شيوخهم ، يجتمعون بهم ويحدثونهم ويفقهونهم حتى نهض فى كل قطر جيل من التابعين كانوا حماة للسنة النبوية المطهرة ، وحملة لمشاعل النور والهداية ثم تتابعت الأجيال من أتباع التابعين والأئمة وعلماء المسلمين وكان لمصر شرف استقبال الصحابة الذين عاشوا فيها ونشروا الإسلام والسنن بين أرجائها ، وقامت بها حلقات الحديث والعلم فى مساجدها . إلى أن أشرق فى مصر « الجامع الأزهر » الذى أسس فى جمادى من عام ٣٥٩هـ .

وقد أدى المسلمون فيه أول جمعة فى رمضان ٣٦١هـ حيث تم بناؤه منذ ذلك الحين ، ولئن كان تاريخ الحلقات فى جنباته وبين أروقته قد بدأ فى القرن الرابع الهجرى ، إلا أن أصوله تبدأ منذ الفتح الإسلامى لمصر حيث نزل الصحابة سنة عشرين وقام عبدالله بن عمرو بن العاص وغيره من الذين سنذكرهم بعد من الصحابة فَرَوَوْا الأحاديث ونشروا العلم وكونوا طلائع جيل المحدثين فى مصر .

ولذا يعتبر تاريخ الأزهر بحق موصولا بهذا الجيل فقد انتقلت النهضة العلمية من جامع عمرو بن العاص إلى الأزهر وكان لجامع عمرو بن العاص وجامع ابن طولون أدوار متعاقبة مترابطة فى خدمة الثقافة الإسلامية ونشر الحديث النبوى .

ومـا أن نهض الأزهـر فى القـرن الـرابع الهجرى قلعة حصينة للإسلام وعلومه ، وللسنة النبوية ، إلا وتلقف أعظم تراث فى الوجود بعد أن كادت تطيح به هجمات التتار الشرسة فحافظ على الإسلام وعلومه ، وفتح الأزهر أبوابه لكل طالب من طلاب العلم والشريعة ، فحلقات الدروس مفتوحة لكل مسلم لاتقتصر على أحد دون أحد ، ولا على قطر دون قطر . فهى تضم جميع أبناء المسلمين من سائر أنحاء العالم الإسلامى ، وقامت حوله الأروقة التى تتمثل فيها سائر الدول والأقطار الإسلامية لأن رسالته عالمية تستمد عالميتها من عالمية الإسلام وسنقدم فى هذا الكتاب ـ بعون الله وتوفيقه ـ لمحات لدراسة أشهر المحدثين المصريين ، ليقف القراء على دور مصر والأزهر فى خدمة الحديث النبوى بصفة خاصة وخدمة الثقافة الإسلامية الأصيلة بصفة عامة انتصاراً للإسلام ، وتجلية لجهود سلفنا وعلماء هذه القلعة الحصينة : « **الأزهر الشريف** » .

فجزاهم الله تعالى خير الجزاء . . ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لخدمة الإسلام وعلومه ، والدفاع عن سنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

المؤلفـــــان

القرن الأول الهجرى

مصر فى القرآن والسنة

تمهيد
مصر فى القران والسنة

لقد ذكر الله تعالى مصر فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة ، منها ماهو صريح اللفظ ومنها مادلت عليه القرائن .

فأما صريح اللفظ فمنه .

قوله تعالى : « اهْبِطُوا مصراً فإِنَّ لَكُمْ مَاسَأَلْتُمْ [1] » وقوله تعالى : « وَأَوْحَيْنَا إِلَىَ مُوسَى وَأَخِيه أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُمَا بِمصرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً [2] » وقوله سبحانه مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام « ادْخُلُواْ مصرَ إِنْ شَاء الله آمِنِينَ » [3] وأما مادلت عليه القرائن فكقوله تعالى مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام :

« اجْعَلْنِى عَلَىَ خَزَائِنِ الأَرْض إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ » ومن فضائل مصر جبلها المقدس ، ونيلها المبارك وبها الطور الذى كلم الله نبيه موسى عليه السلام عليه وبها الوادى المقدس ، وبها فلق الله البحر لموسى ، وبها ولد موسى وهارون ولقمان وكان بمصر إبراهيم الخليل وإسماعيل ويعقوب ويوسف وبها الأزهر المعمور وحسْب مصر وأهلها كرامة واعتزازا وفضلا وصية رسول الله ﷺ ، التى جاءت بها السنة النبوية حيث يوصى بأهلها لأن لهم ذمة ورحما :

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه قال : حدثنى أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب أخبرنى حرملة - ح - وحدثنى هارون ابن سعيد الأيلى ، حدثنا بن وهب حدثنى حرملة « وهو ابن عمران التجيبى » عن عبدالرحمن بن شماسة المهرى قال : سمعت أبا ذر يقول :

قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما . . . » وروى هذا الحديث مسلم أيضا برواية أخرى بلفظ : « إنكم ستفتحون

---

(١) البقرة ٦١ .

(٢) يونس ٨٧ .

(٣) يوسف ٩٩ .

مصر » والمراد بالقيراط المذكور فى الحديث جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما ، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به ، وأما الذمة فهى الحرمة والحق ، وهى هنا بمعنى الذمام ، وأما الرحم : فلكون هاجر أم إسماعيل منهم ، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم وفى الرواية الثانية « فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما أو قال : ذمة وصهرا » .

وأخرج ابن عبدالحكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض » فقال أبو بكر : ولم يارسول الله ؟

قال : « لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة » .

من أشهر الصحابة الذين نزلوا مصر

دخل مصر من صحابة رسول الله ﷺ عدد كثير ، وقد كان لهم أكبر الأثر فى تخريج جيل من بعدهم من التابعين ثم أتباع التابعين وهكذا . .

حيث تسلسلت الروايات الحديثية عنهم ، وروى التابعون عنهم كما روى أتباع التابعين عن التابعين وهكذا ، مما كان له أكبر الأثر فى اضاءة الحياة الإسلامية فى مصر بنور العلم والحديث منذ الفتح الإسلامى إلى أن قام الأزهر الشريف بعلمائه الأعلام الذين تسلسلت مروياتهم وتأثرت معارفهم وانتقلت عن طريق ثابت صحيح .

وقد خص بعض العلماء الصحابة الذين نزلوا مصر بالتأليف مثل السيوطى فى كتابه « در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة » وسنبدأ بالمكثرين منهم لرواية الحديث حيث نخصهم بترجمة خاصة ثم نترجم لباقى الصحابة إن شاء الله تعالى .

فنترجم أولا : لعبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ وقد شهد عبدالله بن عمر فتح مصر ، وكانت له آثاره ومروياته وأصح الأسانيد إليه كما عدها بعض العلماء :

« مالك عن نافع عن ابن عمر » وهى السلسلة التى أطلق العلماء عليها اسم السلسلة الذهبية فى الاسناد .

ثم نترجم ثانيا : لعبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ الذى أقام بمصر بعد الفتح ، وكان من أكثر الصحابة رواية للحديث حيث كان يكتب مايسمعه من الرسول ﷺ

عبدالله بن عمر بن الخطاب

نسبه : عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى وأمه زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحى أخت عثمان بن مظعون .

ولد فى السنة الثانية أو الثالثة من المبعث وأسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم .

● **مشاهده**

عرض على رسول الله ﷺ وهو بن أربع عشرة فى أحد فلم يجزه وعرض عليه فى الخندق فأجازه وهو أول مشهد شهده ـ وشهد غزوة مؤتة واليرموك وفتح مصر وأفريقية وقدم إلى فارس غازيا . وهكذا نرى أن نشاطه الحربى كان عظيما حيث خاض أعنف المعارك وأبلغها فى حياة الإسلام والمسلمين ولاغرو أن أضافت تلك الأمجاد الحربية إليه مكانة فى النفوس .

● **علمه**

كان من النجباء الفاهمين من فيض النبوة واستفاد من جو الرسالة وحضر كثيرا من المجالس النبوية الشريفة وفى أحد المجالس قال النبى ﷺ لأصحابه (إن من الشجر شجرة لايسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثونى ماهى ؟ قال عبدالله فوقع فى نفسى أنها النخلة ـ ووقع الناس فى شجر البوادى . ثم قالوا : ماهى يارسول الله ؟ قال : النخلة ـ فلما عرف عمر استحياءه عن الاجابة لصغره قال له (وددت لو قلتها ولا أملك كذا وكذا تشجيعا له) .

وكان دقيق العلم خالص الورع محافظا على السنة روى مالك فى الموطأ عن نافع وعبدالله بن دينار أنهما أخبراه أن عبدالله بن عمر قدم الكوفة على سعد بن أبى وقاص وهو أميرها فرآه عبدالله بن عمر يمسح على الخفين فأنكر ذلك عليه فقال : أسألت أباك ؟ فقال : لا فسأله عبدالله فقال عمر : إذا أدخلت رجليك فى الخفين وهما طاهرتان فامسح عليهما ـ قال عبدالله وإن جاء أحدنا من الغائط قال عمر : نعم وإن جاء أحدكم من الغائط ـ ومناقشته مع الصحابة للتعلم أو التعليم كثيرة مشهورة .

● **شجاعته فى الحق**

لما فرض عمر لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وفرض لابنه عبدالله ألفين وخمسمائة قال له : ياأبت : لم تفرض لأسامة ثلاثة آلاف ولى ألفين وخمسمائة والله ماشهد أسامة مشهدا غبت عنه ولاشهد أبوه مشهدا غاب عنه أبى قال : صدقت يابنى ولكنى أشهد لأبيه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك وهو أحب إلى رسول الله ﷺ منك . وعلق الحاكم على ذلك بقوله : فشهد له عمر بأنه لاينام من الليل إلا قليلا .

● **عبادته وورعه**

عن نافع عن ابن عمر أنه كان يحيى الليل صلاة ثم يقول : يانافع أسحرنا ؟ فأقول : لا فيعاود الصلاة ثم يقول يانافع أسحرنا ؟ فأقول نعم فيقعد فيستغفر ويدعو حتى يصبح . وكان شديد الاحتياط والتوقى لدينه اشتهر بذلك بين الصحابة فعن جابر رضى الله عنه قال . مامنا أحد أدرك الدنيا إلا قد مالت به ومال بها إلا عبدالله بن عمر رضى الله عنهما . وعنه أيضا قال : إذا سركم أن تنظروا إلى أصحاب محمد ﷺ لم يغيروا ولم يبدلوا فانظروا إلى ابن عمر . .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : مارأيت أحدا ألزم للأمر الأول من ابن عمر .

وعن نافع قال : إن كان ابن عمر ليقسم فى المجلس ثلاثين ألفا ثم يأتى عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم .

وكان بعد رسول الله ﷺ يكثر الحج والتصدق حتى استغل رقيقه حبه الانفاق فكان أحدهم ربما لازم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه فيقال له : إنهم يخدعونك فيقول : من خدعنا بالله انخدعنا له . وكان إذا قرأ هذه الآية :

« أَلَمْ يَأْنِ لِلذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله [1] » بكى حتى يغلبه البكاء . . وكان إذا ذكر أمامه رسول الله ﷺ بكى . . وسئل عنه نافع : ما كان يصنع فى منزله قال : الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينهما . . فلا غرو إذا عقدت المقارنة بينه وبين أبيه .

وتوفى عبد الله بن عمر ومافى زمانه من يشبهه : قال : أخذ النبى ﷺ بمنكبى وقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل . وكان يقول : إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك . .

وروى عن رسـول الله ﷺ قوله : ماحق امرىء مسلم له شىء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده . وفى رواية ثلاث ليال ثم قال : مامرت على ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلـك إلا وعنـدى وصيتى . . فيالله لتلك النفوس الطاهرة التى باعت الدنيا بالآخرة وحرصت على العمل أكثر من حرصها على العلم فكتبت لهم السيادة وتحققت لهم العزة فى الدنيا والفوز فى الآخرة .

ابن عمر راويا وفقيها

كان متشددا فى الرواية حريصا على أداء ماسمع كما سمع بلا زيادة ولا نقص ، فعن أبى جعفر قال : لم يكن أحد من أصحاب النبى ﷺ إذا سمع عن رسول الله ﷺ حديثا أحذر أن

---

(١) سورة الحديد ٢١.

لايزيد فيه ولاينقص من ابن عمر . . وعن مالك ؛ قال لى ابن شهاب : لاتعدلن عن رأى ابن عمر فإنه أقام بعد رسول الله سنة فلم يخف عليه شىء من أمر رسول الله ﷺ ولا من أمر أصحابه .

وقد نقل صاحب الفتح الربانى بترتيب مسند الإمام أحمد نماذج من فتاواه اخترنا منها ماروى عن ابن جريج أنه قال لعبدالله بن عمر رضى الله عنهما : يا أبا عبدالرحمن رأيتك تصنع أربعا لم أر من أصحابك من يصنعها . قال: ماهن يا بن جريج ؟ قال : رأيتك لاتمس من الأركان إلا اليمانيين ، ورأيتك تلبس النعال السبتية ، ورأيتك تصبغ بالصفرة ، ورأيتك إذا كنت بمكة أهل الناس إذا رأوا الهلال ولم تهل أنت حتى يكون يوم التروية . .

فقال عبدالله : أما الأركان فإنى لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا اليمانيين . .

وأما النعال السبتية فإنى رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال التى ليس فيها شعر ويتوضأ فيها فأنا أحب أن أكسيها . .

وأما الصفرة فإنى رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها .

وأما الإهلال فإنى لم أر رسول الله ﷺ يهل حتى تنبعث به ناقته . .

والناظر فى كتب السنة يجدها مشحونة برواياته وآرائه وفتاويه ومواقفه المحمودة حتى إنه كان كثيرا مايقول لا أدرى إذا سئل خوفا من أن يقول فى الدين بالرأى أو تجره الأسئلة إلى القول بغير علم .

● وفاته

حكى مولى له قال : إنه أنكر على الحجاج بن يوسف أفاعيله فى قتل ابن الزبير وقام إليه فأسمعه فقال الحجاج اسكت ياشيخ قد خرفت فلما تفرقوا أمر الحجاج رجلا من أهل الشام فضربه بحربة فى رجله ثم دخل عليه الحجاج يعوده فقال : لو أعلم الذى أصابك ـ لضربت عنقه فقال : أنت الذى أصبتنى . قال : كيف ؟ قال : يوم أدخلت حرم الله السلاح . ووصى ابنه سالما أن يدفنه خارجا من الحرم فلم يقدر فدفن بالحرم فى مقبرة المهاجرين . وكان ذلك فى سنة أربع وسبعين من الهجرة وهو يوم مات ابن أربع وثمانين سنة .

● آثاره ورواياته

روى عن النبى ﷺ فأكثر وعن أبى بكر وعمر وعثمان وأبى ذر ومعاذ بن جبل ورافع بن خديج وأبى هريرة وعائشة .

وروى عنه ابن عباس وجابر وغيرهما من الصحابة ومن التابعين بنوه سالم وعبدالله وحمزة وبلال وزيد وعبدالله ومصعب بن المسيب « وأسلم مولى عمر ونافع مولاه ، وخلق كثير، وعده ابن حزم

من أكثر الصحابة فتيا مطلقا . وعدوه من المكثرين فى الحديث فقد روى عنه ألفا حديث وستمائة وثلاثون حديثا . ومن أصح الأسانيد إليه بل لقد عدها بعض العلماء أصح الأسانيد على الاطلاق مالك عن نافع عن ابن عمر وقيل الزهرى عن سالم عن أبيه عبدالله بن عمر » .

● ثناء العلماء عليه

عن حذيفة قال : لقد تركنا رسول الله ﷺ يوم توفى ومامنا أحد إلا وتغير عما كان عليه إلا عمر وعبدالله بن عمر رضى الله عنهما .

وعن سعيد بن المسيب قال : لو شهدت على أحد أنه من أهل الجنة لشهدت على ابن عمر . وعنه أيضا : كان ابن عمر حين مات خير من بقى ، وعن طاوس : مارأيت رجلا أورع من ابن عمر بل قال عبدالله بن مسعود : إن أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبدالله بن عمر .

رحم الله ابن عمر كان علما من أعلام الإسلام فى السلم والحرب وفى مواقف الجد وفى مواقف الحزم وفى مواقف الورع ، ووفقنا الله إلى الاقتداء به وأمثاله والسير على نهجهم إلى يوم الدين .

عبدالله بن عمرو بن العاص

هو أبـو محمد عبدالله بن عمرو بن العاص القرشى السهمى عرف بكثرة روايته للحديث النبوى ، لأنه كان يكتب . وكان رضى الله عنه يكتب كل شىء يسمعه من رسول الله ﷺ ، فنهته الصحابة عن ذلك وقالوا له : إن النبى ﷺ يتكلم فى الرضا والغضب فلا تكتب كل ماتسمع ، فسأل النبى ﷺ عن ذلك فقال له الرسول ﷺ :

« فو الذى نفسى بيده ماخرج منها إلا حق » يعنى شفتيه .

وروى ابن سعد عن مجاهد أنه قال : رأيت عند عبدالله بن عمرو بن العاص صحيفة فسألته عنها فقال : هذه الصادقة فيها ماسمعت من رسول الله ﷺ ليس بينى وبينه فيها أحد .

ولنلق بعض الضوء على هذه الصحيفة الصادقة التى هى من أشهر الصحف المدونة فى العهد النبوى .

● **أشهر الصحف المدونة فى العهد النبوى**

من أشهـر الصحف التى دونت وكتبت فى العهـد النبوى ، صحيفة عبدالله بن عمرو بن العاص ، ولهذه الصحيفة أهمية علمية بالغة ، إذ أنها تعتبر من أهم الوثائق التاريخية للدلالة على كتابة الحديث بين يدى رسول الله ﷺ بإذنه فقد كان ابن عمرو أول من كتب الحديث بين يدى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

ويزيد من أهمية هذه الصحيفـة ماذكـره ابن الأثـير فى « أسـد الغابة » من أنها تضم ألف حديث ، وأن صاحبها متقدم الإسلام ، وقد توفر له من أسباب التحمل وكثرة الرواية مالم يتوفر لغيره .

ولذا فقد جمع بين حفظ الحديث فى قلبه ، وكتابته فى الصحف ، يقول أبوهريرة رضى الله عنه : « ماكان أحد أكثر حديثا عن رسول الله ﷺ منى إلا ماكان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب » رواه البخارى . ولكثرة ماحفظ عبدالله بن عمرو وماتحمل ، فقد كان الكثير من الصحابة رضى الله عنهم يحرصون على السماع منه والأخذ عنه قالت عائشة رضى الله عنها لعروة بن الزبير : ياابن أختى بلغنى أن عبدالله بن عمرو مَار بِنَا إلى الحج فالقه فاسأله فإنه قد حمل عن النبى ﷺ علما كثيرا .

وترجع كتابة عبدالله بن عمرو للحديث إلى إذن رسول الله ﷺ له فى الكتابة ، فقد كان يحسن الكتابة ولايلتبس عليه شيء ، وفيما رواه ابن سعد عن عبدالله بن عمرو أنه قال : استأذنت النبى ﷺ فى كتابة ماسمعت منه فأذن لى فكتبته ، فكان عبدالله يسمى صحيفته تلك الصادقة .

وسبب تسمية هذه الصحيفة بالصادقة ، أنه كتبها عن رسول الله ﷺ مباشرة قال مجاهد : رأيت عند عبدالله بن عمرو بن العاص صحيفة فسألت عنها فقال : « هذه الصادقة فيها ماسمعت من رسول الله ﷺ ليس بينى وبينه فيها أحد » رواه ابن سعد . وقد كان عبدالله يروى ويملى الحديث ، ولم تتحدث المصادر عن المنهج الذى كان يسير عليه فى إملائه ، ولكن المعروف عنه وعن غيره من الصحابة أنهم كانوا فى غاية التثبت لما يروون سواء كان من الحفظ أم كان من الصحيفة الصادقة أم كان من غيرها .

وكان عبدالله بن عمرو يعتز بالصحيفة الصادقة ، لأنه أخذها وكتبها عن رسول الله ﷺ ليس بينه وبين رسول الله ﷺ أحد ، وكان يقول : ما يرغبنى فى الحياة إلا خصلتان : الصادقة والوهط ، فأما الصادقة فصحيفة كتبتها عن رسول الله ﷺ ، وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها .

وكان عبدالله بن عمرو يملى الأحاديث على تلاميذه ومن يتلقون عنه السنة كما كان محافظا على صحيفته ، ويوليها أكبر العناية والصيانة خشية الضياع ، وقد حفظ أهله من بعده هذه الصحيفة ، وكان حفيده عمرو بن شعيب يحدث منها .

ومع كثرة ماتحمل عبدالله بن عمرو ، ومع أنه كان يكتب الحديث ، وأبو هريرة لايكتب ، مع هذا نرى أن مارواه أبو هريرة أضعاف مارواه ابن عمرو ، مع أن الذى كان من المنتظر والمحتمل أن يكون العكس .

هذه حقيقة ، ولكننا إذا عرفنا أن بن عمرو كان اشتغاله بالعبادة أكثر من التعليم ، وأنه أقام بعد الفتوح فى مصر بينما كان أبوهريرة فى المدينة ، يتصدر للتحديث . هذا إلى جانب ماحظى به أبو هريرة من دعوة رسول الله ﷺ له ألا ينسى ، إذا عرفنا هذا وقفنا على السبب فى كثرة مرويات أبى هريرة على ابن عمرو رضى الله تعالى عنهما .

وهكذا نزل كثير من صحابة رسول الله ﷺ وسلم مصر ، بعد الفتح الإسلامى ، وأشهر الصحابة عبدالله بن عمرو بن العاص الذى كان من أكثر الصحابة حديثا عن رسول الله ﷺ ، حيث كان يمتاز عن غيره بكتابة مايسمعه من الرسول ﷺ . كما نزل مصر عقبة بن عامر الجهنى ، وخارجة بن حذافة ومعاذ وغيرهم .

وتعلم من هؤلاء الصحابة كثير من أهل البلاد وتخرج على أيديهم كثير من التابعين منهم أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزنى مفتى أهل مصر ، ومنهم يزيد بن أبى حبيب .

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم قد انتشروا فى الأقطار تبعا لاتساع الفتوح الإسلامية ، لينشروا أحكام الإسلام وسنة الرسول ﷺ وكان لزاما على أئمة الحديث بعد ذلك أن يتتبعوا السنة ليجمعوها من سائر الأقطار المختلفة التى انتشر فيه الصحابة ، وكان طريقهم فى هذا إنما « هو الرحلة » فى طلب السنة ، فشمروا عن ساعد الجد ، ورحلوا المسافات الواسعة ، وربما قام الواحد منهم برحلات عديدة حتى كان ينسب إلى أكثر من بلد فيقال عنه : المكى ثم المدنى ثم الشامى ثم المصرى وهكذا إشارة إلى أنه رحل إلى تلك البلاد المتعددة طلبا للحديث الشريف .

وكما كان للصحابة أثرهم فى نقل السنن ونشرها فقد كان لهم أثر كبير آخر فيمن تخرج على أيديهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم . ولنلق بعض الأضواء على باقى الصحابة والتابعين ممن نزلوا مصر .

الصحابة الذين دخلوا مصر

● أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح الحميرى . صحابى . قال الرشاطى فى الأنساب : وفد على النبى ﷺ ، ففرش له رداءه . وكان بالشام ، وكان يعد من الحكماء ، وله رواية .

وقع فى مرآة الزمان ، عن الهيثم أن عمرو بن العاص بعثه إلى الفرما ، ففتحها بعد مافرغ من أمر الفسطاط .

● أبى بن عمارة ـ بكسر العين ، وقيل بضمها . أحد من صلى للقبلتين ، ذكره ابن عبدالحكم فيمن دخل مصر من الصحابة ، وقال : لأهل مصر عنه حديث واحد ، ذكر ابن الكلبى أن أباه عمارة أدرك خالد بن سنان [1].

وقال المزى فى التهذيب : مدنى ، سكن مصر ، له صحبة وحديث فى المسح على الخفين .

● إياس بن البكير ـ ويقال ابن أبى البكير ـ بن عبدياليل بن ثابت [2] الليثى . قال ابن الربيع : بدرى شهد فتح مصر ، ولأهل مصر عنه حديث واحد ، أخبرنيه مقدم بن داود ، حدثنا أبو الأسود نصر بن عبدالجبار ، أن رسول الله ﷺ قال : « من مات يوم الجمعة ، كتب الله له أجر شهيد ، ووقى فتنة القبر » .

وقال ابن يونس : شهد فتح مصر ، ومات سنة أربع وثلاثين . واستشهد أخوه عاقل ببدر ، وأخوهم خالد يوم الرجيع ، وأخوهم عامر باليمامة .

قال ابن إسحق : لايعلم أربعة إخوة شهدوا بدرا غير إياس وإخوته وهاجروا جميعا [3].

● أيمن بن خريم ـ بالمعجمة ثم الراء ـ بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك الأسدى .

قال المبرد فى الكامل : له صحبة [4] .

وقال المرزبانى : يقال له صحبة [5] .

---

(١) الاصابة : « ابن الكلبى عن أبيه ، أنه ادركه ، وأن أباه عمارة « ابن عبدالحكم ٣١٠».

(٢) الاصابة : « ناشب ».

(٣) الاصابة ١ : ١٠٠.

(٤) الكامل ٣ : ٣٠ .

(٥) انظر فهارس معجم الشعراء للمرزبانى ٥١٨ .

وقال ابن عبد البر : أسلم يوم الفتح وهو غلام يفعة [1] .

وقال ابن السكن : يقال له صحبة . وأخرج له الترمذى حديثا عن النبى ﷺ واستغربه ، وقال : لانعرف لأيمن سماعا عن النبى ﷺ .

وقال الصولى : كان أيمن يسمى خليل الخلفاء ، لإعجابهم به وبحديثه لفصاحته وعلمه .

وكان به وضح يغيره بزعفران ، فكان عبدالعزيز بن مروان - وهو أمير مصر - يؤاكله ، ويحتمل ما به من الوضح لإعجابه به ، كذا نقله فى الإصابة ، وهو صريح فى أنه كان بمصر .

وقال المزى [2] فى التهذيب : ذكره بن منده وغيره من الصحابة ، وكناه أبو عطية : الشاعر ، وقال : شامى مختلف فى صحبته .

ومن شعره فى قتل عثمان :

أن الـذيـن تولـوا قتـله سفـهـا لقـوا أثـامـا وخسرانـا ومـاربـحـوا

● بسر - بضم أولـه وسكـون المهملة - بن أرطـأه ، أو ابن أبى أرطأه . قال ابن حبان : وهو الصواب . وقال فى الإصابة : وهو الأصح .

واسم أبى أرطـأه عمير بن عويمر القرشى العامرى أبو عبدالرحمن ، مختلف فى صحبته ، وصحح أن له صحبة أهل الشام وابن حبان والدار قطنى .

قال ابن يونس : كان من أصحاب رسول الله ﷺ ، شهد فتح مصر ، واختط بها ، وكان من شيعة معاوية [3] شهد صفين معه ، وولى البحرين له ، ووسوس فى آخر أيامه .

وقال ابن السكن : مات وهو خرف [4].

وقال ابن حبان : كان يلى لمعاوية الأعمال ، وكان إذا دعا ربما استجيب له [5].

وقال ابن الربيع وابن السكن : مات أيام معاوية بدمشق .

---

(١) الاستيعاب ١:١٩٢ وفيه : « غلام يفاع ويقال » غلام يافع ويفعه ، إذا قارب العشرين .

(٢) فى الأصول : « المزنى » تحريف وهو الحافظ المزى يوسف بن عبدالرحمن القضاعى محدث الديار الشامية فى عصره ، وصاحب كتاب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال .

(٣) بعدها فيما نقله ابن حجر فى الاصابة .

(٤) الاصابة : « ووسوس فى آخر أيامه ».

(٥) الاصابة ١:١٥٢.

وقال خليفة وابن حيان : مات فى أيام عبدالملك بن مروان بالمدينة .

وقال المسعودى : مات فى خلافة الوليد سنة ست وثمانين .

وقال الواقدى : ولد قبل وفاة النبى ﷺ بسنتين .

وقال يحيى بن معين : مات النبى ﷺ وهو صغير .

وقال ابن الربيع : ولأهل مصر عنه حديث واحد وحكاية . ثم روى من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب ، قال : كان بسر إذا ركب البحر قال : أنت بحر وأنا بسر ، على وعليك الطاعة لله ، سيروا على بركة الله .

وقال المزى فى التهذيب : لم يرو عن النبى ﷺ سوى حديثين : حديث : « لاتقطعوا الأيدى فى الغزو »[1] ، أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وحديث (فى الدعاء ، أن رسول الله ﷺ كان يقول : «اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة »)[2]

● تميم بن أوس بن حارثة الدارى ، أبو رقية ـ بقاف مصغر ـ من مشاهير الصحابة ، أسلم سنة تسع ، هو وأخوه نعيم ، وذكر للنبى ﷺ قصة الجساسة والدجال ، فحدث عنه النبى ﷺ بذلك على المنبر ، وعد ذلك من مناقبه ، وأورده أهل الحديث أصلا لرواية الأكابر عن الأصاغر ، وكان نصرانيا من علماء أهل الكتاب .

وقال أبو نعيم : وكان راهب أهل عصره ، وعابد فلسطين ، وغزا مع النبى ﷺ . وهو أول من أسرج السراج فى المسجد . وأول من قص ، وذلك فى خلافة عمر .

قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهل مصر عنه حديث واحد ، وسكن فلسطين بعد قتل عثمان ، وكان النبى ﷺ أقطعه بها قرية عبنون ، مات سنة أربعين[3] .

● ثابت بن الحارث ـ ويقال بن حارثة ـ الأنصارى قال الذهبى فى التجريد : يعد فى المصريين ، روى عنه الحارث بن يزيد .

وقال البغوى : لا أعلم له غير حديث واحد .

قال فى الإصابة : بل له حديثان آخران ، والثلاثة من طريق ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عنه[4] .

---

(١) الاستيعاب « المغازى ».

(٢) زيادة من الاستيعاب .

(٣) الاصابة ١ : ١٨٦ .

(٤) الاصابة ١ : ١٩٢ .

وقال الحسينى : مصرى شهد بدرا .

● جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصارى ، يكنى أبا عبدالله وأبا عبدالرحمن وأبا محمد أحد المكثرين عن النبى ﷺ روى مسلم عنه أنه غزا مع النبى ﷺ تسع عشرة غزوة [١] .

وفى مصنف وكيع ، عن هشام بن عروة ، قال : كان لجابر بن عبدالله حلقة فى المسجد النبوى يؤخذ عنه العلم .

قال ابن الربيع : قدم مصر على عقبة بن عامر ـ ويقال على عبدالله بن أنيس ـ يسأله عن حديث القصاص ، وذلك فى أيام مسلمة بن مخلد . ولأهل مصر عنه نحو عشرة أحاديث .

أخرج البغوى ، عن قتادة ، قال : كان آخر أصحاب النبى ﷺ موتا بالمدينة جابر ، بعد أن عمى .

قال ابن حبان : مات بعد أن عمى سنة ثمان وسبعين ـ وقيل سنة سبع ، وقيل سنة أربع ، وقيل سنة ثلاث وستين وقيل أنه عاش أربعا وتسعين سنة .

ـ ذكر الحديث الذى رحل فيه جابر بن عبدالله إلى مصر :

قال ابن عبدالحكم : حدثنا عبدالله بن يوسف ، حدثنا سعيد بن عبدالعزيز التنوخى : قال : قدم جابر بن عبدالله على مسلمة بن مخلد ، وهو أمير على مصر ، فقال له : أرسل إلى عقبة بن عامر الجهنى حتى أسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ ، فأرسل إليه [٢] .

وقال ابن الربيع : حدثنى أحمد بن عبدالرحمن بن وهب ، حدثنى عمى ابن وهب ، حدثنى مد بن مسلم الطائفى ، عن القاسم بن عبدالواحد ، عن عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبى لب ، عن جابر بن عبدالله الأنصارى .

قال : كان عبدالله بن أنيس الجهنى ـ وكان عداده فى الأنصار ـ يحدث عن رسول الله ﷺ حديثا فى القصاص .

قال جابر بن عبدالله : فخرجت إلى السوق ، فاشتريت بعيرا ، ثم شددت عليه رحلا ، ثم سرت إليه شهرا ، فلما قدمت عليه مصر ، سألت عنه ، حتى وقفت على بابه ، فسلمت ، فخرج إلىّ غلام أسود ، فقال : من أنت ؟ قلت : جابر بن عبدالله ، فدخل عليه فذكر ذلك ، فقال : ل له : أصاحب رسول الله ﷺ ؟ فخرج الغلام ، فقال ذلك ، فقلت : نعم ، فخرج إلى لتزمنى والتزمته فقال : ماجاء بك ياأخى ؟ قلت : حديث تحدث به عن رسول الله ﷺ فى

(١) الإصابة ١ : ٢١٤ .

(٢) فتوح مصر ٢٧٥ .

القصاص ، لم يبق أحد يحدث به عن رسول الله غيرك ، أردت أن أسمعه منك قبل أن تموت أو أموت ، قال : نعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ حَشَرَ الله النَّاسَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً بُهمَا ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَى كُرْسيه تَبَارك وتَعَالَى ، ثُمَّ يُنادِي بصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بعد كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قرب يَقُولُ : أنَا الْمَلِكُ الدَّيَّانُ ، لا ظُلْم الْيَوْمَ ، لا يَنبغِي لأحَد مِنْ أهْل الْجَنَّةَ يَدْخُل الْجنةَّ ، ولاَ يَنْبغى لأحَد مِنْ أَهْل النَّار يَدْخُل النَّار عندَهُ مَظْلَمَة ، حَتَّى لطْمَة بيَد « قِيلَ : يارَسُولَ الله ، فَكَيْفَ ، وَإنما نَأتى الله يَوْمَ الْقِيامَة حُفَاة عُرَاة غُرْلاً [1] بُهْماً ، قَالَ : مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَات ، قَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْم : مَا الْبُهْم ؟ قَالَ : سَأَلْتُ عَنْهَا جَابرَ بن عَبْدِ الله فَقَالَ : الَّذِينَ لاَ شَيْء مَعَهُمْ » .

قال ابن الربيع : وحدثنا على بن الحسن ، بن الربيع بن إسحاق ، عن أحمد بن يحيى بن دريد ، عن أبى نعيم ، عن ابن المبارك ، عن داود ، عن عبدالرحمن العطار ، عن القاسم بن عبد الواحد بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبدالله ، قال : سرت إلى عبدالله بن أنس وهو بمصر أسأله عن حديث . . . . ثم ذكره [2] .

● الحارث بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمى ابن عم رسول الله ﷺ قال ابن عبدالبر له رواية وأمه حجيلة بنت جندب الهلالية وقيل أم ولد غضب عليه أبوه العباس فطرده إلى الشام فسار إلى الزبير بمصر فقدم به الزبير على العباس وشفع له ، قاله ابن الكلبى وغيره [3] .

● حاطب بن أبى بلتعة ـ بفتح الموحدة والفوقية والمهملة ولام ساكنة ـ بن عمرو بن عمير اللخمى . شهد بدرا ، ودخل مصر رسولا من النبى ﷺ إلى المقوقس ، ثم ورد عليه أيضا رسولا من أبى بكر . روى مسلم عن جابر ، أن عبدا لحاطب بن أبى بلتعة ، جاء يشكو حاطبا ، فقال : يارسول الله ، ليدخلن حاطب النار ، فقال : « لا ، إنه شهد بدرا والحديبية » مات سنة ثلاثين ، وله خمس وستون سنة .

قال ابن عبدالبر : لاأعلم له غير حديث واحد : « من زارنى بعد موتى . . » الحديث ، ووجد له ثلاثة أحاديث غيره [4] .

● حمزة بن عمرو الأسلمى المدنى أبوصالح . وقيل : أبو محمد . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر .

---

(١) غرلا ، أى قلفا.

(٢) الاستيعاب ٢١٩.

(٣) الاصابة ١ : ٣٦٦.

(٤) الاصابة ١ : ٢٩٩ والاستيعاب ٣١٢ .

وفى التهذيب للمزى أنه الذى بشر كعب بن مالك بتوبة الله عليه . مات سنة إحدى وستين وله إحدى وسبعون سنة . حديثه فى الصحيحين [1] .

● حيى - بتحتيتين مصغر - بن حرام الليثى قال ابن الربيع : لأهل مصر عنه حديث واحد ، وذكره ابن يونس فى تاريخ مصر ، وقال : له صحبة .

وقال ابن السكن : له صحبة ، عداده فى المصريين .

وقال القضاعى فى الخطط : يقال أن له صحبة . وقال فى التجريد : نزل بالشام [2] .

● خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر العدوى . أحد الفرسان ، قيل : كان يعد بألف فارس ، وهو من مسلمة الفتح ، وأمد به عمر عمرو بن العاص ، فشهد معه فتح مصر ، واختلط بها . وكان على شروط عمرو بن العاص ، فحصل لعمرو ليلة مغص ، فاستخلفه على الصلاة ، فقتله الخارجى الذى انتدب لقتل عمرو ، وهو يظنه عمرا ، وقال : أردت عمرا وأراد الله خارجة ، وذلك ليلة قتل على بن أبى طالب ، وفيه يقول الشاعر :

فليتـها إذ فَدتْ عَمْـرا بخـارجـة فَدَتْ عَلِيًّـا بمـن شاءت من الـبشر

له حديث واحد فى الوتر . قال ابن الربيع : لم يرو عنه غير المصريين .

قال فى المرآة ، وله من الولد : عبدالرحمن وأبان [3] .

● خرشة بن الحارث - ويقال له : بن الحر - المحاربى الأزدى . قال ابن السكن : له صحبة ، نزل مصر .

وذكره ابن سعد فيمن نزل مصر من الصحابة [4] .

وذكره ابن الربيع ، وقال : لأهل مصر عنه حديث واحد .

وقال فى التجريد : له وفادة ، وشهد فتح مصر .

وقال فى الإصابة : الراجح بن الحارث ، وأما خرشة بن الحر فرجل آخر تابعى ، وقد فرق بينهما البخارى وابن حبان .

---

(١) الاستيعاب ٣٧٥.

(٢) الاصابة ١ : ٣٦٦.

(٣) انظر الاستيعاب ٤١٨ ، والاصابة ١ : ٣٩٩.

(٤) الاصابة ١ : ٤٢٢.

وقال الحسينى فى رجال السند : خرشة بن الحارث أبو الحارث المرادى ، نزل مصر [1] له صحبة ورواية عند يزيد بن أبى حبيب .

● خزيمة بن الحارث مصرى له صحبة ، حديثه عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب قاله ابن عبدالبر وتبعه فى التجريد .

قال فى الإصابة : أظنه وهما نشأ عن تصحيف ، وإنما هو خرشة بن الحارث [2] .

● دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبى . من مشاهير الصحابة ، أول مشاهده الخندق . وقيل أحد ـ وكان يضرب به المثل فى حسن الصورة ، وكان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل على صورته . روى العجلى فى تاريخه ، عن عوانة بن الحكم قال : أجمل الناس من كان جبريل ينزل على صورته .

وهو رسول النبى ﷺ إلى قيصر . قال ابن البرقى : له حديث عن النبى ﷺ .

وقال فى الإصابة : اجتمع لنا عنه نحو ستة أحاديث [3] . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، وقد نزل دمشق وسكن المزة ، وعاش إلى خلافة معاوية .

● رشيد بن مالك أبو عميرة المزنى ـ بفتح العين ـ من أصحاب النبى ﷺ ذكر فى أهل مصر ، ولأهل مصر عنه حديث .

قاله ابن الربيع وابن يونس ، وكذا فى التجريد والإصابة [4] .

● الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى الأسدى أبو عبدالله . حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته صفية ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد أعلام السادة السالفين البدريين ، أسلم وله اثنتا عشرة سنة ـ وقيل ثمانى سنين ـ وهاجر الهجرتين .

قال عروة : وكان الزبير طويلا ، تخط رجلاه الأرض إذا ركب . أخرجه الزبير بن بكار .

وكان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، وكان لايدخل بيته شىء ، يتصدق به كله . أخرجه يعقوب بن سفيان .

قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، واختط بها ، ولأهل مصر عنه حديث واحد ، قتل راجعا

---

(١) الاصابة ١ : ٤٢٦.

(٢) الاستيعاب : ٤١٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٧ : ٥٠١.

(٤) ١ : ٥٠٢.

من وقعة الجمل بوادى السباع فى جمادى الأولى سنة ست وثلاثين ، وله ست أو سبع وستون سنة .

زياد بن الحارث الصدائى ، بضم المهملة . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهل مصر عنه حديث واحد . وقال فى التجريد : بايع ، وحديثه فى الأذان فى جامع الترمذى ، نزل بمصر . وقال البخارى : قال بعضهم : زياد بن حارثة ، وزياد بن الحارث أصح .

وقال ابن سعد : نزل بمصر ، روى عنه المصريون .

● زياد الغفارى ، قال فى التجريد تبعا لابن عبدالبر : مصرى له صحبة ، روى عنه يزيد بن نعيم .

وقال فى الإصابة : يعد فى أهل مصر ، أخرج حديثه ابن أبى خيثمة وابن السكن من طريق زيد بن عمرو ، عن يزيد بن نعيم : سمعت زيادا الغفارى على المنبر فى الفسطاط يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من تقرب إلى الله شبرا تقرب إليه ذراعا . . » الحديث[٤] .

● السائب بن خلاد بن سويد الأنصارى . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، وقدم على عقبة ، فاستذكره حديث : « من ستر عورة . . . » الذى رحل فيه السائب بن خلاد إلى مصر .

قال ابن عبدالحكم : ذكر يحيى بن حسان ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، قال : إن السائب بن خلاد الأنصارى قدم على عقبة بن عامر الجهنى ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يذكر فى الستر شيئا ؟ فقال عقبة : سمعت رسول الله ﷺ يقول « مَنْ سَتَرَ مسْلماً سَتَرَهُ الله » فقال : أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؛ قال : نعم ، قال : فراح . ولم يقدم من المدينة إلا لذلك أخرجه محمد بن الربيع الجيزى .

وحدثنا عبدالله بن صالح ، حدثنا يحيى بن أيوب ، عن عياش بن عباس القتبانى ، عن [illegible]ب بن عبدالله المعافرى ، قال : قدم رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار على مسلمة بن مخلد ، فألفاه نائما ، فقال : أيقظوه ، فقالوا : بل تنزل حتى يستيقظ ، قال : لست فاعلا ، فأيقظوا مسلمة فخرج مسلمة ، فقال : انزل : فقال : لا ، حتى ترسل إلى عقبة بن عامر ، فأرسل إليه فأتاه ، فقال : هل سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(١) الاصابة ١ :٥٢٦.
(٢) طبقات ابن سعد ٧ :٥٠٣ ، الاصابة ١ :٥٣٨.
(٣) الاستيعاب ٥٣٤.
(٤) الاصابة ١ : ٥٤١.
(٥) فتوح مصر ٢٧٥.
(٦) من فتوح مصر .

« مَنْ وَجَدَ مُسْلِماً عَلىَ عَوْرَةٍ فَستَرَهَا فَكَأَنَّما أَحْياَ مَوءودَة مِنْ قَبرْهَا » ؟ قال عقبة : قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك [1] .

وقال محمد بن الربيع : أخبرنى يحيى بن عثمان بن صالح ، أنبأنا يوسف بن عبدالأعلى ، أخبرنى عبدالجبار بن عمر، أن مسلم بن أبى حرة، حدثه عن رجل من أهل قباء، أنه قدم مصر على مسلمة بن مخلد ، فضرب عليه الباب ، واستأذن عليه ، فخرج مسلمة إليه فقال : انزل ، فقال : لا ولكن أرسل معى إلى فلان - رجل من أصحاب النبى ﷺ ، قال : حسبت أنه قال : سرق - فذهب إليه فى قرية ، فقال له : هل تذكر مجلسا كنت أنا وأنت فيه مع رسول الله ﷺ ، ليس معنا أحد غيرنا : فقال : نعم ، فقال : كيف سمعته يقول : ؟ قال سمعته يقول : « مَنْ اطَّلَعَ مِنْ أَخِيهِ عَلىَ عَوْرَةٍ ثُمَّ سَترَهَا جَعَلَهَا الله لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِجَاباً مِنَ النَّار » .

وقال : كنت أعرف ذلك ، ولكنى أوهمت ، فكرهت أن أحدث به على غير ماكان . ثم ركب على صدر راحلته ثم رجع .

● السائب الغفارى . ذكره ابن الربيع ، وقال لايوقف له على حضور الفتح ، ولأهل مصر عنه حديث واحد من طريق ابن لهيعة ، عن أبى قبيل ، عن رجل من بنى غفار ، حدثه أن أمه أتت به إلى رسول الله ﷺ وعليه تميمة ، قال : فقطع رسول الله ﷺ وسلم تميمتى ، وقال : ماسم ابنك ؟ قالت : السائب ، فقال النبى ﷺ .

بل سميه بعبد الله فقلت : أتجيب بكليهما ؟ فقال : لا والله ، ماكنت لأجيب إلا على أسم رسول الله ﷺ الذى سمانى [2] .

● سفيان بن وهب الخولانى ، أو أيمن . له صحبة ورواية ووفادة . شهد حجة الوداع . وفتح مصر وأفريقية ، وسكن المغرب . قال ابن الربيع : لم يرو عنه غير أهل مصر فيما أعلم . ولهم عنده حديثان . مات سنة إحدى وتسعين .

● سندر أبو عبدالله - قيل : أبو الأسود - مولى زنباع الجذامى ، سكن مصر فى خلافة عمر ، وأقطع بها منية الأصبغ . قال ابن عبدالحكم : يقال سندر بن سندر . والله أعلم بالصواب .

قال ابن أبى الربيع : لأهل مصر عنه حديثان ، ثم أوردهما ، وأحدهما من طريق يزيد بن

---

(١) فتوح ٢٧٥ ، ونهاية الخبر هناك : « أخبرنا أبوحماد ، قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك . ولم يسم يحيى بن أيوب الرجل .

(٢) الاصابة ٢ : ١٢ .

(٣) الاصابة ٢ : ٥٦ .

أبى حبيب عن ربيعة بن لقيط عن عبدالله بن سندو عن أبيه أنه كان عبدا لزنباع . . الحديث ، وهذا تصريح بأن له أبناء ، فالظاهر أنه ولد له قبل الخصى ، فيكون صحابيا أيضاً [١] .

● سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصارى الساعدى المدنى أبوالعباس ، وقيل : أبويحيى . قال ابن الربيع : قدم مصر بعد الفتح على مسلمة بن مخلد ، ولأهل مصر عنه أحاديث مات سنة إحدى وتسعين ، وقيل : سنة ثمان وثمانين ، وهو ابن مائة سنة ، وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة [٢] .

● شرحبيل بن حسنة ـ وهى أمه ـ واسم أبيه عبدالله بن المطاع الكندى . وقيل التميمى أبو عبدالله حليف بنى زهرة أحد أمراء أجناد الشام وهو من مهاجرة الحبشة . ذكره ابن عبدالحكم فيمن شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه حديث واحد ، لكن فى تهذيب المزى أنه مات بالشام سنة ثمانى عشرة ، وهو ابن سبع وستين سنة ، وهذا يقدح فيما قاله ابن عبدالحكم .

● عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارى الخزرجى أبوالوليد : شهد العقبتين وكان أحد النقباء ، وشهد بدرا وسائر المشاهد ، وكان من سادات الصحابة .

وقال ابن الربيع شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه عشرة أحاديث . قال : ومات بفلسطين سنة أربع وثلاثين . وله اثنتان وسبعون سنة .

قال فى التهذيب : مات بالشام فى خلافة معاوية ، وأمه أسلمت أيضاً وبايعت ، واسمها قرة العين بنت عباد بن فضلة الخزرجية ، وليس فى الصحابيات من يسمى بهذا الاسم سواها [٣] .

● عبدالله بن أنيس الجهنى ـ قال ابن الربيع : ويقال ابن أنيسة ـ أبويحيى المدنى حليف الأنصار ، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار ، وأحدا ومابعدها من المشاهد، ولقبه النبى ﷺ سرية وحده . نزل مصر ، ورحل إليه جابر بن عبدالله فى حديث القصاص [٤] مات فى خلافة معاوية سنة أربع وخمسين .

وفرق الذهبى فى التجريد بين الثلاثة ، فذكر عبدالله بن أنيسة الجهنى حليف الانصار ، وعبدالله بن أنيس السليمى ، وعبدالله بن أبى أنيس ، رحل إليه جابر فى حديث القصاص فجعلهم ثلاثة [٥] .

---

(١) الاصابة ٢ : ٨٣.

(٢) الاصابة ٢ : ٨٧.

(٣) تهذيب التهذيب ٥ : ١٦١.

(٤) فى الاصابة : قلت : وحديث جابر عند أحمد وغيره من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب عن جابر ، قال : بلغنى فى القصاص ، وصاحبه بغزة ، فرحلت إليه مسيرة شهر » .

(٥) الاصابة ٢ : ٢٧٠.

● عبدالله بن الحارث بن جزء بن عبدالله بن معد يكرب الزبيدى المذحجى . شهد فتح مصر واختط بها ، وسكنها ، وعمر بها دهرا . مات سنة ست أو سبع ، أو ثمان - وثمانين بعد أن عمى ، وهو آخر صحابى مات بها .

قال ابن الربيع : لأهل مصر عنه عشرون حديثا [1].

● عبدالله بن حوالة الأزدى ، أبو حوالة . له صحبة ورواية . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه حديث واحد ، نزل الأردن سنة ثمان وخمسين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة [2] .

● عبدالله بن الزبير بن العوام ، أمير المؤمنين . أبوبكر وأبوخبيب . أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق . هاجرت به حملا ، فولدته بعد الهجرة بعشرين يوما . وهو أول مولود ولد فى الإسلام بالمدينة . وكان فصيحا ذا لسانة وشجاعة ، وكان أطلس لا لحية له .

● قال ابن الربيع : قدم مصر فى خلافة عثمان ، وشهد أفريقية ، ولأهل مصر عنه حديث واحد ، بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة أربع وستين ، وغلب على أهل الحجاز واليمن والعراق ومصر وأكثر الشام . فأقام فى الخلافة تسع سنين ، إلى أن قتله الحجاج سنة ثلاث وسبعين [3] .

● عبدالله بن سعد بن أبى سرح - واسمه حسام ، وقيل : عويف - بن الحارث القرشى العامرى أبويحيى . قال ابن سعد : أسلم قديما ، وكتب لرسول الله ﷺ الوحى ثم افتتن ، وخرج من المدينة يريد مكة مرتدا ، فأهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح فجاء عثمان بن عفان إلى النبى ﷺ فاستأمنه فأمنه ، وكان أخاه من الرضاعة ، وسأل منه المبايعة ، فبايعه رسول الله ﷺ يومئذ على الإسلام ، وقال : الإسلام يجب ماقبله ، ولاه عثمان بن عفان مصر بعد عمرو بن العاص ، فنزلها وابتنى بها دارا ، فلم يزل واليا بها حتى قتل عثمان .

قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه حديث واحد ، ولم يرو عنه غير أهل مصر مات بعسقلان سنة ست وثلاثين ، والحديث الذى رواه فى قصة أسكن حراء [4] .

● عبد الله بن سعد قال ابن سعد فى الطبقات : رجل من أصحاب النبى ﷺ . سكن مصر ، له حديث فى مؤاكلة الحائض [5] .

(١) الاصابة ٢ : ٢٨٢.

(٢) الاصابة ٢ : ٢٩٢.

(٣) الاصابة ٢ : ٣٠١.

(٤) طبقات ابن سعد ٧ : ٤٩٦ ، والاستيعاب ٩١٨ ، الاستيعاب ٩١٨ ، الاصابة ٢ : ٣٠٨ قال : « وقال البغوى : له عن النبى ﷺ حديث واحد وحرفه » .

(٥) طبقات ابن سعد ٧ : ٥٠١ ، والحديث هناك : « سألت رسول الله ﷺ عن مؤاكلة الحائض ، فقال : واكلها » .

● عبدالله بن عمر بن الخطاب ، أبو عبدالرحمن . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر واختط بها دار البركة ، ولهم عنه أحاديث . مات بمكة سنة ثلاث وسبعين ، ـ وقيل سنة أربع ـ وله من العمر أربع وثمانون سنة ، وقيل : سبعة وثمانون سنة [1] .

وقد سبق الكلام عليه بتفصيل .

● عبدالله بن هشام بن زهرة التيمى . جد زهرة بن سعيد . شهد فتح مصر ، وله خطة ، ولأهل مصر عنه حديث واحد ، وهو قول عمر : « لأنت أحب إلى يارسول الله من نفسى . . » الحديث ، وله عنه حكايات .

وقال فى التجريد : ولد سنة أربع ، وله رواية [2] .

● عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق أبو محمد . شقيق عائشة أم المؤمنين . هاجر قبل الفتح .

قال ابن الربيع : دخل مصر فى سبب أخيه محمد ، ولأهل مصر عنه حديث واحد . مات بمكة سنة ثلاث وخمسين . وقيل سنة خمس أو ست [3] .

● عبدالرحمن بن عديس بن عمرو البلوى . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولهم عنه حديث واحد ، متنه : « يخرج أناس من أمتى يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فيقتلون بجبل لبنان ـ أو الخليل » . لم يرو عنه غير أهل مصر . توفى بالشام سنة ست وثلاثين .

وقال فى التجريد : بايع تحت الشجرة ، روى عنه جماعة . وكان أحد الجيش القادم من مصر لحصار عثمان [4] .

● عبدالرحمن بن غنم الأشعرى . قال ابن الربيع : له صحبة ، دخل مصر فى زمن مروان ، ولأهلها عنه حديث واحد .

وقال فى التجريد : أسلم فى زمن النبى ﷺ ، وصحب معاذا . وقال بعضهم : وفد مع جعفر إذ هاجر إلى الحبشة .

وقال فى التهذيب : مختلف فى صحبته ، مات سنة ثمان وسبعين [5] .

---

(١) الاصابة ٢ : ٣٣٦.

(٢) الاصابة ٢ : ٣٦٩.

(٣) الاصابة ٢ : ٧٨٤.

(٤) الاصابة ٢ : ٤٠٣.

(٥) الاصابة ٢ : ٤١٠.

● عبيد بن النـدر ـ بضم النون وفتح الدال المهملة ـ السلمى . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه حديث واحد .

وقال فى التهذيب : شامى ، له صحبة ورواية . مات سنة أربع وثمانين ، حديثه فى سنن ابن ماجه .

● عثمان بن عفـان أمـير المؤمنين أبو عمر الأموى . قال ابن الربيع : دخل مصر فى الجاهلية للتجارة ، وصار إلى الإسكندرية[1] .

● عدى بن عميرة ـ بفتح أوله ـ الكندى ، أبو زرارة . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ولهم عنه حديث . روى عنه ابنه عدى . قال الواقدى : مات بالكوفة سنة أربعين[2] .

● العرس ـ بضم أوله وسكون الراء ـ بن عميرة الكندى . أخو الذى قبله . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهل مصر عنه حديثان . روى عنه ابن أخيه عدى وغيره[3] .

● عروة الفقيم التميمى . أبو غاضرة . قال البخارى : حديثه فى المصريين . روى عنه ابنه غاضرة[4] .

● عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف المكى . أبو سروعة بن مسلمة الفتح . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، وهو الذى شرب بها مع عبدالرحمن بن عمر الخمر . وله رواية عن النبى ﷺ ، وليس لأهل مصر عنه شىء[5] .

قلت : حديثه فى البخارى والسنن .

● عقبـة بن كريم الأنصـارى . ذكره بن عبدالحكم فيمن دخل مصر من الصحابة، قال ابن الربيع : لأهل مصر عنه نحو مائة حديث ، مات بمصر سنة ثمان وخمسين[6] .

● علقمة بن رمثة البلوى . قال البخارى : حديثه فى المصريين ، وقال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه حديث واحد .

قال الذهبى : بايع تحت الشجرة[7] .

---

(١) الاصابة ٢ : ٤٥٥.

(٢) الاصابة ٢ : ٤٦٣.

(٣) الاصابة ٢ : ٤٦٦.

(٤) الاصابة ٢ : ٤٧١.

(٥) الاصابة ٢ : ٤٨١.

(٦) فتوح مصر ١٠٩.

(٧) فتوح مصر ٣٠٢.

وقال الحسينى فى رجال السند : مصرى له صحبة ورواية ، روى عنه زهير بن قيس البلوى .

● عمار بن ياسر العبسى أبواليقظان . أحد السابقين الأولين . قال ابن الربيع : دخل مصر رسولا من قبل عثمان بن عفان وصار إلى صقلية ، ولأهل مصر عنه حديث واحد . قتل بصفين سنة سبع وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة [1] .

● عمرو بن الحمق بن كاهن بن حبيب الخزاعى . قال البخارى : حديثه فى المصريين .

وقال ابن الربيع : دخل مصر فى خلافة عثمان ، ولهم عنه حديث فى الجند الغربى

وقال فى التهذيب : بايع فى حجة الوداع ، وصحب بعد ذلك ، وقتل بالحرة [3] .

وقال ابن سعد : كان فيمن سار إلى عثمان ، وأعان على قتله ، ثم قتله عبدالرحمن بن أم الحكم [4] .

وعن الشعبى قال : أول رأس حمل فى الإسلام رأس عمرو بن الحمق .

وقال ابن كثير : أسلم قبل الفتح وهاجر ، وكان من جملة من أعان حجر بن عدى فتطلبه زياد ، فهرب إلى الموصل ، فبعث معاوية إلى نائبها ، فوجدوه قد اختفى فى غار فنهشته حية ، فمات فقطع رأسه ، وبعث به إلى معاوية فطيف به فى الشام وغيرها ، فكان أول رأس طيف به . قال : وورد فى حديث أن رسول الله ﷺ دعا له أن يمتعه الله بشبابه ، فبقى ثمانين سنة لاترى فى لحيته شعرة بيضاء .

● عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية الأموى أبو أمية المعروف بالأشدق . قال ابن كثير : يقال أنه رأى النبى ﷺ ، وروى عنه حديثين . دخل مصر مع مروان ، وقتله عبدالملك سنة تسع وستين . وقيل سنة سبعين [5].



(١) الاصابة ٢ : ٥٠٥ ، ٥٠٦.
(٢) الاصابة ٢ : ٥٢٦.
(٣) تهذيب التهذيب : ٨ : ٢٣.
(٤) طبقات ابن سعد ٦ : ٢٥ .
(٥) الاصابة ٢ : ٥٣١ .

المحدثون في مصر والأزهر

في القرن الثاني

المحدثون
فى مصر والأزهر
فى القرن الثانى

يشرق هذا القرن موصولا بسابقه . . حيث صحابة رسول الله ﷺ الذين نزلوا مصر ، وقاموا بأسمى مهمـة ، ينشرون العلم ، ويبلغـون النـاس الأحـاديث ، ويعلمـونهم الأحكـام ، ويفقهونهم ، وتخرج على أيديهم جيل مبارك من التابعين رووا عن الصحابة ـ بمصر ـ

منهم أبو الخير مرثد بن عبدالله اليزنى مفتى أهل مصر آنئذ وقد روى عن أبى أيوب الأنصارى وأبى بصرة الغفارى وعقبة بن عامر الجهنى .

ومنهم يزيد بن أبى حبيب روى عن بعض الصحابة وأكثر روايته عن التابعين .

وهكذا أشرق هذا العهد موصولا بسابقه متأثرا به ، وقامت به نهضة كبرى على يد الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز الذى كان له أكبر الأثر فى تدوين الحديث النبوى .

الخليفة عمر بن عبدالعزيز

فى مصر ، وفى حلوان ، ولد عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن أبى العاص بن أمية القرشى الأموى التابعى العظيم وذلك سنة إحدى وستين .

حفظ القرآن الكريم وهو صغير ، وأرسله والده إلى المدينة ليحفظ السنن فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبدالله بن عتبة . . وولى إدارة المدينة زمنا فى خلافة الوليد ، ثم قدم الشام سنة ٩٣ وبويع بالخلافة سنة ٩٩ رضى الله عنه .

سمع الحديث النبوى : من أنس بن مالك والسائب بن يزيد ويوسف بن عبدالله بن سلام ، وخولة بنت حكيم وغيرهم .

وروى عنه : كثير من التابعين منهم أبوسلمة بن عبدالرحمن وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم والزهرى ويحيى الأنصارى وكان رضى الله عنه محبا للحديث شغوفا به كبير العناية بالسنة حفظا وتدوينا .

وكان ثقة حجة حافظا شهد له العلماء بالحفظ والأمانة حتى لقد كان يقرن بالزهرى فى علمه .

● خامس الراشدين عمر بن عبدالعزيز

تنبئنا أقوال المؤرخين والمترجمين بأن عمر بن عبدالعزيز خليفة عادل بل إنه خامس الراشدين .

حدث على بن الحسين قال : « أخبرنى خارجة بن مصعب عن ابن عون عن مجاهد قال : المهادى سبعة : مضى خمسة ، وبقى اثنان . قال خارجة : أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبدالعزيز رضى الله عنهم . . أى هؤلاء هم الخمسة الذين مضوا » .

وحدث أبو عبيدة السرى بن يحيى بن أبى هنادين قال : « سمعت قبيصة بن عقبة يقول : سمعت سفيان الثورى يقول : الخلفاء خمسة : أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبدالعزيز رضى الله عنهم » .

وقد رواه قبيصة عن عباد بن سفيان قال : « حدثنا قبيصة قال : حدثنا عباد السماك قال : سمعت سفيان يقول : أئمة العدل خمسة : أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبدالعزيز » .

وفى رواية قال عباد السماك : « سمعت سفيان الثورى يقول : أئمة العدل خمسة : أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبدالعزيز . من قال غير هذا فقد اعتدى » .

وقال قبيصة فى رواية أخرى : « سمعت عبادا السماك يقول : سمعت الأئمة خمسة : أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبدالعزيز » .

وحدث مزاحم الخاقانى قال : « حدثنى عمى أبوعلى عبدالرحمن بن يحيى بن خاقان ، أنه ذكر لأحمد بن حنبل أنه يروى عن سفيان الثورى أنه قال : أئمة الهدى أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبدالعزيز ، فقال له أحمد بن حنبل : هذا كذا هو » .

وكثير من العلماء والكتاب يعتبرون عمر بن عبدالعزيز المجدد الأول للإسلام على رأس المائة الأولى من الهجرة . . ويالها من منزلة سامية .

حدث محمد بن الحسن بن الجنيد قال : « سمعت عثمان بن على يقول : سمعت حميد بن رنجويه النسائى يقول : قال أحمد بن حنبل : يروى فى الحديث : « أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة دينها » . . . فنظرنا فى المائة الأولى ، فإذا عمر بن عبدالعزيز ونظرنا فى المائة الثانية فنراه الشافعى » .

والواقع [1] أن الفترة القصيرة التى قضاها الإمام العادل عمر بن عبدالعزيز فى خلافته ، كانت عودة مباركة إلى هذا العهد النبوى المشرق الذى استضاءت أنواره على عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى عهد الخلفاء الراشدين الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين .

وإذا كنا نرى الخيرات والبركات تفيض على أيدى هؤلاء الأربعة الراشدين ، فيجب أن نتذكر ذلك التمهيد الطويل الذى قام به الرسول صلوات الله عليه ، ليجعل الطريق لمن بعده معتدلا مستقيما ، ومن هنا أقبل كل خليفة من هؤلاء الأربعة ، فاستقام وتابع ، وزاد فى الخير .

ولكن عمر بن عبدالعزيز جاء فى فترة عصيبة : ظهرت فيها طوائف وأحزاب ، ونبتت خلالها فتن ومحن ، واتسعت الفجوة بين الحاكمين والمحكومين ، وتحدث الناس عن المظالم والمآثم . . . فإذا عمـر يقبل إقبال الفجر الصادق : فيرد المظالم ، وينصف المظلومين ، ويؤدب الخارجين ، وينشر السـلام والأمان والاحسان بين جميع الناس . . . فلا عجب أن يجعله المؤرخون خامس الخلفاء عليه رضوان الله .

وقد كان ميلاد عمر بن عبدالعزيز فى حلوان سنة احدى وستين حينما كان أبوه واليا على مصر ، وروى النووى أنه ولد فى مصر كمـا نقل رواية تفيد أن أصل عمر مدنى ، أى أنه ولد بالمدينة ولعل

---

(١) نقلا عن كتاب (عمر بن عبد العزيز) دكتور أحمد الشرباصى .

هذا الاشتباه جاء من تردد عمر بين المدينة ومصر فى أثناء يفاعته ، ولعله ولد فى مصر ثم انتقل إلى المدينة صغيرا أو العكس ومهما يكن من أمر فقد قضى عمر فى مصر أياما ظل يذكرها بالخير والثناء فى كثير من المناسبات .

● **مواقف عظيمة من أعماله المباركة**

كان للخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز ، مواقفه الرائعة فى إقرار الأمن والعدالة واتخاذ أدق الأساليب وأحكمها فى إدارة شئون الدولة .

فقد كتب إلى عروة واليه على اليمن يقول :

« أما بعد ، فإنى أكتب إليك آمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم . . وتراجعنى . وأنت تعرف بعد مابينى وبينك ، ولاتعرف أخذات الموت . . . حتى لو كتبت إليك . . اردد على مسلم مظلمة ، لكتبت إلى : أردها عفراء أو سوداء . انظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعنى » .

وكان عمر يكتب إلى عبدالحميد بن عبدالرحمن عامله على المدينة فى المظالم ، فيراجعه فيها ، فكتب إليه عمر :

« إنه يخيل لى أنى لو كتبت لك أن تعطى رجلا شاة لكتبت إلى : أذكر أم أنثى ؟ ولو كتبت إليك بإحداهما ، لكتبت إلى : أصغيرة أم كبيرة ؟ ولو كتبت إليك بإحداهما ، لكتبت : أضائنة أم معزى ؟ فإذا كتبت إليك ، فنفذ ولاترد على والسلام » .

وعن يحيى بن أبى كثير ، قال : « كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عماله أن أجروا على طلبة العلم الرزق ، وفرغوهم للطلب » .

وكتب إلى والى حمص يقول له : « انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه ، وحبسوها فى المسجد عن طلب الدنيا ، فأعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ماهم عليه من بيت مال المسلمين ، حين يأتيك كتابى هذا . وإن خير الخير أعجله . . والسلام عليكم » .

وكتب إلى واليه فى رسالة أخرى : « مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم ، لئلا يشغلهم شىء عن تلاوة القرآن وماحملوا من الأحاديث . . » .

وجاءه رجل فقال له : « إنى زرعت زرعا ، فمر به جيش من أهل الشام فأفسده » . فعوضه عمر عن ذلك عشرة آلاف درهم . .

وكتب إلى خزنة بيت الأموال بأن يأخذوا من الأفراد النقود الكاسدة التى لايقبلها الناس ، ولاحيلة لهم فى أمرها . . فقال عمر لهؤلاء الخزنة : « إذا أتاكم الضعيف بالدينار لاينفق عنده ، فأبدلوه من بيت المال . . » .

خرج عمر ذات يوم من منزله على بغلة له شهباء ، وعليه قميص له وملاءة ممشقة . . . إذ جاء رجل على راحلة له فأناخها ، فسأل عن عمر ، فقيل له : قد خرج وهو راجع الآن . . . ثم رجع عمر ، فقام إليه الرجل فشكا إليه عدى بن أرطاة فى أرض له .

فأمر عمر برد الأرض إلى الرجل ، ثم قال له : « كم أنفقت فى مجيئك إلىّ ؟ » .

فقال الرجل : « ياأمير المؤمنين ، تسألنى عن نفقتى ، وأنت قد رددت على أرضى ، وهى خير من مائة ألف » .

فقال عمر : « إنما رددت عليك حقك ، فأخبرنى كم أنفقت ؟ » .

قال الرجل : « ماأدرى » .

قال عمر : « احرزه » (قدره بالتقريب).

قال الرجل : « ستين درهما » .

فأمر عمر له بها من بيت المال .

ولما انصرف الرجل راضيا مسرورا ، صاح به عمر ، فرجع إليه ، فقال له عمر :

« خذ ، هذه خمسة دراهم من مالى ، فكل بها لحما حتى ترجع إلى أهلك إن شاء الله » .

وهذه امرأة من أهل مصر تسمى « فرتونة » وكانت مسكينة فقيرة سوداء ، وكان لها بيت صغير متـواضـع تهدم بعض جوانبه ، وكانت لها دجاجات تربيها لتستعين بها على حياتها . . . ولكن اللصوص كانوا يعتدون عليها ، ويسرقون منها دجاجها بسبب تهدم بيتها .

وسمعت المرأة بعدالة الخليفة عمر ، وحبه للخير ، وحرصه على مصالح العباد . . فكتبت خطابا إلى عمر تشرح فيه قصتها ، وترجوه أن يحصن لها بيتها ، لأنها لاتستطيع ذلك ، وأن يحميها من اللصوص الذين يفجعونها فى دجاجها ، وبعثت بهذا الخطاب إلى عمر مع بريد مصر الذاهب إلى الخليفة فى دمشق الشام .

وكـان من الممكن أن يضل هذا الخطاب بين ركام البريد الضخم الوارد من أنحاء الدولة الواسعة ، وكان من الممكن أن تغضى عنه عين المراجع للبريد أو المطلع عليه ، وكان من الممكن أن تلحظه العين ثم لاتقيم له كبير وزن . . . لأنه ليس متعلقا بأمر جليل أو خطير .

ولكن الحاكم العادل ، والخليفة الراشد ، والإمام الرحيم ، رأى أن ذلك موضوع له جلالته وخطورته ، ويجب أن يهتم له ويعنى به ، فكتب عمر إلى أيوب بن شرحبيل واليه على مصر كتابا عمريا خليفيا يقول فيه :

« من عبدالله عمر أمير المؤمنين ، إلى أيوب بن شرحبيل ، أما بعد ، فإن فرتونة مولاة ذى أصبح كتبت إلى تذكر قصر حائطها ، وأنه يسرق منه دجاجها ، وتسأل تحصينه لها . . فإذا جاءك كتابى هذا ، فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنه لها . . » .

فلما جاء الكتـاب إلى أيوب ، ركب بنفسه حتى بلغ الجيزة وهو يسأل عن « فرتونة » حتى وجدها . . وإذا هى سوداء مسكينة ، فأخبرها بكتاب أمير المؤمنين ، وحصن لها بيتها . .

● عناية الخليفة عمر بن عبدالعزيز بالسنة وطلابها

لقد كان الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز يحرص أشد الحرص على نشر السنة وتبليغها ، وتعليمها الناس ، وكان يكتب إلى عماله أن يجروا على طلابها والمشتغلين بالعلم الرزق وأن يفرغوهم لطلب العلم .

وعن يحيى بن أبى كثير قال :

« كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عماله أن أجروا على طلبة العلم الرزق وفرغوهم للطلب » .

إنه يريد أن يتفرغ طلاب العلم للعلم ، وألا يشغلهم طلب الرزق والسعى على المعاش عن طلب العلم ، حتى يعنوا بالعلم عناية فائقة ، وحتى يتمحض طلبهم له ، وحفظهم وحرصهم وهضمهم للعلوم والأحكام والسنن ، وحتى لاتضطرهم مطالب المعاش إلى الخروج والسعى ، والبحث والتعب فيأخذ كل هذا من أوقاتهم الكثير ، فهو يرى أن توفير معاشهم وتفرغهم لطلب العلم سوف يجعلهم يتقنون العلم أشد الاتقان .

ولعله بهذا يكون أول من أجرى راتبا وشجع طلاب العلم ، ولهذا المسلك الكريم مثيله فى الأزهر الشريف الذى أجرى لطلاب العلم راتبا يشجعهم على الطلب وهو ماكان يسمى قديما الجراية .

وكان لعمر بن عبدالعزيز الفضل فى تدوين الحديث النبوى تدوينا رسميا عندما أصدر أمره إلى علماء الآفاق ليجمعوا الحديث ويدونوه .

روى البخارى ـ فى باب : كيف يقبض العلم :

« وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبى بكر بن حزم :

انـظر ماكان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء . ولاتقبل إلا حديث النبى ﷺ ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لايعلم فإن العلم لايهلك حتى يكون سرا » .

وكـان أول من لبى أمـر الخليفـة عمر بن عبدالعزيز بتدوين السنة هو الإمام ابن شهاب الزهرى ، ثم كثر التدوين بعد ذلك .

وهكـذا تتضح لنا همة الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز وعنايته بالسنة النبوية وتدوينها ، وعنايته بطلاب العلم والحديث . . وهى عناية فجرت النهضة الحديثية فى مصر وفى سائر الأقطار الإسلامية .

مصر والازهر
فى
خدمة السنة
وإضاءة العالم الاسلامى

بدأت تعاليم الاسلام أول مابدأت فى عهد رسول الله ﷺ ، حيث كان الرسول ﷺ يعلم المسلمين فى المسجد ، وقد تتابعت حلقات العلم فى المسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد الأقصى ، والمسجد الأموى بدمشق ، وجامع عمرو بن العاص فى الفسطاط .

وتبع هذه المساجد حلقات الجامع الأزهر فى القاهرة وجامع الزيتونة فى تونس وجامع القرويين فى فاس .

وكان لمصر دور بارز فى طليعة الأقطار الاسلامية ، ففى مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط كان للامام الشافعى رضى الله عنه حلقة علمية زاهرة كان يملى فيها أماليه الجديدة فى أصول الفقه . . . وكان الامام الشافعى أول من دون علم أصول الفقه والحديث . ومنذ إنشاء الأزهر سنة احدى وستين وثلاثمائة من الهجرة وهو يقوم بأدواره القيادية وكفاحه الوطنى إلى جانب نشر الاسلام وتعاليمه ومدارسة القرآن الكريم والحديث الشريف .

وكان الأزهر الشريف يمثل القلعة الشامخة أمام كل المحاولات التى قصد بها تدمير الكيان الاسلامى والروحى للمسلمين .

وقد استضاءت أقطار العالم بعلوم الأزهر وتراثه ، وبفضل جهوده المشكورة والموصولة فى نشر الاسلام وتعاليمه ظل يزداد عدد المسلمين فى القارة عدة ملايين . . وقد بعث كثير من أقطار العالم وشعوبه بعوثها لتنهل من علوم الأزهر ، وظل الأزهر يبعث بعلمائه إلى تلك البلاد والأقطار مما كان له أكبر الأثر فى توثيق علاقة مصر بأقطار العالم ، وطبقت شهرة الأزهر الآفاق ، واحتل مكانة مرموقة فى نفوس أبناء الدنيا .

وقد بدأ الأزهر أول مابدأ كجامع للخلافة الفاطمية ، ولكن هذا لم يمنعه من قيام تلك الحلقات فى داخله التى تدرس فيها جميع المذاهب الفقهية وعلوم الدين واللغة والكتاب والسنة .

وفى عام خمس وتسعين وأربعمائة هجرية وجه حاكم مصر آنئذ وهو الخليفة المنصور الدعوة إلى حجاج بيت الله الحرام حيث كانوا يمرون بالقاهرة فى طريقهم قادمين من شمال أفريقيا وغربها .

والتقى علماء مصر معهم فى مؤتمر عالمى تم فيه تبادل الرأى فى تفسير ماصنفه الفقهاء على مختلف مذاهبهم . . وظل هذا اللقاء السنوى حتى العصر الأيوبى حيث توحدت كلمة المسلمين لمواجهة التحديات الصليبية التى تتربص بهم الدوائر .

وانتشر علم الأزهر وسار بجهوده الركبان فقصده - فى عهد المماليك - طلاب من المغاربة سكان شمالى أفريقيا والزيالعة سكان ساحل أفريقيا الشرقى لينهلوا من علومه .

وفى سنة أربع وألف من الهجرة قام والى مصر محمد باشا بتشجيع الطلاب من أبناء أفريقيا والبلاد المجاورة ليلتحقوا بالأزهر وقرر لهم إقامة على نفقته ورواتب أسبوعية .

وشجع حكام مصر وعلماء الأزهر طلاب العالم للالتحاق بالأزهر . .

وقامت حول الأزهر الشريف أروقة سميت بأسماء تلك البلاد التى وفد أبناؤها إلى الأزهر وأقاموا فيه طلبا للعلم .

وقد أثار حفيظة الاستعمار مارآه من إقبال أبناء العالم الإسلامى على الأزهر وتلك الروابط الوثيقة التى تمت بين مصر وبين العالم بسبب الأزهر . أزعج الاستعمار هذا ، فسعى بكل السبل والحيل إلى تدمير تلك الروابط ، والمحاولة أثر الأخرى على التقليل من مكانة الأزهر . . وحاول المستعمرون أن يوقفوا هذا التيار المتدفق من جميع بلاد الدنيا على الأزهر ، ومن ذلك نرى أن الإنجليز مثلا فى السودان أنشأوا « المعهد العلمى » بأم درمان محاولين أن يكون صورة من الأزهر رغبة منهم أن يصرفوا الناس عن الالتحاق بالأزهر .

ولكن أهل السودان كانوا أقوى حرصا وذكاء فقضوا على تلك الفكرة حيث كانوا يبعثون بأبنائهم لتلقى المعارف والعلوم فى « المعهد العلمى » ثم بعد ذلك يبعثون بأبنائهم ليكملوا علوم الإسلام ومعارفه فى القاهرة حيث الأزهر الشريف . .

واستمر الأزهر صابرا ومثابرا ومجاهدا فى تبليغ علوم الدين واللغة ، ومواجها كل الطعنات الاستعمارية . والمحاولات والمؤمرات الماكرة بقوة إيمان وصبر وجهاد ، فما قللت تلك المؤمرات من مركزه ومكانته ولا استطاعت أن تثنيه عن رسالته .

بل أقام الأزهر معهدا خاصا بالبعوث الاسلامية يستقبل الطلاب الوافدين من بلاد أفريقيا ومن سائر انحاء بلاد العالم الإسلامى حيث تبدأ الدراسة فى هذا المعهد بالقسم الاعدادى لمن لايجيد اللغة العربية ثم بعد ذلك يتلقى الطلاب المناهج المعتادة فى الأزهر .

وإلى جانب هذا المعهد قامت مدينة لاقامة هؤلاء الطلاب الوافدين تسمى بمدينة البعوث الاسلامية لراحة هؤلاء الطلاب واقامتهم ومساعدتهم ليستقروا . .

كما اضطلع الأزهر برسالة كبرى حيث بعث بعلمائه ومبعوثيه إلى البلاد الإسلامية لنشر علوم الإسلام واللغة العربية فى تلك البلاد وتصحيح ماأفسده الاستعمار فى بعض تلك البلاد بفعل سياسته الاستعمارية فى أمر اللغة العربية والعلوم الإسلامية . كما استقبل على مر أدوار التاريخ طلاب العالم الإسلامى نفروا إليه لينهلوا من مورده ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم حتى بلغ عدد البلاد التى وفد منها طلاب العلم أكثر من مائة دولة .

مناهج تدوين الحديث
فى
مصر وغيرها

كان الغـرض من تدوين الحـديث فى مصر وغيرها فى القرن الأول حفظ السنة النبوية من الضياع ، وصيانتهـا من أن يتطرق إليها الوضع ، فكانت كتابة الحديث آنئذ كتابة فردية ، ثم مالبثت أن دونت فى الصحف بجانب حفظها فى الصدور .

أما فى القرن الثانى فقد بدأ تدوين السنة فيه على يد الزهرى المتوفى سنة ١٢٤هـ وكان منهج التدوين يقوم على جمع الأحاديث التى تدور حول موضوع واحد فى مؤلف خاص ، فكان لكل باب من أبـواب السنـة مؤلف خاص به تدون فيه الأحـاديث المتصلة بموضوعه مختلطة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين .

ثم كانت المرحلة الثانية من مراحل التدوين فى القرن الثانى ، بعد الزهرى حيث قام الأئمة : مالك ، وابن جريج ، وسفيان الثورى وغيرهم فجمعوا أحاديث الأبواب وضموا بعضها إلى بعض فكانت مصنفا واحدا ومزجوا الاحاديث بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، ونسج على هذا المنوال بقية أهل عصرهم . ولم يصلنا من مؤلفاتهم الا موطأ الإمام مالك ومسند الإمام الشافعى . والآثار للامام محمد بن الحسن الشيبانى ووصف لبعض المؤلفات الأخرى وأغلب الظن أن العلماء أدمجوها فى مؤلفاتهم بعد ذلك . بجانب حفظها فى القلوب .

وكان الغرض من الجمع فى هذا القرن الثانى هو خدمة التشريع وتسهيل استنباط الأحكام . ومن أمثلة ذلك « موطأ » الامام مالك الذى يعتبر أول مصنف من المصنفات الصحيحة رتب على الأبواب .

قال أبوبكر العربى : الموطأ هو الأصل الأول واللباب ، وكتاب البخارى هو الأصل الثانى فى هذا الباب وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذى [1] .

---

(١) تنوير الحوالك ص ٥

وقد عنى الامام مالك فى كتابه بتدوين الأحاديث القوية ، ومكث فى تأليفه وتنقيحه وتهذيبه أربعين سنة ، وقد نهج فى تدوين الحديث فى كتابه أن يكون مرتبا على الأبواب فيذكر أحاديث كل باب ثم يتبعها بما ورد فيه من الآثار عن الصحابة والتابعين .

وأما فى القرن الثالث الهجرى فقد أخذ التدوين شكلا جديدا غير الذى كان عليه فيما مضى ، فقام علماء هذا القرن وأفردوا أحاديث الرسول ﷺ عن أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، وتصدى بعضهم لتدوين الأحاديث التى يوهم ظاهرها التناقض ، أو يقع فى حسبان البعض أنها غير صحيحة ، ويجمع الطعون الواردة عليها ويبين حقيقتها ويرد على تلك الطعون .

وكانت مناهج التدوين فى القرن الثالث ترجع إلى الطرق الآتية :

١ـ **منهج التدوين على المسانيد** : ويتحقق بجمع المؤلف مايروى عن الصحابى فى باب واحد من غير تقييد بوحدة الموضوع ، واتسم هذا المنهج بإفراد الحديث وتجريده من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، وجمع كل مايروى عن الصحابى وإن اختلفت موضوعات الأحاديث فمثلا يوجد حديث للصلاة بجانب حديث الصوم وهكذا مع الجمع بين الحديث الصحيح وغيره .

فيذكر صاحب المسند مثلا أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ويجمع مارواه من الأحاديث ثم عمر رضى الله تعالى عنه وهكذا .

وكان منهم من يرتب أسماء الصحابة على القبائل فيقدم بنى هاشم ثم الأقرب فالأقرب الى رسول الله ﷺ فى النسب ، ومنهم من رتبها على السبق فى الإسلام فقدم العشرة المبشرين بالجنة ثم أهل بدر ثم أهل الحديبية ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح ثم من أسلم يوم الفتح . ثم أصاغر الصحابة سنا ثم النساء وممن سار على هذه الطريقة الإمام أحمد بن حنبل .

ومنهم من رتبهم على حروف المعجم كالطبرانى فى المعجم الكبير ، ومن طرق التصنيف على المسانيد تصنيفه معللا بأن يجمع فى كل حديث طرقه واختلاف الرواة فيه ، فإن معرفة العلل أجل انواع علم الحديث وبها يظهر ارسال بعض ماعد متصلا ، أو وقف ماظن مرفوعا وغير ذلك من الأمور المهمة ، وقد ألف الحافظ الكبير يعقوب بن شيبة البصرى المتوفى سنة ٢٦٢هـ مسندا معللا غير أنه لم يتم ، ولو تم لكان فى نحو مائتى مجلد ، والذى تم منه مسند العشرة والعباس وابن مسعود وعتبة بن غزوان وبعض الموالى وعمار .[1] .

---

(١) تاريخ فنون الحديث (١٥).

وطريقة المسانيد هذه هى التى ابتدأ التأليف عليها فى القرن الثالث الهجرى ، وأول من قام بذلك هو عبدالله بن موسى العبسى الكوفى ومسدد بن مسرهد البصرى وأسد بن موسى الأموى ، ونعيم بن حماد الخزاعى نزيل مصر ثم انتشر التأليف على هذه الطريقة بعد ذلك بين الأئمة والحفاظ كالإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ، وكان منهم من جمع بين طريقة المسانيد وطريقة الأبواب فى مصنفه كأبى بكر بن أبى شيبة .[٢]

ومن أعظم المسانيد مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وهو المراد عند المحدثين على الاطلاق ، وإذا أرادوا غيره قيدوه باسم صاحبه[٢] ، وقد يطلق المسند على الكتاب المرتب على الأبواب أو الحروف أو الكلمات لكون أحاديثه مسندة ومرفوعة إلى النبى ﷺ - كصحيح البخارى فإنه يسمى « المسند الصحيح » وصحيح مسلم ، وسنن الدارمى فإنها تسمى بالمسند ، وهناك مسندات لم تصل إلينا كمسند الحارث بن الحارث بن أبى أسامة المتوفى سنة ٢٨٢ ، ومسند عبدالحميد المتوفى سنة ٢٤٩[٣] وكان لهذه الطريقة مزايا وعيوب :

أما مزاياها ، فهى تجريد الأحاديث النبوية عن غيرها ، فقد أفردت أحاديث الرسول ﷺ بالتدوين ، وجردت من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، ففى هذه الطريقة إذا نوع من استقلال الحديث عن الفقه .

وأما عيوب هذه الطريقة : فهى صعوبة الوقوف على الحديث فى المسند ، لعدم جمع الأحاديث المتناسبة فى موضوعاتها فى باب خاص ، كما كان من عيوبها كذلك تعذر معرفة درجة الحديث من الصحة والضعف والاحتجاج به أو عدمه ، لاحتمال أن يكون كل حديث فى نظر القارىء صحيحا أو ضعيفا لأنها جمعت بين الصحيح وغيره ، فلا يستطيع إدراك هذا كله إلا الحافظ المتضلع ، وكان الباعث لأصحاب هذه الطريقة على تدوين الأحاديث التى لم تبلغ مرتبة الصحة هو أن الطريق قد تعدد فيصل الحديث إلى درجة الصحة ، كما أنها صالحة للاعتبار بها وقد تبين صحة الحديث لنقاده بعد ذلك .

ومما هو جدير بالذكر أن العلماء فى هذا العصر كانوا على درجة عالية فى معرفة الصحيح من الأحاديث التى دونوها ، أو دونت لهم ، ومعرفة الضعيف منها ومعرفة عللها ، فكانوا على علم بحال المتون والأسانيد التى فى هذه المسانيد .

---

(١) مقدمة فتح البارى لابن حجر ص ٥.

(٢) الرسالة المستطرفة ص ٦١.

(٣) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى ص ٣٠٢ الدكتور على حسن عبدالقادر.

(٢) **منهج التصنيف على الأبواب :**

ويقوم على تخريج الحديث على أحكام الفقه وغير ذلك ، وتبويب الأحاديث وترتيبها ترتيبا موضوعيا ، وتنويعها أنواعا مختلفة بحيث يجمع المصنف ماورد فى كل حكم وفى كل باب على حدة ، فيجمع الأحاديث المتعلقة بالصلاة فى باب ، والمتعلقة بالصوم فى باب وهكذا ، وأهل هذه الطريقة منهم من اقتصر على إيراد ماصح فقط كالشيخين « البخارى ومسلم » .

ومنهم من لم يقتصر على ذلك كأبى داود والترمذى والنسائى ، وكان من مزايا هذه الطريقة سهولة الحصول على الحكم الشرعى وغيره من الباب الخاص به ، والوقوف على درجة الحديث بيسر وسهولة بخلاف الطريقة الأولى « طريقة المسانيد » حيث يصعب فيها الحصول على المطلوب ، وهذا مادعا الإمام البخارى إلى أن يتجه فى كتابه إلى الاقتصار على الحديث الصحيح وتبعه الامام مسلم سيرا على منهجه .

وكان لهما الفضل فى تمهيد الطريق أمام طلاب الحديث ليصلوا إلى الصحيح من الأحاديث دون عناء ، ولعل أقدم كتاب يمثل طريقة التصنيف على الأبواب هو « موطأ » الامام مالك ، غير أنه مزجه بأقوال الصحابة والتابعين ، بخلاف عمل الشيخين فقد أفردا الحديث عن تلك الأقوال والفتاوى .

وكان الداعى لهذه الطريقة هو أن تكون عونا للفقهاء وتسهيلا لهم فى الوقوف على الأحاديث التى يستنبطون منها أحكامهم أو يستدلون بها أو يجتهدون على ضوئها .

(٣) **الطريقة الثالثة :**

طريقة الجمع لبعض الأحاديث والطعون الموجهة إليها والرد عليها كما فى كتاب « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة المصنف على هذه الطريقة .

العلـــوم
التى صاحبت
تدوين السنة

كانت القرون الثلاثة الأولى أزهى وأسعد عصور السنة النبوية بأئمته المحدثين ومصنفاتهم النفيسة الخالدة ، وقد تمخضت بحوث الأئمة وتدوينهم للسنة إلى علوم كانت قمة ماوصل إليه العقل البشرى ، وأصح ماعرف فى التاريخ من القواعد العلمية السليمة للرواية والأخبار ، لم يكن بعدها مجال للتثبت ، وقد نسج على منوال علماء الحديث كثيرون من علماء السلف فى سائر مجالاتهم العلمية الأخرى كالتاريخ ، والفقه ، والتفسير ، والأدب وغير ذلك .

وهذه العلوم هى ماتسمى : « بعلم أصول الحديث » أو علم الحديث « دراية » ذلك أن علم الحديث ينقسم إلى قسمين :

الأول : علم الحديث رواية ، وهو علم يعرف به ماأضيف إلى النبى ﷺ - من قول ، أو فعل أو تقرير أو صفة ، ونقل ما أضيف من ذلك إلى الصحابة والتابعين على الرأى المختار .

الثانى : علم الحديث دراية وهو « علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن » كما قال الشيخ عزالدين بن جماعة ، وقال شيخ الاسلام أبوالفضل بن حجر : أولى التعاريف له أن يقال : « معرفة القوانين المعرفة بحال الراوى والمروى » والتعريفان يتفقان فى البحث عن الراوى والمروى من حيث القبول أو الرد .

وقد نشأت أصول هذا العلم مع نشأة الحديث ، إذ كانوا يطلبون من الراوى التثبت وينقدون المرويات . وقد ازداد الحرص على هذا منذ وقوع الفتن ، فكانوا يقولون : سموا [(١)] لنا رجالكم كما زاد الطلب أيضا عندما قام ابن شهاب الزهرى بجمع الحديث من حامليه فى الدفاتر والصحف .

ثم بعد ذلك كتب الإمام الشافعى بعض المسائل فى كتابيه : « الرسالة » و« الأم » وكان أول من ألف فى بعض بحوث هذا العلم هو الإمام على بن المدينى ، كما تكلم فى مسائله البخارى ومسلم والترمذى من علماء القرن الثالث ، وقام الترمذى فأشاع مسائل هذا العلم وجمع بعضها فى خاتمة جامعة .

---

(١) تدريب الراوى ص ٥٠

فتدوين علوم الحديث إذاً ابتدأ فى أبواب ، وفى بعض أنواع منه أثناء المائة الثالثة ، وكانت مؤلفات علماء القرن الثالث فى هذا العلم غير جامعة لكل أنواعه فى كتب خاصة ، ولا مستقلة قائمة بذاتها ، وإنما تعرضوا لبحث هذه العلوم أثناء تأليفهم وجمعهم للمرويات ، فمنهم من جعلها مقدمة لمؤلفه كما فعل الإمام مسلم ومنهم من جعلها خاتمة تبين مراده من المصطلحات كما صنع الترمذى فى آخر جامعه .

وعنى الإمام البخارى فألف كتبه فى التواريخ الثلاثة . الكبير والأوسط والصغير ، كما ألف أيضا فى تواريخ الرواة الإمام محمد بن سعد « كتاب الطبقات الكبرى » وألف البعض فى الثقات كأبى حاتم بن حبان المتوفى سنة ٣٥٤ « كتاب الطبقات » وخصص البعض مؤلفات فى الضعفاء والعلل ككتاب الضعفاء للبخارى ، وكتاب الضعفاء للنسائى .

ورأى بعض العلماء أن هذه الكتب قد تضمنت اصطلاحات خاصة بأهل الحديث وقواعد كثيرة لهم ، يعرف بها المقبول والمردود ، ففكروا فى تخليصها من هذه الكتب وجمعها فى علم خاص وتدوينها فى كتب مستقلة ، وكان ذلك فى القرن الرابع . . حيث نضجت العلوم واستقر الاصطلاح ، فألف القاضى أبو محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الرمهرمزى المتوفى سنة ٣٦٠هـ كتاب « المحدث الفاصل بين الراوى والواعى » فجمع كثيرا من أنواع هذا العلم ، وكان من وضع كتابا مستقلا فى علوم الحديث ، ولكنه لم يستوعب جميع بحوثه ، ثم صنف الحاكم أبوعبدالله محمد بن عبدالله النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥هـ كتابه : « معرفة علوم الحديث » ولكنه لم يهذب ولم يرتب ثم ألف الحافظ الخطيب أبوبكر البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣هـ كتابا فى أصول الحديث سماه « الجامع لآداب الشيخ والسامع » ثم كثر التصنيف بعد ذلك وتتابع .

وقد تفرعت الدراسة فى هذا الفن إلى علوم كثيرة من أهمها :

علم الجرح والتعديل : وقد أدى حرص العلماء على معرفة أحوال الرواة لتمييز الصحيح من غيره إلى نشأة علم الجرح والتعديل ، أو علم ميزان الرجال ، وهو علم يبحث عن الرواة من حيث ماورد فى شأنهم من تعديل يزينهم ، أو تجريح يشينهم ، وتكلم فى هذا العلم كثيرون من عهد الصحابة إلى المتأخرين من العلماء ، فمن الصحابة : ابن عباس ٦٨هـ ، وعبادة بن الصامت ٣٤هـ ومن التابعين سعيد بن المسيب ٦٣هـ ، والشعبى ١٠٤هـ .

أما ابتداء التصنيف ووضع الكتب فى الجرح والتعديل ، فلم يكن إلا فى القرن الثالث . وكان من أوائل الذين ألفوا فى هذا العلم : يحيى بن معين ٢٣٣هـ ، وأحمد بن حنبل ٢٤١هـ ومحمد بن سعد كاتب الواقدى ، والبخارى ومسلم وأبو داود السجستانى والنسائى . ثم تتابع التأليف بعد ذلك . . وألف كذلك أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالرحيم بن سعيد بن البرقى الزهرى مولاهم المصرى الحافظ المتوفى سنة تسع وأربعين ومائتين .

وممن كتب فى الثقات والضعفاء : أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدى الجوزجانى المتوفى سنة تسع وخمسين ومائتين . ومن نماذج التأليف فى هذا النوع كتاب الضعفاء للإمام البخارى .

كتاب الضعفاء الصغير للامام البخارى

وقد نهج البخارى فى كتابه على ترتيب الأسماء حسب حروف الهجاء مبتدئا بحرف الألف حتى إذا ماااستوعب من اسمه إبراهيم ، جاء بباب من اسمه إسماعيل ثم بباب من اسمه إسحاق ، ثم أيوب ، حتى إذا ماانتهى من حرف الألف ، جاء بباب « الباء » وهكذا إلى باب الياء مثال ذلك قوله :

« إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع بن جارية الأنصارى » يروى عنه وهو كثير الوهم يروى عن الزهرى وعمرو بن دينار يكتب حديثه .

إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة المدنى الأنصارى الأشهلى عن داود بن الحصين ـ منكر الحديث . وهكذا إلى أن انتهى من الأسماء جاء فى آخر الكتاب بالكنى من الضعفاء مثال ذلك :

أبو الرجال : سمع النضر بن النضر عن أنس عن أبيه عن النبى ﷺ ـ « منكر الحديث عنده عجائب » .

أبو ماجد الحنفى عن ابن مسعود ، ضعيف . وكان فى غالب الأحيان يراعى الترتيب فى أسماء الآباء .

وقد جعل لكل حرف باباً ، وتحت كل بابا أبواب فرعية كل منها خاص باسم ومعنون به لكنه لم يلتزم بترتيب أبواب الأسماء على حروف المعجم فقدم من اسمه إسماعيل على من اسمه إسحاق . وطبع الكتاب بالهند سنة ١٣٢٥هـ .

كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائى

رتب النسائى هذا الكتاب على حروف المعجم ، وقسمه إلى أبواب جاعلا كل حرف من الحروف الهجائية بابا ، فبدأ بالألف فالباء . . إلخ .

مثل : باب « إبراهيم » وذكر قائلا :

« إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ضعيف مدنى ، » إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة ضعيف مدنى و «إبراهيم بن عطية متروك الحديث واسطى » « إبراهيم بن الفضل متروك الحديث

مدنى » فإذا ماانتهى ممن اسمه إبراهيم انتقل إلى باب من اسمه « أبان » . ثم إلى باب من اسمه « أبى » فقال : « أبى بن العباس بن سهل بن سعد الساعدى ليس بالقوى » ثم باب من اسمه « أيوب » ثم باب إسماعيل ثم باب إسحاق ، ثم باب أسامة وغيره ، ثم تتبع الحروف « بابا » « بابا » حسب ترتيبها الهجائى وهكذا . .

وبعد حرف الياء وهو الحرف الأخير أتى باب الكنى فقال : « أبومطيع الخراسانى ضعيف» وفى آخر الكتاب ذكر اسم أم الأسود « يروى عنها أحمد بن يونس غير ثقة فالإمام النسائى حين يقدم فى هذا الكتاب الضعفاء والمتروكين لايقدم أسماء مجردة وإنما يردفها بالرواة الذين أخذوا عنهم حتى يقف الباحث على مصدر الأخذ أثقة هو أم لا أمنكر هو؟ أمتروك ؟ وهكذا فيبين من روى عنه ويذكر حكمه عليه بالنكارة أو عدم الثقة وهكذا . .

ويلاحظ أنه فى ترتيب الأسماء رتبها حسب الحرف الأول منها فقط دون نظر إلى بقية الحروف وجعل لكل اسم بابا كصنيع البخارى ، ولم يراع فى الترتيب أسماء الآباء إلا قليلا . ومع ذلك فإن الباحث لايلقى صعوبة فى الكشف فيه ، لأن اسم الراوى يذكر بخط كبير أول السطر ثم يتبعه ببيان حاله كما فى الطبعة الهندية سنة ١٣٢٥ .

معرفة الصحابة : وهو من العلوم التى تناولها علماء مصر وغيرها بالدراسة والتصنيف ، وتعتبر معرفة الصحابة ، « فنا هاما من أجل فنون علوم الحديث » .

وقد عنى به العلماء ، فى القديم والحديث ، ولهذا العلم ثمرته العظيمة وهى : معرفة الحديث المتصل والمرسل .

قال الحاكم : «(١)» ومن تبحر فى معرفة الصحابة فهو حافظ كامل الحفظ فقد رأيت جماعة من مشايخنا يروون الحديث المرسل عن تابعى عن رسول الله ﷺ يتوهمونه صحابيا ، وربما رووا المسند عن صحابى يتوهمونه تابعيا » .

وقد ألفت فى معرفة الصحابة كتب ، مرتبة على الحروف أو على القبائل أو غير ذلك منها :

(١) كتاب أبى بكر أحمد بن عبدالله بن عبدالرحيم بن سعيد بن البرقى الحافظ الثقة المتوفى سنة سبعين ومائتين .

(٢) « كتاب المعرفة » لأبى محمد عبدالله بن محمد بن عيسى والمروزى الشافعى الحافظ المعروف بعبدان المتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

---

(١) علوم الحديث ص ٢٥ .

(٣) معرفة الصحابة لأبى بكر أحمد بن عبدالله بن عبدالرحيم بن سعيد بن البرقى الحافظ المتوفى سنة سبعين ومائتين .

(٤) كما ألف فى معرفة الصحابة أبومنصور محمد سعيد البارودى المتوفى سنة إحدى وثلاثمائة .

(٥) « علم تاريخ الرواة » وهو علم يعرف به تاريخ رواة الحديث ورحلاتهم ومواطنهم ومواليدهم ورغباتهم وكثير من أحوالهم مما له أثر فى توهينهم أو تقويتهم ، وأول من عرف عنه الاشتغال بذلك الإمام البخارى ، وابن سعد فى طبقاته «١» وممن ألف فى هذا : أبو الوليد أحمد بن محمد بن الوليد بن عتبة بن الأزرق بن عمرو بن الحارث الأزرقى المتوفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وقبل سنة سبع عشرة ومائتين ولنقدم هنا كتاب : « التاريخ الكبير » للإمام البخارى كنموذج جى ، ومثال صحيح للتصنيف فى هذا القرن بالنسبة لعلم تاريخ الرواة .

● التاريخ الكبير

حاول الإمام البخارى فى هذا الكتاب أن يقدم ماستطاع أن يستوعبه من رواة - الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، ومن بعدهم إلى طبقة شيوخه ، وقام بترتيب هذا الكتاب على حروف المعجم مبتدئا الكتاب بمن اسمه « محمد » تيمنا وتكريما للنبى ﷺ ، وأعد البخارى فى هذا الكتاب لكل اسم بابا ، ورتب أسماء كل باب على حروف المعجم ، كما لاحظ هذا الترتيب كذلك فى الحرف الأول من أسماء الآباء ، ولكنه لم يراع ترتيب أبواب الأسماء على حسب حروف المعجم فذكر باب إبراهيم ثم باب إسماعيل ، ثم باب إسحاق ، ثم باب أيوب ثم باب أشعث وهكذا .

وقد ألف البخارى هذا الكتاب فى فجر شبابه ومستهل حياته العلمية ، وكان ذلك قبل أن يؤلف الجامع الصحيح ، يقول البخارى : فلما طعنت فى ثمانى عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ الكبير فى المدينة عند قبر النبى ﷺ فى الليالى المقمرة ، وقل اسم فى التاريخ إلا وله عندى قصة إلا أنى كرهت أن يطول .

وكان تأليفه لهذا الكتاب حول مقام الرسول ﷺ مما يزيده يمنا ويمده بالروحانية ، ولهذا فإن الكتاب قد حظى بثقة كاملة من شيوخه وبتقدير عظيم ، ويدل تصنيفه هذا الكتاب على سعة علمه ، ونلاحظ على هذا الكتاب أن الإمام البخارى كان يذكر اسم من يترجم له وبعض من روى عنهم وبعض الذين رووا عنه ، وقد يذكر حديثا لأحدهم إلا أنه قلما يذكر جرحا وتعديلا وأرى أن هذا راجع إلى أنه استغنى عن ذلك بما ذكره فى كتابه الضعفاء .

---

(١) تدريب الراوى ص ٤٥٠ ، علوم الحديث ومصطلحه ص ٦١٠ .

وكان لهذا الكتاب أثره فيما ألف بعده من كتب ، فكان البخارى بحق باعث نهضة القرن الثالث فى تدوين السنة وفى تاريخ الرجال .

ورواة التاريخ الكبير هم :

(١) أبو الحسن محمد بن سهل بن كردى البصرى عنه .

(٢) أبو أحمد عبدالوهاب بن محمد بن موسى الغندجانى عنه .

(٣) ورواية الشيخ الجليل أبى الحسين عبدالحميد بن عبدالخالق بن أحمد بن عبدالقادر بن محمد بن يوسف عنه (١) .

كتاب التاريخ الصغير

وأما كتاب التاريخ الصغير للإمام البخارى فقد اختصر فيه تاريخ النبى ﷺ والمهاجرين والأنصار ، وطبقات التابعين ومن بعدهم ووفاتهم وبعض نسبهم ، وكناهم ومن رغب فى حديثه . والجزء الأول تحدث فيه عن أخبار مهاجرى الحبشة وفى آخره تحدث عن المهاجرين والأنصار الذين حدثوا عن الرسول ﷺ وتوفوا فى عهده . كما تحدث عمن توفوا فى عهد أبى بكر الصديق ـ رضوان الله تعالى عليه ـ ومن بعده من الخلفاء .

وأما الجزء الثانى من هذا الكتاب فابتدأه بذكر من مات فى عهد عثمان بن عفان ـ رضى الله تعالى عنه ـ ثم بمن بعدهم إلى أن انتهى من الجزء السادس حيث ذكر الذين ماتوا فى سنة ست وخمسين ومائتين .

واسم أم هانى بنت أبى طالب « هند » . وقال البعض : اسمها فاختة « واسم أم حبيبة رملة » . ويلاحظ أنه فى آخر هذا الكتاب قال (هذا آخر كتاب التاريخ الكبير ، وعلى ذلك فهو جزء منه » .

● علم تأويل مشكل الحديث

ويسمى مختلف الحديث ، وهو التوفيق بين ماظاهره التعارض من الأحاديث وأول من تكلم فى هذا العلم هو الإمام الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤هـ ، صنف فيه كتابه المعروف باختلاف الحديث ولم يقصد استيفاءه ، وإنما ذكر جملة منه ينبه بها على طريقة الجمع بين ماظاهره التناقض . ثم صنف فيه من علماء القرن الثالث ابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ وسمى كتابه « تأويل مختلف الحديث » .

---

(١) التاريخ الكبير للبخارى ، طبع بمطبعة حيدر اباد الدكن بالهند سنة ١٣٦١هـ .

وصنف فيه أيضا ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ ، وأبو يحيى زكريا بن يحيى الساجى المتوفى سنة ٣٠٧هـ .

● **معرفة غريب الحديث**

وهو علم يعنى ببيان معانى بعض الكلمات الغامضة ، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه أفصح الناس وكان يخاطب الوفود على مختلف ألسنتهم بما يفهمونه ، فلما كانت الفتوحات ، ودخل فى الإسلام كثير من العجم ونشأ جيل تشوب العجمة لسانهم خيف على الحديث النبوى أن يستغلق فهمه على بعض الناس فانبرى جماعة من أتباع التابعين ، فتكلموا فى غريب الحديث أمثال : مالك بن أنس وسفيان الثورى وأول من صنف فى غريب الحديث أبوعبيدة معمر بن المثنى التميمى المتوفى سنة ٢١٠هـ وألف فيه من علماء القرن الثالث أيضا : أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ كتابا كان عمدة فى هذا الفن جمعه فى أربعين سنة .

ثم جاء ابن قتيبة الدينورى فنهج منهج أبى عبيد ، وصنف كتابه المشهور ، وممن صنف فيه أيضا الإمام إبراهيم الحربى المتوفى سنة ٢٨٥هـ ويقال : إن أول من ألف فيه : أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادى الحافظ ، كتابه « غريب الحديث والآثار » ولعل من ذهب إلى ذلك يقصد أول من ألف فى غريب الحديث مع الاستقصاء فى الجملة ، وإلا فأول من ألف فيه على الصحيح النضر بن شميل المازنى ، وكتاب أبى عبيد هذا هو القدوة فى هذا الشأن وقد أفنى فيه عمره حتى لقد قال فيما يروى عنه : جمعت كتابى هذا فى أربعين سنة .

وألف فى غريب الحديث كذلك أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى وأبوعمر شمر بن حمدويه ، قيل فيه أنه قدر كتاب أبى عبيد مرارا ، توفى سنة ست وخمسين ومائتين . وكتاب ذيل كتاب ابن قتيبة لأبى محمد قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطى الأندلسى واسم كتابه (الدلائل فى شرح ماأغفله أبوعبيد وابن قتيبة الصوفى من غريب الحديث) وفيه قال أبو على القالى : ماأعلم أنه وضع بالأندلس مثل كتاب الدلائل ، قال ابن الفرضى : ولو قال : ماوضع مثله بالمشرق ماأبعده ، مات ولم يكمله فأتمه أبوه أبوالقاسم ، وتوفى أبومحمد سنة اثنتين وثلاثمائة .

كتاب غريب الحديث لابن قتيبة

وكتاب غريب الحديث لابن قتيبة ، حذا فيه حذو أبى عبيد ، ولم يدون فيه شيئا من الأحاديث المدونة عنه فى كتاب أبى عبيد إلا مادعت إليه حاجة من زيادة أو شرح بيان ، ولهذا كان كتاب ابن قتيبة مثل كتاب أبى عبيد أو أكبر منه .

ويعتبر هذا الكتاب من أوائل ما ألف ابن قتيبة ، وأنه قد ألفه قبل تأليف كتاب تأويل مختلف

الحديث وقبل كتاب « الأشربة » والشعر والشعراء وقبل أدب الكاتب « وعيون الأخبار » وذلك لأننا نراه فى هذه الكتب يشير إلى كتاب « غريب الحديث » .

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب النفيسة المفقودة التى لم تقع فى أيدينا . وقد ذكر ابن الأثير أن ابن قتيبة قال فى مقدمة كتابه « وقد كنت زمانا أرى أن كتاب أبى عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث ، وأن الناظر فيه مستغن به ، ثم تعقبت ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة فوجدت ماترك نحوا مما ذكر فتتبعت ماأغفل وفسرته على نحو مافسر » [1].

● **معرفة علل الحديث:**

والعلة عبارة عن سبب غامض قادح فى الحديث مع أن الظاهر السلامة منه ، ويتطرق ذلك إلى الإسناد الجامع شروط الصحة ظاهرا .

وقد تطلق العلة على غير مقتضاها ككذب الراوى ، وغفلته ، وسوء حفظه ونحوها من أسباب ضعف الحديث ، وقد يطلقها بعضهم على مخالفة لاتقدح كإرسال ماوصله الثقة الضابط حتى قال : « من الصحيح صحيح معلل كما قيل منه صحيح شاذ » [2] .

أما كيفية إدراك العلة ومعرفتها فهو : تفرد الراوى ومخالفة غيره له مع قرائن تضم إلى ذلك تنبه العارف بهذا الشأن على وهم وقع بإرسال فى الموصول أو وقف فى المرفوع أو دخول حديث فى حديث أو غير ذلك بحيث يغلب على علته فيحكم بعد صحة الحديث أو يتردد فيتوقف فيه ، والطريق إلى معرفته : جمع طرق الحديث والنظر فى اختلاف رواته وضبطهم وإتقانهم .

والتصنيف على العلل هو جمع الأحاديث المعلة وتدوينها مرتبة ترتيبا موضوعيا مبينا فيها مع كل حديث علته ، وقد يلحق بعض المصنفين هذه الطريقة بطريقة المسانيد فيصنف مسنده معلا وممن صنف فى العلل « الإمـام على بن المدينى ، والإمام أحمد بن حنبل ، والإمام البخارى والإمام مسلم ، وأبويحيى زكريا بن يحيى الضبى المتوفى سنة ٣٠٧ ، والأمام الترمذى ، ونقدم هنا نموذجا للتأليف على العلل .

العلل الكبير للامام الترمذى :

سار الإمام الترمذى فى تصنيف العلل على درب الإمام البخارى واعتمد عليه وعلى علمه وكتابه ، وكان يروى فيه كثيرا عن البخارى مما يدل على تأثره به وانتفاعه بعلمه . وقد أتقن الإمام الترمذى هذا الفن وحذقه كما هو الشأن فى كتابه « الجامع » وغيره حتى قال فيه الحافظ الإدريسى :

---

(١) مقدمة النهاية لابن الاثير ص ٤.

(٢) تدريب الراوى ص ١٦١.

صنف الجامع ، والتواريخ والعلل ، تصنيف رجل عالم متقن كان يضرب به المثل فى الحفظ
وللترمذى كتابان فى العلل :

أحدهما : العلل الصغير ، « وهو الكتاب الذى ألحقه بجامعه ، وجعله خاتمة له » .

والثانى : هو العلل الكبير ، وهذا هو الكتاب المقصود بقول المحدثين : رواه الترمذى فى العلل ، ولكن مما يؤسف له أن هذا الكتاب غير موجود بأيدينا ، فهو من الكتب المفقودة ، ولعله يكون مخطوطا ضمن مخطوطات خزانات الكتب الأجنبية أو اندثر ضمن مااندثر من تراثنا العزيز تحت غبار السنين والقرون .

وهذا هو مادعا البعض أن يقول : أنهما كتاب واحد .

ونرى أن كتاب العلل الكبير ، غير كتاب العلل الصغير ، لما روى من الأحاديث عن (العلل الكبير) وهى غير موجودة فى العلل الصغير .

ومثال ذلك ماوراه أصحاب السنن من حديث عبدالله بن عمر عن أخته حفصة قالت : قال رسول الله ﷺ : (من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له) [1] .

وقد أعل الترمذى وأحمد والنسائى هذا الحديث لمخالفته عبدالله بن أبى بكر بن عمر وبن حزم الذى تفرد به من هم أكبر منه قدرا كابن عيينة ويونس الأيلى وغيرهما ممن رووه موقوفا على حفصة ، ولما رواه نافع فى رواية مالك موقوفا على ابن عمر ، كما ظهرت بعض القرائن فى ذلك وهى كثرة الاختلاف فى سند الحديث حتى رجحوا رواية الوقف على رواية عبدالله بن أبى بكر . قال الترمذى فى العلل : (وهو خطأ ، وهو حديث فيه اضطراب ، والصحيح عن ابن عمر موقوفا) .

● المشيخات

ومن الأنواع التى صنفت فى القرن الثالث كذلك « كتب المشيخات » وهى التى تنص على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم ، وأجازوه وإن لم يلقهم .

كمشيخة الحافظ أبى يعلى الخليلى ، ومشيخة أبى يوسف يعقوب بن سفيان بن حوان . المتوفى سنة سبع وسبعين ومائتين ومشيخته فى ستة أجزاء مرتبة على البلاد .

● الطبقات

ومن الأنواع التى صنفت فى هذا القرن أيضا « كتب الطبقات » وهى التى تنص على ذكر الشيوخ وأحوالهم ، ورواياتهم طبقة بعد طبقة ، وعصرا بعد عصر إلى زمن المؤلف .

---

(١) رواه ابوداود حـ٢ ص ٣٢٩ ، والنسائى حـ ١ ص ٣٢٠ والترمذى حـ١ ص ١٤١ ، وابن ماجه حـ١ ص ٥٢٠.

ومن ألف كذلك فى القرن الثالث أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيبانى العصفرى المصرى الحافظ أحد شيوخ البخارى ألف : « طبقات الرواة » وتوفى سنة ثلاثين وقيل : سنة أربعين أو ست وأربعين ومائتين .

وألف، الإمام أبوحاتم محمد بن إدريس بن المنذر الرازى الحنظلى كتاب « طبقات التابعين » توفى سنة خمس أو سبع وسبعين ومائتين .

● **رواية الأكابر عن الأصاغر والآباء عن الأبناء**

وهو من أهم الأنواع ، ومن فوائده ألا يتوهم أن المروى عنه أفضل وأكبر من الراوى لكونه الأغلب فى ذلك ، ومنها ألا يظن أن فى السند انقلابا . وهو أقسام :

(١) أن يكون الراوى أكبر سنا ، وأقدم طبقة من المروى عنه كالزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى فى روايتهما عن مالك بن أنس .

(٢) أن يكون الراوى أكبر قدرا لاسنا كمالك فى روايته عن عبدالله بن دينار ، وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه فى روايتهما عن عبيد الله بن موسى العبسى .

(٣) أن يكون الراوى أكبر من المروى عنه من الوجهين معا كعبد الغنى فى روايته عن الخطيب ، وكالخطيب فى روايته عن ابن ماكولا [١] .

ومن الكتب المصنفة فى هذا النوع فى القرن الثالث : كتاب (ماروواه الكبار عن الصغار والآباء عن الأبناء) .

تأليف الحافظ أبى يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن يونس بن المنجنيقى البغدادى الوراق نزيل مصر المتوفى سنة أربع وثلاثمائة [٢] .

والحق أن أنواع علوم الحديث كثيرة لاتعد، وكما قال الحازمى : علم الحديث يشتمل على أنواع كثيرة تبلغ مائة كل نوع منها علم مستقل ، لو أنفق الطالب فيه عمره لما أدرك نهايته .

---

(١) تدريب الرواى.

(٢) الرسالة المستطرفة .

علوم السنة

ولقد اجتهد المحدثون وصنفوا فى الجرح والتعديل ، ومعرفة الصحابة ، وتاريخ الرواة ، ومعرفة الأسماء والكنى والألقاب ، وتأويل مشكل الحديث ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ ، ومعرفة غريب الحديث ومعرفة علل الحديث . وكانت مؤلفات علماء القرن الثالث فى علم المصطلح غير مستقلة ، وإنما تابعة لمؤلفات كبيرة كالإمام مسلم فى مقدمة صحيحه ، والإمام الترمذى فى خاتمة جامعه ، وهكذا .

وأما استقلال هذا العلم والتصنيف فى جميع بحوثه فلم يكن إلا فى القرن الرابع على يدى الرامهرمزى ٣٦٠هـ .

وإذا ألقينا النظر على مؤلفات علوم السنة من لدن القرن الرابع إلى آخر العصور المتأخرة نرى أنها لم تبلغ نضجها وتمامها فى التصنيف إلا بعد القرن الثالث ، بخلاف المصنفات الأخرى فى علم الحديث رواية فإنها وصلت إلى مرحلة التمام والنضج فى القرن الثالث ، ولم تكن أعمال العلماء بعد هذا إلا جمعا وترتيبا وتهذيبا .

وفى رأينا أن هذا راجع إلى سببين :

الأول : أن علماء القرن الثالث حملوا على عاتقهم مهمة جليلة وشاقة ، وهى تدوين السنة النبوية وتصنيفها ، فعنى بعضهم بتخليصها من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين وعنى الآخرون بتخليص الصحيح من غيره وتمييزه منه وهكذا .

وفى سبيل هذا العمل المضنى عاشوا للسنة حراسا ساهرين ، لاينطبق لهم جفن ولاتلين لهم عزيمة ، وجابوا الأقطار الإسلامية ، وقطعوا المفاوز النائية بل إن بعضهم ربما رحل الرحلات الطويلة لسماع حديث واحد ، فانشغالهم بهذا العمل الضخم لم يكن ليمكن لهم من طول البحث أو كثرة التصنيف فى علوم السنة خاصة وأنهم ليسوا فى حاجة كبيرة إلى مثل هذه التصانيف لأنهم حملوا مقاييسهم وشروطهم فى السند والمتن وعلى ضوئها دونوا مادونوا مشافهة .

الثانى : أن علماء القرن الرابع لم ينشغلوا بمثل ماانشغل به أهل القرن الثالث الذين كفوهم عناء البحث فوجدوا فى مصنفاتهم مايريدون .

ثم إن الرواية الشفاهية فى عهدهم فترت والرحلات العلمية قلت ، فكان لديهم نوع من الاستقرار دعاهم لأن يتموا مابدأه سلفهم بالنسبة لعلوم السنه ، فتوفر لهم الوقت وأنارت لهم

السبيل بعض بواكير سلفهم من أهل القرن الثالث فأخذوا فى استكمال هذه العلوم حتى بلغت نضجها وكمالها .

وإذا تتبعنا مراحل التصنيف فى هذه العلوم نرى أنها تمت ونضجت بعد القرن الثالث .

أولا : بالنسبة « للجرح والتعديل » صنف فيه ابن أبى حاتم ٣٢٧هـ ، وأحمد بن نصر البغدادى ٣٢٣هـ ، وابن منده ٣٩٥هـ ، وهؤلاء من أهل القرن الرابع ، كما صنف فيه من أهل القرن الخامس : أبوبكر البرقانى ٤٢٥هـ وأبو الفضل الفلكى ٤٣٨هـ ، وأبو الوليد الباجى ٤٧٤هـ ، وأبو عبدالله الحميدى ٤٨٨هـ .

ومن أهل القرن السادس : ابن طاهر المقدسى ٥٠٧هـ ، وأبوموسى المدينى ٥٨١هـ ، وأبوالقاسم بن عساكر ٥٢٣هـ ، وأبوبكر الحازمى ٥٨٤هـ ، وعبدالغنى المقدسى ٦٠٠هـ .

ومن أهل القرن السابع : ابن الصلاح ٦٤٢هـ ، والحافظ المنذرى ٦٥٦هـ ، وأبو شامة ٦٢٥هـ ، وابن دقيق العيد ٧٠٢هـ .

ومن أهل القرن الثامن : ابن تيمية ٧٢٨هـ ، والحافظ المزى ٧٤٢هـ وابن سيد الناس ٧٣٤هـ والعراقى ٨٠٦هـ وابن حجر ٨٥٢هـ وهكذا ظهر فى كل عصر من الأئمة الأعلام من وزنوا الرواة بميزان العدل ، ومنهم من تكلم على الضعفاء ومنهم من اقتصر على الثقات ومنهم من جمع بين النوعين .

ثانيا : بالنسبة لمعرفة الصحابة : وهو فن رفيع من الفنون الحديثية يعرف به الاتصال والإرسال ألف فيه أبوموسى المدينى ، وابن عبدالبر وكتابه « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » يعتبر من أحسن المؤلفات فى هذا الفن ، و« أسد الغابة » لابن الأثير ٦٣٠هـ ، واختصره الحافظ الذهبى ٧٤٨هـ فى كتابه « النحريد » وابن حجر العسقلانى ٨٥٢هـ ألف كتابه « الإصابة فى معرفة الصحابة » .

ثالثا : علم تاريخ الرواة : ويبحث فى تاريخ كل راو ورحلاته وتاريخ مولده ووفاته وأغلب أحواله التى لها دخل فى تعديله أو تجريحه ، ومن ثمرات هذا العلم :

(أ) معرفة السابق واللاحق من الأحاديث ، وبذلك يمكن الوقوف على الناسخ والمنسوخ فلا يكون هناك تعارض .

(ب) معرفة مايقبل من أحاديث الثقات قبل اختلاطهم .

(جـ) معرفة الموضوع من الأحاديث وذلك عن طريق معرفة ماإذا كان البعض لم يلتق بمن حدث عنه ، ومن المصنفات فى ذلك : « الوفيات » لعبدالله بن أحمد بن ربيعة الربعى الدمشقى ٣٧٣هـ ، ومن العلماء من ألف فى رجال الصحيحين ، كابن طاهر المقدسى ٥٠٧هـ ،

ومنهم من ألف فى رجال السنن الأربع كأحمد بن أحمد الكردى ٧٦٣هـ ، « تهذيب التهذيب » وتقريب التهذيب لابن حجر ٨٥٢هـ .

رابعا : معرفة الأسماء والكنى والألقاب : ومن الكتب المصنفة فى ذلك : كتاب « المنى فى الكنى » للسيوطى ، وكتاب « الأسماء والألقاب » لابن الجوزى ٥٩٧هـ .

ومن هذه الأنواع كتب مؤلفة فى المتفق والمفترق للخطيب البغدادى وكتب فى المؤتلف والمختلف للدار قطنى .

خامسا : تأويل مشكل الحديث ، ألف فيه ابن الجوزى ٥٩٧هـ كتابا سماه : « التحقيق فى أحاديث الخلاف » .

سادسا : الناسخ والمنسوخ : وممن ألف فيه أبوبكر زين الدين محمد بن أبى عثمان الحازمى المتوفى سنة ٥٨٤هـ وسمى كتابه : « الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار » .

سابعا : معرفة غريب الحديث ، وممن ألف فيه أبوسليمان الخطابى ٣٧٨هـ ، وجار الله أبوالقاسم الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨هـ ، وابن الجوزى ، وابن الأثير ٦٠٦هـ وسمى كتابه « النهاية فى غريب الحديث والأثر » ولخصه السيوطى المتوفى سنة ٩١١ فى كتاب سماه « الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير » .

ثامنا : معرفة علل الحديث ، ألف فيه الدار قطنى وابن حجر ، واسم كتابه « الزهر المكلول فى الخبر المعلول » .

تاسعا : الموضوعات ، ألف فيه بعض العلماء كتبا حصرت الأحاديث المكذوبة ، ومنها « تذكرة الموضوعات » لابن طاهر المقدسى و« الموضوعات الكبرى » لابن الجوزى و« اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة » للسيوطى و« تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين » لمحمد البشير ظافر أبى عبدالله المالكى المتوفى سنة ١٣٢٥هـ .

هذه نبذة عن بعض أنواع هذه العلوم ، وهى كثيرة لاتحصى ، وكما قال الحازمى : « علم الحديث يشتمل على أنواع كثيرة تبلغ مائة ، كل نوع منها علم مستقل ، لو أنفق الطالب فيه عمره لما أدرك نهايته ، وقد ذكر ابن الصلاح منها خمسة وستين »[1] أهـ .

وقد سبق الكلام عن تاريخ نشأة هذا العلم ، وأن أول من صنف فيه القاضى أبومحمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الرامهرمزى المتوفى سنة ٣٦٠هـ فى كتابه « المحدث الفاصل بين الراوى والسامع » نعم كانت هناك مصنفات قبله ، ولكنها كانت فى بعض الفنون ، أما كتاب

---

(١) تدريب الراوى ص ١٤ .

الرامهرمزى فيعتبر أعظم ماألف فى زمانه جميعا لأنواع هذا العلم ، وإن لم يستوعب جميع المسائل ، ثم تتابع التأليف بعد ذلك ، فظهرت الكتب الكثيرة والمنظومات والمختصرات .

● أثر رواية الحديث فى رواية العلوم الأخرى

لم يعن العرب قبل الإسلام بالرواية وتصحيح الأخبار وتمحيص المرويات ، لأن مروياتهم لم يكن لها من القداسة مايدعو إلى ذلك ، ففيها الأساطير والأحاديث المختلفة .

أما الرواية فى الإسلام ، وفى الحديث خاصة فقد شدد العلماء فيها ، وقعدوا لها القواعد ، وصاغوا لها الشروط ، وأصلوا لها الأصول بعناية فائقة تعتبر أدق ماوصل إليه النقد فى القديم والحديث ، وكان من مميزات الرواية فى الإسلام وخصائصها (الإسناد الصحيح المتصل برواية العدول الضابطين) .

ولقد ظل العلماء يتحرون الدقة ، ويعنون بالتثبت من الأخبار ونقدها سندا ومتنا ، ونظروا للاسناد على أنه من الدين ، قال عبدالله بن المبارك : « الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ماشاء » (١) .

وقال صالح بن أحمد الحافظ : « سمعت أبابكر محمد بن أحمد يقول : (بلغنى أن الله حفظ هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها : الاسناد ، والأنساب ، والإعراب) .

ويقول محمد بن حاتم بن المظفر : « إن الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالاسناد ، وليس لأحد من الأمم كلها قديمهم وحديثهم اسناد وإنما هى صحف فى أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم وليس عندهم تمييز بين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التى أخذوها عن غير الثقات .

وهذه الأمة إنما تنص الحديث من الثقة المعروف فى زمانه المشهور بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها وأكثر حتى يهذبوه من الغلط » (٢) .

ومما سبق يتضح أن الاسناد من خصائص هذه الأمة ، وقد رغب كثير من الأئمة الحفاظ فى الرحلة إلى الأقطار الإسلامية طلبا لعلو الاسناد ، قال الإمام أحمد بن حنبل « الاسناد العالى سنة عمن سلف » (٣) .

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ١٠٥.

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٧٩ مخطوط بدار الكتب المصرية.

(٣) الباعث الحثيث لابن كثير ص ١٦٠.

وللرواية فى الإسلام أثرها الكبير فى العلوم الأخرى :

فلقد تأثر بعلماء الحديث ومناهجهم وأسانيدهم كثير من العلماء فى كثير من علوم اللغة والآداب والتاريخ والسير ، وقلدوا أئمة السنة فيما يأتى :

(١) كانوا يذكرون السند ، فمثلا يقول [1] ثعلب فى أماليه : « حدثنى أبوبكر بن الأنبارى عن أبى العباس عن ابن الأعرابى ، قال : يقال : لحن الرجل يلحن لحنا فهو لاحن إذا أخطأ ، ولحن يلحن لحنا فهو لحن إذا أصاب وفطن » .

(٢) سار كثير من علماء اللغة على نمط علماء الحديث فى ترتيب كلمات اللغة وأطلقوا اصطلاحات يظهر فيها التأثر الكبير باصطلاحات الحديث ، قالوا : فصيح وأفصح وجيد وأجود ، وقالوا أيضا : ضعيف ومنكر ومتروك ، كما صنع رجال الحديث فى قولهم مثلا صحيح وحسن وضعيف وقالوا : أوفى بالعهد أفصح من وفى بالعهد لأن الأولى لغة القرآن .

(٣) قاموا بتجريح بعض الرواة وتعديلهم شأنهم فى ذلك شأن علماء السنة فعدلوا الخليل بن أحمد وأبا عمرو بن العلاء ، وجرحوا قطربا .

(٤) كانت لهم محاولات فى تدوين الكلمات ، وكانت لهم طريقتان :
الأولى : دونوا فيها الكلمات حسبما اتفق دون ترتيب .
الثانية : وضعوا الكلمات المتعلقة بموضوع واحد فى موضع واحد كما وضع المحدثون بالنسبة لمرحلة التدوين على المسانيد وعلى الأبواب .

(٥) يظهر للناظر فى كتب تراجم الأدب صيغة المحدثين واضحة ككتاب الأغانى فاننا نراه يسير على غرار اسناد المحدثين ، كقوله مثلا : أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبى عبيدة ، قال : بلغنى أن هذا البيت فى التوراة :

من يفعل الخير لايعدم جوازيه ... لايذهب العرف بين الله والناس

وكانت المؤلفات فى تراجم الشعراء وطبقاتهم على نمط طبقات المحدّثين كما صنع ابن سلام حيث وضع طبقات الشعراء ، وابن قتيبة ، كل ذلك على نمط صنيع المحدثين .

● **المقارنة بين رواية الحديث ورواية العلوم الأخرى**

لم تبلغ الرواية فى العلوم الأخرى شأو مابلغته رواية الحديث ، ولم تلق من العناية مالقيته لدى المحدثين من دقة النقد وتمحيص المرويات ولم يتمسك رواة . العلوم الأخرى بالاسناد طويلا كما

(١) ضحى الإسلام : أحمد أمين جـ٢ ص ٢٥٨.

تمسك به المحدثون ، فلم نر لعلماء اللغة مثلا معجما مسندا كما هو الشأن فى صحيحى البخارى ومسلم ، بل إن ماجمعه علماء اللغة لم يكن كله فى درجة واحدة من الثقة والصحة ، فقد تسلل إليه الوضع والفساد ، وحامت حوله الشكوك والشبهات ، ويرجع ذلك إلى أسباب يمكن إجمالها فيما يأتى :

(أ) أن سائر العلوم واللغات فيما سوى القرآن الكريم والسنة النبوية لم تتمتع بالقداسة والإكبار كما هو الشأن فى هذين الأصلين الشريفين .

(ب) أن الالفاظ اللغوية لاتقع تحت حصر ، فلو حاول العلماء تدوين كل كلمة وكل اشتقاق عن طريق الاسناد لوصل بهم الأمر مدى لايحصى .

(جـ) أن بعض علماء اللغة لم يكونوا على جانب كبير من الثقة فيما يروونه كما هو الحال بالنسبة للمحدثين .

(د) أخذ بعض علماء اللغة عن الكتب والصحائف فى العصور الأولى ، ولم تكن يومئذ منقوطة ولا مشكولة ، إلا ما كان فى القرآن الكريم فقط وهكذا نرى أن هذه المحاولات إنما كانت خطرات عابرة وأمثلة قاصرة ولم يبلغ هؤلاء ولا غيرهم من المؤرخين وكتاب السير شأو المحاثين لأن النظرة عند كل منهم مختلفة .

فالمحدثون نظروا على أنه دين وتشريع له قداسته وصيانته واحترامه ، أما كتاب التاريخ والأدب واللغة فلم تصل نظرتهم فيما دونوه إلى ماوصلت إليه نظرة أهل الحديث .

ويتضح لنا الفرق بين النظرتين بما صنعه ابن جرير الطبرى فى كتابه التفسير حيث تحرى الدقة فى الرواية أكثر مما صنع فى كتابه التاريخ ، وهذا راجع إلى تغاير النظرتين .

ومن أئمة القرن الثانى الهجرى

مكحول أبو عبيد الله الفقيه

وهو أحد الأئمة ، ولد بمصر ، وروى عن ثوبان وأبى أمامة وواثلة ، وأنس وغيرهم ، وروى عنه الزهرى وأبوحنيفة ، مات سنة اثنتى عشرة ومائة .

نافع مولى ابن عمر

بعثه عمر بن عبدالعزيز إلى مصر يعلمهم السنن ، فأقام بها مدة . . مات سنة عشرين أو عشرة ومائة .

يزيد بن أبى حبيب

يزيد بن أبى حبيب ، واسمه سويد الأزدى ، أبو رجاء المصرى . فقيه مصر وشيخها ومفتيها . لقى عبدالله بن الحارث بن جزء ، وروى عن سالم ونافع وعكرمة وعطاء وخلق ، وعنه ابن لهيعة والليث وآخرون .

قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث وقال ابن يونس : كان مفتى أهل مصر ، وهو أول من أظهر العلم بمصر والمسائل فى الحلال والحرام . وقبل ذلك كانوا يتحدثون فى الترغيب والملاحم والفتن ، وهو أحد ثلاثة جعل إليهم عمر بن عبدالعزيز الفتيا بمصر .

وقال الليث : هو سيدنا وعالمنا . مات سنة ثمان وعشرين ومائة [1] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٧ : ٥١٣ وفيها « مات فى خلافة مروان بن محمد » .

ابن لهيعة

ـ ابن لهيعة عبد الله بن عقبة [1] بن لهيعة الحضرمى المصرى أبو عبد الرحمن الفقيه ، قاضى مصر ومسندها . عن عطاء وعمرو بن دينار والأعرج وخلق ، وعنه الثورى والأوزعى وشعبة ، وماتوا قبله . وابن المبارك وخلق . وثقه أحمد وغيره ، وضعفه يحيى القطان وغيره . مات بمصر يوم الأحد نصف ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة [2] .

---

(١) تهذيب التهذيب عبدالله بن لهيعة بن عقبة .

(٢) تهذيب التهذيب ٥ : ٣٧٣ .

الليث بن سعد

ـ الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمى أبو الحارث المصرى . أحد الأعلام ، ولد بقلقشندة ، سنة أربع وتسعين ، وروى عن الزهرى وعطاء ونافع وخلق ، وعنه ابنه شعيب وابن المبارك وآخرون . قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث صحيحه ، وكان قد اشتغل بالفتوى فى زمانه بمصر ، وكان سريا من الرجال ، نبيلا سخيا له ضيافة .

وقال يحيى بن بكير : مارأيت أحدا أكمل من الليث ، كان فقيه النفس ، عربى اللسان ، يحسن القرآن والنحو ، ويحفظ الحديث والشعر ، حسن المذاكرة .

وقال الشافعى : كان الليث أفقه من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه [1] .

قال ابن كثير : وقد حكى بعضهم أنه ولى القضاء بمصر وهو غريب .

وقال الذهبى فى العبر : كان نائب مصر وقاضيها من تحت أوامر الليث ، وإذا رابه من أحد شىء كاتب فيه فيعزل ، وقد أراده المنصور أن يلى إمرة مصر فامتنع .

مات يوم الجمعة رابع عشر شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ، كذا ذكره غير واحد .

وقال ابن سعد : سنة خمس وستين . وحكى ابن خلكان أنه سُمِعَ قائل يقول يوم مات الليث .

ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم غريبا وقبر

فالتفتوا فلم يروا أحدا [2] .

والمشهور ـ كما يقول الخطيب البغدادى ـ أنه « فهمى » .

أما كونه « فهمى » فإن مما يؤيده ماذكره القلقشندى ، قال :

« وقال القضاعى فى خططه فى الكلام على دار الليث بالفسطاط :

---

(١) طبقات ابن سعد ٧ : ٥١٧ .

(٢) ابن خلكان ١ : ٤٣٩ .

« وكان له دار بقلقشنده بالريف ، بناها ، فهدمها ابن رفاعة أمير مصر ، عنادا له ، وكان ابن عمه .

فبناها الليث ثانيا : فهدمها .

فلما كانت الثالثة أتاه آت فى منامه فقال له : ياليث « **وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الذين اسْتُضْعِفُوا فى الأرض ، ونجعلهم أئمة ونَجْعَلَهُم الْوَارِثِين .** »

فأصبح وقد فلج ابن رفاعة ، فأوصى إليه ، ومات بعد ثلاث .

ويبدو أنه ندم على ماكان منه بالنسبة لليث ، يقول يحيى بن بكير :

كتب الوليد بن رفاعة وهو أمير مصر فى وصيته ، قد أسندت وصيتى لعبدالرحمن بن خالد بن مسافر إلى الليث بن سعد ، وليس لعبدالرحمن أن يفتات على الليث فإن له نصحا ورأيا . . وكان الليث يومئذ ابن أربع وعشرين سنة .

يقول المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق :

« وابن رفاعة المقصود هنا هو الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت بن ظاعن الفهمى الذى ولى مصر سنة ١٠٩هـ ، وتوفى وهو وال عليها سنة ١١٧هـ ، والوليد بن رفاعة عربى صراح ، من فهم ، ليس فى نسبه خلاف ، فإذا كان الليث ابن عمه فهو أيضا عربى فهمى .

ونقل البغدادى رواية عن أبى مسلم صالح بن أحمد بن عبدالله العجلى عم أبيه قال : « الليث بن سعد يكنى أبا الحارث ، مصرى فهمى ثقة » أهـ .

ونحن لانرى إلا أن الإمام الليث مصرى عربى من فهم .

وفهم بطن من قيس عيلان ومرجعهم إلى العدنانية .

ونحن إذا كنا نرى أن الإمام الليث مصرى عربى من فهم ، فإننا نوافق على ذلك بعض من كتبوا عنه ، بيد أن كثيرا من المؤرخين يرون رأيا آخر .

ويكفينا « المشهور من أنه : عربى من فهم » وماروى من أنه ابن عم أمير مصر : ابن رفاعة العربى الأصيل .

أما [1] عن تاريخ ميلاده فإن أرجح الأقوال أنه ولد سنة (أربع وتسعين) هـ . وروى ذلك عن الليث نفسه ، يقول ابن بكير : سمعت الليث يقول :

« ولدت فى شعبان سنة أربع وتسعين » .

وكذلك يقول عبدالله بن أحمد بن حنبل ، قال أبى : ولد ليث بن سعد سنة أربع وتسعين . . ويحدد ابن بكير أكثر فيقول : لأربع عشرة خلت من شعبان . ويزيد ابن حبان الأمر تحديدا فيقول : يوم الجمعة .

أما مكان ميلاده : قلقشندة . .

وهى بلدة أبى العباس القلقشندى .

وحينما يتحدث القلقشندى عن محافظة القليوبية فإنه يقول :

ومن البلادها بلدتنا قلقشندة ، ثم يصفها بقوله : « وهى بلدة حسنة المنظر ، غزيرة الفواكه » .

ثم يقول : « وإليها ينسب الليث بن سعد ، الإمام الكبير» . وذكر ابن يونس فى تاريخه أن الليث ولد بها .

وقد كان الليث يحبها حبا كثيرا يدل عليه أنه حينما بنى بها بيتا وهدمه ابن عمه الحاكم أعاد بناءه ، ثم أعاد البناء للمرة الثالثة بعد أن هدمه الحاكم فى المرة الثانية . . وليس حبه لها بغريب ، فهى مهد ميلاده ، ومكان نشأته وصباه وكانت :

« حسنة المنظر ، غزيرة الفواكه » . . وبعض الناس يقول عنها قرقشندة . .

ولقد أبدل ياقوت فى معجم البلدان اللام راء ، يقول صاحب صبح الأعشى : « وهو الجارى على ألسنة العامة . وعليه جرى القضاعى فيما رأيته مكتوبا عنه فى خططه » .

ولكن ذلك خطأ يعلنه القلقشندى ، وهو العالم الكبير الذى يوثق بكلامه عن بلدته . ويوافقه فى ذلك ابن خلكان الذى يذكر ضبطها فيقول :

« بفتح القاف ، وسكون اللام ، وفتح القاف الثانية ، والشين المعجمة ، وسكون النون ، وفتح الدال المهملة ، وبعدها هاء ساكنة » .

وهكذا هى مكتوبة فى دواوين الديار المصرية .

---

(١) الليث ابن سعد للدكتور عبدالحليم محمود .

وهذا الضبط فى الشكل هو نفس الضبط فيما جرى على ألسنة العامة ، أعنى « قرقشندة » وهذه البلدة تقع الآن فى مركز طوخ .

ولد الإمام بهذه البلدة ، وأخذ يتعلم على الصورة المألوفة حينئذ : كانوا يبدءون بحفظ القرآن ، ويتعلمون عن طريق ذلك الكتابة والقراءة . . وكانوا يتعلمون علوم القرآن ، ويتعلمون الحديث والفقه وعلوم الإسلام والعربية على وجه العموم .

وبدت نجابة الليث فى سن مبكرة ، بل كان إماما يفتى وهو فى بواكير شبابه ، روى ابن حجر العسقلانى عن يحيى بن بكير أنه قال ، سمعت شرحبيل بن يزيد يقول :

أدركت الناس فى زمن هشام بن عبدالملك وهم متوافرون مثل يزيد بن حبيب ، وعبيد الله بن أبى جعفر ، وجعفر بن أبى ربيعة ، والحارث بن يزيد ، وابن هبيرة ، ومن يقدم مصر من علماء أهل المدينة ومن علماء أهل الشام للرباط ، والليث بن سعد يومئذ حدث شاب ، وإنهم ليعرفون فضله ، ويقدمونه ويشار إليه .

وقال يعقوب بن سفيان : سمعت يحيى بن بكير يقول : سمعت الليث يقول : رآنى يحيى ابن سعيد الأنصارى وقد فعلت شيئا من المباحات قال : لاتفعل ، فإنك إمام منظور إليك .

قلت : ويحيى بن سعيد تابعى من شيوخ الليث .

لقد كان إماما منظورا إليه وهو يومئذ حدث شاب .

وإذا كان هذا الحدث الشاب بلغ هذا المبلغ فإنه قد بلغه بجده واجتهاده ، وبلغه بذكائه المتوقد ، وذاكرته القوية .

ولم ينم الفتى الإمام على شهرته هذه التى بلغها ، ولا على تقديره هذا الذى كان له وسط العلماء ، وإنما واصل الليل بالنهار فى الدراسة والأخذ عن العلماء ، وكان أستاذا يدرس للجمهور وللعلماء ، وتلميذا يتلقى عن العلماء ، واستمر كذلك إلى نهاية حياته ، وتروى عن ذلك بعض القصص :

لقد حج أول حجة سنة ثلاث عشرة ومائة ، وكما يقول الله تعالى فى الحجاج : « لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ » .

فإن الليث كانت منافعه التى شهدها فى هذه الحجة هى أن يأخذ عن العلماء . .

قال البخارى : قال يحيى بن بكير عن الليث قال :

« سمعت من ابن شهاب الزهرى بمكة سنة ثلاث عشرة ، وهى أول سنة حج » . وكان الليث يجل ابن شهاب ، ويحبه ، ويحترمه لعلمه وفضله ، روى ابن حجر عن عمرو بن خالد قال :

قال لليث : بلغنى أنك أخذت بركاب ابن شهاب الزهرى .

قال : نعم ، للعلم ، فأما لغير ذلك فلا ، والله مافعلته بأحد قط . . ويقول ابن حجر عن الليث : وقد سمع من ابن شهاب الزهرى كثيرا ، ويدخل بينه وبين الزهرى الواسطة بواحد . . وباثنين . . وبثلاثة . .

وكان من منافع الليث التى شهدها بمكة فى حجته تلك أن أخذ عن نافع مولى ابن عمر ، ونافع هذا من أوثق الرواة عن ابن عمر : لم يختلف فى ذلك أحد من المحدثين ، والسلسلة الذهبية عند كثير من المحدثين : مالك عن نافع عن ابن عمر . . .

يقول الليث ـ فيما رواه غير واحد :

دخلت على نافع مولى ابن عمر ، فقال : من أين ؟

قلت من أهل مصر.

فقال : ممن .

قلت : من قيس .

قال : ابن كم ؟

قلت : ابن عشرين .

قال : أما لحيتك فلحية ابن أربعين .

كان نافع أسمر اللون ، ومن طريف مايروى عن الليث فى حجته تلك أنه لم يحج وحده وإنما رافقه ابن لهيعة . . . ويقول :

حججت أنا وابن لهيعة ، فرأيت نافعا مولى ابن عمر ، فدخلت معه إلى دكان علاف ، فحدثنى ، فمر بنا ابن لهيعة . .

فقال : من هذا ؟

قلت : مولى لنا .

فلما رجعنا إلى مصر جعلت أحدث عن نافع ، فأنكر ذلك ابن لهيعة وقال : أين لقيته ؟

قلت : أما رأيت العبد الذى كان فى دكان العلاف ؟ هو ذاك . . ويقول ابن حجر :

وقعت لى نسخة الليث عن نافع ، فيها من الأحاديث المرفوعة والموقوفة نحو المائة ، ومع ذلك فكان الليث يروى عنه ماليس عنده منه مشافهة بالواسطة ـ وربما روى عنه بأكثر من واسطة واحد .

وإذا كان ذلك وهو فى سن العشرين فإن السنين تمضى وهو فى نفس الأسلوب من الدراسة والتدريس ، وهاهو ذا قد نيف على الستين ، وقد سافر إلى العراق .

ويقول أبو صلاح :

خرجت مع الليث فى سنة إحدى وستين « بعد المائة » فشهدنا الأضحى ببغداد ، فقال لى الليث :

سل عن منزل هشيم الواسطى فقل له : أخوك الليث المصرى يقرأ عليك السلام ويسألك أن تبعث إليه شيئا من كتبك .

فذهبت إليه ، ففعل ، فكتب لليث منها ، وسمعتها من هشيم مع الليث .

وفيما يتعلق برحلته إلى العراق نحب أن نذكر حادثتين نترك أمر التصديق بهما إلى القارىء ونذكر أن الأسباب التى دعتنا إلى ذكرهما هى :

١ـ طرافة هاتين القصتين .

٢ـ المشكلة فيهما فى غاية التعقيد ، وقد استعصت على كثير من الفقهاء .

٣ـ الحل فيهما فى غاية الذكاء والمهارة وسعة المعلم .

٤ـ كل الكتب التى كتبت عن الليث والتى بين أيدينا ذكرتهما . . . وسواء أصحت القصتان أم كانتا خيالا فإن فيهما طرافة .

وهاهى ذى القصة الأولى ننقلها عن الحلية :

عن أبى على الحسن بن مليح الطرائفى بمصر حدثنا لؤلؤ الخادم ـ خادم الرشيد ـ قال : جرى بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة مناظرة وملاحاة فى شىء من الأشياء ، فقال هارون لها فى عرض كلامه : أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة ، ثم ندم واغتما جميعا بهذا اليمين ، ونزلت بهما مصيبة لموضع ابنة عمه منه ، وجمع الفقهاء وسألهم عن هذه اليمين فلم يجد منها مخرجا ، ثم كتب إلى سائر البلدان من عماله أن يحمل إليه الفقهاء من بلدانهم ، فلما اجتمعوا جلس لهم وأدخلوا عليه ، وكنت واقفا بين يديه لأمر إن حدث يأمرنى بما شاء فيه ، فسألهم عن يمينه وكنت المعبر عنه ، وهل له منها مخلص فأجابه الفقهاء بأجوبة مختلفة ، وكان إذ ذاك فيهم الليث بن سعد فيمن أشخص من مصر ، وهو جالس فى آخر المجلس لم يتكلم بشىء ، وهارون يراعى الفقهاء واحدا واحدا . . . فقال له : بقى ذلك الشيخ فى آخر المجلس لم يتكلم بشىء فقلت له إن أمير المؤمنين يقول لك : مالك لاتتكلم كما تكلم أصحابك ؟ . .

فقال : قد سمع أمير المؤمنين قول الفقهاء وفيه مقنع ، فقال : قل إن أمير المؤمنين يقول :

لو أردنا ذلك سمعنا من فقهائنا ولم نشخصكم من بلدانكم ، ولما أحضرت هذا المجلس ؟ فقال يخلى أمير المؤمنين مجلسه إن أراد أن يسمع كلامى فى ذلك ؟ . .

فانصرف من كان بمجلس أمير المؤمنين من الفقهاء والناس . . ثم قال : تكلم ، فقال : يدنينى أمير المؤمنين ، فقال : ليس بالحضرة إلا هذا الغلام وليس عليك منه عين ، فقال : ياأمير المؤمنين أتكلم على الأمان وعلى طرح للتعمل والهيبة والطاعة لى من أمير المؤمنين فى جميع ماآمر به ؟ قال : لك ذلك .

قال : يدعو أمير المؤمنين بمصحف جامع ، فأمر به فأحضر ، فقال : يأخذه أمير المؤمنين فيتصفحه حتى يصل إلى سورة الرحمن ، فأخذه وتصفحه حتى وصل إلى سورة الرحمن ، فقال : يقرأ أمير المؤمنين ، فقرأ فلما بلغ « وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ » قال : قف ياأمير المؤمنين ههنا فوقف ، فقال : يقول أمير المؤمنين : والله . . فاشتد على الرشيد وعلى ذلك . . فقال له هارون ماهذا ؟ قال : ياأمير المؤمنين ، على هذا وقع الشرط ، فنكس أمير المؤمنين رأسه ـ وكانت زبيدة فى بيت مسبل عليه ستر قريب من المجلس تسمع الخطاب ـ ثم رفع هارون رأسه فقال : والله ، قال : الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إلى أن بلغ آخر اليمين ، ثم قال : إنك ياأمير المؤمنين تخاف مقام الله . .

قال هارون : إنى أخاف مقام الله .

فقال : ياأمير المؤمنين ، فهى جنتان وليست بجنة واحدة كما ذكر الله تعالى فى كتابه . فسمعت التصفيق والفرح من خلف الستر ، وقال هارون : أحسنت والله ، بارك الله فيك ، ثم أمر بالجوائز والخلع لليث بن سعد .

ثم قال هارون : ياشيخ اختر ماشئت وسل ماشئت تجب فيه .

فقال : ياأمير المؤمنين ، وهذا الخادم الواقف على رأسك . .

فقال : وهذا الخادم . .

فقال : ياأمير المؤمنين ، والضياع التى لك بمصر ولابنة عمك أكون عليها وتسلم إلى لأنظر فى أمورها .

فقال : بل نقطعك إقطاعا . .

فقال : ياأمير المؤمنين ، ماأريد من هذا شيئا بل تكون فى يدى لأمير المؤمنين فلا يجرى على حيف العمال وأعز بذلك .

فقال : لك ذلك ، وأمر أن يكتب له ويسجل بما قال . وخرج من بين يدى أمير المؤمنين

بجميع الجوائز والخلع والخادم وأمرت زبيدة له بضعف ماأمر به الرشيد ، فحمل إليه واستأذن فى الرجوع إلى مصر فحمل مكرما أو كما قال :

ويقول المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق معلقا على هذه القصة :

« أفتى الليث بن سعد هارون الرشيد فى رد طلاقه مراعيا فى ذلك الناحية الروحية من قبل أن يراعى ظواهر الأحكام » . .

أما القصة الثانية فقد رواها يحيى بن عبدالله بن بكير قال : سمعت الليث بن سعد يقول : كنت أسمع بذكر أبى حنيفة وأتمنى أن أراه ، فكنت يوما فى المسجد الحرام فرأيت حلقة عليها الناس مجتمعين ، فأقبلت نحوها فرأيت رجلا من أهل خراسان أتى أبا حنيفة فقال إنى رجل من أهل خراسان كثير المال وإن لى ابنا ليس بالمحمود وليس لى ولد غيره ، فذكر نحوه سوءا وزاد .

قال الليث : فوالله ماأعجبنى قوله بأكثر مما أعجبنى سرعة جوابه . . والقصة المشار إليها أن الرجل قال : ياأبا حنيفة ، قصدتك أسألك عن أمر قد أهمنى وأعجزنى . . قال : ماهو؟

قال : لى ولد ليس لى غيره . . فإن زوجته طلق ، وإن سريته أعتق ، وقد عجزت عن هذا فهل من حيلة ؟ . .

فقال له للوقت : اشتر الجارية التى يرضاها هو لنفسك ثم زوجها منه ، فإن طلق رجعت مملوكتك إليك ، وإن أعتق أعتق مالا يملك .

والمتتبع لما يرويه الليث من الأحاديث يجد فيها كثيرا مما يتعلق بحسن السلوك وكمال الخلق إلى جانب مايتعلق بأحكام الحدود والمعاملات !

وفى بغداد جرى حديث بين الإمام الليث وهارون الرشيد ، فيه حكمة ، وفيه من سداد الرأى مافيه .

روى ابن حجر عن الليث بن سعد قال :

لما قدمت على هرون الرشيد قال لى : ياليث ، ماصلاح بلدكم ؟ قلت : ياأمير المؤمنين ، صلاح بلدنا اجراء النيل وصلاح أميرها ، ومن رأس العين يأتى الكدر فإذا صفا رأس العين صفت العين .

قال : صدقت ياأبا الحارث .

استفاد الليث من رحلاته صغيرا ، واستفاد من رحلاته كبيرا ، وكانت حياته كلها استفادة وإفادة .

يقول أبو نعيم فى الحلية :

« أدرك الليث نيفا وخمسين رجلا من التابعين » .

ويقول ابن حجر عمن تلقى عنهم الليث :

سمع ببلده من يزيد بن أبى حبيب ، وجعفر بن ربيعة ، والحارث بن يعقوب ، وعبيدالله ابن أبى جعفر . .

وبالحجاز من عطاء بن أبى رباح ، ونافع مولى ابن عمر ، وهشام بن عروة ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وأبى الزبير محمد بن مسلم المكى ، وأيوب بن موسى الأموى ، وعبدالله بن عبيدالله ابن أبى مليكة ، وعمرو بن شعيب ، وعمرو بن دينار ، وقتادة .

وسمع فى رحلته إلى العراق وهو كبير من هشيم وهو أصغر منه .

ويقول ابن حجر أيضا :

وسمع من أبى الزبير ، وحديثه عنه من أصح الحديث ، فإنه لم يسمع منه شيئا دلس فيه .
ويستفيض صاحب كتاب الرحمة الغيثية فى ذكر من سمع منهم الليث . .

حيـــاته

● كرمه

من جميل تجليات الله تعالى على أئمة الفقه أنهم كرماء ، ولقد كان الكرم صفة ظاهرة من صفات الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه . .

لقد كان ورعا يضرب بورعه الأمثال ، وكان كريما سخى النفس ، سخى اليد ، وكان يكسب حياته من التجارة .

وكان الامام مالك سخيا ، كريم النفس كريم اليد ، وكان تاجرا يقبل عليه الناس لصدقه وأمانته .

وكان الامام الشافعى كريما لايبقى ولايذر رغم فقره .

وكذلك كان الإمام محمد بن الحسن الشيبانى .

ومن أكثر الناس ثراء وكرما الامام الربانى الزاهد عبدالله بن المبارك . . وكان كريما بالنسبة لكل محتاج ، ولكنه كان يؤثر على الخصوص أهل العلم : طلبة وأساتذة ، ويرى أن الانفاق على أهل العلم من أنفس وجوه الانفاق .

ولانجد شبيها لعبدالله بن المبارك فى ثرائه العريض ، وكرمه الواسع ، إلا الليث بن سعد . وقد اختلفت الروايات فيما يتعلق بدخله السنوى ، وتراوحت الروايات فيها بين عشرين ألف دينار ومائة ألف دينار .

ونـرى أن هذا الاختلاف مرده إلى فترات من حياته ، فهى تعبر مثلا عن دخله فى مقتبل عمره ، وعن دخله عندما كان فى دور الرجولة الناضجة ·وعن دخله بعد لقائه بهارون الرشيد وهكذا . .

ولكن الروايات الكثيرة التى تتحدث عن دخله الواسع تذكر كلها تقريبا أنه لم يكن يدخر من دخله شيئا ، بل يذكر الكثير منها أنه فى آخر العام يكون مدينا ، ولهذا تذكر هذه الروايات أنه لم تجب عليه الزكاة قط فى ماله ، فما كان يحول الحول على شىء منه باق مخزون .

يقول شعيب بن الليث : قال أبى .

« ماوجبت على زكاة قط منذ بلغت » .

ونذكر هنا بعض هذه الروايات التى تتحدث عن كرمه : ونبدأ بما كان بينه وبين مالك :

لقد كان مالك كريما واسع الكرم كما ذكرنا ، ولكرمه هذا كان أحيانا يكون فى حاجة للمال لينفق منه ، ويكرم منه ، فكان يكتب إلى الليث ، وكان الليث يلبى حاجة مالك سواء أكتب مالك إليه أم لم يكتب ؟

يقول ابن وهب :

« كان الليث بن سعد يصل مالك بن أنس بمائة دينار فى كل سنة ، فكتب مالك إليه : أن على دينا فبعث إليه بخمسمائة دينار » .

ويقول أبو صالح كاتب الليث :

كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا ـ أى احتجب ـ فقلنا . ليس يشبه هذا صاحبنا .

قال : فسمع مالك كلامنا ، فأمر بادخالنا عليه ، فقال لنا : من صاحبكم ؟ قلنا : الليث ابن سعد .

قال : تشبهوننى برجل كتبت إليه فى قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا فأنفذ إلينا منه ماصبغنا به ثياب صبياننا ، وثياب جيراننا ، وبعنا الفضل بألف دينار .

ويقول قتيبة بن سعيد : سمعت ابن الليث يقول :

خرجت مع أبى حاجا ، فقدم المدينة فبعث إليه مالك بن أنس بطبق رطب ، قال فجعل على الطبق ألف دينار ، ورده إليه .

ويروى ابن حجر مايلى :

وقال أبو حاتم بن حبان :

كان الليث لايتردد إليه أحد الا أدخله فى جملة عياله مادام يتردد إليه ، ثم إن أراد الخروج زوده بالخير .

وقال عباس بن محمد الدورى : سمعت يحيى بن معين يقول :

كان الليث يصلى فى المسجد كل صلاة يجىء على فرسه ، فكان له مجلس يجلس فيه قربه يحيى ابن أيوب ، فغمزه ، فقام معه ، فسأله عن مسألة فأجابه ، فبعث إليه بمائة دينار .

وقال الترمذى : سمعت قتيبة يقول :

كان الليث فى كل صلاة يتصدق على ثلاثمائة مسكين .

وقال أشهب :

كان الليث لايرد سائلا ، وكان يطعم الناس الهرائس بعسل النحل وسمن البقر فى الشتاء ، وفى الصيف بشىء من اللوز والسكر . .

وحدث إسحاق بن إسماعيل قال : سمعت محمد بن رمح يقول :

« كان دخل الليث فى كل سنة ثمانين ألف دينار ما أوجب الله عليه درهما قط بزكاة » .

ويروى منصور بن عمار الواعظ المشهور القصة الطريفة الآتية :

كان الليث إذا تكلم رجل فى المسجد الجامع أخرجه ، قال : فلما دخلت تكلمت فى الجامع فإذا رجلان قد دخلا فأخذا بى فقال : أجب أبا الحارث .

قال : فذهبت وأنا أقول : واسوأتاه ، أخرج من البلد هكذا . . قال . . فلما دخلت على الليث سلمت . .

فقال : أنت المتكلم فى المسجد ؟

قلت : نعم . .

قال : أعد على ماقلت .

قال : فأعدته ، فرق الشيخ وبكى ، فقال : ماسمك ؟

قلت : منصور بن عمار .

قال : أبو السرى .

قلت : نعم .

فدفع إلى كيسا وقال : صن هذا الكلام عن أبواب السلاطين ، ولاتمدحن أحدا من المخلوقين بعد مدحك لرب العالمين ، ولك على فى كل سنة مثلها .

وكان الليث يواسى الغرباء والمحتاجين حتى وإن لم يكونوا محتاجين ، يقول أسد بن موسى :

كان عبدالله بن على يطلب بنى أمية فيقتلهم فرحلت إلى مصر فدخلتها فى هيئة رثة فدخلت على الليث ، فلما فرغ المجلس خرجت فتبعنى خادم فقال : اجلس حتى أخرج إليك ، فجلست حتى خرج وأنا وحدى ، فدفع لى صرة فيها مائة دينار وقال : يقول لك الليث : أصلح بهذه النفقة أمرك ولم شعثك . . وكان معى فى حجرتى ألف دينار ، فأخرجتها له وقلت : استأذن لى على الشيخ فدخلت فأخبرته بنسبى ، فقال : إنها صلة وليست صدقة ، واعتذرت إليه عن قبول صلته . وقلت : أكره أن أعود نفسى عادة وأنا عنها غنى .

قال : فادفعها إلى بعض أصحاب الحديث ممن تراه مستحقا لها ، فلم يزل بى حتى أخذتها ففرقتها في جماعة .

وكان يعين على نوائب الحق ، يقول قتيبة بن سعيد :

« لما احترقت كتب ابن لهيعة بعث إليه الليث بن سعد بألف دينار » . وجاءت امرأة إلى الليث فقالت .

ياأبا الحارث ، إن ابنا لى عليلا وأشتهى عسلا ، فقال : ياغلام ، أعطها مرطا من عسل ، والمرط عشرون ومائة رطل .

وكان مع المرأة إناء صغير الحجم ، فلما رآه كاتب الليث راجع الليث قائلا ، إنها تطلب قليلا من العسل .

فقال الليث : إنها طلبت على قدرها ، ونحن نعطيها على قدرنا ، وأمره أن يعطيها المرط .

ومن أجمل أنواع الكرم الليثى ماتعبر عنه القصة التالية التى يرويها الحارث بن مسكين يقول : اشترى قوم من الليث بن سعد ثمرة فاستغلوه ، فاستقالوها فأقالهم ، ثم دعا بخريطة فيها أكياس ، فأمر لهم بخمسين دينارا ، فقال له « الحارث » ابنه فى ذلك .

فقال : اللهم غفرا ، إنهم قد كانوا أملوا فيه أملا ، فأحببت أن أعوضهم من أملهم بهذا .

أما أسفار الليث فى نهر النيل من القاهرة إلى الإسكندرية وبالعكس فإنها تصور عادات جميلة ، وندع لأبى رجاء قتيبة الحديث عنها ، قال :

قفلنا مع الليث بن سعد من الإسكندرية ، وكان معه ثلاث سفائن ، سفينة فيها مطبخه وسفينة فيها عياله ، وسفينة فيها أضيافه . وكان إذا حضرته الصلاة يخرج إلى الشط فيصلى . وكان ابنه شعيب أمامه ، فخرجنا لصلاة المغرب فقال : أين شعيب ؟ فقالو : حم ، فقال الليث فأذن وأقام ثم تقدم فقرأ ، « **والشمس وضحاها** » فقرأ ، « **فلا تخاف عقباها** » وكذلك فى مصاحف أهل المدينة يقولون هذا غلط من الكاتب عند أهل العراق .

ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، ويسلم تسليمه تلقاء وجهه .

كان الليث يعيش عيشة متزنة سوية ، وكان بعيدا عن الانفعالات ، ومن أجل ذلك تمتع بشباب طويل .

قال أبو رجاء :

وكان الليث أكبر من ابن لهيعة ، ولكن إذا نظرت إليهما تقول : ذا ابن وذا أب ، يعنى ابن لهيعة الأب . .

قال ابن بكير . سمعت الليث بن سعد كثيرا مايقول :

أنا أكبر من «ابن لهيعة» فالحمد لله الذى متعنا بعقلنا .

وكان لهذه الحياة السوية نظام رتيب لايكادايتخلف، يصفه أشهب بن عبدالعزيز يقول :

كان الليث له كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها ، أما أولها فيجلس لنائبه السلطان فى نوائبه وحوائجه ، وكان الليث يغشاه السلطان ، فإذا أنكر من القاضى أمرا من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه العزل .

ويجلس لأصحاب الحديث ، وكان يقول : نجحوا أصحاب الحوانيت فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم .

ويجلس للمسائل ، يغشاه الناس فيسألونه :

ويجلس لحوائج الناس لايسأله أحد من الناس فيرده كبرت حاجته أو صغرت .

قال : وكان يطعم الناس فى الشتاء الهرايس بعسل النحل ، وسمن البقر ، وفى الصيف سويق اللوز بالسكر .

وينعكس هذا الاتزان على حياته الفكرية ، ومن أمثلة ذلك مايقوله عثمان بن صالح قال :

كان أهل مصر ينتقصون عثمان حتى نشأ فيهم الليث بن سعد فحدثهم بفضائل عثمان فكفوا عن ذلك .

وبعد ، فيقول شعيب بن الليث عن أبيه قال :

لما ودعت أبا جعفر ببيت المقدس قال : أعجبنى مارأيت من شدة عقلك ، والحمد لله الذى جعل فى رعيتى مثلك .

قال شعيب : وكان أبى يقول : لاتخبروا بهذا مادمت حيا .

هذا هو الليث . تثقف كأحسن ماتكون الثقافة ، واستمر يدرس ويبحث إلى آخر حياته ، وسارت به الحياة فى اتزان تام فطالت به فترة الشباب وفترة الصحة ، وكان شهما كريما بالنسبة للقريب وللبعيد وآثر مكارم الأخلاق طيلة حياته .

ولكنه كان من قبل ذلك ومن بعده : محدثا وفقيها .

وفاته

رضى الله عنه

يرى جمهور المؤرخين ومنهم الخطيب البغدادى ، ومنهم أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى أن الليث بن سعد توفى سنة خمسة وسبعين ومائة .

ويحـدد أبوعمر محمد الكندى وفاته فى النصف من شعبان سنة خمس وسبعين ومائة هجرية وصلى عليه الوالى موسى بن عيسى .

أما عن وصف جنازته فإنه يكفينا مانقله صاحب كتاب الرحمة الغيثية عن خالد بن عبدالسلام الصدفى قال : « جالست الليث بن سعد ، وشهدت جنازته مع أبى مارأيت قط بعدها أعظم منها . . ورأيت الناس عليهم الحزن ، ويعزى بعضهم بعضا فقلت لأبى : ياأبت كأن كل واحد من هؤلاء صاحب الجنازة . فقال : يابنى كان عالما ، كريما حسن العقل ، كثير الأفضال . يابنى لانرى مثله أبدا » .

بعد ذلك ننقل من كتاب الدكتور عبدالله شحاتة « الإمام المصرى الليث بن سعد » مايلى :

توفى الامام الليث يوم الخميس : منتصف شهر شعبان سنة ١٧٥هـ « ديسمبر ٧٩١م » ودفن يوم الجمعة فى مقابر الصدفيين بالقرافة الصغرى .

وكان قبره كالمصطبة مكتوبا عليه « الامام الفقية الزاهد العالم الليث بن سعد بن عبدالرحمن أبوالحارث المصرى مفتى أهل مصر » [١] .

وبعد سنة ٦٤٠ هـ «١٢٤٢م» أقام أبوزيد المصرى كبير التجار بناء على القبر واستمر أهل الخير يتبارون فى زيادة هذا البناء .

وحوالى سنة ٧٨٠هـ (١٣٧٨م) جدد قبته الحاج سيف الدين المقدم [٢] .

وفى سنة ٨٣٢هـ (١٤٢٩م) أنشأ الأمير يشبك بن مهدى . أحد أمراء الملك الأشرف قايتباى منارة فى الطرف القبلى الغربى للمسجد الحالى وهى منعزلة عنه .

---

(١) تاريخ المساجد الأثرية تأليف حسن عبدالوهاب . مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٦ .

(٢) المقريزى جـ٢ ص ٣٦٣ .

وفى سنة ٩١١هـ (١٥٠٥م) جدد المسجد السلطان الغورى .
وفى شهر ذى القعدة سنة ١١٣٨هـ (١٧٢٦م) جدد المسجد والقبة الأمير موسى جوريجى مرزا مستحفظان . ومن أثر عمارته القبة والمقصورة الموجودتان حتى الآن .

وكذلك أجرى به عمارة الأمير مصطفى أغاقوردزلى سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م) وبقى من عمارته لوح يقرأ فيه :

هذا مقام فيه ليث ضارى أعنى وليا من عبيد البارى

وإذا ذهبت إلى مسجد الإمام الليث تهبط بضع درجات وأول مايقابلك باب جديد ثبتت عليه لوحتان مؤرختان سنة ١١٩٤ ، ١٢٠١ تقرأ على السفلى منها :

إذا رمت المكارم من كريم فيمم من بنى للفضل بيتا
فذاك الليث من يحمى حماه ويكرم جاره حيا وميتا

ويلى باب المسجد باب آخر يجاوره مقصورة خشبية بها قبر للشيخ محمد الليثى - رضى الله عنه .

أما قبة الإمام الليث فهى على يمين الواقف فى المسجد ، وترجع عمارتها إلى سنة ٦٤٠هـ (١٢٤٢م) .

وتحت قبة الليث تركيبة رخامية كتب على دائرها آية الكرسى .

وحولها مقصورة خشبية مطعمة بالصدف عليها تاريخ ٢٥ من ذى القعدة سنة ١١٣٨هـ وهو تاريخ العمارة التى أجراها الأمير موسى جوريجى .

وأمام قبة الليث قبة أخرى صغيرة فيها قبر محمد بن هرون الصدفى والإمام المحدث شعيب بن الإمام الليث بن سعد ومكتوب على بابها :

« هذا مقام سيدنا ومولانا الشيخ شعيب بن الإمام الليث بن سعد نفعنا الله ببركاتهم » .

أما باقى المسجد بمحرابه ومنبره فحديث يرجع إلى عمارة المرحوم إسماعيل بك ابن المرحوم راتب باشا الكبير سنة ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م) وهو الذى جدد الإيوان والقبة أيضا .
ومنذ سنة ٧٠٠م (١٣٠٠م) أو بعدها بقليل اعتاد القراء الاجتماع كل يوم جمعة بعد الظهر بهذا المسجد لتلاوة القرآن تلاوة مجودة يختمونه فيها عند السحر . وظلت هذه العادة إلى ماقبل خمسة وعشرين عاما .

أما الآن فيجتمع كبار القراء بالمسجد كل يوم جمعة من قبيل العصر إلى قبيل الغروب ويتناوبون قراءة القرآن ؛ ويأتى كثير من الصالحين لزيارة المسجد يوم الجمعة والاستماع لقراءة القرآن فيه والتبرك بزيارة أولياء الله .

الليث

محدثا وفقيها

وإذا كان الليث محدثـا يروى أحـاديث فى الأخلاق جعلت الشيخ مصطفى عبدالرازق ، وجعلت أبا نعيم يضعانه فى مصاف الصوفية الأوائل . . فإن الليث كان محدثا بأوسع ماتتضمنه كلمة « محدث » أى أن دائرته فى الحديث كانت أوسع من الجانب الأخلاقى . . إنه كان محدثا من طراز المحدثين المتخصصين فى الحديث ، الذين لايقتصرون على جانب دون آخر .

وكان فقيها من الطراز الأول . . لقد كان فقيها مجتهدا مثله فى ذلك كمثل الإمام مالك ، والامـام الثـورى ، والامام الأوزاعى ، والامام ابن حنبل . . وغيرهم من الفقهاء الذين كانوا يلتصقون بالنص ، وكانوا يوصفون بأنهم أهل الأثر . .

يروى صاحب تاريخ بغـداد أن الليث سمع العلماء المصريين والحجازيين . . وروى عن عطاء بن أبى رباح وابن أبى مليكة وابن شهاب الزهرى وسعيد المقبرى وأبى الزبير الملكى ونافع مولى بن عمر وعمرو بن الحارث بن أبى حبيب وعقيل بن خالد ويونس بن يزيد وعبدالرحمن بن خالد الفهمى , وسعيد بن أبى هلال . .

أما من حدثوا عنه فيذكر الخطيب البغدادى مايلى :

حدث عنـه هشيم بن بشـير وعـطاف بن خالد وعبدالله بن المبارك وعبدالله بن وهب وأبو عبدالرحمن المقرىء وعبدالله بن عبدالحكم وسعيد بن أبى مريم ويحيى بن بكير وعبدالله بن صالح الجهنى وعمرو بن خالد بن يوسف التنيسى . .

ويقول أيضا :

وقدم بغداد وحدث بها ، فروى عنه من أهلها حجين بن المثنى ومنصور بن سلمة ويونس بن محمد وهاشم بن القاسم ويحيى بن إسحق البلخى وشبابة بن سوار وموسى ابن داود وجماعة من البصريين سمعوا منه ببغداد .

ويقول صاحب النجوم الزاهرة : قال الذهبى :

وحج سنة ثلاث عشرة ومائة فلقى عطاء ونافعا وابن أبى مليكة وأبا سعيد المقبرى وأبا الزبير وابن شهاب فأكثر عنهم ، ثم ذكر جماعة كثيرة ممن روى عنه . .

إنه محدث ، فهل هو ثقة ؟ مادرجته كمحدث ؟

ونبدأ بذكر رأى الإمام أحمد بن حنبل فيه : يقول أحمد بن سعد الزهرى : سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن الليث بن سعد فقال : ثقة ثبت . .

يقول :

الليث كثير العلم ، صحيح الحديث .

ويقول الحسين بن إدريس الأنصارى حدثنا أبوداود . قال : سمعت أحمد يقول :

ليس فيهم - يعنى أهل مصر - أصح حديثا من الليث بن سعد ، وعمروبن الحارث يقاربه . .

ويروى صاحب تاريخ بغداد مايلى :

قال الفضل وهو ابن زياد قال أحمد :

« الليث بن سعد كثير العلم ، صحيح الحديث » .

ونذكر رأى يحيى بن معين :

عن عثمان بن سعيد الدارمى قال : قلت ليحيى : فالليث : أحب إليك أو يحيى بن أيوب ؟ فقال : الليث أحب إلى ، ويحيى ثقة . . قلت : : فالليث كيف حديثه عن نافع ؟ فقال : صالح ثقة . . .

ويروى النسائى كثيرا من الأحاديث التى رواها الليث ويقول :

« أبو الحارث الليث بن سعد المصرى ، ثقة » .

ويقول صاحب كتاب الرحمة الغيثية :

قال ابن أبى حاتم : سألت أبا زرعة : الليث يحتج بحديثه . قال : أى لعمرى . وقال يحيى بن معين : ثبت . .

وقال يعوق بن شيبة ومحمد بن سعد وآخرون : ثقة . .

ويقول صاحب ميزان الاعتدال :

الليث بن سعد الفهمى أبوالحارث : أحد الأعلام والأئمة الأثبات ثقة ، حجة بلا نزاع . . لقد كان الليث محدثا ثقة . .

وكان واسع الأفق ، رحب الصدر ، يتصرف بذكاء وحكمة ، ومما يروى عنه فى ذلك ماذكره صاحب الحلية قال :

عن عمر بن سلمة قال :

تكلم الليث بن سعد فى مسألة ، فقال له رجل : ياأبا الحارث فى كتابك غير هذا ؟

قال فى كتابى أو فى كتبنا ما إذا مرّ بنا هذّبناه بعقولنا وألسنتنا . .

وقال شعيب بن الليث : قيل لأبى : إنا نسمع منك الحديث ليس فى كتبك . . قال : لو كتبت مافى صدرى فى كتبى ماوسعه هذا المركب . .

ولم يكن الليث فى فقهه من أهل الرأى بل كان من أهل الأثر ، وكان فى الذروة من أهل الأثر . ومن المشهور أن الإمام مالك هو إمام أهل الأثر ومع ذلك فإن الآراء تختلف فى ذلك .
يقول الشافعى رضى الله عنه :

الليث بن سعد اتبع للأثر من مالك بن أنس .

وقال فى العبر :

كان أتبع للأثر من مالك . .

أما عن فقه الامام الليث فيروى ابن حجر مايلى :

عن أحمد بن عبدالرحمن بن وهب قال : سمعت الشافعى يقول : الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به . .

وفى رواية عن الشافعى . ضيعه قومه .

وفى أخرى : ضيعه أصحابه .

وقال أبو محمد بن حاتم : سمعت أبا زرعة يقول : سمعت يحيى بن بكير يقول : الليث أفقه من مالك ، ولكن كانت الحظوة لمالك . .
ويروى صاحب شذرات الذهب عن يحيى بن بكير نحوه .

أما عن تقدير الليث تقديرا عاما شاملا ، فإننا نذكر مايلى : قال أبويعلى الخليلى : كان إمام وقته بلا مدافعة .
وقال ابن حبان :

كان من سادات أهل مصر فقها وعلما ، وحفظا وفضلا وكرما . .
ويقول ابن سعد :
وكان ثقة ، كثير الحديث ، صحيحه ، وكان قد استقل بالفتوى فى زمانه بمصر ، وكان سريا [1] من الرجال ، نبيلا له ضيافة .

(١) صاحب سخاء ومروءة .

وقال النووى فى تهذيبه :

أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته فى الفقه والحديث ويقول يحيى بن بكير فيما رواه صاحب الشذرات :

ما رأيت أحداً أفضل من الليث :

كان فقيه النفس ، عربى اللسان ، يحسن القرآن والنحو ، ويحفظ الحديث والشعر ، وحسن المذاكرة .

ونتساءل :

هل هذه السعة فى الأفق ، والرحابة فى الصدر ، والغزارة فى العلم ، جعلت فى بعض آراء الليث شذوذا ؟

وهذا تساؤل نراه ضروريا . . أما الإجابة عنه فقد سبق بها ابن حجر حيث يقول :

ولقد تتبعت كتب الخلاف كثيرا فلم أقف فيها على مسألة واحدة ، انفرد بها الليث عن الأئمة من الصحابة والتابعين ، إلّا مسألة واحدة ، وهى أنه كان يرى تحريم أكل الجراد الميت وقد نقل ذلك أيضا عن بعض المالكية ، والله سبحانه وتعالى أعلم . .

ونبدأ فى بيان بعض ماكان بينه وبين الامام مالك :

كان بين الامام مالك والامام الليث رضى الله عنهما ، مودة واحترام ، يجل كل منهما الآخر ويقدره تقديرا عظيما ، على الرغم من اختلافهما فى بعض الأمور .

ولقد تبادل مالك والليث رسالتين حفظهما التاريخ من أمتع الرسائل التى تبودلت بين كبار العلماء ، فيهما تقدير متبادل ، وحسن بيان للرأى مع الأدب فى التعبير . وحرص على وضوح الفكرة فى أسلوب موجز .

بدأ مالك التراسل فأرسل إلى الليث هذه الرسالة التى تبدأ بتحية الإسلام وحمد الله تعالى والدعاء للمرسل والمرسل إليه ، إنه يقول فى ذلك .

« من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد

سلام عليكم ، فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو . .

أما بعد . عصمنا الله وإياك بطاعته فى السر والعلانية ، وعافانا وإياكم من كل مكروه » .

ثم يبدأ الامام مالك بذكر مقدمة للأساس الذى يراه مقياسا لصحيح الآراء ، ولكنه فى هذه المقدمة لاينسى الثناء على الليث ، والاعتراف بمنزلته ، ولاينسى الموعظة الحسنة والتخويف من الله تعالى فيقول :

« وأعلم رحمك الله أنه بلغنى أنك تفتى الناس بأشياء مختلفة لما عليه الناس عندنا وببلدنا الذى نحن فيه .

وأنت فى أمانتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك وحاجة من قبلك واعتمادهم على ماجاءهم منك . حقيق بأن تخاف على نفسك « وتتبع ماترجو النجاة باتباعه ، فإن الله تعالى يقول فى كتابه :

«وَالسَّـابِقُون ٱلأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَٱ لأنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِىَ الله عَنهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحتَهَا ٱلأنهَارُ خَالِدِين فِيهَا أبداً ذَٰلِك الفَوْزُ الْعَظِيمُ» [1] .

وقال تعالى :

«فَبَشِّرْ عِبَادِ الذِينَ يسْتمِعُونَ الْقَوْلَ فَيتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولَئِك الَّذِينَ هَدَاهُمُ الله وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ» [2] .

ثم يبدأ الامام مالك فى شرح وجهة نظره ، ووجهة نظر الامام مالك معروفة منذ عهده ، وقد تحدث الأئمة عنها قديما وحديثا ، ولاتجد خيرا من شرح الامام مالك لها فى رسالته هذه أنه يقول بعد المقدمة التى ذكرناها :

فإنما الناس تبع لأهل المدينة :

(أ) إليها كانت الهجرة .

(ب) وبها تنزل القرآن ، وأحل الحلال وحرم الحرام .

(جـ) « وبها كان الصحابة » إنه رسول الله ﷺ بين أظهرهم يحضرون الوحى والتنزيل ، ويأمرهم فيطيعونه ، ويسن لهم فيتبعونه . . حتى توفاه الله ، واختار له ماعنده صلوات الله وسلامه عليه ورحمته وبركاته .

(د) ثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته ممن ولى الأمر من بعده ، بما نزل بهم :

فما علموه أنفذوه ، وما لم يكن عندهم علم سألوا عنه ، ثم أخذوا بأقوى ماوجدوا فى ذلك فى اجتهادهم ، وحداثة عهدهم ، وإن خالفهم مخالف ، أو قال امرؤ غيره أقوى منه وأولى ترك قوله ، وعمل بغيره .

(هـ) ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون تلك السبل ، ويتبعون تلك السنن .

أما النتيجة التى يصل إليها الامام مالك من كل ماتقدم فهى :

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٠.

(٢) سورة الزمر اية ١٧ ، ١٨.

فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهرا معمولا به ، لم أر لأحد خلافه : للذى فى أيديهم من تلك الوراثة التى لايجوز انتحالها ولا ادعاؤها .

ولو ذهب أهل الأمصار يقولون : هذا العمل ببلدنا ، وهذا الذى مضى عليه من مضى منا لم يكونوا فيه من ذلك على ثقة ، ولم يكن لهم من ذلك الذى جاز لهم .

والفكرة التى يدعو إليها الامام مالك ، والتى يجعلها إحدى أسس مذهبه هى أن : عمل أهل المدينة حجة ، وذلك لأن للأسباب التى ذكرها شأنها الكبير ووجاهتها التى لاتنكر .

ومع ذلك فإن العلماء أخذوا يفصلونها تفصيلا يستغرق الاحتمالات العقلية وأخذوا يقلبونها على مختلف وجوهها .

فيقولون مثلا : إن الإجماع الكامل لأهل المدينة حديث بالفعل فى أمور منها .

أوقات الصلاة وعدد الركعات فى الفروض.

ولكن هل شمل الاجماع بقية المسائل ؟

ألم يختلف أهل المدينة أنفسهم فى كثير من الأمور التى تكون موضع الفقه ؟

ثم أمر آخر : هل يستوى إجماع أهل المدينة ـ إذا حدث ـ المستند إلى نقل مع إجماع أهل المدينة المستند إلى استنباط ؟

ثم هل حدث إجماع حقيقى لأهل المدينة فيما عدا المسائل التى لم يختلف فيها أحد من المسلمين ؟

لقد دار حول ذلك وغيره مما يتعلق بإجماع أهل المدينة وحجيته أبحاث مستفيضة فى كتب أصول الفقه :

وسنرى فيما بعد نظرة الإمام الليث للموضوع فإن فيها بيانا ونطقا لايتأتى أن يفعله باحث اللهم إلا نادرا ، ولكننا قبل أن نذكر رد الليث على هذه الرسالة نذكر الختام الذى ختم به الإمام مالك رسالته وهو فى غاية النفاسة ، إنه يقول :

فانظر رحمك الله فيما كتبت إليك لنفسك ،

واعلم أنى أرجو ألا يكون قد دعانى إلى ماكتبت إلا النصيحة لله وحده ، والنظر لك ، والضن ، فأنزل كتابى منزلته : فإنك إن فعلت تعلم أنى لم آلك نصحا ، وفقنا الله وإياك لطاعته ، وطاعة رسوله فى كل أمر ، وعلى كل حال ، والسلام عليك ورحمة الله « إ . هـ » .

إنها رسالة تتسم بالأدب العالى . .

فهل رسالة الليث مثلها ؟

إننا سنتبين ذلك من نصها وهو يبدؤها بتحية الاسلام ثم بحمد الله تعالى ، ثم بالدعاء له ولمالك ، وذلك بالضبط كما فعل مالك ، وكما كان يفعل سلفنا رضوان الله عليهم ، إنه يقول : « سلام عليكم » .

فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو .

أما بعد ، عافنا الله وإياك . وأحسن لنا العاقبة فى الدنيا والآخرة « ثم يبدأ الليث بذكر المراسلات بينه وبين الامام مالك ويذكر أشياء لم تذكر رسالة الامام مالك ، ويبدو أن المؤرخين الذين ذكروا رسالة الامام مالك لم يذكروا فيها مايستدل عليه من رسالة . . «الليث » .

يقول الليث :

وقد بلغنى كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذى يسرنى ، فأدام الله ذاك لكم ، وأتمه بالعون على شكره ، والزيادة من إحسانه .

وذكرت نظرك فى الكتب التى بعثت بها إليك ، وإقامتك إياها ، وختمك عليها بخاتمك ، وقد أتتنا ، فجزاك الله عما قدمت منها خيرا ، فإنها كتب انتهت إلينا عنك ، فأحببت أن أبلغ حقيقتها بنظرك فيها » .

ويبدو من هذا أن كتبا نسبت إلى الامام مالك قد وصلت الليث فأحب أن يتثبت من أنها حقيقة بقلم الإمام مالك فأرسلها إليه مستوثقا .

ونظر فيها الامام و« أقامها » ومعنى أنه أقامها أنه أصلح منها ماقد عساه أن يكون من أخطاء كتابية جاءت عن النساخ ، ثم ختمها الإمام بختمه وذلك معناه : اعتمادها .

ثم يقول الامام الليث : وذكرت أنه قد أنشطك ماكتبت فيه من تقويم ماأتانى عنك ، إلى إبتدائى بالنصيحة ،ورجوت أن يكون لها عندى موضع ، وإنه لم يمنعك من ذلك فيما خلا إلا أن رأيك فينا جميلا ، وإلا لأنى لم أذاكرك مثل هذا .

وإنه بلغك أنى أفتى بأشياء . .

وقد أصبت بالذى كتبت به من ذلك ، إن شاء الله تعالى ، ووقع منى بالموقع الذى تحب ، ومأجد أحدا ينسب إليه أكره لشواذ الفتيا ، ولاأشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ، ولا آخذ بفتياتهم فيما اتفقوا عليه منى ، والحمد لله رب العالمين لاشريك له .

وأما ماذكرت من مقام رسول الله ﷺ بالمدينة ، ونزول القرآن بها عليه بين ظهرانى أصحابه ، وماعلمهم الله منه ، وأن الناس صاروا به تبعا لهم به ، فكما ذكرت .

لقد وافق الليث الامام فى أسلوب لطيف على ماذكره من كل ذلك .

ثم بدأ يبين رأيه فى موضوع الفكرة الأساسية وهى « عمل أهل المدينة حجة فقال : وأما ماذكرت « **وَ السَّابِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَا لأنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِىَ اللهُ عَنهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أبداً ذَلِك الفَوْزُ الْعَظِيمُ** » .

فإن كثيرا من أولئك السابقين خرجوا إلى الجهاد فى سبيل الله ابتغاء مرضاة الله ، فجندوا الأجناد ، واجتمع إليهم الناس ، فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله ، وسنة نبيه ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن، والسنة ، وتقدمهم عليه أبوبكر وعمر ، وعثمان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم ، ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجناد المسلمين ، ولاغافلين عنهم ، بل كانوا يكتبون فى الأمر اليسير لإقامة الدين ، والحذر من الاختلاف بكتاب الله وسنة نبيه .

فلم يتركوا أمرا فسره القرآن أو عمل به النبى ﷺ أو ائتمروا فيه بعده إلا علموه فإذا جاء أمر عمل فيه أصحاب رسول الله ﷺ بمصر والشام والعراق على عهد أبى بكر وعمر وعثمان ولم يزالوا عليه حتى قبضوا ، لم يأمروهم بغيره ، فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمرا ، لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول ﷺ وسلم والتابعين لهم .

لقد خرج الآلاف من أصحاب رسول الله ﷺ إلى مشارق الأرض ومغاربها فاتحين ، وهؤلاء الآلاف عاشروا رسول الله ﷺ ، وأخذوا عنه وأفتوا فى البقاع التى ذهبوا إليها بما سمعوا ووعوا ، وقد كانوا على صلة مستمرة بدار الهجرة وبالخلفاء الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان ، وكان الخلفاء يعلمون ماعليه الناس من أمر دينهم ، فإذا عمل الجنود شيئا ومنهم الصحابة رضوان الله عليهم ، ولم ينههم عنه الخلفاء الراشدون كان هذا الأمر سليما لايجوز تغييره .

هذا هو الرد الأول على الامام مالك .

ثم يقول الليث :

مع أن أصحاب رسول الله ﷺ قد اختلفوا بعد الفتيا فى أشياء كثيرة ولولا أنى قد عرفت أن قد علمتها لكتبت بها إليك .

وهذا هو الرد الثانى وهو متصل اتصالا وثيقا بالرد الأول .

أما الرد الثالث وهو أيضا مرتبط ومشابه لما قبله فهو مايحدث به على النحو التالى :

ثم اختلف التابعون فى أشياء بعد أصحاب رسول الله ﷺ سعيد بن المسيب ونظراؤه أشد الاختلاف ، ثم اختلف الذين كانوا من بعدهم فحضرتهم بالمدينة ، ورأسهم يومئذ ابن شهاب ، وربيعة بن أبى عبدالرحمن وكان من خلاف ربيعة لبعض من قد مضى ماقد عرفت وحضرت

وسمعت قولك فيه ، وقول ذوى الرأى من أهل المدينة يحيى بن سعيد وعبدالله بن عمر وكثير بن فرق وغير كثير ممن أحسن منه حتى اضطرك ماكرهت من ذلك إلى فراق مجلسه وذاكرتك أنت وعبدالعزيز بن عبدالله بعض ماتعيب على ربيعة من ذلك فكنتما من الموافقين فيما أنكرت ، تكرهان ماأكرهه ، ومع ذلك بحمد الله عند ربيعة خير كثير ، وعقل أصيل ، ولسان بليغ ، وفضل مستبين ، وطريقة حسنة الاسلام ، ومودة صادقة لإخوانه عامة ، ولنا خاصة ، رحمه الله وغفر له وجزاه بأحسن من عمله .

وكان يكون من ابن شهاب اختلافا كثيرا إذا لقينا ، وإذا كاتبه بعضنا فربما إليه فى الشىء الواحد على فضل رأيه وعلمه بثلاثة أنواع ، ينقض بعضها بعضا ، ولايشعر بالذى مضى من رأيه فى ذلك . .

أما النتيجة لكل ذلك فهى ماء ر عنه الليث بقوله :

فهذا الذى يدعونى إلى ترك ماأنكرت تركى إياه » .

ثم يأخذ الليث فى ذكر بعض الجزئيات التى أنكرها عليه مالك ، وأول مسألة ذكرها هى مسألة الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء فى غير حالة السفر حينما يكون مطر ، وقد ورد فى هذا حديث أورده الإمام مسلم هذا نصه :

حدثنا أحمد بن يونس وعون بن سلام جميعا عن زهير قال ابن يونس حدثنا زهير حدثنا أبوالزبير عن سعيد بن جبير - عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يصلى الظهر والعصر جميعا بالمدينة فى غير خوف ولاسفر ، قال أبو الزبير فسألت سعيدا لم فعل ذلك ؟ فقال سألت ابن عباس كما سألتنى فقال : أراد ألا يحرج أحدا من امته .

وقد ذكره الامام مسلم بروايات متعددة . .

ويقول الامام النووى :

وذهب جماعة من الأئمة إلى جواز الجمع فى الحضر للحاجة لمن لايتخذه عادة وهو قول ابن سيرين وأشهب من أصحاب مالك ، وحكاه الخطابى عن القفال والشاشى الكبير من أصحاب الشافعى عن أبى إسحاق المروزى عن جماعة من أصحاب الحديث واختاره ابن المنذر ، ويؤيده ظاهر قول ابن عباس : أراد ألا يحرج أمته فلم يعلله بمرض ولاغيره . . والله أعلم .

وهذا هو رأينا :

وقد رأى الامام مالك أن الجمع بين المغرب والعشاء جائز حينما تكون الدنيا ممطرة مستندا إلى الحديث وإلى ماذكره من عمل أهل المدينة . .

وخالفه فى ذلك الليث ورد عليه فى رسالته بقوله :

وقد عرفت أيضا عيب إنكارى أن يجمع أحد من أجناد المسلمين بين الصلاتين ليلة المطر . ومطر الشام أكثر من مطر المدينة بما لا يعلمه إلا الله لم يجمع منهم إمام قط فى ليلة ممطرة ، وفيهم أبوعبيدة بن الجراح ، وخالد بن الوليد ، ويزيد بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « أعلمكم بالحلال معاذ بن جبل » .

ويقال :إيأتى معاذ يوم القيامة بين يدى العلماء برقوة [1] وشرحبيل بن حسنة ، وأبو الدرداء ، وبلال بن رباح .

وكان أبو ذر بمصر ، والزبير بن العوام . وسعد بن أبى وقاص ، وبحمص سبعون من أهل بدر ، وبأجناد المسلمين كلها وبالعراق ابن مسعود وحذيفة بن اليمان ، وعمران بن الحصين ، ونزلها أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى الجنة ، وكان معه من أصحاب رسول الله ﷺ فلم يجمعوا بين المغرب والعشاء قط .

ثم ينتقل الليث إلى مسألة ثانية : وهى مسألة عبر عنها الليث بقوله :

« ومن ذلك القضاء بشهادة شاهد ويمين صاحب الحق » .

وفى شرح هذه المسألة يقول المرحوم الشيخ محمد أبوزهرة :

مسألة القضاء بشاهد واحد ويمين صاحب الحق ، واعتبار ذلك بينة كاملة من المسائل التى اختلف فيها الفقه المدنى العراقى وهى موضع اختلاف بين الفقهاء عامة من بعد ، فقد قال مالك والشافعى وأحمد وداود وأبو ثور ، والفقهاء السبعة المدنيون من قبل : يقضى بالشاهد الواحد ويمين صاحب الحق فى الأموال .

وقال أبو حنيفة والثورى والأوزاعى ، والليث بن سعد ، وجمهور أهل العراق:لايقضى بيمين صاحب الحق وشاهد واحد فى شىء . وحجة من اعتبر الشاهد الواحد ويمين صاحب الحق حجة كاملة فى الأموال آثار وردت عن ابن عباس وأبى هريرة وزيد بن ثابت وجابر . . وقد خرج مسلم حديث ابن عباس ونصه : « أن رسول الله ﷺ قضى باليمين مع الشاهد » ولم يخرجه البخارى ، وقد روى مالك مرسلا عن جعفر بن محمد أن رسول الله ﷺ قضى باليمين مع الشاهد ، والمرسل حجة عنده ، وحجة الذين لم يأخذوا بذلك تعول على الكتاب والسنة :

أما الكتاب فقوله تعالى : « فَإِن لَّمْ يكونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ من الشهداء » . وهذا يقتضى الحصر ، أى لابينة أقل من ذلك ، فالاتيان ببينة أقل نسخ للقرآن . والقرآن لاينسخ

(١) الرفوة : كتلة من التراب تجتمع على شفير الوادى.

بحديث غير متواتر أو مشهور ، أما السنة فما أخرجه البخارى ، ومسلم عن الأشعث بن قيس . قال : كان بينى وبين رجل خصومة فى شىء فاختصمنا إلى النبى ﷺ فقال : شاهداك أو يمينه ، فقلت إذن يحلف ولايبالى ، فقال ﷺ : « من حلف على يمين يقتطع بها مال امرىء مسلم هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان » .

وفى المسألة يقول الليث فى رسالته إلى مالك :

وقد عرفت أنه لم يزل يقضى بالمدينة ، ولم يقض به أصحاب رسول الله ﷺ وسلم بالشام ، وبحمص ولابمصر ، ولا بالعراق ، ولم يكتب به إليهم الخلفاء الراشدون أبوبكر ، وعمر وعثمان وعلى ، ثم لما ولى عمر بن عبدالعزيز ، وكان كما قد علمت على إحياء السنة والجد فى إقامة الدين ، والإصابة فى الرأى ، والعلم بها مضى من أمر الناس ، . فكتب إليه زريق بن الحكم إنك كنت تقضى بالمدينة بشهادة الشاهد الواحد ويمين صاحب الحق ، فكتب إليه عمر بن عبدالعزيز : إنا كنا نقضى بذلك بالمدينة فوجدنا أهل الشام على غير ذلك فلا تقض إلا بشهادة رجلين عدلين ، أو رجل وامرأتين . ولم يجمع بين المغرب والعشاء قط ليلة المطر ، والمطر يسكب عليه فى منزله الذى كان فيه بخناصر ساكنا .

أما المسألة الثالثة فهى صداق المرأة المؤجل . متى يقضى للمرأة به ؟ وفى هذه المسألة نكتفى بكلام الليث فيها فإنه واضح .

ويقول الليث :

ومن ذلك أن أهل المدينة يقضون فى صداقات النساء أنها متى شاءت أن تتكلم فى مؤخر صداقها تكلمت ، فدفع إليها ، وقد وافق أهل العراق أهل المدينة على ذلك وأهل الشام وأهل مصر . . ولم يقض أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولا من بعدهم لامرأة بصداقها المؤخر إلا أن يفرق بينهما موت أو طلاق فيقوم على حقها . .

وينتقل الليث إلى مسألة رابعة وهى : مسألة « الإيلاء » .

وقضية الايلاء هذه مردها إلى اختلاف فهم الفقهاء فى قوله تعالى :

« لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءوا فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ . . وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

والايلاء هو أن يحلف الرجل ألا يتصل بزوجته جنسيا مدة أربعة أشهر أو أكثر . . أو يحلف ألا يأتى زوجته غير محدد للمدة ، وتمر هذه المدة دون أن يأتيها : هل يعتبر هذا طلاقا ؟

يقول الامام الليث فى رسالته :

ومن ذلك قولهم فى الايلاء أنه لايكون عليه طلاق حتى يوقف وإن مرت الأربعة الأشهر قد

حدثنى نافع عن عبدالله بن عمر ـ وهو الذى كان يروى عنه ذلك التوقيف بعد الأشهر أنه كان يقول فى مسألة الايلاء التى ذكر الله فى كتابه :

« لايحل للمولى إذا بلغ الأجل أن يفىء كما أمر الله أو يعزم الطلاق ، وأنتم تقولون إن لبث بعد الأربعة الأشهر التى سمى الله فى كتابه ولم يوقف لم يكن عليه طلاق ، وقد بلغنا أن عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وقبيصة بن ذؤيب وأبا سلمة بن عبدالرحمن بن عوف قالوا فى الايلاء . إذا مضت الأربعة فهى تطليقة بائنة . .

وقال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام وابن شهاب . . إذا مضت الأربعة الأشهر فهى تطليقة ، وله الرجعة فى العدة .

ومن ذلك أن زيد بن ثابت كان يقول : إذا ملك الرجل امرأته فاختارت زوجها فهى تطليقة ، وإن طلقت نفسها ثلاثا فهى تطليقة . . وقضى بذلك عبدالملك بن مروان وكان ربيعة بن أبى عبدالرحمن يقوله ، وقد كاد الناس يجتمعون على أنها إن اختارت زوجها لم يكن فيه طلاق ، وإن اختارت نفسها واحدة أو اثنتين كانت له عليها الرجعة ، وإن طلقت نفسها ثلاثا بانت منه ولم تحل له حتى تنكح زوجا غيره فيدخل بها ثم يموت أو يطلقها إلا أن يرد عليها فى مجلسه فيقول : إنما ملكتك واحدة ، فيستحلف ويخلى بينه وبين امرأته . .

ثم يذكر الليث مسألة سادسة معبرا عنها بقوله :

ومن ذلك أن عبدالله بن مسعود كان يقول : أيما رجل تزوج أمة ثم اشتراها زوجها فاشتراؤه إياها ثلاث تطليقات .

وكان ربيعة يقول ذلك .

وإن تزوجت المرأة الحرة عبدا فاشترته فمثل ذلك .

وفى كل ماذكرنا كان الليث يرد على مسائل انتقدها مالك رضوان الله عليهما . .

ثم انتقل الليث من موقع المدافع إلى موقف الناقد ، وذكر فى ذلك عدة مسائل هى الآتية :

وقد بلغنا عنكم شىء من الفتيا مستكرها ، وقد كتبت إليك فى بعضها فلم تجبنى فى كتابى ، فتخوفت أن تكون استثقلت ذلك ، فتركت الكتاب فى شىء مما أنكرت وفيما أوردت فيه على رأيك :

١ـ وذلك أنه بلغنى أنك أمرت زفر بن عاصر الهلالى ـ حين أراد أن يستسقى أن يقدم الصلاة قبل الخطبة فأعظمت ذلك ، لأن الخطبة والاستقاء كهيئة يوم الجمعة ، إلا أن الإمام إذا دنا من فراغه من الخطبة دعا ، ثم نزل فصلى . . وقد استسقى عمر بن عبدالعزيز وأبو بكر بن محمد بن

حزم وغيرهما ، فكلهم يقدم الخطبة والدعاء قبل الصلاة ، فاستهتر الناس كلهم فعل زفر بن عاصم واستنكروه .

٢ـ ومن ذلك أنه بلغنى أنك تقول فى الخليطين فى المال أنه لاتجب عليهما الصدقة حتى يكون لكل واحد منهما ماتجب فيه الصدقة ، وفى كتاب عمر بن الخطاب أنه تجب عليهما الصدقة ويترادان بالسوية ، وقد كان ذلك يعمل به فى ولاية عمر بن العزيز قبلكم وغيره ، والذى حدثنا يحيى بن سعيد ، ولم يكن بدون أفاضل العلماء فى زمانه ، فرحمه الله ، وغفر له ، وجعل الجنة مصيره . .

٣ـ ومن ذلك أنه بلغنى أنك تقول ، إذا أفلس الرجل وقد باعه سلعة فتقاضى طائفة من ثمنها ، أو أنفق المشترى طائفة ، أنه يأخذ ماوجد من متاعه . . وكان الناس على أن البائع إذا تقاضى من ثمنها شيئا أو أنفق المشترى منها شيئا فليست بعينها . .

٤ـ ومن ذلك أنك تذكر أن النبى ﷺ لم يعط الزبير بن العوام إلا لفرس واحد ، والناس كلهم يحدثون أنه أعطاه أربعة أسهم لفرسين ومنعه الفرس الثالث ، والأمة كلها على هذا الحديث : أهل مصر ، وأهل العراق ، وأهل أفريقية ، لايختلف فيه اثنان ، فلم يكن ينبغى لك وإن كنت سمعته من رجل مرض أن تخالف الأمة أجمعين .

ثم يأتى الختام للرسالة ، هو ختام رائع فيه سمات المودة والأدب ، والحب والاحترام وذلك يدل على نفس كريمة نبيلة . إنه يقول :

وقد تركت أشياء كثيرة أشباه هذا ، وأنا أحب توفيق الله إياك وطويل بقائك لما أرجو للناس فى ذلك من المنفعة ، وماأخاف من الضيعة إذا ذهب مثلك ، مع استئناسى بمكانك وإن ناءت الديار ، فهذه منزلتك عندى . ورأيى فيك ، فاستيقنه ، ولاتترك الكتاب أن يخبرك وحالك ، وحال ولدك وأهلك ، وحاجة إن كانت لك أو لأحد يوصل بك فإنى أسر بذلك .

كتبت إليك ونحن صالحون معافون ، والحمد لله ، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ماأولينا . وتمام ماأنعم به علينا ، والسلام عليك ورحمة الله .

● **الليث محدثا وفقيها**

ليس لدينا كتب للامام الليث ولكن آراءه منشورة بكثرة فى كتب الحديث ، والفقهاء جميعا يقولون :

« إذا صح الحديث فهو مذهبى » .

وقد كان الامام الليث يتحرى الأحاديث الصحيحة من المصادر سواء كانوا فى المدينة أم فى غيرها من المدن ، وقد وضح هذا فى صراحة لا لبس فيها فى رسالته إلى مالك رضى الله عنه . .

وهو ، إذا صح الحديث عنده ، يأخذ به فالأحاديث التى رواها هى آراؤه فى الفقه . .

وقد اتجهنا إلى كتب الأحاديث خصوصا الصحيحين : للبخارى ومسلم ، لنتبين منها آراءه ولكننا لم نقتصر عليهما فكل حديث صحيح روى عنه فى هذا الكتاب أو ذاك فهو رأيه ومن أجل ذلك جمعنا كل ماأمكننا جمعه من مختلف المصادر التى كتبت عنه فى الفقه ، أو حدثت عنه . . وفى هذا الباب الذى عنوناه كسابقه « الليث محدثا وفقيها » نذكر شيئا من تقدير المفكرين لليث ونخلص من ذلك إلى رأى المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق ورأى صاحب الحلية عن : « الليث صوفيا » فنتحدث عنه ونبين تقديرنا للسنة الشريفة .

كان تقدير العلماء والأمراء لليث عظيما . . ولقد قال الليث : قال لى أبو جعفر المنصور حين أردت أن أودعه : قد رأيت ماسرنى من سداد عقلك فأبقى الله فى الرعية أمثالك .

وفى مرة أخرى قال له :

يعجبنى مارأيت من عقلك ، وأن يبقى الله عز وجل فى الرعية مثلك [1] . .

ويقول يعقوب بن داود ـ وزير المهدى ـ : قال لى أمير المؤمنين لما قدم « الليث بن سعد » العراق :

« الزم هذا الشيخ فقد ثبت عند أمير المؤمنين أنه لم يبق أحد أعلم بما حمل منه » .

ويذكر كتاب البداية ما يلى :

عرض عليه المهدى أن يلى القضاء ويعطيه من بيت المال مائة ألف درهم ، فقال : إنى عاهدت الله أن لا ألى شيئا ، وأعيذ أمير المؤمنين بالله أن أخيس بعهدى . .

فقال له المهدى : الله.

قال : الله.

قال : انطلق فقد أعفيتك.

ويذكر كتاب الحلية ماكان بينه وبين هارون الرشيد ، فيقول :

عن عبدالله بن صالح ، سمعت الليث بن سعد يقول ، لما قدمت على هارون الرشيد قال

---

(١) من كتاب الجرح والتعديل.

لى : ياليث ، ماصلاح بلدكم ؟ قلت : ياأمير المؤمنين ، صلاح بلدنا باجراء النيل ، وإصلاح أميرها . . ومن رأس العين يأتى الكدر ، فإذا صفا رأس العين صفت السواقى . .

فقال : صدقت ياأبا الحارث . .

ومن التقديرات الجميلة مايلى :

وقال ابن أبى مريم : مارأيت أحدا من خلق الله أفضل من الليث ، وماكانت خصلة يتقرب بها إلى الله إلا كانت تلك الخصلة فى الليث . .

وعن أحمد بن صالح ، وذكر الليث بن سعد ، فقال : إمام ، قد أوجب الله علينا حقه . .

فقلت لأحمد : إمام ؟ فقال لى نعم ، إمام ، لم يكن بالبلد بعد عمرو بن الحارث مثل الليث . .

وهذا التقدير لليث إنما كان لأمور :

١ـ الخلق الكريم .

٢ـ علمه الغزير بالحديث .

٣ـ علمه المستفيض بالفقه .

أما عن خلقه فيقول صاحب تاريخ بغداد عن أبى الوليد عبدالملك بن يحيى بن بكير قال : سمعت أبى يقول :

« مارأيت أحدا أكمل من الليث بن سعد ، كان فقيه النفس صحيح البدن ، عربى اللسان ، يحسن القرآن والنحو ، ويحفظ الشعر والحديث ، حسن المذاكرة . . ومازال يذكر خصالا جميلة ويعقد بيده ، حتى عقد عشرة لم أر مثله . .

وكثير من المؤرخين لليث يذكر عبارة كأنها متوارثة وهى :

« وكان سريا من الرجال ، نبيلا ، سخيا ، له ضيافة » .

وقد سبق أن ذكرنا الكثير من خلقه الكريم ، ومن كرمه الفياض ، ومن ذلك ماروى عن الشافعى رضى الله عنه من أنه وقف على قبره وقال :

« لله درك ياإمام ، لقد حزت أربع خصال لم يكملن لعالم :

العلم ، والعمل ، والزهد ، والكرم » . .

ويذكر فضيلة الامام الأكبر المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق لمحات يوجه فيها الأنظار إلى

جانب من جوانب الليث فى أحاديثه وفى فقهه ، لم يتحدث عنها السابقون ، أو على الأقل لم يجعلوها هدفا يوضحونه فيها يتعلق بفقه الليث وحديثه .

يقول الشيخ مصطفى بعد أن روى عدة أحاديث مما رواه الامام الليث .

« وهذا الذى نهض به الليث من توجيه الحركة الفقهية إلى الناحية الخلقية والروحية ، كان من حقه أن يجعل الليث معدودا فى أئمة الصوفية الذين نهضوا بالتصوف نهضته الأولى . . ونهضة التصوف الأولى كانت أخلاقية » .

ويقول المرحوم الشيخ مصطفى أيضا :

« والمتتبع لما يرويه الليث من الأحاديث يجد فيها كثيرا مما يتعلق بحسن السلوك ، وكمال الخلق ، إلى جانب مايتعلق بأحكام الحدود والمعاملات » .

والشيخ مصطفى - رحمه الله - يتناسق فى هذا الرأى مع صاحب حلية الأولياء الذى عد الليث من الصوفية ، وأرخ له فى كتابه ، إنه يقول : أبوالحارث الليث بن سعد . .

كان يعلم الأحكام مليا ، ويبذل الأموال سخيا .

وقيل : إن التصوف السخاء والوفاء . .

إن صاحب الحلية يعده من الصوفية ، ويأخذ من حياته وسلوكه وعلمه تعريفا للتصوف كعادته فى كل من تحدث عنهم فى الحلية : إنه يلخص حياتهم فى كلمات هى طابعهم العام وهى تعريف من تعريفات التصوف . .

وطابع الليث العام يتلخص فى كلمتين :

« السخاء ، والوفاء » .

وهذا الجانب هو طابعه فى السلوك ، ويصوره فى دقة من ناحية خلقه ، ولايمنع من أن تكون سمات الليث الفكرية البارزة الواضحة ، والتى كانت همه الشاغل ، وشغله المقيم المقعد ، إنما كانت الحديث والفقه .

بل يمكن أن نقول : إن سلوكه الأخلاقى الكريم « السخاء والوفاء » . . إنما كان أثراً لدراسة الحديث الشريف ، وسماته السلوكية إنما هى سمات أهل الحديث الذين أخلصوا لله وجوههم فى دراسته .

وسمات الليث ، وسمات أهل الحديث أوسع وأعم من « السخاء والوفاء » . .

نماذج من أحاديثه

وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى كتابه :

« الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية »

وقد وقعت لنا من عوالى حديثه إليه جملة بينى وبينه فيها ثمانية أنفس أكثرها بالسماع المتصل إليه وفى بعضها الاجازة وقد انتقيت منها أربعين حديثا تكلمت على حالها ومن أخرجها من الأئمة وإذا قسمت المدة المذكورة على عدد الرواة كان قسط كل واحد منهم ثمانين سنة وزيادة . وقد عاش هو إحدى وثمانين سنة على مابينت من مولده ووفاته فتناسب الأمر بعضه من بعض والله سبحانه وتعالى المستعان . .

● **الحديث الأول :**

قرأت على الشيخ أبى إسحق إبراهيم بن أحمد بن عبدالواحد التنوخى البعلبكى ثم الدمشقى ثم القاهرى بمنزله بالجامع الأغر غير مرة أن أحمد بن أبى طالب بن أبى النعم الصالحى أخبرهم سماعا عليه قال أخبرنا أبوالمنجا عبدالله بن عمر بن على بن يزيد البغدادى قرأت عليه ونحن نسمع بدمشق أخبرنا أبوالوقت عبدالأول بن عيسى بن شعيب الهروى قراءة عليه .

ونحن نسمع ببغداد أخبرنا أبو عبدالله محمد بن أبى مسعود عبدالعزيز الفارسى أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن أبى شريح الأنصارى أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن عبدالعزيز البغوى حدثنا أبوالجهم العلاء بن موسى بن عطية الباهلى إملاء حدثنا الليث بن سعد المصرى عن نافع عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : الرؤية الصالحة قال نافع حسبت ابن عمر قال جزء من سبعين جزءاً من النبوة هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن أبى النضر هاشم بن القاسم وأخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليا بدرجتين على طريقى المسند والصحيح .

● **الحديث الثانى :**

وبهذا الاسناد إلى أبى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر قال كان رسول الله ﷺ ينهى إذا كان ثلاثة نفر أن يتناجى اثنان دون واحد هذا حديث صحيح أخرجه

أحمد عن يونس بن محمد المؤدب ومسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا بدرجتين أيضا وأخرجه عوانة عن أبى الأحوص عن قتيبة فوقع لنا عاليا على طريقه بدرجتين أيضا .

● الحديث الثالث :

وبه إلى أبى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال لايقيمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه هذا صحيح أخرجه أحمد بن أبى النضر هاشم بن القاسم وأخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الرابع :

وبه إلى أبى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قام فقال لايحلبن أحد ماشية أحد بغير إذنه أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته فيكسر باب خزانته فينتقل طعامه وإنما يخزن لهم ضروع مواشيهم أطعمتهم فلا يحلبن أحد ماشية امرىء بغير إذنه هذا صحيح أخرجه مسلم وابن ماجه عن محمد بن رمح وأخرجه مسلم أيضا عن قتيبة كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الخامس :

قرأت على أبى الحسن على بن محمد بن محمد الخطيب الدمشقى قدم علينا القاهرة وكتب إلينا أبوالعباس أحمد بن أبى بكر بن أحمد المقدسى غير مرة كلاهما عن أبى الفضل سليمان بن أبى طاهر المقدسى قال الأول كتابة والثانى سماعا قالا أخبرنا عبدالله بن عمر البغدادى أخبرنا أبوالقاسم سعيد بن أحمد البناء أخبرنا أبونصر محمد بن محمد بن على الزينبى أخبرنا أبوبكر محمد بن عمر بن دينور حدثنا أبوبكر بن عبدالله بن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى .

حدثنا عيسى بن حماد أخبرنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير هو يزيد بن عبدالله عن عقبة هو ابن عامر الجهنى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج يوما يصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال إنى فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإنى والله ماأخاف عليكم أن تنافسوا فيها. هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن حجاج بن محمد وأبى النضر هاشم ابن القاسم وأخرجه البخارى عن عبدالله بن يوسف وسعيد بن شرحبيل وعمر بن خالد وأخرجه هو ومسلم وأبو داود والنسائى كلهم عن قتيبة الستة عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث السادس :

قرأت على زينب بنت العماد أبى بكر بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن جعوان الدمشقية بصالحية دمشق وعلى بن إبراهيم بن أحمد القارىء بالقاهرة كلاهما عن ابن العباس الصالحى سماعا

أخبرنا أبومحمد بن أبى شريح حدثنا أبوالقاسم البغوى حدثنا أبوالجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر قال أن امرأة وجدت فى بعض مغازى رسول الله ﷺ مقتولة فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن أبى النضر هاشم بن القاسم وعلى بن عباس الحمصى ويونس بن محمد المؤدب فرتبهم وأخرجه البخارى عن أحمد بن يونس ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبوداود عن يزيد بن خالد بن موهوب وأخرجه مسلم وأبوداود أيضا والترمذى والنسائى عن قتيبة كلهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلاعاليا. وأخرجه أبوعوانة عن محمد بن إسحق الصنعانى عن أبى النضر وعن أبى أمية الطرسوسى عن أحمد بن يونس به .

● **الحديث السابع :**

وبه إلى أبى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث سرية قبل نجد وفيهم عبدالله بن عمرو أن سهمانهم بلغت اثنى عشر بعيرا ونفلوا سوى ذلك بعيرا بعيرا فلم يغيره رسول الله ﷺ يعنى ذلك هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح وأخرجه أبوداود عن يزيد بن خالد بن موهب والقعبنى أربعتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● **الحديث الثامن :**

وبه إلى أبى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم وامرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح وأخرجه الترمذى عن قتيبة كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● **الحديث التاسع :**

وبه إلى أبى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المنبر يقول ألا إن الفتنة ههنا مرتين من حيث يطلع قرن الشيطان هذا صحيح أخرجه أحمد عن أبى النضر هاشم بن القاسم وأخرجه البخارى ومسلم جميعا عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه أبوعوانة عن الحرث بن أبى أسامة عن أبى النضر به .

● الحديث العاشر :

وبه إلى الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله هو ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائى عن قتيبة ومسلم أيضا وابن ماجه عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث .

● الحديث الحادى عشر :

أنبأنا أبوهريرة عبدالرحمن بن الحافظ أبى عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى إجازة أذن فى كتابتها لنا غير مرة عن القاسم بن مظفر بن عساكر وأبى نصر بن الشيرازى سماعا عليهما ح وقرأت على أم الحسن فاطمة بنت محمد بن أحمد بن عثمان بدمشق عن أبى الفضل بن قدامة قالوا أخبرنا محمد بن عبدالواحد المدينى إجازة مكاتبة أخبرنا إسماعيل بن الحمامى أخبرنا أبو مسلم محمد بن على النحوى حدثنا أبوبكر محمد بن إبراهيم بن على عاصم المقهى ح أخبرنا أبو هريرة ابن الذهبى اجازة . من دمشق وقرأت على أبى الحسن على بن محمد بن أبى المجد بالقاهرة أن أبا القاسم بن مظفر بن عساكر أخبرهم قال الأول سماعا عليه وأنا أسمع فى الرابعة وإجازة اخبرنا أبـوبكـر محمـد بن عبيدالله بن الزغوانى كتابة أخبرنا أبوالقاسم على بن أحمد بن البسرى أخبرنا أبوطاهر محمد بن عبدالعزيز البغوى .

حدثنـا كامـل بن طلحـة حدثنا الليث بن سعد عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضى الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ فقال بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة فإذا أنا بامرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر قالت لعمر بن الخطاب فذكرت غيرتك فوليت مدبرا قال أبوهريرة فبكى عمر وقال بأبى وأمى عليك أغار هذا حديث صحيح أخـرجـه البخـارى عن سعيد بن أبى مريم وسعيد بن كثير بن عفير ويحيى بن عبدالله بن بكير وأخرجه ابن ماجه عن محمد بن الحرث البصرى كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الثانى عشر :

قرأت على أبى عبـدالله بن بهادر المسعودى عن أحمد بن أبى طالب بن الشحنة سماعا أن عبـدالله بن عمـر بن على أخبرهم أخبرنا عبدالأول بن عيسى أخبرنا محمد بن عبدالعزيز أخبرنا عبدالرحمن بن أحمد أخبرنا عبدالله بن محمد حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن أبى الزبير المكى عن جابر بن عبدالله الأنصارى قال قال رسول الله ﷺ لايدخل ممن بايع تحت الشجرة النـار هذا حديث صحيح أخـرجه أحمد عن يونس بن محمد وحجين بن المثنى وأخرجه أبوداود والترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة وأبو داود أيضا عن يزيد بن خالد بن موهب كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الثالث عشر :

وبه إلى الليث يزيد عن أبى الزبير عن جابر عبدالله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ أمر رجلا كان يتصدق بالنبل فى المسجد أن لايمر بها إلا وهو آخذ بنصولها هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن حجين بن المثنى ويونس بن محمد وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن رمح كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الرابع عشر :

وبه إلى أبى الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث عن أبى الزبير عن جابر عبدالله رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال خير ماركبت إليه الرواحل مسجدى هذا والبيت العتيق هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن حجين بن المثنى ويونس ابن محمد وأخرجه النسائى عن قتيبة ثلاثتهم عن الليث وأخرجه الطبرانى فى الأوسط عن أحمد بن على الأبار عن أبى الجهم العلاء بن موسى فوقع لنا بدلا عاليا قال الطبرانى لم يروه عن الليث إلا العلاء بن موسى « قلت » ورواية أحمد والنسائى واردة عليه وقد رواه أيضا عبدالله بن يزيد المقرى عن الليث رويناه فى الجزء الأول من فوائد أبى يحيى بن أبى مصرة فهؤلاء الأربعة رووه عن الليث غير أبى الجهم .

● الحديث السادس عشر :

أخبرنا أبوبكر بن أحمد بن عبدالهادى وأبو هريرة بن الذهبى إجازة مكاتبة قالا أخبرنا عيسى بن عبدالرحمن المطعم ح وأخبرنا على بن محمد الخطيب فيما قرأت عليه عن التقى سليمان بن حمزة بن أبى عمر قال أخبرنا أبوالمنجا بن الليثى أخبرنا أبوالقاسم سعيد بن أحمد بن البناء أخبرنا أبونصر الزينبى أخبرنا أبوبكر محمد بن عمر الوراق حدثنا أبوبكر بن داود حدثنا عيسى حدثنا الليث عن سعيد المقبرى يعنى عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والترمذى والنسائى كلهم عن قتيبة عن الليث عن سعيد بن أبى سعيد كيسان المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة فوقع لنا بدلا عاليا وسقط من أصل سماعنا قوله فى السند عن أبيه ولابد منه والله أعلم .

● الحديث السابع عشر :

وبالسند الماضى إلى أبى الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من رآنى فى المنام فقد رآنى فإنه لاينبغى للشيطان أن يتمثل فى صورتى هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن يونس بن محمد وحجين بن المثنى وأخرجه مسلم عن قتيبة بن سعيد ومحمد بن رمح كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الثامن عشر :

وبه إلى أبى الجهم أخبرنا الليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال إذا احتلم أحدكم فلا يخبر الناس بتلاعب الشيطان به فى المنام وبه أن رسول

الله ﷺ قال لأعـرابى جاءه إنى حلمت أن رأسى قطع وأنا أتبعه فزجره النبى ﷺ وقال لاتخبر بتلاعب الشيطان بك فى المنام هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد ابن رمح وأخرجه النسائى عن قتيبة وابن ماجه عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● **الحديث التاسع عشر :**

وبه إلى أبى الجهم حدثنا الليث عن أبى الزبير عن جابر بن عبدالله الأنصارى رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثـا وليتحـول عن جنبه الذى كان عليه هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وأبوداود والنسائى عن قتيبة وأبو داود أيضا عن يزيد بن خالد ومسلم أيضا وابن ماجه عن محمد بن رمح خمستهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● **الحديث العشـــــرون :**

وبه إلى أبى الجهم قال حدثنا الليث عن أبى الزبير عن جابر أن النبى ﷺ دخل على أم مبشر الأنصارية فى نخل لها فقال لها النبى ﷺ من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر فقالت بل مسلم فقال لايغرس مسلم غرسا ولايزرع زرعا فيأكل منه إنسان ولادابة ولاشىء إلا كان له صدقة هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● **الحديث الحادى والعشرون :**

قرأت على فاطمة بنت محمد بن عبدالهادى المقدسية بصالحية دمشق عن أبى نصر محمد بن العماد ومحمد بن محمد الشيرازى أن محمود بن إبراهيم كتب إليهم أخبرنا مسعود بن الحسن الثقفى أخبرنا أبوعمرو عبدالوهاب بن أبى عبدالله بن منده سماعا عليه أخبرنا أبوالحسن أحمد بن محمد بن عمر الخفاف أجازة حدثنا أبوالعباس محمد بن إسحق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن أبى الزبير عن جابر وعن سعيد بن جبير وطاوس عن ابن عباس أنه قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن وكان يقول التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله سلام عليكم أيها النبى ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة وأخرجه ابن ماجه عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● **الحديث الثانى والعشرون :**

وبهذا الاسناد إلى السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن عجلان عن عبدالرحمن مولى الحرقة عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة عن أبى هريرة أنه قال قال رسول الله ﷺ أيما رجل صلى صلاة بغير قراءة فهى خداج فهى خداج غير تمام قال قلت إنى لاأستطيع أن أقرأ مع الامام قال اقرأ فى نفسك فإن الله عز وجل يقول قسمت الصلاة بينى وبين عبدى فأولها لى وأوسطها

ببنى وبين عبدى وآخرها لعبدى وله ماسأل قال الحمد لله رب العالمين قال حمدنى عبدى قال الرحمن الرحيم قال أثنى على عبدى قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى قال إياك نعبد وإياك نستعين قال أخلص العبادة لى واستعاننى عليها فهذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الـذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذا له وما سأل هذا حديث صحيح أخرجه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الثلاثة من طرق العلاء بن عبدالرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة عن أبى هريرة ومنهم من قال عن أبيه وأبى السائب به .

● **الحديث الثالث والعشرون :**

وبه إلى السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن ابن شهاب عن أنس قال رسول الله ﷺ إنما جعل الامام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا وإذا صلى قاعدا فصلوا قعودا أجمعين هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم والترمذى عن قتيبة عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● **الحديث الرابع والعشرون :**

وبه إلى السراج حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن أبى الزبير عن جابر أنه قال اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد وأبوبكر يكبر يسمع الناس تكبيره قال فالتفت إلينا فرآنا قياما فأشار إلينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعودا فلما سلم قال إن كدتم آنفا لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم إن صلى قائما فصلوا قياما وإن صلى قاعدا فصلوا قعودا هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى عن قتيبة عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● **الحديث الخامس والعشرون :**

أخبرنى الشيخ أبوإسحق التنوخى أخبرنا أبوالعباس الصالحى أخبرنا أبو المنجا الليثى أخبرنا أبـوالـوقت أخـبرنا أبوعبدالله الفارسى أخبرنا أبومحمد الشريحى أخبرنا أبوالقاسم البغوى حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث عن نافع أن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما كان يقول من صلى من الليل فليجعل آخر صلاته وترا فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بذلك هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائى عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● **الحديث السادس والعشرون :**

وبه إلى العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر أنه ذكر عند رسول الله ﷺ يوم عاشوراء فقال ﷺ كان يوما تصومه أهل الجاهلية فمن أحب منكم أن يصومه

فليصمه ومن كرهه فليدعه هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائى عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا وابن ماجه عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث السابع والعشرون :

وبه إلى الليث عن نافع عن عبدالله بن عمر عن النبى ﷺ أنه أدرك عمر بن الخطاب فى ركب وعمر يحلف بأبيه فناداهم رسول الله ﷺ إن الله عزوجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله وإلا فليصمت هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم عن قتيبة زاد مسلم ومحمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الثامن والعشرون :

وبه إلى الليث عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول أيما مملوك كان بين شركاء فأعتق أحدهم نصيبه فإنه يقوم فى مال الذى يعتق قيمة عدل فيعتق إن بلغ ذلك ماله هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن أبى النضر هاشم بن القاسم وأخرجه مسلم والنسائى عن قتيبة زاد مسلم ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وعلقه البخارى لليث .

● الحديث التاسع والعشرون :

وبه إلى الليث عن نافع إبراهيم بن عبدالله بن معبد عن ابن عباس أن امرأة اشتكت شكوى فنذرت إن شفانى الله لأخرجن ولأصلين فى بيت المقدس فبرئت وصحت وتجهزت تريد الخروج فلما أتت ميمونة زوج النبى ﷺ أخبرتها بذلك فقالت انطلقى وكلى ماصنعت وصلى فى مسجد الرسول فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائى عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه الطحاوى من طريق ابن وهب عن الليث وأخرجه النسائى من رواية ابن جريج فأدخل بين إبراهيم وميمونة رجلا قال سمعت نافعا يحدث عن إبراهيم بن عبدالله بن معبد أنه حدثه أن ابن عباس حدثه أن ميمونة قالت هكذا أخرجه النسائى من طريق عبدالرازق عن ابن جريج وأخرجه أحمد من طريق ابن المبارك عن ابن جريج كما قال الليث والله أعلم .

● الحديث الثلاثون :

قرأت على فاطمة بنت المنجا عن سليما بن حمزة أن محمد بن عماد كتب إليهم أخبرنا أبوالقاسم ابن أبى شريك إذنا وهو آخر من حدث عنه مطلقا أخبرنا أبوالحسين أحمد بن محمد بن المنقور حدثنا أبوالقاسم عيسى بن الجراح قال قرىء على أبى بكر بن أبى داود وسليمان بن الأشعث السجستانى وأنا أسمع فى سنة ٣١٢ اثنتى عشرة وثلثمائة قيل له حدثكم عيسى بن حماد قال أخبرنا الليث عن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق عن أبيه عن عائشة قالت طيبت رسول الله

ﷺ لحرمه وحله هذا حديث صحيح أخرجه باللفظ الأول النسائى عن قتيبة وابن ماجه عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه أحمد باللفظ الأول بمعناه من طريق الثورى عن عبدالرحمن بن القاسم بسنده باللفظ الثانى .

● **الحديث الحادى والثلاثون :**

أخبرنى ابن بهادر المسعودى وزينب بنت العماد بن جعوان وإبراهيم بن أحمد القارىء بقراءاتى عليهم متفوقين كلهم عن أحمد بن الشحنة سماعا أخبرنا أبو المنجا بن الليثى أخبرنا عبدالأول بن عيسى أخبرنا محمد بن عبدالعزيز أخبرنا عبدالرحمن بن أحمد أخبرنا عبدالله بن محمد البغوى حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث عن نافع أن عبدالله بن عمر طلق امرأة له وهى حائض تطليقة واحدة فأمره رسول الله ﷺ أن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض عنده حيضة أخرى ثم يمهلها حتى تطهر من حيضها فإن أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها .

فتلك العدة التى أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء وكان عبدالله بن عمر إذا سئل عن ذلك قال أما أنت إن طلقت امرأتك تطليقة أو تطليقتين فإن رسول الله ﷺ أمرنى بهذا فإن كنت طلقتها ثلاثا فقد حرمت عليك حتى تنكح زوجا غيرك وعصيت الله تعالى فيما أمرك من طلاق امرأتك هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن أبى النضر هاشم بن القاسم وأخرجه البخارى ومسلم وأبو داود عن قتيبة زاد مسلم ويحيى بن يحيى ومحمد بن رمح أربعتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وزاد مسلم فى رواية عن محمد بن رمح القصة الأخيرة وعلقها البخارى وقال وقال الليث وأخرجه الدارقطنى بتمامه عن البغوى فوقع لنا موافقة عالية .

● **الحديث الثانى والثلاثون :**

وبه إلى الليث عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب سأل رسول الله ﷺ أيرقد أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ أحدكم فليرقد هذا حديث صحيح أخرجه البخارى عن قتيبة عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● **الحديث الثالث والثلاثون :**

وبه إلى الليث عن نافع عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال سأل رجل رسول الله ﷺ عن أكل الضب فقال لا آكله ولاأحرمه هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● **الحديث الرابع والثلاثون :**

وبه إلى الليث عن نافع عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال لايبع بعضكم على بيع بعض وبه قال رسول الله ﷺ لايخطب أحدكم على خطبة أخيه هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن يونس بن محمد وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى عن قتيبة زاد مسلم

ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث جمعهما مسلم والترمذى وفرقهما النسائى واقتصر أحمد على الأول فوقع لنا بدلا عاليا .

● **الحديث الخامس والثلاثون :**

وبه إلى الليث عن نافع عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ نهى عن بيع حبل الحبلة هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائى عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا عن يحيى بن يحيى ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● **الحديث السادس والثلاثون :**

قرأت على أم الحسن التنوخية عن أبى الفضل بن أبى طاهر وهى آخر من حدث عنه مطلقا أخبرنا محمد بن عماد الحرانى فى كتابه وهو آخر من حدث عنه عن أبى القاسم هبة الله بن الحسين الحاسب وهو آخر من حدث عنه أخبرنا أبوالحسين أحمد بن المنقور البزار وهو آخر من حدث عنه السماع حدثنا أبوالقاسم عيسى بن على بن عيسى بن داود حدثنا عبدالله بن سليمان إملاء . . حدثنا عيسى بن حماد أخبرنا الليث عن سعيد المقبرى عن أبيه أن أبا هريرة قال إن رسول الله ﷺ قال لايحل لامرأة مسلمة تسافر مسيرة ليلة إلّا ومعها رجل ذو محرم منها .

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود عن قتيبة عن الليث وأخرجه ابن حبان فى صحيحه عن عمر بن محمد الهمدانى عن عيسى بن حماد فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه البخارى من رواية ابن أبى ذئب عن سعيد عن أبيه كذلك واختلف على مالك فيه فأخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى عنه عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة لم يقل عن أبيه وفى بعض النسخ عن أبيه وحكى أبو داود الاختلاف فيه والأكثر لم يقولوا عن أبيه .

● **الحديث السابع والثلاثون :**

قرأت على أبى محمد عمر بن أحمد بن سليمان البالسى ثم الصالحى بها عن زينب بنت أحمد بن عبدالرحيم المقدسية سماعا عن عبدالخالق بن الأنجب الماردينى أخبرنا أبوبكر وجيه بن طاهر الشحامى ح وأخبرنا عبدالرحمن بن محمد الفارقى إجازة عن أحمد بن ابن نعمة سماعا أخبرنا داود بن معمر بن الفاخر عموما قال قرىء على فاطمة بنت محمد البغدادية ونحن نسمع كلاهما عن أبى عثمان سعيد العيار سماعا أخبرنا أبومحمد الحسن ابن أحمد المجلدى حدثنا أبوالعباس محمد بن إسحق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن عقيل عن الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايشتمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن أخيه كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة هذا حديث صحيح أخرجه البخارى عن يحيى بن بكير عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى أربعتهم عن قتيبة عن الليث فوقع لنا موافقة عالية للجميع .

● **الحديث الثامن والثلاثون :**

وبه إلى السراج قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه قال لم أر رسول الله ﷺ يمسح من البيت إلا الركنين اليمانيين هذا حديث صحيح أخرجه البخارى وأبوداود جميعا عن أبى الوليد الطيالسى ومسلم عن يحيى بن يحيى كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه مسلم أيضا والنسائى عن قتيبة فوافقناهما فيه بعلو وهذا من الأمثلة التى قدمت الاشارة إليها فى آخر الترجمة أن الليث كان يحدث عن بعض شيوخه ثم يحدث عنه بواسطة فقد حدث فى هذا عن ابن شهاب وحدث فى الذى قبله عن عقيل عن الزهرى وهو ابن شهاب وكلا الحديثين صحيحان والله تعالى أعلم .

● **الحديث التاسع والثلاثون :**

وبه إلى السراج حدثنا قتيبة حدثنا الليث وبكر بن مضمر كلاهما عن ابن الهاد هو يزيد بن عبدالله بن أسامة عن محمد بن إبراهيم التيمى عن أبى سلمة بن عبدالرحمن بن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل كل يوم منه خمس مرات هل يبقى من درنه شىء قالوا لا يارسول الله قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والترمذى عن قتيبة بن سعيد فوقع لنا موافقة عالية .

● **الحديث الأربعون :**

قرأت على الشيخ أبى إسحق التنوخى أن أحمد بن أبى طالب أخبرهم سماعا أخبرنا عبدالله بن عمر أخبرنا أبوالوقت أخبرنا عبدالله الفارسى أخبرنا أبومحمد الشريحى أخبرنا أبوالقاسم البغوى حدثنا أبوالجهم الباهلى حدثنا الليث عن هشام بن عروة عن عروة عن المسور بن مخرمة أن سبيعة الأسلمية توفى عنها زوجها وهى حبلى فلم تلبث إلا ليالى حتى وضعت فلما حلت خطبت فاستأذنت رسول الله ﷺ فى النكاح حين وضعت فأذن لها فنكحت .

هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم من طريق مطولا ومختصرا من حديث سبيعة الأسلمية وأخرجه النسائى عن محمد بن وهب الحرانى عن محمد بن سلمة الحرانى عن أبى عبدالرحمن خالد بن يزيد الحرانى عن زيد بن أبى أنيسة عن يزيد بن أبى حبيب عن الزهرى عن عبدالله بن عبدالله بن عبيد عن زفر بن أوس بن الحدثان عن أبى السنابل عن سبيعة وباعتبار العدد كأن شيخا سمعه من النسائى وصافحه وبين وفاتيهما أربعمائة سنة إلاّ يسيرا وهذا فى غاية العلو أنشدنا العلامة أبو إسحق إبراهيم بن أحمد بن عبدالواحد فيما قرىء عليه ونحن نسمع عن الشهاب أبى الثناء محمود بن سليمان قال أنشدنا العلامة مجد الدين محمد بن أحمد بن الظهير لنفسه .

أهل الحديث فلذ بهم   أعلى الورى قدراً وأغلى

نقلوا لنا سنن الرسول وأحسنوا عدلا فعدلا
جابوا لسعيهم لذا لك حسبة حزنا وسهلا
وسروا كما تسرى النجوم فأرشدوا من كان ضلا
آيات فضلهم المبين بألْسُن الحساد تتلى

الامام الشافعى

وعنايته بالسنة

ومن كتب السنة التى وصلت إلينا ، مما صنف فى هذا العهد « مسند » الامام الشافعى رحمه الله تعالى . وقبل أن نوضح عناية الامام الشافعى بالسنة نعرف به ، فهو أبوعبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافى بن السائب يلتقى نسبه مع رسول الله ﷺ فى عبد مناف ولد بغزة سنة خمسين ومائة ١٥٠هـ ، وتوفى والده وهو صغير ، فنقلته والدته إلى مكة المكرمة وهو ابن سنتين .

وفى مكـة المكرمة قرأ القرآن الكريم وأقام فى هذيل نحوا من عشر سنين فتعلم منهم اللغة والشعر وأخذ الفقه والحديث عن مسلم بن خالد الزنجى مفتى مكة وغيره من الأئمة .

وفى المدينة المنورة أخذ العلم عن الامام مالك ، وقرأ عليه الموطأ ، كما أخذ عن إبراهيم بن أبى يحيى ، ولم يلبث أن ذاع صيته وصار يقصده الناس من كل مكان ، جلس أحمد بن حنبل مرة معه ، فجاء أحد إخوانه يعتب عليه تركه مجلس ابن عيينة شيخ الشافعى وجلوسه إلى هذا الأعرابى فقال له أحمد : اسكت إنك إن فاتك حديث بعلو وجدته بنزول وإن فاتك عقل هذا أخاف ألا تجده ، مارأيت أحدا أفقه بكتاب الله من هذا الفتى .

وقد تولى الحكم بنجران من أرض اليمن ، وعاد إلى مكة ثم قدم العراق ثم رجع إلى مكة وفى سنة ثمان وتسعين ومائة رحل إلى العراق للمرة الثالثة وفى أواخر سنة تسع وتسعين ومائة انتقل إلى مصر فأقام بها إلى أن توفى سنة ٢٠٤هـ أربع ومائتين .

وفى مصر كان مذهبه الجديد ، وكانت مصنفاته الخالدة التى رواها عنه تلاميذه « كالأم » و« الرسالة » وكتاب « السنن » وكانت له عنايته الفائقة بالسنة حتى غلب على متبعى مذهبه لقب « أصحاب الحديث » وكان أهل بغداد يطلقون عليه « ناصر السنة » .

وكان ينهى عن ترك الكتاب والسنة إلى غيرهما من آراء الناس وأهوائهم يقول : لو علم الناس مافى الكلام من الأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد .

ونظرته إلى أهل الحديث تشير إلى منزلتهم وأهميتهم فهو يقول : إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ جزاهم الله خيرا حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل ، ومن شعره فى ذلك :

---

(١) مناهج المحدثين د . أحمد عمر هاشم .

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث والا الفقه فى الدين
العلم ماكان فيه « قال حدثنا » ... وماسوى ذاك وسواس الشياطين

● **نشأته وطلبه للعلم ونبوغه**

حدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبدالله بن الزبير : أنه خرج إلى اليمن فلقى محمد ابن إدريس الشافعى وهو مستحض فى طلب الشعر والنحو والغريب ، قال فقلت له إلى كم هذا . . لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك ، وانصرفت به معى إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به ، قال فما ترك من العلم عند مالك بن أنس إلا القليل ولا شيئا عند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه ، ثم شخص إلى العراق فانقط إلى محمد بن الحسن فحمل عنه ثم جاء إلى المدينة بعد سنين .

قال فخرجت به إلى مكة فكلمت له ابن داود وعرفته حاله الذى صار إليه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وحدث الأبرى أبوالحسن محمد بن الحسن بن إبراهيم بن عاصم الآبرى السجزى قال : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد بن المولد الشرقى يحكى عن زكريا بن يحيى البصرى عن زكريا النيسابورى كلاهما عن الربيع بن سليمان وبعضهم يزيد على بعض فى الحكاية قال :

سمعت الشافعى يقول : كنت وأنا فى الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبى الآية فأحفظها أنا ، ولقد كنت ـ قبل أن يفرغ المعلم من الاملاء ـ قد حفظت جميع ماأملى ، فقال لى ذات يوم : مايحل لى أن آخذ منك شيئا . فقال : ثم لما خرجت من الكتاب كنت أتلقط الخزف والدفوف وكرب النخل وأكتاف الجمال أكتب فيها الحديث وأجىء إلى الدواوين فاستوهب منها الظهور فأكتب فيها حتى كانت لأمى حباب فملأتها أكتافا وخزفا وكربا مملوءة حديثا ، ثم إنى خرجت عن مكة فلزمت هذيلا فى البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب .

قال : فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار ، وأيام العرب ، فمر بى رجل من الزبيريين من بنى عمى فقال لى ، ياأبا عبدالله عز على ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه ، فتكون قد سدت أهل زمانك ، فقلت : عمن بقى نقصد ؟ فقال لى : مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ ، قال : فوقع فى قلبى فعمدت إلى الموطأ فاستعرته من رجل بمكة فحفظته فى تسع ليال ظاهرا قال : ثم دخلت إلى والى مكة وأخذت كتابه إلى والى المدينة ، وإلى مالك بن أنس قال : فقدمت المدينة فأبلغت الكتاب إلى الوالى .

فما أن قرأ قال : يافتى إن مشيى من جوف المدينة إلى جوف مكة حافيا راجلا أهون على من المشى إلى باب مالك بن أنس ، فلست أرى الذل حتى أقف على بابه ، فقلت : أصلح الله الأمير

ـ إن رأى الأمير أنه يوجه إليه ليحضر ، فقال : هيهات ، ليت أنى إذا ركبت أنا ومن معى وأصابنا من تراب العقيق فلنا بعض حاجتنا. قال: فواعدته العصر وركبنا جميعا، فوالله لكان كما قلنا فلقد أصابنا من تراب العقيق ، قال : فتقدم رجل فقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير : قولى لمولاكِ إنى بالباب قال : فدخلت فأبطأت ثم خرجت فقالت : إن مولاى يقرؤك السلام ويقول إن كانت مسألة فارفعها فى رقعة يخرج إليك الجواب . وأن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف .

فقال لها : قولى له إن معى كتابا من والى مكة إليه فى حاجة مهمة . قال : فدخلت وخرجت وفى يدها كرسى فوضعته ، ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار . وهو شيخ طويل مسنون اللحية فجلس وهو متطلس فرفع إليه الوالى الكتاب ، فبلغ الى هذا « إن هذا رجل من أمره وحاله فتحدثه وتفعل وتصنع » فرمى بالكتاب من يده ثم قال : سبحان الله . . أو صار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل . قال : فرأيت الوالى وقد تهيبه أن يكلمه فتقدمت إليه وقلت : أصلحك الله إنى رجل مطلبى ومن حالى وقصتى ، فلما أن سمع كلامى نظر إلى ساعة وكانت لمالك فراسة فقال لى : ماسمك ؟ قلت محمد ، فقال لى يامحمد : اتق الله واجتنب المعاصى ، فإنه سيكون لك شأن من الشأن ثم قال : نعم وكرامة ، إذا كان غدا تجىء ويجىء من يقرأ لك . قال : فقلت أنا أقوم بالقراءة .

قال فغدوت عليه وابتدأت أن أقرأه مظاهرا والكتاب فى يدى فكلما تهيبت مالك وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتى وإعرابى فيقول يافتى زد حتى قرأته فى أيام يسيرة ، ثم أقمت بالمدينة حتى توفى مالـك بن أنس ، ثم خرجت إلى اليمن فارتفـع لى بها الشأن وكان بها وال من قبل الرشيد ، وكان ظلوما غشوما وكنت ربما آخذ على يدي وأمنعه من الظلم .

قال : وكان باليمن تسعة من العلوية قد تحركوا ـ فكتب الوالى ـ وإنى أخاف أن يخرجوا وأن ههنا رجلا من ولد شافع المطلبى لا أمر لى معه ولانهى . قال : فكتب إليه هارون الرشيد : أن أحمل هؤلاء وأحمل الشافعى معهم . فقرنت معهم ، قال : فلما قدمنا على هارون الرشيد : أدخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن . قال فدعا هارون الرشيد بالنطع والسيف ، وضرب رقاب العلوية ، ثم التفت محمد بن الحسن فقال : ياأمير المؤمنين ، هذا المطلبى لايغلبنك بفصاحته فإنه رجل لسن ، فقلت : مهـلا ياأمير المؤمنين ، فإنك الداعى وأنا المدعو وأنت القادر على ماتريد منى ولست القادر على ماأريد منك .

ياأمير المؤمنين ، ماتقول . فى رجلين : أحدهما يرانى أخاه والآخر يرانى عبده ، أيهما أحب إلىّ ؟ قال : الذى يراك أخاه . قال : قلت فذاك أنت ياأمير المؤمنين . قال فقالى لى : كيف ذاك ؟ فقلت : ياأمـير المؤمنين ، إنكم ولد العباس ترونا إخوتكم وهم يرونا عبيدهم . قال : فسرى

ماكان به فاستوى جالسا فقال : ياابن ادريس : كيف علمك بالقران ؟ قلت : عن أى علومه تسألنى ؟ عن حفظه قد حفظته ووعيته بين جنبى وعرفت وقفه وابتداءه ، وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه ووحشيه وأنسيه وماخوطب به العام يراد به الخاص ، وماخوطب به الخاص يراد به العام . فقال لى : والله ياابن إدريس لقد ادعيت علما فكيف علمـك بالنجوم ؟ فقلت إنى لأعرف منها البرى من البحرى والسهلى والجبلى والفيلق والمصبح وماتحب معرفته . قال فكيف علمك بانساب العرب ؟ قال : فقلت إنى لأعرف أنساب اللئام وأنساب الكرام ونسبى نسب أمير المؤمنين .

قال : لقد ادعيت علما فهل من موعظة تعظ بها أمير المؤمنين ؟ قال : فذكرت موعظة لطاووس اليمانى فوعظته بها ، فبكى وأمر لى بخمسين ألفا وحملت على فرس وركبت من بين يديه وخرجت فما أن وصلت الباب حتى فرقت الخمسين ألفا على حجاب أمير المؤمنين وبوابيه . قال : فلحقنى هرثمة وكان صاحب هارون الرشيد . فقال : أقبل هذه منى . قال فقلت له : إنى لاآخذ العطية ممن هو دونى وإنما آخذها ممن هو فوقى . قال : وخرجت كما أنا حتى جئت منزلى فوجهت إلى كاتب محمد بن الحسن بمائة دينار وقلت : اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لى ووجه بها إلى . قال : فكتبت لى ووجه بها إلى .

● **جمعه لشتى العلوم**

حدث الربيع بن سليمان أنه قال : كان الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ يجلس فى حلقته إذا صلى الصبح ، فيجيئه أهل القرآن فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه ، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر ، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا ، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار ثم ينصرف ، رضى الله عنه .

وحديث محمد بن عبدالحكم قال : مارأيت مثل الشافعى كان أصحاب الحديث يجيئون إليه ويعرضون عليه غوامض علم الحديث ، وكان يوقفهم على أسرار لم يقفوا عليها فيقومون وهم متعجبون منه وأصحاب الفقة الموافقون ، والمخالفون لايقومون إلا وهم مذعنون له ، وأصحاب الأدب يعرضون عليه الشعر فيبين لهم معانيه . وكان يحفظ عشرة آلاف بيت لهذيل إعرابها ومعانيها ، وكان من أعرف الناس بالتواريخ ، وكان ملاك أمره إخلاص العمل لله تعالى .

وحدث محمد عبدالرحمن بن أبى حاتم الرازى قال : أخبرنا أبوالحسن عن عبدالرحمن عن أبى محمد ابن ابنة الشافعى . قال : سمعت الجاردوى أو عمى أو أبى أو كلهم عن مسلم بن خالد : أنه قال لمحمد بن إدريس الشافعى وهو ابن ثمان عشرة سنة : « أفت ياأبا عبدالله فقد آن لك أن تفتى » .

وقال الحميدى : كنا نريد أن نرد على أصحاب الرأى فلم نحسن كيف نرد عليهم ، حتى جاءنا الشافعى ففتح لنا .

وقال أبو إسماعيل الترمذى : سمعت إسحق بن راهويه يقول : كنا بمكة - والشافعى بها وأحمد بن حنبل بها - فقال لى أحمد بن حنبل : ياأبا يعقوب ، جالس هذا الرجل (يعنى الشافعى) قلت : ماأصنع به ، وسنه قريب من سننا ؟ أأترك ابن عيينة والمقرىء ؟ فقال : ويحك إن ذاك يفوت وذا لايفوت ، فجالسته .

وحدث أبوبكر بن إدريس عن الحميدى . قال خرجت مع الشافعى إلى مصر وكان هو ساكنا فى العلو ونحن فى الأوسط فربما خرجت فى بعض الليل ، فأرى المصباح فأصيح بالغلام فيسمع صوتى فيقول بحقى عليه ارق فأرقى ، فإذا قرطاس ودواة فأقول : مه ياأبا عبدالله ، فيقول : تفكرت فى معنى حديث - أو مسألة - فخفت أن يذهب على ، فأمرت بالمصباح وكتبته .

وحـدث محمد بن يحيى بن حسام قال : سمعت أحمد بن حنبل قال : « كان - محمد بن ادريس الشافعى - أفقه الناس ، فى كتاب الله « عز وجل » وفى سنة رسول الله ﷺ ماكان يكفيه قليل الطلب فى الحديث .

وحدث محمد بن الفضل البزار قال سمعت أبى يقول : حججت مع أحمد بن حنبل ، ونزلت فى مكان واحد معه أو فى دار « يعنى بمكة » وخرج أبوعبدالله « أحمد بن حنبل » باكرا ، وخرجت أنا بعده ، فلما صليت الصبح ، درت المسجد ، فجئت إلى مجلس سفيان بن عيينة وكنت أدور مجلسا مجلسا ، طلبا لأبى عبدالله « أحمد بن حنبل » حتى وجدت أحمد بن حنبل ، فقلت : ياأبا عبدالله تركت ابن عيينة وعنده من الزهرى وعمرو بن دينار وزياد بن علاقة والتابعين - ماالله به عليم ؟ فقال لى : اسكت ، فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزول - لايضرك فى دينك ولا فى عقلك ، وإن فاتك أمر هذا الفتى ، أخاف أن لاتجده إلى يوم القيامة . مارأيت أحدا أفقه فى كتاب الله من هذا الفتى القرشى ، قلت : من هذا : قال : محمد بن إدريس الشافعى .

● **تواضعه وخضوعه للحق**

قال الحسن بن عبدالعزيز الجروى « شيخ البخارى » المصرى قال الشافعى :

ما ناظرت أحدا فأحببت أن يخطىء ، ومافى قلبى من علم إلا وددت أنه عند كل أحد ولاينسب إلى .

وأخبر الربيع قال : سمعت الشافعى ودخلت عليه وهو مريض ، فذكر ماوضع من كتبه ، فقال لوددت أن الخلق تعلمه ولم ينسب إلى منه شىء أبدا .

ومن أقواله رحمه الله تعالى :

وددت أن كل علم أعلمه تعلمه الناس أوجر عليه ولايحمدونى .

كل ماقلت لكم ـ فلم تشهد عليه عقولكم وتراه حقا فلا تقبلوه ، فإن العقل مضطر إلى قبول الحق . ماناظرت أحدا إلا على النصيحة .

● **ورعه وعبادته**

وحدث الربيع المرادى المصرى قال : كان الشافعى يختم القرآن فى شهر رمضان ستين مرة ، كل ذلك فى صلاة .

وحدث الربيع بن سليمان قال : قال الشافعى : ماشبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها لأن الشبع يثقل البدن ، ويقسى القلب ، ويزيل الفطنة ، ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة .

● **سخاء الشافعى**

وحدث محمد بن عبدالله المصرى قال : كان الشافعى أسخى الناس بما يجد .

وقال عمرو بن سواد السرجى : كان الشافعى أسخى الناس عن الدنيا والدرهم والطعام ، فقال لى الشافعى : أفلست فى عمرى ثلاث إفلاسات ، كنت أبيع قليلى وكثيرى ، حتى حلى ابنتى وزوجتى ولم أرهن قط .

وقال محمد البستى السجستانى نزيل مكة : « كان الشافعى قلما يمسك الشىء من سماحته » .

● **فصاحته وشعره وبلاغته وشهادة العلماء له**

حدث الربيع بين سليمان قال : سمعت عبدالملك بن هشام النحوى صاحب المغازى يقول : « الشافعى ممن تؤخذ عنه اللغة » . وقال أحمد بن حنبل : كان الشافعى « من أفصح الناس ، وكان مالك تعجبه قراءته لأنه كان فصيحا » .

وحدث أبوعبيد القاسم بن سلام قال : كان الشافعى ممن يؤخذ عنه اللغة « أو من أهل اللغة » .

وقال الربيع بن سليمان « كان الشافعى عربى النفس عربى اللسان » .

وقال أحمد بن أبى سريع « مارأيت أحدا أفوه ، ولاأنطق من الشافعى » .

وحدث أبو نعيم الاسترابادى ، سمعت الربيع يقول : لو رأيت الشافعى وحسن بيانه وفصاحته ـ لعجبت منه ولو أنه ألف هذه الكتب على عربيته ـ التى كان يتكلم بها معنا فى المناظرة ـ لم يقدر على قراءة كتبه لفصاحته وغرائب ألفاظه ـ غير أنه كان فى تأليفه يجتهد فى أن يوضح للعوام » .

وقـال أحمد بن سريع « مارأيت أحدا أفوه ، ولاأنطق منه فلم أر أحسن تأليفا من المطلبى « الشافعى » كأن كلامه ينظم درا إلى در » .

وقال الامام أحمد : « مامس أحد محبرة ولاقلما إلا وللشافعى فى عنقه منة » .

وقال الذهبى : كان حافظا للحديث بصيرا بعلله ، لايقبل منه إلا ماثبت عنده ولو طال عمره لازداد منه .

● **وفاته رحمه الله تعالى بمصر بالفسطاط سنة ٢٠٤ هـ**

حدث المزنى قال : دخلت على الشافعى فى مرضه الذى مات فيه فقلت : كيف أصبحت ؟

قال أصبحت عن الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولكأس المنية شاربا وعلى الله جل ذكره واردا ، ولا والله ماأدرى روحى تصير إلى الجنة أو إلى النار ، فأعزيها ، ثم بكى وأنشد :

فلما قســا قلبــى وضــاقــت مذاهــبــى   جعــلت رجــائــى نحــو عفــوك سلما

قال الربيع بن سليمان : « توفى الشافعى ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة ـ بعد ماحل المغرب ـ آخر يوم من رجب ودفناه يوم الجمعة فانصرفنا فرأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين » .

وحدث الربيع : كنا جلوسا فى حلقة الشافعى بعد موته بيسير فوقف علينا أعرابى فسلم . ثم قال أين قمر هذه الحلقة وشمسها ؟ فقلنا توفى ـ رحمه الله تعالى ـ فبكى بكاء شديدا ، ثم قال : رحمه الله تعالى وغفر له . فلقد كان يفتح ببيانه مغلق الحجة ويسد فى وجه خصمه واضح المحجة ويغسل من العار وجوها مسودة ويوسع بالرأى أبوابا منسدةثم انصرف .

وقال ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان : « وقد أجمع العلماء قاطبة من أهل المدينة والفقة والأصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدله وزهده وورعه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه » .

ولما مات رحمه الله تعالى رثاه خلق كثير نكتفى بذكر واحد منهم محمد بن دريد .

ألم تر آثـار ابـن ادريس بعـده	دلائـلهـا فى المـشـكـلات لوامـع
معـالم يفـنى الـدهـر وهـى خوالـد	وتـنـخـفض الأعـلام وهـى فوارع
منـاهـج فيـهـا للهـدى متصرف	موارد فيـهـا للرشـاد شرائـع
ظواهـرهـا حكم ومـسـتبـطناتهـا	لما حكـم الـتـفـريق فيـه جوامـع
لرأى ابـن إدريس ابـن عم محمـد	ضيـاء إذا ماأظـلم الخـطب ساطـع
إذا المفـظعـات المشكـلات تشـابهت	سما منـه نور فى دجـاهـن لامـع
أبـى الله إلا رفـعـه وعـلوه	ولـيس لما يعـليـه ذو العـرش واضـع

توخى الهدى واستنقذته يد التقى … من الزيغ إن الزيغ للمرء صارع

ولاذ بآثار الرسول فحكمه … لحكم رسول الله فى الناس تابع

وعول فى أحكامه وقضائه … على ماقضى فى الوحى والحق ناصع

تسربل بالتقوى وليدا وناشئا … وخص يلب الكهل مذ هو يافع

وهذب حتى لم تشر بفضيلة … إذا التمست إلا إليه الأصابع

فمن يك علم الشافعى أمامه … فمرتعه فى ساحة العلم واسع

سلام على قبر تضمن جسمه … وجادت عليه المدجنات الهوامع

لئن فجعتنا الحادثات بشخصه … لهن لما حكمن فيه فواجع

فأحكامه فينا بدور زواهر … وآثاره فينا نجوم طوالع [1]

(١) من ديوان الشافعى تحقيق الأستاذ محمد عفيفى بتصرف .

نماذج من أشعاره

فى حسن الخلق

شعر هذا الباب يتحدث عن الأخلاق الحسنة ، وهى تعكس السماحة وجو الكرامة وهى تحوى حكما نافعة ، وجواهر غالية تفتح البصر والبصيرة ، وتدفع بالإنسان إلى التصرف السليم فى مواقف كثيرة .

● كتمان الأسرار

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذى يستودع السر أضيق

● حمل النفس على مايزينها

صن النفس واحملها على مايزينها ... تعش سالما والقول فيك جميل
ولاتولين الناس إلا تجملا ... نبا بك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد ... عسى نكبات الدهر عنك تزول
ولاخير فى ود امرىء متلون ... إذ الريح مالت ، مال حيث تميل
وماأكثر الاخوان حين تعدهم ... ولكنهم فى النائبات قليل

● تعريف الفقيه والرئيس والغنى

إن الفقيه هو الفقيه بفعله ... ليس الفقيه بنطقه ومقاله
وكذا الرئيس هو الرئيس بخلقه ... ليس الرئيس بقومه ورجاله
وكذا الغنى هو الغنى بحاله ... ليس الغنى بملكه وبماله

● القناعة

رأيت القناعة رأس الغنى ... فصرت بأذيالها مُتمسِكْ
فلا ذا يرانى على بابه ... ولا ذا يرانى بالمتُهمِكْ
فصرت غنيا بلا درهم ... أمر على الناس شبه الملك

● مكارم الاخلاق

لما عفوت ولم أحقد على أحد … أرحت نفسى من هم العداوات
إنى أحيى عدوى عند رؤيته … لأدفع الشر عنى بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه … كمثل مَنْ قد حشى قلبى محبات
الناس داء وداء الناس قربهم … وفى اعتزالهم قطع المودات

● تأتى العزة بالقناعة

أمت مطامعى فارحت نفسى … فإن النفس ماطمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا … ففى إحيائه عرض مصون
إذا طمع يحل بقلب عبد … علته مهانة وعلاه هون

● الاعراض عن الجاهل

أعرض عن الجاهل السفيه … فكل ماقال فهو فيه
قد خاض بحر الفرات يوما … إن خاض بعض الكلاب فيه

كتب إلى البويطى وهو فى السجن : حسن خلقك مع الغرباء ووطن نفسك لهم فإنى كثيرا ماسمعت الشافعى يقول :

أهين لهم نفسى وأكرمهم بهم … ولاتكرم النفس التى لاتهينها

● توقير الرجال

ومن هاب الرجال تهيبوه … ومن حقر الرجال فلن يهابا
ومن قضت الرجال له حقوقا … ومن يعص الرجال فما أصابا

● السماحة وحسن الخلق

إذا سبنى نذل تزايدت رفعة … ومالعيب إلا أن أكون مسابيه
ولو لم تكن نفسى على عزيزة … لمكنتها من كل نذل تحاربه
ولو أننى أسعى لنفعى وجدتنى … كثير التوانى للذى أنا طالبه
ولكننى أسعى لأنفع صاحبى … وعار على الشبعان إن جاع صاحبه

* * *

يخاطبنى السفيه بكل قبح … فاكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلما … كعود زاده الإحراق طيبا

● الفضل

أرى الغر فى الدنيا إذا كان فاضلا … ترقى على روس الرجال ويخطب
وإن كان مثلى لافضيلة عنده … يقاس بطفل فى الشوارع يلعب

● الزهد ومصير الظالمين

بلوت بنى الدنيا فلم أر فيهم … سوى من غدا والبخل ملء إهابه

فجردت من غمد القناعة صارما … قطعت رجائى منهم بذبابه

فلا ذا يرانى واقفا فى طريقه … ولا ذا يرانى قاعدا عند بابه

غنى بلا مال عن الناس كلهم … وليس الغنى إلا عن الشىء لا به

إذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا … ولج عتوا فى قبيح اكتسابه

فكله إلى صرف الليالى فإنها … ستدعى له مالم يكن فى حسابه

فكم قد رأينا ظالما متمردا … يرى النجم تيها تحت ظل ركابه

فعما قليل وهو فى غفلاته … أناخت صروف الحادثات ببابه

فأصبح لا مال ولاشىء يرتجى … ولا حسنات تلتقى فى كتابه

وجوزى بالأمر الذى كان فاعلا … وصب عليه الله سوط عذابه

● السكوت سلامة

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم … إن الجواب لباب الشر مفتاح

والصمت عن جاهل أو أحمق شرف … وفيه أيضا لصون العرض إصلاح

أما ترى الأسد تخشى وهى صامتة … والكلب يخشى لعمرى وهو نباح

● الصمت خير من حشو الكلام

لاخير فى حشو الكلام … إذا اهتديت إلى عيونه

والصمت أجمل بالفتى … من منطق فى غير حينه

وعلى الفتى لطباعه … سمة تلوح على جبينه

● فضل السكوت

وجدت سكوتى متجرا فلزمته … إذا لم أجد ربحا فلست بخاسر

وما الصمت إلا فى الرجال متاجر … وتاجره يعلو على كل تاجر

ومما تمثل به الإمام :

إذا نطق السفيه فلا تجبه … فخير من إجابته السكوت

فإن كلمته فرجت عنه … وإن خليته كمدا يموت

وكتابه « الأم » جمعه صاحبه البويطى وبوبه الربيع بن سليمان وهو يشمل أبواب الفقه كلها ، وأما كتاب الرسالة فهو أول كتاب ألف فى أصول الفقه وأصول الحديث .

ويعتبر الامام الشافعى أول من ألف فى أصول السنة ، وقوانين الرواية ومهد للعلماء من بعده طريقة التأليف والتدوين فى علوم السنة . والإمام الشافعى فى مقدمة المحدثين الذين يرون صحة

الحديث برواية الثقة ولو كان الراوى واحدا ، وساق الأدلة على حجية خبر الواحد على المخالفين فى كتابيه « الأم » و« الرسالة » .

ولايحتج الإمام الشافعى بالأحاديث المرسلة أخذا بالأحوط وخالف فى ذلك الكثير من العلماء قبله .

ولكنه نص على أن الأحاديث المرسلة التى أرسلها سعيد بن المسيب حسنة لأنه تتبعها فوجدها مسندة ، كما يرى أن مراسيل كبار التابعين حجة إن جاءت من وجه آخر ولو مرسلة ، أو اعتضدت بقول صحابى أو أكثر العلماء ، أو كان المرسل لو سمى لايسمى إلا ثقة ، فحينئذ يكون مرسله حجة ولاينهض إلى رتبة المتصل . وأما مراسيل غير كبار التابعين فلا يحتج بها ، هكذا كانت موازينه العلمية الدقيقة . وعنايته بسنة رسول الله ﷺ .

وصية الشافعى

وروى الشيخ الحافظ أبو محمد عبدالغنى بن عبدالواحد بن على المقدسى عن أبى منصور محمد بن على بن صباح البلدانى قال : هذه وصية الامام الشافعى رضى الله عنه أوصى بها إلى أصحابه : أن يشهدوا أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، لانفرق بين أحد من رسله ، وأن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لاشريك له وبذلك أمرت ، وأنا من المسلمين . وأن الله يبعث من فى القبور ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، وان عذاب النار حق ، وأن الحساب حق ، والميزان والصراط حق ، والله عز وجل يجزى العباد بأعمالهم ، عليه أحيا وعليه أموت ، وعليه أبعث إن شاء الله تعالى ، وأشهد أن الايمان قول وعمل ومعرفة القلب ، يزيد وينقص وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأن الله تعالى يرى فى الآخرة ينظر إليه المؤمنون عيانا جهارا ، ويسمعون كلامه ، وأنه فوق عرشه . وأن القدر خيره وشره من الله عز وجل ، لايكون إلا ماأراد الله وقضاه وقدره وإن خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبوبكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وأتولاهم ، وأستغفر لهم ولأهل الجمل وصفين ، القاتلين والمقتولين ، وجميع أصحاب النبى ﷺ ، والسمع لأولى الأمر مادامـوا يصلون ، والموالاة لهم ، ولايخرج عليهم بالسيف ، والخلافة فى قريش وأن قليل ماأسكر كثيره خمر ، والمتعة حرام ، وأوصى بتقوى الله عز وجل ولزوم السنة والآثار عن رسول الله ﷺ وأصحابه ، وترك البدع والأهواء واجتنابها ، فاتقوا الله مااستطعتم ، وعليكم بالجمعة والجماعة ولزوم السنة ، والإيمان والتفقه فى الدين ، من حضرنى منكم فليلقنى : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله .

وتعاهدوا الأظفار والشارب ، وإذا احتضرت فإن كانت عندي حائض فلتقم وأن تطيبوا وتدهنوا .

هذه وصية الامام الشافعى رضى الله عنه .

وروى الشيخ الزاهد : أبوالحسن على بن أحمد بن يوسف الهكارى عن أبى شعيب وأبى ثور عن أبى محمد بن إدريس الشافعى قال : القول فى السنة التى أنا عليها ، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عليهم مثل سفيان بن عيينة ومالك وغيرهما ، الاقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وأشهد أن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، وأومن بجميع ماجاءت به الأنبياء ، وأعقد قلبى على ماظهر من لسانى ، ولاشك فى إيمانى ولا أكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب وإن عمل الكبائر ، وأكلهم إلى الله عز وجل وقدره وإرادته خيره وشره جميعا ، وهما مخلوقان مقدران على العباد من الله عز وجل ، من شاء الله أن يكفر يكفر ، ومن شاء أن يؤمن آمن ، ولم يرض الله عنه وجل بالشر ولا يأمر به ولايحبه ، بل يأمر بالطاعة وأحبها ورضيها ، ولاأنزل المحسن من أمة محمد الجنة باحسانه ، ولا المسىء باساءته النار ، خلق الخلق على ماأراد فكل ميسر لما خلق كما جاء فى الحديث ، وأعرف حق السلف الذين اختارهم الله تعالى بصحبة نبيه ﷺ والأخذ بفضائلهم ، وأمسك عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم . وأقدم أبابكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم ، فهم الخلفاء الراشدون ، وأعقد قلبى ولسانى على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق .

والكلام فى اللفظ والوقف بدعة ، والايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، وأومن برؤية الله تعالى فى الآخرة كما جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ ولما سمعت الله تعالى يقول فى كتابه العزيز عن الكفار : « كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُون » . . دل على أنهم فى حال الرضا عن المؤمنين غير محجوبين ينظرون إليه لايضامون فى رؤيته ، والشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ وأن المسح على الخفين فى الحضر والسفر جائز . . والجهاد مع كل بر وفاجر ، وصلاة العيدين والجمعة إلى يوم القيامة والبيع والشراء على حكم الكتاب والسنة ، والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح .

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة .

أحيانا الله وأماتنا عليها ، وجنبنا البدع ما ظهر منها وما بطن ، إنه جواد كريم ، ولا حول ولاقوة إلا الله العلى العظيم . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

المحدثون فى مصر والازهر
من القرن الثالث
حتى آخر القرن العاشر

المحدثون فى مصر والازهر
من القرن الثالث حتى
آخر القرن العاشر

يعتبر المحدثون والمؤرخون القرن الثالث العصر الذهبى لتدوين الحديث النبوى ، حيث أشرقت فيه أمهات الكتب والمراجع والمسانيد والصحاح الستة التى لم تدع من صحيح الحديث سوى القدر اليسير . .

فإذا ماجاء القرن الذى يليه ونهض فيه الأزهر الشريف ، وأشرق بحلقاته وأروقته ، واستقبل طلاب الحديث والعلم من سائر أنحاء العالم الإسلامى ،كان لهذه المراحل أهميتها الكبرى فى اثراء الحياة الإسلامية بالمصنفات ، وكان طبيعيا أن تضطلع مصر بدور مذكور مشكور فى مضمار تدوين السنة وحفظها وإحيائها ونهضتها ، خاصة إذا علمنا عراقتها فى هذا المجال من لدن عصر الصحابة الذين نزلوا فيها ونشروا الحديث والعلم فى كل أرجائها ، وإذا علمنا أيضا نهضة الأزهر الكبرى التى أشرقت على العالم بأسره نشرا للإسلام والحديث وسائر العلوم .

ومن أعلام
المحدثين فى هذا العهد

الامام النسائى

● نسبه ونشأته :

هو[1] أبوعبدالرحمن أحمد بن على بن شعيب بن على بن بحر النسائى الحافظ ، صاحب السنن الصغرى والكبرى .

---

(١) السنة علومها د. احمد عمر هاشم.

ولد بنساء ـ من بلاد خراسان ـ سنة خمس عشرة ومائتين ، وقيل أربع عشرة ومائتين ونشأ محبا للعلم ، فطوف بكثير من الأقطار الإسلامية ، ورحل إلى قتيبة وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقال : أقمت عنده سنة وشهرين ، واستطاع بجهوده المخلصة للعلم ، وبما منحه الله تعالى من مواهب فطرية أن يحتل مكانة سامية فى الحفظ والضبط والاتقان والدقة العالية ، والتحرى الشديد حتى قال فيه أبو على الحافظ النيسابورى : للنسائى شرط فى الرجال أشد من شرط مسلم .

وجمع النسائى بين العلم والعمل ، فكان يجتهد فى العبادة ليلا ونهارا ويكثر من العبادة حتى قيل : أنه كان يصوم يوما ويفطر يوما ، كما كان مواظبا على الحج والجهاد شجاعا متمرسا على أساليب الحرب ، خرج مع أمير مصر غازيا ، فوصفوا من شهامته وشجاعته وإقامته السنن المأثورة فى فداء المسلمين واحترازه من مجالس الأمير الذى معه الشيء الكثير الذى يشهد بمكانته وعظمته .

● **واستوطن النسائى مصر** ، وأقام بزقاق القناديل ، قال الحاكم : كان النسائى أفقه مشايخ مصر فى عصره ، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار ، وأعرفهم بالرجال .

● **حياته العلمية**

كان النسائى محبا للعلم والعلماء شغوفا بالمعرفة والتحصيل، وما إن بلغ الخامسة عشرة إلا ورحل إلى العلماء فى بلاد كثيرة ، فرحل إلى قتيبة بن سعيد البلخى ، ومكث عنده سنة وشهرين وأخذ عنه الحديث وشارك فى السماع منه أئمة الحديث كالبخارى ومسلم وأبى داود ورحل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر والجزيرة ، وضم ماسمعه من علماء بلده إلى ماسمعه من علماء هذه الأمصار ، فجمع ثروة علمية هائلة . وبرع فى الحديث حتى قيل أنه أحفظ من مسلم بن الحجاج وقدم مصر ، وطاب له المقام بها فأقام طويلا ، وظل يمارس نشاطه العلمى بها ، وأخذ عنه الناس ثم خرج من مصر قبيل وفاته سنة ٣٠٢ ، وتوجه إلى دمشق .

● **شيوخه وتلاميذه :**

ومن شيوخه الذين تلقى عنهم ونهل من مواردهم : قتيبة بن سعيد وإسحق بن إبراهيم بن راهويه ، وحميد بن مسعدة ، وعلى بن خشرم ، ومحمد بن عبدالأعلى ، والحارث بن مسكين ، وهناد بن السرى ، ومحمد بن بشار ، ومحمود بن غيلان ، وأبو داود السجستانى والترمذى صاحب الجامع ، وهشام بن عمار ، ومحمد بن النظر المروزى ، وأبو كريب ، وسويد بن نصر .

ومن تلاميذه : الذين أخذوا عنه الحديث وتلقوا منه : أبويسر الدولابى وأبو القاسم الطبرانى صاحب المعاجم الثلاثة ، وأبو جعفر الطحاوى ، ومحمد بن هارون بن شعيب ، وأبو الميمون بن راشد ، وإبراهيم بن محمد بن صالح بن سنان ، وأبو على الحسين بن محمد النيسابورى ، وحمزة الكنانى ، وأبوبكر أحمد بن إسحق السنى الحافظ ، وهو راوية السنن وغيرهم [1] وكان الامام

---

(١) تذكرة الحافظ حـ ٢ ص ٢٤.

النسائى إلى جانب مكانته العلمية فى السنة وعلومها فقيها ، ظاهر الاجتهاد.ومما يدل على خبرته وعمقه فى هذا الجانب انتقاؤه للتراجم ومختاراته من الأحاديث حتى قال فيه الدار قطنى : « كان أفقه مشايخ عصره فى مصر . وأعلمهم بالحديث والرجال » وقال الحاكم أبو عبدالله : أما كلام أبى عبدالرحمن على فقه الحديث فأكثر من أن نذكر ، ومن نظر فى كتابه « السنن » تحير فى حسن كلامه .

● ومن مؤلفاته :

١ـ السنن الكبرى .

٢ـ السنن الصغرى المسماة « المجتبى » .

٣ـ الخصائص .

٤ـ فضائل الصحابة .

٥ـ المناسك .

واتهم النسائى بالتشيع ، وربما كان أساس هذا الاتهام أنه ألف كتاب الخصائص فى فضل على وآل البيت .

وأرى أن النسائى براء من هذه التهمة ، أما الباعث له على تأليف كتاب الخصائص فهو ماذكره فى إجابته على بعض السائلين ، فقد قيل له : كيف تركت تصنيف فضائل الشيخين ؟ فقال : « دخلت إلى دمشق . والمنحرف عن على رضى الله عنه كثير فصنفت كتاب الخصائص رجاء أن يهديهم الله تعالى » ثم صنف بعد ذلك فضائل الصحابة رضى الله عنهم [(١)] .

وقال محمد بن إسحاق الأصبهانى : سمعت مشايخنا بمصر يقولون : أن أبا عبدالرحمن فارق مصر فى آخر عمره ، وخرج إلى دمشق ، فسئل عن معاوية وماروى من فضائله فقال : أما يرضى معاوية أن يخرج رأسا برأس حتى يفضل ؟ وفى رواية أخرى : ماأعرف له فضيلة ، ولعلهم كانوا يرغبون أن يؤلف فى فضائل معاوية ، فلما كان جوابه هكذا كان ذلك سببا فيما لاقاه من محنة ، وقال الحافظ أبوالحسن الدارقطنى : لما امتحن النسائى بدمشق قال : احملونى إلى مكة ، فحمل إليها ، فتوفى بها .

وقد شهد للنسائى كثير من العلماء بالثقة والحفظ وعرفوا له مكانته العلمية,قال الدارقطنى : كان أبوبكر بن الحداد الفقيه كثير الحديث ، ولم يحدث عن أحد غير أبى عبدالرحمن النسائى فقط ، قال : رضيت به حجة بينى وبين الله تعالى [(٢)] .

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكى حـ ٣ ص ١٥.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر حـ ١ ص ١٣٨.

وقال ابن خلكان : توفى يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة بمكة حرسها الله تعالى .

وقيل : توفى بالرملة من أرض فلسطين .

والراجح انه توفى بالرملة ـ بلدة بفلسطين، وصوب الذهبى هذا الرأى ، وجزم به ابن يونس وممن قال بوفاته بفلسطين : أبوجعفر الطحاوى وأبوبكر بن نقطة رحمهم الله (١) .

وبعد هذه الجولة الطيبة فى حياة هذا الامام الجليل نرى أنها قد ألقت أضواء مشرقة على أهم مناحى العظمة فى حياته العلمية ، وكتابه « المجتبى » قد اختصره من كتابه « السنن الكبرى » و« المجتبى » كله صحيح عنده ودرجته بعد الصحيحين وهو مقدم على سنن أبى داود ، وسنن الترمذى وسنن ابن ماجه ، لأنه أقل منها حديثا ضعيفا ورجلا مجروحا ، وعدة أحاديث المجتبى **٥٧٦١** حديثا .

---

(١) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٥ ، البداية والنهاية جـ ١١ ص ١٢٤.

ابن الحداد

من المحـدثين المصريين الحافظ أبوبكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكناني المصرى شافعى المذهب عرف باشتغاله بالحديث وكثرة عبادته وقد تلقى العلم على كثير من شيوخ عصره منهم أبو يزيد القراطيسى ومحمد بن جعفر بن الامام ولزم المحدث الكبير أبا عبدالرحمن النسائى .

ومن العلوم التى أتقنها علم الحديث والرجال والكُنى واختلاف العلماء وعلم القراءات والنحو والتاريخ .

وكان مشهورا بعبادته وكثرة صيامه يصوم يوما ويفطر يوما .

ومن مصنفاته « كتاب القضاء » فى أربعين جزءا .

« وكتاب الفرائض » فى نحو مائة جزء .

وقـد انتقل إلى جوار ربه عند قدومه من أداء فريضة الحج سنة أربع وأربعين وثلاث مائة ٣٤٤هـ بعد أن عاش ثمانين عاما كانت تمثل حياته المشرقة الحافلة بخدمة الحديث والعلم والقضاء .

حمزة بن محمد بن على بن العباس

ومن محدثى الديار المصرية الحافظ أبوالقاسم الكنانى المصرى حمزة بن محمد بن على بن العباس .

أخذ العلم على كبار علماء عصره وأئمة زمانه فقد تتلمذ على عبدالرحمن النسائى وأبى يعلى الموصلى وعمران بن موسى بن حميد الطبيب . وطوف فى كثير من الأقطار طلبا للعلم .

قال عنه الذهبى: أكثر التطواف وجمع وصنف وكما أخذ العلم فى رحلاته عن الشيوخ فقد كان يأخذ عنه العلم كثير من التلاميذ أمثال ابن منده ، وأبى الحسن الدارقطنى .

قال عنه الحاكم وحمزة المصرى على تقدمه فى معرفة الحديث كان أحد من يذكر بالزهد والورع والعبادة .

وقال عنه الحافظ عبدالغنى : كل شيء لحمزة فى سنة خمس . ولد سنة خمس وسبعين ومائتين ، وأول ماسمع منه سنة خمس وتسعين ، ورحل سنة خمس وثلاث مائة .

وقال عنه الصورى : كان حمزة ثبتا حافظا .

وقال عنه ابن زولاق : حدثنى حمزة الحافظ قال رحلت سنة خمس ودخلت حلب وقاضيها أبو عبدالله محمد فكتبت عنه فكان يقول : لو عرفتك بمصر لملأت ركابيك ذهبا فيقال أنه أعطاه مائتى دينار ترحل بها إلى العراق .

قال أبوعمر بن عبدالبر : سمعت عبدالله بن محمد بن أسد سمعت حمزة الكنانى يقول خرجت حديثا واحدا عن النبى ﷺ من نحو مائتى طريق فداخلنى لذلك من الفرح غير قليل وأعجبت بذلك فرأيت يحيى بن معين فى المنام فقال :

يا أبا بكر خرجت حديثا من مائتى طريق فسكت عنى ساعة ثم قال :

أخشى أن يدخل هذا تحت « ألهاكم التكاثر » .

وقال ابن منده : سمعت حمزة بن محمد الحافظ يقول : كنت أكتب الحديث ولاأكتب « وسلم » فرأيت النبى ﷺ فى المنام فقال لى :

أما تختم الصلاة على فى كتابك .

وقال الذهبى : أنبأنى الخضر بن حمويه وطائفة عن القاسم بن عساكر أنا أبى أنا ابن الأكفانى أنا سهل بن بشر سمعت على بن عمر الحرانى سمعت حمزة بن محمد وجاءه ، غريب فقال :

عساكر المعز قد وصلوا إلى الإسكندريه فقال : اللهم لاتحينى حتى ترينى الرايات الصفر. فمات حمزة ودخل عسكرهم بعد موته بثلاثة أيام .

وهكذا عاش حياته الحافلة بخدمة السنة وبعبادة الله تعالى والقرب منه إلى أن توفى فى شهر ذى الحجة فى عام سبع وخمسين وثلاثمائة ٣٥٧هـ .

الامام عبدالغنى بن سعيد المصرى

ومن أئمة الحديث النبوى الذين أنجبتهم مصر الامام الحافظ أبومحمد عبدالغنى بن سعيد المصرى .

يرجع أصل قبيلته إلى اليمن ولذا يقال فى نسبته أيضا الأزدى .

ثم انتقلت قبيلته إلى مصر وفيها ولد عبدالغنى وعاش وكان مولده سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ٣٣٢هـ .

وبدأ حياته بحفظ القرآن الكريم وبتلقى العلم وكان سماعه من شيخه أحمد بن بهزاذ السيرافى كما سمع من شيخه عثمان بن محمد السمرقندى بمصر وكان ثقة صدوقا .

قال الذهبى : ذكر عبدالغنى أبوالوليد الباجى فقال حافظ متقن .

قال البرفانى : سألت الدارقطنى لما قدم مصر هل رأيت فى طريقك من يفهم شيئا من العلم قال مارأيت فى طول طريقى إلا شابا بمصر يقال له عبدالغنى كأنه شعلة نار .

وقال منصور بن على الطرسوسى لما أراد الدارقطنى الخروج من عندنا من مصر خرجنا نودعه وبكينا فقال لنا تبكون وعندكم عبدالغنى بن سعيد ، وفيه الخلف . . وقال العتبكى : كان عبدالغنى إمام زمانه فى علم الحديث وحفظه ثقة مأمونا مارأيت بعد الدارقطنى مثله .

وقال عبدالغنى. ابتدأت بعمل كتاب « المؤتلف والمختلف » فقدم علينا الدارقطنى فأخذت عنه أشياء كثيرة منه فلما فرغت منه سألنى أن أقرأه ليسمعه منى فقلت عنك أخذت أكثره ، فقال لاتقل هذا فإنك أخذته عنى مفرقا وقد أوردته مجموعا وفيه أشياء من شيوخك فقرأته عليه .

وهكذا نرى ثناء العلماء عليه وتقديرهم له وتعديلهم إياه مما يدل على مكانته العلمية العظيمة .

ومن مؤلفات الأمام عبدالغنى بن سعيد كتاب « المؤتلف والمختلف » فى أسماء نقلة الحديث ، وكتاب « مشتبه النسبة » وكتاب « مسند حديث مالك خارج الموطأ » ومن مصنفاته كذلك كتاب

«الغوامض والمبهمات» وكتاب « إيضاح الاشكال فى الرواة » توجد نسخة منه فى مكتبة السعيدية بحيدر أباد وكتاب « الفوائد المنتقاة عن الشيوخ الثقاة » توجد نسخة منه فى مكتبة الأزهر .

وبعد هذه الحياة العلمية توفى الامام عبدالغنى بن سعيد فى شهر صفر سنة تسع وأربعمائة بمصر ٤٠٩هـ [1] .

(١) تذكرة الحفاظ ، طبقات الحفاظ ، وفيات الأعيان ، السنة فى القرن الرابع الهجرى د. جلال عجوة رسالة دكتوراه .

الامام الطحاوى

هو الامام حافظ الإسلام خاتمة الجهابذة النقاد الأعلام شيخ الحديث وطبيب علله فى القديم والحديث ، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة بن سليم بن سليمان بن خباب الأزدى الحجرى المصرى ، أبوجعفر الطحاوى الحنفى ، الفقيه الامام الحافظ ، تكرر ذكره فى « الهداية » و« الخلاصة » .

والأزدى ، بفتح الهمزة ، وسكون الزاى المعجمة ، نسبة إلى أزد شنوءه ، وهو أزد بن غوث ، ونسبة إلى أزد بن عمران ، ونسبة إلى أزد الحجر ، وهى نسبة أبى جعفر الطحاوى .

والحجرى بفتح الحاء المهملة ، وسكون الجيم آخرها راء ، هذه النسبة إلى ثلاث قبائل ، اسم كل واحد منها حجر ، أحدها حجر بن وحير ، وثانيها حجر ذى رعين وثالثها حجر الأزد ، منهم الحافظ المصرى الطحاوى ، كان ثقة نبيلا من أوعية الحديث ، كذا ذكره الشيخ عبدالقادر فى الطبقات .

وقال المجد فى قاموسه : « ومن حجر الأزد الحافظان ، عبدالغنى : والامام أبوجعفر الطحاوى » انتهى بلفظه .

والمصرى بكسر الميم وسكون الصاد ، فى آخرها راء نسبة إلى مصر ، وسميت بها ، لأنها بناها المصر بن نوح ونسب إليها كثير من العلماء ، ولها تاريخ فى أهلها والواردين عليها .

والطحاوى : بفتح الطاء والحاء المهملتين ، وبعد الألف واو ، نسبة إلى « طحا » قرية بأسفل أرض مصر ينسب إليها جماعة .

منهم ، أبوجعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدى الحجرى الطحاوى صاحب « شرح معانى الآثار » .

كان إماما فقيها من الحنفيين ، ولد سنة تسع وعشرين ومائتين ، ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، صحب خاله المزنى ، وتفقه عليه ثم ترك مذهبه وصار حنفى المذهب ، وكان إماماً ثقة

عاقلا ، لم يخلف مثله ، كذا ذكره السمعانى وغيره ، كان مرجعا لعلم الحديث ، ووعاء لعلوم الدين ، ذكره السيوطى فى حفاظ الحديث .

قال : « وكان ثقة ثبتاً فقيها لم يخلف بعده مثله ، انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر » انتهى .

برع فى الفقه والحديث ، وصنف التصانيف البديعة ، والكتب المفيدة .

قال الشيخ أبو إسحق : « انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر » .

وقال غيره : كان شافعى المذهب ، يقرأ على المزنى ، فقال له يوماً « والله لاجاء منك شىء » فغضب أبوجعفر من ذلك ، وانتقل إلى ابن أبى عمران فلما صنف مختصره ، قال : « رحم الله أبا إبراهيم (يعنى المزنى) لو كان حيا ، لكفر عن يمينه » .

وذكر أبو يعلى الخليلى فى كتاب « الارشاد » فى ترجمة المزنى : أن الطحاوى ابن أخت المزنى ، وأن محمد بن أحمد الشروطى قال للطحاوى : « لم خالفت مذهب خالك » قال : « لأنه كان يديم النظر فى كتب الامام أبى حنيفة » ، كذا فى « مرآة الجنان » و« تاريخ ابن خلكان » .

قال الذهبى فى « تذكرة الحفاظ » وكان رحمه الله ، ثقة ثبتا ، فقيها عالماً ، لم يخلف مثله .

قال أبو إسحق الشيرازى فى الطبقات : « انتهت إلى أبى جعفر رياسة أصحاب أبى حنيفة بمصر » إلى آخر ماأوردناه عن اليافعى .

قال العلامة الكفوى فى الطبقات ـ بعد ماعده من أهل الطبقة الثانية ـ من أصحابنا « هو الشيخ الامام ، جليل القدر ، مشهور فى الآفاق ، ذكره الجميل مملوء فى بطون الأوراق » إلى أن قال :

« وتفقه فى مذهب أبى حنيفة وصار إماماً ، أخذ الفقه عن أبى جعفر بن أبى عمران عن محمد بن سماعة عن أبى يوسف عن أبى حنيفة ثم خرج إلى الشام ، فلقى بها أبا حازم عبدالحميد ، قاضى القضاة بالشام ، وأخذ عن أبى حازم ، عن عيسى بن أبان ، عن محمد بن الحسن ، عن أبى حنيفة .

وكان رحمه الله إماماً فى الأحاديث والأخبار ، سمع الحديث من خلق كثير ، من المصريين والغرباء القادمين إلى مصر ، منهم سليمان بن شعيب الكيسانى ، وأبو موسى يونس بن عبدالأعلى الصدفى .

وتفقه عليه الشيخ الامام أبوبكر أحمد بن محمد بن منصور الدامغانى ، والشيخ الامام أبوطالب سعيد بن محمد البردعى ، وابنه أبوالحسن على بن أحمد الطحاوى انتهى .

قال الشيخ عبدالقادر فى الطبقات : تفقه أولا على خاله المزنى ، وروى عنه مسند الشافعى ،

وسمع الحديث من خلق من المصريين والواردين على مصر ، منهم سليمان بن شعيب الكيسانى ، وأبوه محمد بن سلامة ، ويونس بن عبدالأعلى الصدفى ، شارك مسلماً وأكثر الرواية عنه ، وجمع بعضهم مشايخه فى جزء وروى عنه الخلق الكثير .

فمنهم أبومحمد عبدالعزيز بن محمد التميمى الجوهرى قاضى الصعيد وأحمد بن القاسم بن عبدالله البغدادى المعروف بابن الخشاب الحافظ ، وأبوبكر مكى بن أحمد البردعى ، وأبوالقاسم ، مسلمة بن القاسم بن إبراهيم القرطبى ، وأبو القاسم عبيدالله بن على الداودى القاضى ، والحسن بن القاسم بن عبدالرحمن ، وأبو محمد المصرى الفقيه ، وابن أبى العوام القاضى الكبير ، وأبوالحسن محمد بن أحمد الأخميمى ، وأبوبكر محمد بين إبراهيم المقرىء الحافظ .

وسمع منه كتابه « معانى الآثار » ابنه أبوالحسن على بن أحمد الطحاوى ، وأبوالقاسم سليمان ابن أحمد بن أيوب الطبرانى ، صاحب المعجم ، وأبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد المصرى الحافظ ، وأبوبكر محمد بن جعفر بن الحسين البغدادى الحافظ ، المعروف بـ «غندر» فى آخرين من أهل الصلاح والدين ، وجمع بعضهم من روى عنه فى جزء ، انتهى محصل كلامه .

قال العلامة الكفوى : وكان رحمه الله عالماً بجميع مذاهب الفقهاء ، وكان أعلم الناس بالكوفيين وأخبارهم .

وقال المحدث القارىء فى الطبقات : ونقل عن ابن عبدالبر أنه قال : كان الطحاوى كوفى المذهب ، عالماً بجميع مذاهب العلماء .

وقال الاتقانى فى « غاية البيان » لامعنى لانكارهم على أبى جعفر فإنه مؤتمن لامتهم ، مع غزارة علمه ، واجتهاده ، وورعه ، وتقدمه فى معرفة المذاهب وغيرها ، فإن شككت فى أمره ، فانظر « شرح معانى الآثار » هل ترى له نظيرا فى سائر المذاهب فضلا عن مذهبنا ، انتهى .

● **مؤلفاته**

وله رحمه الله تصانيف معتمدة ، ومسانيد معتبرة ، لم يأت بمثلها أحد من الفحول ، وتلقاها أهل الفقه والحديث بالقبول .

فمنها (١) « معانى الآثار » وشرحه بدر المحدثين الامام العينى ، كما شرح البخارى فى مجلدات كبار ، واعتنى بأسماء رجاله ، زين المحدثين زين الدين المعروف بابن الهمام ، الثانى الشيخ قاسم بن قطلو بغا الحنفى (٢) و« بيان مشكل الآثار » قال المحدث القارى فى الطبقات ؛ الأول ، أول تصانيفه . والثانى آخر تصانيفه (٣) و« أحكام القرآن » فى نيف وعشرين جزءاً (٤) والمختصر فى الفقه ، وولع الفضلاء بشرحه . وعليه عدة شروح (٥) وشرح الجامع الكبير (٦) وشرح الجامع الصغير (٧) وله كتاب الشروط الكبير (٨) والشروط الأوسط (٩) والشروط الصغير

(١٠) وله المحاضر والسجلات (١١) والوصايا (١٢) والفرائض وله (١٣) نقض كتاب المدلسين على الكرابيسى (١٤) وكتاب أصله كتب العزل (١٥) والمختصر الكبير (١٦) والمختصر الصغير وله (١٧) تاريخ كبير وله (١٨) مجلد فى مناقب الامام الأقدم ، وفضائل الهمام الأعظم الأفخم ، نائل الدرجات العلى بشهادة لو كان العلم عند الثريا كما رواه أهل الفضل والتقى فخر الأمة المحمدية وناشر السنة المصطفوية ، قوام الفقهاء والمحدثين ، ومعظم أهل الصلاح والدين ، إمامنا وإمام المسلمين ، من لدن عهد التابعين إلى يوم الدين ، أبى حنيفة الصوفى التابعى الكوفى ، رحمة الله عليه ، وعلى من يحبه ويترحم عليه وله (١٩) فى القرآن ألف ورقة ، حكاه صاحب الكمال القاضى عياض فى الإكمال وله (٢٠) النوادر الفقهية فى عشرة أجزاء وله (٢١) الحكايات فى نيف وعشرين جزءاً وله (٢٢) حكم أرض مكة وله (٢٣) قسم الفىء والغنائم وله (٢٤) الرد على عيسى بن أبان فى كتابه الذى سماه خطأ الكتب وله (٢٥) الرد على أبى عبيد فيما أخطأ فيه ، فى كتاب النسب وله (٢٦) اختلاف الروايات على مذهب الكوفيين .

يقول المترجم الراجى شفاعة الأمم وصى أحمد السورتى موطناً ، والحنفى مذهباً ، الذى لاحظ له من الحسنات إلا تعمير مااندرس من أبنية ألفاظ أخبار سيد المرسلين وتدبير تجديد ماانطمس من أساس آثار خاتم النبيين ـ إنى قد تشرفت من مصنفاته بمطالعة « معانى الآثار » فرأيته وضعه على نمط منشط لم يظفر به أحد من أولى الأخبار وأودع فيه مايكشف به قناع خرائد الأخبار ويعرف به رموز أبكار الآثار وسرد فيه الأحاديث بألفاظ رائقة تقر بسماعها عيون الأسماع وسلك فى سردها مسالك معجبة فائقة تطرب لملاحظتها الطباع ، ووجدته عينا تجرى منها أنهار الآثار أو محيطاً تتشعب منه بحار الأخبار وشاهدته بحراً فيه فرائد اللآلىء النفيسة وقصراً فيه خرائد الفوائد الشريفة ينطق بفضل مصنفه وقوة حفظه وإتقانه وينادى بأعلى نداء بمهارة مؤلفه فى فنون الحديث بحيث لايكاد يقاربه من سواه من أهل الحديث وقد سلك فيه مسلك خير الأوصاف وتجنب عن طريق الاعتساف ، وأورد فيه ماهو الأليق الأنيق ، ورجح ماهو عنده الحق الحقيق خلاف مايزعمه بعض الزاعمين من معاصرينا ، وتفوه فى بعض مؤلفاته من أنه عزل النظر فى بعض المواضع عن التحقيق وسلك المسلك غير الأنيق .

ولعل منشأ هذا قلة الاعتناء بشأن كلامه أو سوء الفهم فى درك مرامه فإن تصانيفه لما فيها من الغموضة والدقة كما لايخفى على المهرة ، لايظهر على مافيها ظهوراً واقعياً إلا أولو الطبائع السليمة المجبولة على السلامة .

وكم من عائب قولا صحيحاً   وآفته من الفهم السقيم

وكيف يظن به ماظن به ، وأنه قد أوتى فى علوم الأحاديث والأخبار سعة باع لم يؤت أحد منذ أوتى إلى هذا الآن وأعطى فى متون الآثار وطرقها كثرة اطلاع لم يعط أحد منذ أعطى إلى هذا

الزمان مع مارزق من النظر الصائب والفكر الثاقب ولقد فاق من سواه من المحدثين حيث رزق الفقه فى الدين وقد قال النبى ﷺ « من يرذ الله به خيراً يفقهه فى الدين » ومع هذا فمن أساء الأدب فى جنابه الأطهر ، ونسب إلى حضرته عزل النظر ، فهو ـ فى الحقيقة ـ عازل النظر وفاقد البصر ومن أعمى الله بصر بصيرته ، فلم ير هذه الشمس إلا مظلمة فليبك على نفسه ، وأى ذنب للشمس إم لم يرها الخفاش ؟ !

وليس غرضى من هذا الكلام ، الحط على ذلك الزاعم المرجع للعوام ، فإن هذا من عادة اللئام ، بل الذب عن هذا الامام ، وتحذير الأنام عن أن يتبعوه فى مثل هذا المقام .

فيا إخوان الإسلام ، إياكم إياكم أن تذعنوا له فيما أدرج فى مؤلفاته من النقص والحط على العلماء الكرام أو أن تسلموا له فيما خلف فيه أساطين الملة وحملة الشريعة ، أئمتنا الفخام .

ولـه ـ رحمه الله ـ مناقب أكثر من أن يحصرها الحاصر ، كتب العلماء عنها مملوءة ، وأسفار الفضلاء بها مشحونة .

وإنما اكتفينا بهذا القدر من المآثر ، شفقة على الناظر .

قال المترجم : إنى قد حضرت بعدما فرغت من الكتب الدرسية حضرة سيد الفقهاء ، علامة الزمان ، ترجمان الحديث والقرآن ، حافظ الوقت ، مولانا الحافظ ، الشيخ المحدث ، أحمد على السهارنفورى ، تغمده الله بالغفران . المعنوى والصورى ، لتحصيل الفن الشريف ، والعلم المنيف ، الذى أحاديثه خير الأحاديث ، أعنى فن الحديث .

قرأت عليه الأمهات الست ، وموطأ الامام محمد قراءة وسماعة ، ورضى عنى ورضيت عنه ، فأجازنى بمروياته ومسموعاته إجازة عامة ، وأمرنى بتدريسه وبالاشتغال بنشره ، ودعا لى بالبركة ، فرخصنى .

وقد منّ الله على بأن قرأ على بعد فراغى عنه بعض الأذكياء ، صحيح البخارى ، وسنن ابن ماجه ، وموطأ الامام ، ووفقنى لخدمة كتبه .

فأول ماابتدأت به تحشية سنن النسائى ، فجاء ـ بحمد الله ـ كما ينبغى ، ثم تصحيح أصل هذا المسند للطحاوى ، وأزينه ـ إن شاء الله ـ ببعض تعليقاتى ، وهذا هو مأمولى ، فالحمد الله الذى أنعم علينا بعلم أحاديث خير الأنام ، وأغنانا وإخواننا الحنفاء بنقود الآثار المروية ، لأبى جعفر الامام .

نماذج من كتاب

شرح معانى الآثار

للطحاوى رحمه الله تعالى

قال أبوجعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدى الطحاوى رحمة الله عليه : سألنى بعض أصحابنا من أهل العلم أن أضع له كتاباً أذكر فيه الآثار المأثورة عن رسول الله ﷺ فى الأحكام التى يتوهم أهل الالحاد والضعفة من أهل الإسلام أن بعضها ينقض بعضاً لقلة علمهم بناسخها من منسوخها ومايجب به العمل منها لما يشهد له من الكتاب الناطق والسنة المجتمع عليها .

وأجعل لذلك أبواباً أذكر فى كل كتاب منها مافيه من الناسخ والمنسوخ وتأويل العلماء واحتجاج بعضهم على بعض وإقامة الحجة لمن صح عندى قوله منهم بما يصح به مثله من كتاب أو سنة أو إجماع أو تواتر من أقاويل الصحابة أو تابعيهم .

وإنى نظرت فى ذلك وبحثت عنه بحثاً شديداً ، فاستخرجت منه أبواباً على النحو الذى سأل ، وجعلت ذلك كتباً ، ذكرت فى كل كتاب منها جنساً من تلك الأجناس .

فأولماابتدأت بذكره من ذلك ماروى عن رسول الله ﷺ .

● فى الطهارة

فمن ذلك ، باب الماء يقع فيه النجاسة .

حدثنا محمد بن خزيمة بن راشد البصرى قال : ثنا الحجاج بن المنهال قال : ثنا حماد بن سلمة عن محمد بن إسحق عن عبيدالله بن عبدالرحمن عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ من بير بضاعة فقيل يارسول الله إنه يلقى فيه الجيف والمحائض فقال : « إن الماء لاينجس » .

حدثنا إبراهيم بن أبى داود الأسدى قالا : ثنا أحمد بن خالد الوهبى قال : ثنا محمد بن اسحق عن سليط بن أيوب عن عبيدالله بن عبدالرحمن بن رافع عن أبى سعيد الخدرى قال : قيل

يارسول الله ، إنه يستقى لك من بير بضاعة وهى بير يطرح فيها عذرة الناس ، ومحائض النساء ولحم الكلاب فقال : « إن الماء طهور لاينجسه شيء » .

حدثنا إبراهيم قال : ثنا عيسى بن إبراهيم البركى قال : ثنا عبدالعزيز بن مسلم القسملى قال : ثنا مطرف عن خالد بن أبى نوف عن ابن أبى سعيد الخدرى عن أبيه قال : انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يتوضأ من بير بضاعة ، فقلت : يارسول الله ، أتتوضأ منها وهى يلقى فيها مايلقى من النتن ؟ فقال رسول الله ﷺ « الماء لاينجسه شيء » .

حدثنا إبراهيم بن أبى داود قال : ثنا أصبغ بن الفرج قال : ثنا حاتم بن إسماعيل ، عن محمد بن أبى يحيى الأسلمى عن أمه قال : دخلنا على سهل بن سعد فى أربع نسوة فقال : « لوسقيتكم من بير بضاعة لكرهتم ذلك وقد سقيت رسول الله ﷺ منها بيدى » .

حدثنا فهد بن سليمان بن يحيى قال محمد بن سعيد الأصبهانى قال أنا شريك بن عبدالله النخعى عن طريف البصرى عن أبى نضرة عن جابر أو أبى سعيد قال كنا مع رسول الله ﷺ فى سفرنا فانتهينا إلى غدير وجيفة فكففنا وكف الناس حتى أتانا رسول الله ﷺ فقال : « مالكم لاتستقون ؟ » فقلنا : يارسول الله ، هذه الجيفة ، فقال « استقوا ، فإن الماء لاينجسه شيء » فاستقينا وارتوينا .

فذهب قوم إلى هذه الآثار ، فقال : لاينجس الماء شيء وقع فيه ، إلا أن يغير لونه ، أو طعمه أو ريحه ، فأى ذلك إذا كان ، فقد نجس الماء .

وخالفهم فى ذلك آخرون فقالوا أما ماذكرتموه من بير بضاعة فلا حجة لكم فيه لأن بير بضاعة قد اختلفت فيها ماكانت فقال قوم كانت طريقاً للماء إلى البساتين فكان الماء لايستقر فيها فكان حكم مائها كحكم ماء الأنهار وهكذا نقول فى كل موضع كان على هذه الصفة وقعت فى مائه نجاسة فلا ينجس ماؤه إلا أن يغلب على طعمه أو لونه أو ريحه أو يعلم أنها فى الماء الذى يؤخذ منها ، فإن علم ذلك كان نجسا ، وإن لم يعلم ذلك كان طاهراً .

وقد حكى هذا القول الذى ذكرناه فى بير بضاعة عن الواقدى ، حدثنيه أبوجعفر أحمد بن أبى عمران عن أبى عبدالله محمد بن شجاع الثلجى عن الواقدى أنها كانت كذلك .

وكان من الحجة فى ذلك أيضا أنهم قد أجمعوا أن النجاسة إذا وقعت فى بير فغلبت على طعم مائها أو ريحه أو لونه ، أن ماءها قد فسد .

وليس فى حديث بير بضاعة من هذا شيء إنما فيه أن النبى ﷺ إنما سئل عن بير بضاعة فقيل له : إنه يلقى فيه الكلاب والمحائض فقال : « إن الماء لاينجسه شيء » .

ونحن نعلم أن بيراً لو سقط فيها ماهو أقل من ذلك لكان محالا أن لايتغير ريح مائها وطعمه ، هذا مما يعقل ويعلم .

فلما كان ذلك كذلك وقد أباح لهم النبى ﷺ ماءها وأجمعوا أن ذلك لم يكن وقد داخل الماء التغيير من الجهات اللاتى ذكرنا ، استحال عندنا ـ والله أعلم ـ أن يكون سؤالهم النبى ﷺ : عن مائها وجوابه إياهم وذلك عما أجابهم ، كان والنجاسة فى البير .

ولكنه ـ والله أعلم ـ كان بعد أن أخرجت النجاسة من البير فسألوا النبى ﷺ عن ذلك : هل تطهر بإخراج النجاسة منها فلا ينجس ماؤها الذى يطرأ عليها بعد ذلك ؟ وذلك موضع مشكل لأن حيطان البير لم تغسل وطينها لم يخرج فقال لهم النبى ﷺ : « إن الماء لاينجس » يريد بذلك الماء الذى طرأ عليها بعد إخراج النجاسة منها لا أن الماء لاينجس إذا خالطته النجاسة وقد رأيناه ﷺ قال : « المؤمن لاينجس » حدثناه ابن أبى داود قال : ثنا المقدمى قال ثنا بن أبى عدى عن حميدح وحدثنا ابن خزيمة قال : ثنا الحجاج بن منهال قال ثنا حماد عن حميد عن بكر عن أبى رافع عن أبى هريرة قال لقيت النبى ﷺ وأنا جنب فمد يده إلىّ فقبضت يدى عنه وقلت إنى جنب فقال : « سبحان الله ، إن المسلم لاينجس » وقال عليه الصلاة والسلام فى غير هذا الحديث : « إن الأرض لاتنجس » .

حدثنا بذلك أبوبكرة بكار بن قتيبة البكراوى ، قال : ثنا أبوداود ، قال : ثنا أبو عقيل الدورقى قال : ثنا الحسن أن وفد ثقيف لما قدموا على رسول الله ﷺ : ضرب لهم قبة فى المسجد فقالوا : يارسول الله ، قوم أنجاس فقال رسول الله ﷺ : « إنه ليس على الأرض من أنجاس الناس شىء ، إنما أنجاس الناس على أنفسهم » .

فلم يكن معنى قوله « المسلم لاينجس » يريد بذلك أن بدنه لاينجس وإن أصابته النجاسة إنما أراد أنه لاينجس لمعنى غير ذلك .

وكذلك قوله الأرض لاتنجس » ليس يعنى بذلك أنها لاتنجس ، وإن أصابتها النجاسة . وكيف يكون ذلك ، وقد أمر بالمكان الذى بال فيه الأعرابى من المسجد أن يصب عليه ذنوب من ماء ؟

حدثنا بذلك أبوبكرة قال ثنا عمر بن يونس اليمامى قال ثنا عكرمة بن عمار قال ثنا إسحق بن عبدالله بن أبى طلحة قال حدثنى أنس بن مالك قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ جلوس إذا أعرابى فقام يبول فى المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ « مَهْ مَهْ » فقال رسول الله ﷺ « دعوه » فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : « إن هذه المساجد لاتصلح لشىء من هذا البول والعذرة ، إنما هى لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن » .

قال عكرمة : أو كما قال رسول الله ﷺ فأمر رجلا فجاءه بدلو من ماء فشنه عليه .

حدثنا على بن شيبة قال : ثنا يحيى قال : ثنا عبدالعزيز بن محمد عن يحيى بن سعد ، أنه

سمع أنس بن مالك يذكر عن رسول الله ﷺ نحوه غير أنه لم يذكر قوله : «إن هذه المساجد » إلى آخر الحديث .

وروى طاووس أن النبى ﷺ أمر بمكانه أن يحفر .

حدثنا بذلك أبوبكرة بكار بن قتيبة البكراوى ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان بن عيينة عن عمر بن دينار عن طاووس بذلك ، وقد روى عن عبدالله بن مسعود عن النبى ﷺ بذلك أيضا .

حدثنا فهد بن سليمان قال ثنا يحيى بن عبدالحميد الحمانى قال ثنا أبوبكر بن عياش عن سمعان بن مالك الأسدى عن أبى وائل عن عبدالله قال : بال أعرابى فى المسجد فأمر به النبى ﷺ فصب عليه دلو من ماء ، ثم أمر به فحفر مكانه .

قال أبو جعفر : فكان معنى قوله « إن الأرض لاتنجس » أى أنها لاتبقى نجسة إذا زالت النجاسة منها لا أنه يريد أنها غير نجسة فى حال كون النجاسة فيها .

فكذلك قوله فى بير بضاعة « إن الماء لاينجسه شىء » ليس هو على حال كون النجاسة فيها ، إنما هو على حال عدم النجاسة فيها .

فهذا وجه قوله ﷺ فى بير بضاعة « الماء لاينجسه شىء » ـ والله أعلم ـ وقد رأيناه بين ذلك فى غير هذا الحديث .

حدثنا صالح بن عبدالرحمن بن عمرو بن الحارث الأنصارى ، وعلى بن شيبة بن الصلت البغدادى قالا حدثنا عبدالله بن يزيد المقرىء ، قال : سمعت ابن عون يحدث عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة أنه قال : نهى ، أو نهى ان يبول الرجل فى الماء الدائم أو الراكد ثم يتوضأ منه أو يغتسل منه .

وحدثنا على بن معبد بن سيرين نوح البغدادى ، قال : ثنا عبدالله بن بكر السهمى قال : ثنا هشام حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن رسول ﷺ قال : « لايبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لايجرى ، ثم يغتسل فيه » .

حدثنا يونس بن عبدالأعلى أبوموسى الصدفى قال أخبرنى أنس بن عياش الليثى عن الحارث بن أبى ذباب وهو رجل من الأزد ؛ عن عطاء بن منيا عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لايبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يتوضأ منه أو يشرب » .

حدثنا يونس قال : أنا عبدالله بن وهب قال : أخبرنى عمرو بن الحارث أن بكير بن عبدالله بن الأشج حدثه أن أبا السائب مولى هشام بن زهرة ، حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول قال

رسول الله ﷺ « لايغتسل أحدكم فى الماء الدائم وهو جنب » فقال كيف يفعل ياأبا هريرة ؟ فقال : يتناوله تناولا .

حدثنا ابن أبى داود قال : ثنا سعيد الحكم بن أبى مريم قال أخبرنا عبدالرحمن بن أبى الزناد قال : ثنا أبى موسى بن أبى عثمان عن أبيه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « لايبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لايجرى ، ثم يغتسل منه » .

وكما حدثنا حسين بن نصر بن المقراك البغدادى قال : ثنا محمد بن يوسف الفريابى قال : ثنا سفيان رحمه الله ، وحدثنا فهد قال : ثنا أبونعيم قال ثنا سفيان عن أبى الزناد ؛ فذكر بإسناده مثله .

حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن قال : ثنا أسد بن موسى قال : ثنا عبدالله بن لهيعة قال : ثنا عبدالرحمن الأعرج قال : سمعت أباهريرة عن رسول الله ﷺ قال : « لايبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لايجرى ، ثم يغتسل منه » .

حدثنا الربيع بن سليمان الجيزى قال : ثنا أبو زرعة ، وهب الله بن راشد قال : أنا حيوة بن شريح قال : سمعت بن عجلان يحدث عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « لايبولن أحدكم فى الماء الراكد ولايغتسل فيه » .

حدثنا إبراهيم بن منقذ العصفرى قال حدثنى إدريس بن يحيى قال : ثنا عبدالله عياش ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ مثله ، غير أنه قال : « ولايغتسل فيه جنب » .

حدثنا محمد بن الحجاج بن سليمان الحضرمى ، قال : ثنا على بن معبد قال : ثنا أبويوسف عن ابن أبى ليلى عن أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ أنه نهى أن يبال فى الماء الراكد ثم يتوضأ فيه » .

قال أبو جعفر : فلما خص رسول الله ﷺ الماء الراكد الذى لايجرى دون الماء الجارى ، علمنا بذلك أنه إنما فصل ذلك لأن النجاسة تداخل الماء الذى لايجرى ، ولاتداخل الماء الجارى .

وقد روى عن رسول الله ﷺ أيضاً فى غسل الإناء من ولوغ الكلب ماسنذكره فى غير هذا الموضع من كتابنا هذا إن شاء الله تعالى ، فذلك دليل على نجاسة الإناء ونجاسة مائه وليس ذلك بغالب على ريحه ولا على لونه ، ولا على طعمه .

فتصحيح معانى هذه الآثار يوجب فيما ذكرنا من هذا الباب من معانى حديث بير بضاعة ماوصفنا لتتفق معانى ذلك ، ومَعانى الآثار ، ولاتتضاد .

فهذا حكم الماء الذى لايجرى إذا وقعت فيه النجاسة من طريق تصحيح معانى الآثار .

غير أن قوماً وقتوا فى ذلك شيئا فقالوا : إذا كان الماء مقدار قلتين لم يحمل خبثا ، واحتجوا فى ذلك بما :

حدثنا بحر بن نصر بن سابق الخولانى ، قال : ثنا يحيى بن حسان قال : ثنا أبوأسامة حماد بن أسامة عن الوليد بن كثير المخزومى عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبدالله ، عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ سئل عن الماء وماينوبه من السباع ، فقال : « إذا بلغ الماء قلتين فليس يحمل الخبث » .

وكما حدثنا الحسين بن نصر سمعت يزيد بن هارون قال : أنا محمد بن إسحق عن محمد بن جعفر الزبير عن عبدالله بن عبدالله بن عمر عن أبيه عن النبى ﷺ أنه سئل عن الحياض التى بالبادية تصيب منها السباع فقال : « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا » .

حدثنا محمد بن الحجاج ثنا على بن معبد ، ثنا بن عباد المهلبى عن محمد بن إسحق عن محمد بن جعفر عن عبيد الله بن عمر عن أبيه عن النبى ﷺ مثله .

وكما حدثنا يزيد بن سنان بن يزيد البصرى قال : ثنا حماد بن سلمة أن عاصم بن المنذر أخبرهم قال كنا فى بستان لنا أو بستان لعبيد الله بن عبدالله بن عمر ، فحضرت الصلاة ، صلاة الظهر ، فقام إلى بير البستان فتوضأ منه وفيه جلد بعير ميت فقلت : أتتوضأ منه وهذا فيه ؟

فقال عبيد الله أخبرنى أبى ، أن رسول الله ﷺ قال: « إذا كان الماء قلتين لم ينجس » .

وكما حدثنا ربيع المؤذن قال : ثنا يحيى بن حسام قال : ثنا حماد بن سلمة ، فذكر بإسناده مثله ، غير أنه لم يرفعه إلى النبى ﷺ وأوقفه على ابن عمر .

فقال : هؤلاء إذا بلغ الماء هذا المقدار ، لم يضره ماوقعت فيه من النجاسة ، إلا ما غلب على ريحه أو طعمه أو لونه .

واحتجوا فى ذلك بحديث ابن عمر هذا ، فكان من الحجة عليهم لأهل المقالة التى صححناها أن هاتين القلتين لم يبين لنا فى هذه الآثار مامقدارهما .

فقد يجوز أن يكون مقدارهما ، قلتين من قلال هجر ، كما ذكرتم ، ويحتمل أن تكونا قلتين ، أريد بها قلتا الرجل ، وهى قامته فأريد إذا كان الماء قلتين أى قامتين لم يحمل نجساً لكثرته ، ولأنه يكون ذلك فى معنى الأنهار .

فإن قلتم : إن الخبر عندنا على ظاهره ، والقلال الحجاز المعروفة .

قيل لكم : فإن كان الخبر على ظاهره كما ذكرتم ، فإنه ينبغى أن يكون الماء إذا بلغ ذلك المقدار لايضره النجاسة ، وإن غيرت لونه أو طعمه أو ريحه ، لأن النبى ﷺ لم يذكر ذلك فى هذا الحديث ، فالحديث على ظاهره .

فإن قلتم ، فإنه وإن لم يذكر فى هذا الحديث ، فقد ذكره فى غيره ، فذكرتم ما **حدثنا** محمد بن الحجاج قال : ثنا على بن معبد قال ثنا عيسى بن يونس عن الأحوص بن حكيم عن راشد بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « الماء لاينجسه شيء ، إلا ماغلب على لونه أو طعمه أو ريحه » .

قيل لكم : هذا منقطع ، وأنتم لاتثبتون المنقطع ولاتحتجون به فإن كنتم قد جعلتم قوله فى القلتين على خاص من القلال جاز لغيركم أن يجعل الماء على خاص من المياه ، فيكون ذلك عنده على مايوافق معانى الآثار الأول ولايخالفها فإذا كانت الآثار الأول التى قد جاءت فى البول فى الماء الراكد وفى نجاسة الماء الذى فى الاناء من ولوغ الهر فيه عاما ، لم يذكر مقداره ، وجعل على كل ماء لايجرى ثبت بذلك أن مافى حديث القلتين هو على الماء الذى يجرى ولاينظر فى ذلك إلى مقدار الماء كما لم ينظر فى شيء مما ذكرنا إلى مقداره ، حتى لايتضاد شيء من الآثار المروية فى هذا الباب .

وهذا المعنى الذى صححنا عليه معانى هذه الآثار ، هو قول أبى حنيفة ، وأبى يوسف ، ومحمد رحمهم الله .

وقد روى فى ذلك عمن تقدمهم مايوافق مذهبهم .

فما روى فى ذلك ماحدثنا صالح بن عبدالرحمن قال : ثنا سعيد بن منصور قال : ثنا هشيم قال : ثنا منصور عن عطاء أن حبشيا وقع فى زمزم ، فمات فأمر ابن الزبير فنزح ماؤها فجعل الماء لاينقطع ، فنظر فإذا عين تجرى من قبل الحجر الأسود فقال ابن الزبير « حسبكم » .

وماقد حدثنا حسين بن نصير . ثنا : الفريابى ثنا سفيان ، أخبرنى جابر عن أبى الطفيل قال : وقع غلام فى زمزم فنزفت ، أى نزح ماؤها .

وماقد حدثنا محمد بن خزيمة قال : ثنا ابن المنهال قال : ثنا بن سلمة ، عن عطاء بن السائب عن ميسرة أن عليا رضى الله عنه قال فى بير وقعت فيها فأرة فماتت . قال : ينزح ماؤها .

وماقد حدثنا محمد بن حميد بن هشام الرُّعينى . قال ثنا على بن معبد . قال : ثنا موسى بن أعين . عن عطاء عن ميسرة عن على رضى الله عنه قال : « إذا سقطت الفأرة ، أو الدابة فى البير ، فانزحها حتى يغلبك الماء » .

حدثنا محمد بن خزيمة قال ثنا حجاج قال ثنا عن أبى المهزم قال سألنا أبا هريرة عن الرجل يمر بالغدير : أيبول فيه ؟ قال : ، فإنه يمر به أخوه المسلم فيشرب منه ويتوضأ ، وإن كان جاريا فليبيل فيه إن شاء .

وماقد حدثنا محمد قال : ثنا حجاج قال : ثنا حماد ، عن أيوب عن محمد ، عن أبى هريرة مثله .

وماقد حدثنا أبو بكرة قال ثنا أبوعامر العقدى قال ثنا سفيان عن زكريا ، عن الشعبى فى الطير والنسور ونحوهما . يقع فى البير قال « ينزح منها أربعون دلواً » .

حدثنا حسين بن نصر قال : ثنا الفريابى . ثنا سفيان عن زكريا عن الشعبى قال : « ينزح منها أربعون دلواً » .

وماقد حدثنا صالح عبدالرحمن قال : ثنا سعيد بن منصـور قال : ثنا هشيم عن عبدالله بن سبرة الهمدانى عن الشعبى قال : يدلو منها سبعين دلواً .

وماقد حدثنا فهد بن سليمان قال : ثنا محمد بن سعيد بن الاصبهانى قال : ثنا حفص بـن غياث النخيمى عن عبدالله بن سبرة الهمدانى عن الشعبى قال : سألناه عن الدجاجة تقع فى البير فتموت فيها ؟ قال : ينزح منها سبعون دلواً .

وماقد حدثنا صالح قال : ثنا سعيد بن منصور قال : ثنا هشيم قال : أنا مغيرة عن إبراهيم فى البير يقع فيه الجرذ أو السنور فيموت ؟ قال : يدلو منها أربعين دلواً ، قال المغيرة حتى يتغير الماء .

وماقد حدثنا محمد بن خزيمة قال : ثنا الحجاج قال ثنا أبوعوانة عن المغيرة عن إبراهيم فى فأرة وقعت فى بير ، قال : « ينزح منها قدر أربعين دلواً » .

وماقد حدثنا حسين بن نصر ، قال ثنا الفريابى قال : ثنا سفيان عن المغيرة عن إبراهيم فى البير تقع فيه الفأرة قال ينزح منها دلاء .

وماقد حدثنا ابن خزيمة قال : ثنا حجاج قال : ثنا حماد بن سلمة عن حماد بن أبى سليمان أنه قال فى دجاجة وقعت فى بير فماتت ؟ قال ينزح منها قدر أربعين دلواً أو خمسين ، ثم يتوضأ منها .

فهذا من روينا عنه ، من أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم ، قد جعلوا مياه الآبار نجسة بوقـوع النجـاسات فيها ولم يراعوا كثرتها ولاقلتها ، وراعوا دوامها وركودها ، وفرقوا بينها وبين مايجرى مما سواها .

فإلى هذه الآثار مع ماتقدمها مما رويناه عن رسول الله ﷺ ذهب أصحابنا فى النجاسات التى تقع فى الآبار ولم يجز لهم أن يخالفوها لأنه لم يرو عن أحد خلافها .

فإن قال قائل : فأنتم قد جعلتم ماء البير نجساً بوقوع النجاسة فيها ، فكان ينبغى أن لاتطهر تلك البير أبداً لأن حيطانها قد تشربت ذلك الماء النجس ، واستكمن فيها ، فكان ينبغى أن تطم .

قيل له : لم تر العادات جرت على هذا قد فعل عبدالله بن الزبير ماذكرناه فى زمزم بحضرة أصحاب النبى ﷺ فلم ينكروا ذلك عليه ولاأنكره من بعدهم ولارأى أحد منهم طمها . وقدأمر

رسول الله ﷺ فى الإناء الذى قد نجس من ولوغ الكلب فيه ، أن يغسل ، ولم يأمر بأن يكسر ، وقد شرب من الماء النجس .

فكما لو يؤمر بكسر ذلك الاناء ، فكذلك لايؤمر بطم تلك البير .

فإن قال قائل : فإنا قد رأينا الاناء يغسل ، فلم لاكانت البير كذلك ؟

قيل له : إن البير لايستطاع غسلها لأن مايغسل به يرجع فيها وليست كالإناء الذى يهراق منه مايغسل به .

فلما كانت البير مما لايستطاع غسلها . وقد ثبت طهارتها فى حال ما . وكان كل من أوجب نجاستها بوقوع النجاسة فيها وقد أوجب طهارتها بنزحها وإن لم ينزح مافيها من طين .

فلما كان بقاء طينها فيها ، لايوجب نجاسة مايطرأ فيها من الماء وإن كان يجرى على ذلك الطين كان إذا مابين حيطانها أحرى أن لاينجس ، ولو كان ذلك مأخوذاً من طريق النظر ، لما طهرت حتى تغسل حيطانها ويخرج طينها ويحفر ، فلما أجمعوا أن نزح طينها وحفرها غير واجب ، كان غسل حيطانها أحرى أن لايكون واجباً .

وهذا كله قول أبى حنيفة ، وأبى يوسف ومحمد ، رحمهم الله تعالى .

البويطى

البويطى أبو يعقوب يوسف بن يحيى القرشى الامام الجليل، أحد أئمة الإسلام وأركانه وزهاده . كان خليفة الشافعى فى حلقته بعده . قال الشافعى : ليس أحد أحق بمجلسى من أبى يعقوب ، وليس أحد من أصحابى أعلم منه .

وكان ابن أبى الليث الحنفى قاضى مصر يحسده ، فسعى به إلى الواثق بالله أيام المحنة بخلق القرآن ، فأمر بحمله إلى بغداد مغلولا مقيدا ، وأريد منه القول بذلك ، فامتنع ، فجلس ببغداد إلى أن مات فى القيد والسجن .

وكان الشافعى له كرامة « يقول له » : أنت تموت فى الحديد [١] .

الحارث بن مسكين

هو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف الأموى أبوعمرو المصرى .

الحافظ الفقيه العلامة ، روى عنه أبوداود والنسائى . قال الخطيب : كان فقيها على مذهب مالك . ثقة فى الحديث ، ثبتا ، وله تصانيف. ولد سنة أربع وخمسين ومائة ، ومات ليلة الأحد لثلاث بقين من ربيع الأول سنة خمسين ومائتين [٢].

---

(١) طبقات الشافعية ١ : ٢٧٥.

(٢) الديباج المذهب ٦٠٦ ، طبقات الشافعية ١ : ٢٤٩.

أبو الطاهر أحمد بن عمرو

هو أبوالطاهر أحمد بن عمرو بن السرح الأموى مولاهم المصرى الحافظ الفقيه العلامة (م ، د ، ن) روى عن ابن عيينة وابن وهب ، وعن مسلم وأبوداود والنسائى وابن ماجة ، والسرح هو طاهر بن وهب .

قال أبوحاتم : كان ثقة فهما من الصالحين الأثبات . مات يوم الاثنين رابع عشرة ذى القعدة سنة خمسين ومائتين . وذكره ابن فرحون فى طبقات المالكية ، فقال : كان فقيها ثقة صدوقا [1] .

محمد بن نصر المروزى

هو محمد بن نصر المروزى الامام أبوعبدالله . أحد أئمة الفقهاء . ولد ببغداد ، ونشأ بنيسابور ، وأقام بمصر مدة ، ورجع فاستوطن سمرقند . كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وله تصانيف جليلة . وكان رأسا فى الفقه ، رأسا فى الحديث ، ورأسا فى العبادة ، وقال شيخه فى الفقه محمد بن عبدالله بن عبدالحكم : كان محمد بن نصر عندنا إماما ، فكيف بخراسان . . وقال غيره : لم يكن للشافعية فى وقته مثله . وعنه أنه قال : مكثت فى مصر مدة أنفق فيها كل سنة عشرين درهما ومات فى المحرم سنة أربع وتسعين ومائتين .

قال ابن كثير فى تاريخه : روى أنه اجتمع فى الديار المصرية محمد بن نصر ومحمد بن جرير ومحمد بن المنذر ، فجلسوا فى بيت يكتبون الحديث ، ولم يكن عندهم فى ذلك اليوم شىء يقتاتون ، فاقترعوا فيما بينهم من يسعى لهم فى شىء يأكلونه ، ليدفعوا عنه ضرورتهم ، فجاءت القرعة على أحدهم ، فنهض إلى الصلاة ، فجعل يصلى ويدعو الله وذلك وقت القيلولة ، فرأى نائب مصر وهو نائم وقت القيلولة رسول الله ﷺ وهو يقول أنت هاهنا والمحمدون ليس عندهم شىء يقتاتونه . . فانتبه الأمير من منامه ، فسأل : من هاهنا من المحمدين ؟ فذكر له هؤلاء الثلاثة ، فأرسل إليهم فى الساعة بألف دينار [2] .

ويشبه هذا ماحكاه ابن كثير أيضاً فى ترجمة الحسن بن سفيان الفسوى محدث خراسان ، قال : من غريب مااتفق له أنه كان هو وجماعة من أصحابة بمصر فى رحلتهم للحديث ، منهم محمد بن خزيمة ومحمد بن جرير ومحمد بن هارون الرويانى ، فضاق عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون شيئا ، واضطرهم الحال إلى السؤال ، فأنفت نفوسهم من ذلك ، ثم

---

(١) طبقات الشافعية ١/١٩ الديباج المذهب ٣٥ ، وفيه « أحمد بن عمر » .

(٢) تاريخ ابن كثير ١١ : ١٠٢-١١١٣ .

ألجأتهم الضرورة إلى تعاطى ذلك ، فاقترعوا فيما بينهم ، فوقعت القرعة على الحسن بن سفيان فقام فاختلى فى زاوية المسجد الذى هم فيه فصلى ركعتين طال فيهما ، واستغاث بالله وسأله بأسمائه العظام ، فما انصرف من الصلاة حتى دخل المسجد رجل ، فقال : أين الحسن بن سفيان ورفقته ؟ فقالوا هانحن ، فقال : الأمير ابن طولون يقرأ عليكم السلام ، ويعتذر إليكم فى تقصيره ؟ وهذه مائة دينار ، لكل واحد منكم فقالوا له : ما الحامل له على هذا ؟ فقال : إنه أحب اليوم أن يختلى بنفسه ، فبينما هو الآن إذ جاءه فارس فى الهواء بيده رمح ، فدخل عليه المنزل ، ووضع عقب الرمح فى خاصرته ، فوكزه به وقال : قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه ، قم فأدركهم ، قم فأدركهم ، قم فأدركهم ، فانهم منذ ثلاثة أيام جياع فى المسجد الفلانى ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا رضوان خازن الجنان ، فاستيقظ الأمير وخاصرته تؤلمه ألما شديدا ، فبعث بالنفقة فى الحال ، ثم جاء لزيارتهم ، واشترى ماحول ذلك المسجد ، ووقفه على الواردين إليه [(1)].

---

(1) طبقات الشافعية ٢ : ٢٤.

الشيخ

عز الدين بن عبدالسلام

سلطان العلماء

هو الشيخ عز الدين بن عبدالسلام بن عبدالعزيز بن القاسم بن حسن بن مهذب السلمى أبـومحمد ، شيخ الإسلام ، سلطان العلماء . ولد سنة سبع ـ أو ثمان ـ وسبعين وخمسمائة وتفقه الفخـر بن عسـاكـر ، وأخذ الاصول عن السيف الابذى ، وسمع الحديث من عمر بن طبرزد وغيرهم ، وبرع فى الفقه والاصول والعربية .

قال الذهبى فى العبر : انتهت إليه معرفة المذهب مع الزهد والورع ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقدم مصر ، فأقام بها أكثر من عشرين سنة ، ناشرا العلم ، آمرا بالمعروف ، ناهيا للمنكر ، يغلظ على الملوك فمن دونهم . ولما دخل مصر بالغ الشيخ زكى الدين المنذرى فى الأدب معه ، وامتنع من الافتاء لأجله ، وقال : كنا نفتى قبل حضوره ، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه . وألقى التفسير دروسا . وهو أول من فعل ذلك .

وله من المصنفات : تفسير القرآن ، ومجاز الفرسان والفتاوى الموصلية ، ومختصر النهاية وشجرة المعارف ، والقواعد الكبرى والصغرى ، وبيان أحوال الناس يوم القيامة .

وكان يحضر عند الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، ويسمع كلامه فى الحقيقة ، ويعظمه وقـال الشيخ أبوالحسن الشاذلى : قيل لى : ماعلى وجه الأرض مجلس فى الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبدالسلام ، وماعلى وجه الأرض مجلس فى الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكى الدين عبدالعظيم ، وماعلى وجه الأرض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلسك .

وقال ابن كثير فى تاريخه : انتهت إليه رياسة المذهب ، وقصد بالفتاوى من الآفاق ، ثم كان فى آخر عمره لايتقيد بالمذهب ، بل اتسع نطاقه ، وأفتى بما أدى إليه اجتهاده . وقال تلميذه ابن دقيق العيد : كان ابن عبدالسلام أحد سلاطين العلماء .

وقال الشيخ جمال الدين بن الحاجب : ابن عبدالسلام أفقه من الغزالى . وحكى القاضى عزالدين البكارى أن الشيخ عز الدين بن عبدالسلام أفتى مرة بشىء ثم ظهر له أنه أخطأ ، فنادى فى مصر والقاهرة على نفسه : منْ أفتى له ابن عبدالسلام بكذا ، فلا يعمل به فإنه خطأ .

قال القطب اليونيني : وكان مع شدته وصلابته حسن المحاضرة بالنوادر والأشعار .

وقال ابن كثير : كان لطيفا يستشهد بالأشعار ، توفى بمصر عاشر جمادى الأولى سنة ستين وستمائة [1] .

---

(١) البداية النهاية لابن كثير ١٣ : ٢٣٥ .

ابن دقيق العيد

هو ابن دقيق العيد الشيخ تقى الدين أبوالفتح محمد بن الشيخ مجد الدين على بن وهب بن مطيع القشيرى القوصى . قال ابن السبكى فى الطبقات : شيخ الإسلام الحافظ الزاهد الورع الناسك المجتهد المطلق ذو الخبرة التامة بعلوم الشريعة ، الجامع بين العلم والدين ، والسالك سبيل السادة الأقدمين ، أكمل المتأخرين . ولد بظهر البحر الملح قريبا من ساحل البنبع وأبواه متوجهان من قوص للحج يوم السبت فى شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة ، ونشأ بقوص وتفقه بها ، ثم رحل إلى مصر والشام ، وسمع الكثير ، وأخذ من الشيخ عز الدين بن عبدالسلام وحقق العلوم ، ووصل إلى درجة الاجتهاد ، وانتهت إليه رياسة العلم فى زمانه ، وشدت إليه الرحال .

قال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس : لم أر مثله فيمن رأيت ، ولاحملت عن أجل منه فيمن رويت . وكان للعلوم جامعا ، وفى فنونها بارعا ، مقدما فى معرفة علم الحديث على أقرانه ، منفردا بهذا الفن النفيس فى زمانه ، بصيرا بذلك ، شديد النظر فى تلك المسالك ، أذكى ألمعية وأذكى لوذعية ، لايشق له غبار ، ولايجرى معه سواه فى مضمار ، وكان حسن الاستنباط والأحكام والمعانى من السنة والكتاب ، بنكت تسحر الألباب ، وفكر تستفسح له مااستغلق على غيره من الأبواب ، مستعينا على ذلك بما رواه من العلوم ، مبينا ماهنالك بما حواه من مدارك الفهوم ، مبرزا فى العلوم النقلية والعقلية ، والمسالك الأثرية والمدارك النظرية ، بحيث يقضى له من كل علم بالجميع ، وسمع بمصر والشام والحجاز ، على تحر فى ذلك واحتراز ، ولم يزل حافظا للسانه ، مقبلا على شانه ، وقف نفسه على العلوم وقصرها ، ولو شاء لعاد أن يحصر كلماته لحصرها ، ومع ذلك فله بالتجريد تخلق ، وبكرامات الصالحين تحقق ، وله مع ذلك فى الأدب باع ، وكرم طباع ، ولم يخل فى بعضها من حسن انطباع ، حتى لقد كان الشهاب محمود الكاتب المحمود فى تلك المذاهب ، يقول : لم تر عينى آدب منه .

وقال أبوحيان : هو أشبه من رأيناه يميل إلى الاجتهاد .

قال الشيخ تاج الدين السبكى : ولم أر أحدا من أشياخنا يختلف فى أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس المائة السابعة ، المشار إليه فى الحديث : فإنه أستاذ زمانه علما ودينا .

ولـه مصنفـات ، منهـا الإلمام فى الحـديث وشرحه ، الذى لم يؤلف أعظم منه لما فيه من الاستنباطات العظيمة ، وشرح العمدة والاقتراح فى مصطلح الحديث ، وكتاب فى أصول الفقه ، وكتاب فى أصول الدين ، وله ديوان خطب ، وشعر حسن .

مات يوم الجمعة حادى عشر من صفر سنة اثنين وسبعمائة [1] .

---

(١) طبقات الشافعية ٦ : ٢-٢٢ه

الامام السبكى

السبكى العلامة تقى الدين أبوالحسن على بن عبدالكافى بن تمام بن حماد بن يحيى بن عثمان بن على بن سوار بن سليم الانصارى .قال ولده فى الطبقات : الامام الفقيه المحدث الحافظ المفسر الأصولى المتكلم النحوى اللغوى الأديب الجدلى الخلافى النظار ، شيخ الإسلام بقيّة المجتهدين ، المجتهد المطلق . ولد بسبك من أعمال المنوفية فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة وتفقه على ابن الرفعة ، وأخذ الحديث عن الشرف عن العلاء الباجى ، والنحو عن أبى حبان . وصحب فى التصوف الشيخ تاج الدين بن عطاءالله ، وانتهت إليه رياسة العلم بمصر . قال الأسنوى : كان أنظر من رأيناه من أهل العلم ومن أجمعهم للعلوم ،وأحسنهم كلاما فى الأشياء الدقيقة وأجلدهم على ذلك . وقال الصلاح الصفدى : الناس يقولون : ماجاء بعد الغزالى مثله ، وعندى أنهم يظلمونه بهذا وماهو عندى إلاّ مثل سفيان الثورى ، وقال ابنه فى الترشيح : قال الشيخ شهاب الدين بن النقيب ، صاحب مختصر الكفاية وغيرها من المصنفات : جلست بمكة بين طائفة من العلماء وقعدنا نقول : لو قدر الله تعالى بعد الأئمة الأربعة فى هذا الزمان مجتهدا عارفا بمذاهبهم أجمعين يركب لنفسه مذهبا من الأربعة ، بعد اعتبار هذه المذاهب المختلفة كلها ، لازدان الزمان به ، وانقاد الناس ، فاتفق رأينا على أن هذه الرتبة لاتعدو الشيخ تقى الدين السبكى ، ولاينتهى لها سواه .

وله من المصنفات الجليلة الفائقة التى حقها أن تكتب بماء الذهب ، لما فيها من النفائس البديعة ، والتدقيقات النفيسة ، منها الدرا لنظيم فى تفسير القرآن العظيم ، تكملة شرح المهذب للنووى وصل فيه إلى أثناء التفليس ، الابتهاج فى شرح المنهاج وصل فيه إلى الطلاق . الرقم الابريزى شرح مختصر التبريزى ، التحقيق فى مسألة التعليق ، رفع الشقاق فى مسألة الطلاق أحكام كل ماعليه تدل ، بيان حكم الربط فى اعتراض الشرط ، شفاء السقام فى زيارة خير الأنام ، السيف المسلول على من سب الرسول ، التعظيم والمنة ، فى « لتؤمنن به ولتنصرنه » ، منية الباحث عن حكم دين الوارث ، الرياض الأنيقة وقسمة الحديقة ، الاقناع فى إفادة « لو » للامتناع « وشى الحلا فى تأكيد النفى بلا » ، الاعتبار ببقاء الجنة والنار ، ضرورة التقرير فى تقويم الخمر

والخنزير ، كيف التدبير فى تقويم الخمر والخنزير ، السهم الصائب فى قبض دين الغائب ، الغيث المغدق فى ميراث ابن المعتق ، فصل المقال فى هدايا العمال ، مختصرة ، نور المصابيح فى صلاة التراويح ، ضياء المصابيح ، ضوء المفاليح ، تقييد التراجيح .

ومصنفان : آخران فى ذلك ، تكملة سبعة أجزاء ، إبراز الحكم من رفع القلم ، الكلام على حديث « إذا مات ابن ادم انقطع عمله إلا من ثلاث » كشف الغمة فى ميراث أهل الذمة ، الاتساق فى بقاء وجه الاشتقاق ، الطوالع المشرقة فى الوقف على طبقة بعد طبقة ، النقول والمباحث المشرقة ، طليعة الفتح والنصر فى صلاة الخوف والقصر ، القول الصحيح فى تعيين الذبيح ، القول المحمود فى تنزيه داود ، قطف النور مسائل الدور ، وله فيه مؤلف ثالث ورابع وخامس ، عقود الجمان فى عقود الرهن والضمان ، ورد الغلل فى العلل ، الجمع فى الحضر بعذر المطر ، حسن الصنيعة فى ضمان الوديعة ، التهدى إلى معنى التعدى ، بيان المحتمل فى تعدية العمل ، الحكم والأناة فى إعراب قوله : « غير نَاظِرِينَ إِنَاهُ » القول الجد فى تبعية الجد ، الأغريض فى الفرق بين الكناية والتعريض ، المواهب الصمدية فى المواريث الصفدية ، تفسير « يَأَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ » الآية ، كشف الدسائس فى هدم الكنائس ، تنزيل السكينة على قناديل المدينة ، الطريقة النافعة فى المساقاة والمخابرة والمزارعة ، من أقسطوا ومن غلوا فى حكم من يقول لو ، نيْل العُلا فى العطف بلا ، حفظ الصيام عن فوت التمام ، معنى قول الامام المطلبى : إذا صح الحديث فهو مذهبى . القول المختطف فى أدلة « كان إذا اعتكف » ، كشف اللبس عن المسائل الخمس ، غيرة الايمان الجلى لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، بيع المرهون فى غيبة المديون ، الاقتناص فى الفرق بين الحصر والاختصاص ، تسريح الناظر فى انعزال الناظر ، جزء فى تعدد الجمعة ، وغير ذلك . وله فتاوى كثيرة جمعها ولده فى ثلاثة مجلدات .

توفى بجزيرة الفيل على شاطىء النيل ، يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسين بعمائة [1] .

---

(١) طبقات الشافعية ١٤٦/٦ - ٢٢٧ .

الامام شهاب الدين البوصيري

هو [1] شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم - ككبير - ابن قايماز بن عثمان بن عمر الشهاب أبوالعباس الكناني البوصيري القاهري الشافعي .

ولد في العشر الأوسط من المحرم سنة اثنين وستين وسبعمائة ، بأبوصير من الغربية ونشأ بها ، فحفظ القرآن وجوده ببوصير على الشيخ عمر بن الشيخ عيسى وقرأ عليه الميقات ، وانتفع بلحظه ودعائه . ثم انتقل باشارته بعد استرضاء والده إلى القاهرة ، فأخذ الفقه عن النور الأدمي ، وحصلت بركاته وطرفا من النحو عن البدر القدسي الحنفي ، وسمع دروس العز بن جماعة في المنقول والمعقول ، ولازم الشيخ يوسف إسماعيل الانبابي في الفقه وسمع الكثير من جماعة منهم التقي بن حاتم ، والتنوخي ، والبلقيني والعراقي ، والهيثمي . وكثرت عنايته بهذا الشأن ، ولازم فيه ابن العراقي على كبر كثيرا ، وولده الولي ، وكذا لازم شيخنا قديما في حياة شيخهما المذكور ، ثم بعد إلى أن مات حتى كتبه عنه ، من تصانيفه : اللسان والنكت للكاشف ، وزوائد البزار على الستة ، وأحمد وغير ذلك ، وقرأ عليه أشياء ، ووصفه بالشيخ المفيد الصالح المحدث الفاضل ، وكتب بخطه أيضا من تصانيف غيره الكثير كالفردوس ، ومسنده بحيث علق بذهنه من أحاديثهما أشياء كثيرة كان يذاكر بها مع عدم مشاركة في غيره ولاخبرة بالفن كما ينبغي لكنه كان كثير السكون والتلاوة والعبادة والانجماع على الناس والاقبال على النسخ ، والاشتغال مع حدة في خلقه ، وخطه حسن مع تحريف كثير في المتون والأسماء .

ومما جمعه زوائد ابن ماجه على باقي الكتب الخمسة مع الكلام على أسانيدها ، وزوائد السنن الكبرى للبيهقي على الستة في مجلدين أو ثلاثة وزوائد مسانيد الطيالسي ، وأحمد ومسدد ، والحميدي ، والعدني ، والبزار ، وابن منيع ، وابن أبي شيبة ، وعبد ، والحارث بن أبي أسامة ، وأبي يعلى ، مع الموجود من مسند ابن راهويه على الستة أيضا في تصنيفين :

أحدهما : يذكر أسانيدهم ، والآخر بدونها ، مع الكلام عليها ، والتقط من هذه الزوائد ، ومن مسند الفردوس ، كتابا جعله ذيلا على الترغيب : للمنذري ، سماه تحفة الحبيب للحبيب بالزوائد في الترغيب والترهيب ، ومات قبل أن يهذبه ويبيضه ، فبيضه من مسودته ولده على خلل

---

(١) الضوء اللامع ١/٢٥١-٢٥٢.

كثير فيه فإنه ذكر فى خطبته أنه يقتفى أثر الأصل فى اصطلاحه وسرده ، ولم يوف بذلك ، بل أكثر من إيراد الموضوعات وشبهها بدون بيان ، وعمل جزءاً فى خصال تعمل قبل الفوت فيمن يجرى عليه بعد الموت ، وآخر فى أحاديث الحجامة إلى غير ذلك ، وحدث باليسير ، سمع منه الفضلاء كابن فهد وناب فى الامامة بالحمينية ، وكان قاطنا بها ، ثم أم بالقبة منها ، وتنزل فى صوفية الشيخونية ، ثم المؤيدية أول مافتحت ، واستمر على طريقته حتى مات وقت الزوال من يوم الاحد سابع عشر من المحرم ، وذلك يوم فتح السد عام أربعين ٨٤٠ بالحسينية بعد أن نزل به الحال ، وخفت ذات يده جدا ، وطالت عليه ، ودفن بتربة طشتمر الدوادار رحمه الله وإيانا .

وقد ذكر شيخنا فى أنبائه ، والمقريزى فى عقوده ، وابن فهد وآخرون أ . هـ .

وقال فى حسن المحاضرة : توفى فى ليلة الأحد ثامن عشرين ، المحرم .

أما ابن العماد فإنه يقول عنه فى شذراته .

وفيها - أى سنة أربعين وثمانمائة - توفى شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان بن عمر البوصيرى الشافعى ، ولد فى المحرم سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، وسكن القاهرة ، ولازم العراقى على كبر فسمع منه الكثير ، ولازم ابن حجر فكتب عنه لسان الميزان ، والنكت على الكاشف والكثير من التصانيف ثم أكب على نسخ الكتب الحديثة وكان كثير السكون والعبادة والتلاوة مع حدة الخلق وجمع أشياء منها زوائد سنن ابن ماجة على الكتب الأصول الستة ، وعمل زوائد المسانيد العشرة ، وزوائد السنن الكبير للبيهقى ، وكتاب تحفة الحبيب للحبيب بالزوائد فى الترغيب والترهيب لم يبيضه ولم يزل مكبا على الاشتغال والنسخ إلى أن توفى فى شهر المحرم بالقاهرة . والله سبحانه وتعالى نسأل ، وإليه نضرع ، أن ينفعنا بعلمه ، وأن يجزيه عما قدم للإسلام والمسلمين من تراث إسلامى أصيل ، خير مايجزى به الصالحين المخلصين والعلماء العاملين من عباده ، والأولياء المتقربين من أهل وده ووداده إنه حسبنا ونعم الوكيل .

وقال الشيخ الامام العالم العامل المحدث الحافظ المحقق المحرر ، المخرج المقرر مفيد الطالبين ، مفتى المسلمين ، شهاب الدين أحمد الكنانى البوصيرى الشافعى رحمه الله .

يقول الفقير إلى مغفرة الكريم أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل البوصيرى رحمه الله :

الحمد لله الذى شرفنا بما خاطبنا به من كلامه المجيد ، وعرفنا فيه دلائل ربوبيته لنعبده على بساط التمجيد ، وقضى فى سابق أجله بما شاء من آثار الفضل والعدل على العبيد ، فهذا شقى وهذا سعيد ، وهذا غوى وهذا رشيد ، وهذا صفى وهذا طريد ، وهذا وفى وهذا عنيد ، وهذا ذكى وهذا بليد ، وهذا أعمى وهذا بصره حديد ، لايسأل عما يفعل ، إن الله يفعل مايريد . .

فأحمده وأشكره وإن شكره لاحق . . وأستفتح به باب المزيد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الواحد الأحد الفرد الصمد الولى الحميد ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المسددة كل أقواله وأفعاله بغاية التسديد ، فلقد حق لنا أن نقتدى بسنته فيما نبدى ومانعيد ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأيد ذلك بمدد لاينفد ولايبيد .

وبعد . فقد استخرت الله عز وجل فى إفراد الإمام الحافظ أبى عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى على الخمسة الأصول :

صحيحى البخارى ومسلم

وأبى داود .

والترمذى .

والنسائى الصغرى رواية بن السنى .

فإذا كان الحديث فى الكتب الخمسة أو أحدها من طريق صحابى واحد لم أخرجه إلا أن يكون فيه زيادة عند ابن ماجة تدل على حكم .

وإن كان من طريق صحابيين فأكثر وانفرد ابن ماجه بإخراج طريق منها أخرجته ولو كان المتن واحد وأنبه عقب كل حديث أنه فى الكتب الخمسة المذكورة أو أحدها عن طريق فلان مثلا إن كان.

فإن لم يكن ورأيت الحديث فى غيرهما نبهت عليه للفائدة ، وليعلم أن الحديث ليس بفرد .

ثم أتكلم على كل إسناد بما يليق بحاله من صحة وحسن وضعف وغير ذلك وماسكت عليه فقيه نظر .

وهذا ترتيب كتبه أذكرها ليسهل الكشف عنها ، وهى :

كتاب اتباع السنة وفضل الصحابة والعلماء .
كتاب الطهارة .
كتاب المواقيت .
كتاب الأذان .
كتاب إقامة الصلاة .
كتاب الجنائز .
كتاب الصيام .
كتاب الزكاة .

كتاب النكاح .
كتاب الطلاق .
كتاب الكفارات
كتاب التجارات .
كتاب الأحكام .
كتاب الشفعة .
كتاب العتق .
كتاب الحدود .
كتاب الديات .
كتاب الوصايا .
كتاب الفرائض .
كتاب الجهاد .
كتاب الحج .
كتاب الضحايا .
كتاب الذبح والعقيقة .
كتاب الصيد .
كتاب الأطعمة .
كتاب الأشربة .
كتاب الطب .
كتاب اللباس .
كتاب الأدب .
كتاب الدعاء .
كتاب التعبير .
كتاب الفتن .
كتاب الزهد .
كتاب الموت .
صفة أمة محمد ﷺ
كتاب الحوض .
كتاب الشفاعة .
صفة النار .

صفة الجنة .

وسميته مصباح الزجاجة ، فى زوائد ابن ماجه .

وقد اخبرنى بجميع سنن الامام أبى عبدالله ابن ماجه إذنا خاصا شيخنا الامام الحافظ أبو الفضل عبدالرحيم بن الحسين بن العراقى ، وولده شيخنا ، الإمام الحافظ أبوزرعة أحمد أبقاه الله تعالى ورحم سلفه قالا : أبنأنا أبوإسحق إبراهيم بن عبدالله بن بدران المقدسى ، قال : ثنا عبدالحافظ بن بدران قال ثنا العلامة : أبومحمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة .

وأخبرنى شيخنا الإمام الحافظ أبوالفضل أحمد بن العسقلانى أبقاه الله تعالى إجازة معينة . قال : أنبأنا أبوالحسن على بن محمد بن أبى المجد قراءة عليه ، وأخبرنا به ابن أبى المجد مشافهة عن القاضى تقى الدين سليمان بن حمزة وغيره عن عبدالعزيز بن أحمد بن باقا والامام شيخ الإسلام شهاب الدين عمر السهروردى والأنجب الجامى قالوا كلهم :

أنبأنا : أبوزرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسى غير أن ابن باقا فاته منه شىء يسير قال أبوزرعة أنبأنا أبومنصور محمد بن الحسين بن المقومى أنبأنا أبوطلحة القاسم بن أبى المنذر الخطيب أنبأنا أبوالحسن على بن إبراهيم بن سلمة القطان أنبأنا أبوعبدالله ابن ماجه قال :

نماذج من كتاب

« مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه »

للبوصيرى

كتاب اتباع السنة

١ـ حدثنا هشام بن عمار الدمشقى ثنا محمد بن عيسى بن سميع ثنا إبراهيم بن سليمان الأفطس عن الوليد بن عبدالرحمن الجرشى عن جبير بن نفير عن أبى الدرداء قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الفقر ونتخوفه فقال : آلفقر تخافون ؟ والذى نفسى بيده لَتُصَبَّنَّ عليكم الدنيا صبا حتى لايُزِيغ قلب أحدكم إزاغة إلا هيهْ ، وايمُ الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء .

قال أبو الدرداء : صدق والله رسول الله ﷺ تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء .

٢ـ حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير ثنا زكريا بن عدى عن ابن المبارك عن ابن سوقة عن أبى جعفر قال : كان ابن عمر إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثا لم يعده ولم يقصر دونه .

قلت رواه سفيان بن عيينة وعبدالرحمن بن معرا وغير واحد عن محمد بن سوقة عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بتهامه وفيه قصة عبيد بن عمير مع عبدالله بن عمر .

ورواه أبوداود الطيالسى فى مسنده عن المسعودى عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بتمامه بقصة عبيد كما بينته فى زوائد المسانيد العشرة .

٣ـ حدثنا هشام بن عمار ثنا يحيى بن حمزة ثنا أبو علقمة نصر بن علقمة عن عمير بن الأسود وكثير بن مرة الحضرمى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لاتزال طائفة من أمتى على أمر الله عز وجل لايضرها من خالفها :

٤ـ حدثنا هشام بن عمار ثنا الجراح بن مليح ثنا بكر بن زرعة قال سمعت أبا عنبة الخولانى وكان قد صلى القبلتين مع رسول الله ﷺ يقول : لايزال الله يغرس فى هذا الدين غرسا يستعملهم فى طاعته .

هذا إسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات ، وقد توبع هشام عليه فرواه ابن حبان فى صحيحه من طريق الهيثم بن خارجة عن الجراح به .

٥ـ **حدثنا أبوسعيد عبدالله بن سعيد ثنا أبوخالد للأحمر ، سمعت مجالدا يذكر عن الشعبى عن جابر بن عبدالله قال : كنا عند النبى ﷺ فخط خطا وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره ثم وضع يده فى الخط الأوسط فقال : هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية : « وَأَنَّ هذا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَاتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » .**

هذا إسناد فيه مقال من أجل مجالد بن سعيد .

● **باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ**

٦ـ **حدثنا هشام بن عمار ثنا يحيى بن حمزة حدثنى برد بن سنان عن إسحق بن قبيصة عن أبيه أن عبادة بن الصامت الأنصارى النقيب صاحب رسول الله ﷺ غزا مع معاوية أرض الروم فذكر الحديث فى إنكار عبادة بيع الذهب بالفضة وفيه : فلما قفل لحق بالمدينة ، فقال له عمر بن الخطاب ماأقدمك ياأبا الوليد ، فقص عليه القصة وماقال من مساكنته فقال : ارجع ياأبا الوليد إلى أرضك ، قبح الله أرضا لست فيها وأمثالك ، وكتب إلى معاوية : لاإمرة لك عليه واحمل الناس على ماقال فإنه هو الأمر .**

قلت : أصله فى الصحيحين من حديث عبادة سوى هذه القصة التى ذكرناها وصورته مرسل لأن قبيصة لم يدرك القصة .

٧ـ **حدثنا أبوبكر بن خلاد الباهلى ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن ابن عجلان أنبأ عون بن عبدالله عن عبدالله بن مسعود قال : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فظنوا برسول الله ﷺ الذى هو أهناه وأهداه وأتقاه .**

هذا إسناد فيه انقطاع :

عون بن عبدالله لم يسمع من عبدالله بن مسعود ، رواه ابن أبى عمر فى مسنده عن سفيان عن ابن عجلان باسناده ومتنه .

٨ـ **حدثنا محمد بن بشار ثنا يحيى بن سعيد عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى عن أبى عبدالرحمن السلمى عن على بن أبى طالب قال : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثا فظنوا به الذى أهناه وأهداه وأتقاه .**

هذا إسناد صحيح ورجاله محتج بهم فى الصحيحين .

رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده عن شعبة بإسناده ومتنه .

ورواه مسدد فى مسنده عن يحيى عن مسعد عن عمرو بن مرة فذكره بإسناده ومتنه .

ورواه أحمد بن منيع فى مسنده حدثنا أبومطر ثنا شعبة فذكره ، وزاد : وخرج إلينا حين ثوب المؤذن فقال : أين السائل عن الوتر ؟ هذا حين وتر حسن .

● **باب التوقى فى الحديث عن رسول الله ﷺ**

٩- حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة ، ثنا معاذ بن معاذ عن ابن عون ثنا مسلم البطين عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن عمرو بن ميمون قال : ماأخطأنى ابن مسعود عشية خميس إلا أتيته فيه ، قال : فما سمعته يقول بشىء قط قال رسول الله ﷺ فلما كان ذات عشية قال : قال رسول الله ﷺ فنكس ، فنظرت إليه وهو قائم محللة أزرارُ قميصه ، قد اغرورقت عيناه وانتفخت أوداجه .

قال : أو دون ذلك ، أو فوق ذلك ، أو قريبا من ذلك ، أو شبيها بذلك .

هذا إسناد صحيح ، احتج الشيخان بجميع رواته ، رواه الحكم من طريق ابن عون ، وفى آخره : أو كما قال رسول الله ﷺ .

قلت : وقد اختلفت فيه على مسلم بن عمران البطين اختلافا كثيرا :

فقيل : عنه عن أبى الشيبانى .

وقيل : عنه عن أبى عبيدة بن عبدالله بن مسعود .

وقيل : عنه عن أبى عبدالرحمن السلمى .

وقيل : عنه عن إبراهيم التيمى عن عمر بن ميمون .

وقيل : عنه عن عمرو بن ميمون كلهم عن ابن مسعود .

قال البيهقى فى المدخل : رواية ابن عون أكملها إسنادا ومتنا وأحفظها ، والله أعلم .

ورواه أبوداود الطيالسى فى مسنده عن المسعودى ثنا مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال : اختلفت إلى عبدالله سنة لاأسمعه يقول فيها قال رسول الله ﷺ إلا أنه جرى ذات يوم حديثه فقال : قال رسول الله ﷺ فعراه كرب ، وجعل العرق ينحدر عن جبينه ، ثم قال :

إما فوق ذلك ، أو دون ذلك ، أو قريب من ذلك .

١٠- حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة ثنا معاذ بن معاذ عن ابن عون عن محمد بن سيرين قال : كان أنس بن مالك إذا حدث عن رسول الله ﷺ حديثا ففرغ منه قال : أو كما قال رسول الله ﷺ .

هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، فقد احتجا بجميع رواته وقد روينا عن جماعة من الصحابة نحو مافعله أنس من الحذر والاحتياط ، منهم ابن مسعود .

١١- حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة ثنا غندر عن شعبة .

وحدثنا محمد بن بشار ثنا عبدالرحمن بن مهدى ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبدالرحمن بن أبى ليلى قال : قلنا لزيد بن أرقم :

حدثنا عن رسول الله عليه وسلم ، قال : كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله ﷺ شديد .

هذا إسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات ، محتج بهم فى الكتب الستة .

١٢- حدثنا أحمد بن عبدة ثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبى عن قرظة بن كعب قال : بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة وشيعنا ، فمشى معنا إلى موضع يقال له صرار ، فقال : أتدرون لم مشيت معكم ؟ قال قلنا : لحق صحبة رسول الله ﷺ ، ولحق الأنصار . . قال : لكنى مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به فأردت أن تحفظوه لممشاى معكم ، إنكم ستقدمون على قوم للقرآن فى صدورهم هزيز كهزيز المرجل ، فإذا رأوكم مدوا إليكم أعناقهم ، وقالوا : أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم .

هذا إسناد فيه مقال من أجل مجالد لكن لم ينفرد به مجالد عن الشعبى ، فقد رواه الحاكم فى المستدرك عن محمد بن يعقوب الأصم عن محمد بن عبدالله الحكم عن ابن وهب عن ابن عيينة عن بيان عن الشعبى به وقال : هذا حديث صحيح الاسناد وله طرق تجمع ويذاكر بها ، قال : وقرظة بن كعب صحابى سمع رسول الله ﷺ ، قال : وأما رواته فقد احتجابهم .

١٣- حدثنا محمد بن بشارثنا عبدالرحمن ثنا حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن السائب بن يزيد قال : صحبت سعد بن مالك من المدينة إلى مكة فما سمعته يحدث عن النبى ﷺ بحديث واحد .

هذا إسناد صحيح موقوف ، رواه البيهقى فى سننه من طريق ابن لهيعة عن يحيى بن سعيد بزيادة فى الزكاة فى صدقة الخلطاء .

● باب التغليظ فى تعمد الكذب على رسول الله ﷺ

١٤- حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة ثنا محمد بن بشر عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ

من تقول على مالم أقل فليتبوأ مقعده من النار

رواه أبو داود فى سننه بغير هذا السياق من طريق مسلم بن يسار عن أبى هريرة .

ورواه الحاكم فى المستدرك من طريق عمرو بن أبى نعيم مسلم بن يسار به ، وسياقه أتم .

ورواه البيهقى فى سننه عن الحاكم بالاسناد فذكره .

١٥- حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة ثنا يحيى بن يعلى التيمى عن محمد بن اسحق عن معبد بن كعب عن قتادة سمعت رسول الله ﷺ يقول على هذا المنبر : إياكم وكثرة الحديث عنى ، فمن قال على فليقل حقاً أو صدقاً ، ومن تقول على مالم أقل فليتبوأ مقعده من النار .

هذا إسناد ضعيف لتدليس ابن اسحق ، ورواه أبوبكر بن أبى شيبة فى مسنده هكذا .

١٦- حدثنا سويد بن سعيد ثنا على بن مسهر عن مطرف عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .

هذا إسناد ضعيف لضعف عطية رواه أبوبكر بن أبى شيبة فى مسنده عن أسباط بن محمد عن مطرف .

● **باب اجتناب البدع والجدل**

١٧- حدثنا محمد بن عبيد بن ميمون المدنى أبوعبيدة ثنا أبى عن محمد بن جعفر ابن أبى كثير عن موسى بن عقبة عن أبى اسحق عن أبى الأحوص عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : إنما هما اثنتان الكلام والهدى ، فأحسن الكلام كلام الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ، ألا وإياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، ألا لايطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ، ألا إن ماهو آت قريب ، وإنما البعيد ماليس بآت ، ألا إنما الشقى من شقى فى بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره ، ألا إن قتال المؤمن كفر ، وسبابه فسوق ، ولايحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، ألا وإياكم والكذب فإن الكذب لايصلح بالجد ولابالهزل، ولايعد لرجل صبيه ثم لايفى له ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإنه يقال للصادق صدق وبر ، ويقال للكاذب كذب وفجر ، ألا وإن العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا .

هذا إسناد ضعيف : عبيد بن ميمون أبو عبيدة قال فيه أبوحاتم مجهول .

١٨- حدثنا محمد بن محصن عن إبراهيم بن أبى عبلة عن عبدالله الديلمى عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ لايقبل الله لصاحب بدعة صوما ولاصلاة ولاصدقة ولاحجا ولاعمرة ولاجهادا ولاصرفا ولاعدلا ، يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين .

هذا إسناد ضعيف فيه محمد بن محصن وقد اتفقوا على ضعفه .

١٩ـ حدثنا . . بشر بن منصور الحناط عن أبى زيد عن أبى المغيرة عن عبدالله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته .

هذا إسناد رجاله كلهم مجهولون ، قاله الذهبى فى الكاشف .

وقال أبو زرعة : لا أعرف أبا زيد ولا المغيرة .

٢٠ـ حدثنا الحسن بن حماد شخاره ثنا يحيى بن سعيد الأموى عن محمد بن سعيد بن حسان عن عبادة بن نسى عن عبدالرحمن بن غنم ثنا معاذ بن جبل قال : لما بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن قال : لاتقضين ولاتفصلن إلا بما تعلم ، وإن أشكل عليك أمر فقف حتى تبينه أو تكتب لى فيه .

هذا إسناد ضعيف ، محمد بن سعيد هو المصلوب ، اتهم بوضع الحديث .

٢١ـ حدثنا سويد بن سعيد ثنا ابن أبى الرجال عن عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعى عن عبدة بن أبى لبابة عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : لم يزل أمر بنى إسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم فقالوا بالرأى ، فضلوا وأضلوا .

هذا إسناد ضعيف لضعف أبى الرجال واسمه حارثة بن محمد بن عبدالرحمن .

٢٢ـ حدثنا محمد بن أبى عمر العدنى عن سفيان بن عيينة قال : لم يزل أمر الناس معتدلا حتى نشأ فلان بالكوفة وربيعة الرأى بالمدينة وعثمان البتى بالبصرة فوجدناهم من أبناء سبايا الأمم .

● باب فى الايمان

٢٣ـ حدثنا على بن محمد ثنا وكيع ثنا حماد بن نجيح . . وكان ثقة عن أبى عمران الجونى عن جندب بن عبدالله قال : كنا مع النبى ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الايمان قبل أن نتعلم القرآن . . ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا .

هذا إسناد صحيح رجاله ثقات .

رواه البيهقى فى سننه من طريق الحسين بن حريث عن وكيع به .

٢٤ حدثنا سهل بن أبى سهل ومحمد بن إسماعيل قالا ثنا عبدالسلام بن صالح أبو الصلت الهروى ثنا على بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن الحسين عن أبيه عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ . . الايمان معرفة بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالأركان .

قلت : أبو الصلت هذا متفق على ضعفه ، واتهمه بعضهم ، تابعه محمد بن سهل بن عامر البجلى . . ومحمد بن زياد السلمى عن على بن موسى الرضا .

٢٥ـ حدثنا نصر بن على الجهضمى ثنا أبوأحمد ثنا أبوجعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده . . وعبادته لاشريك له . . وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . . مات والله عنه راضٍ .

قال أنس : وهو دين الله الذى جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء . . وتصديق ذلك فى كتاب الله فى آخر مانزَّل الله : « فإن تابوا ـ قال : خلع الأوثان وعبادتها ـ وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة » . .

وقال فى رواية أخرى : « فَإِنْ تَابُوا وَأَقامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فى الِدّين » .

هذا إسناد ضعيف ، الربيع بن أنس ضعيف هنا . . .

رواه أبويعلى الموصلى فى مسنده ثنا إسحق بن أبى إسرائيل ثنا عبدالله بن موسى ثنا أبوجعفر فذكره بتمامه .

ورواه الحاكم فى المستدرك من طريق أبى جعفر عن الربيع . . وقال صحيح الاسناد :

٢٦ـ حدثنا أحمد بن الأزهر ثنا محمد بن يوسف ثنا عبدالحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل ، قال . . قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله . . وأنى رسول الله . . ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . .

هذا إسناد حسن رواه الدار قطنى فى سننه من هذا الوجه .

ورواه الشيخان من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

● باب فى القدر

٢٧ـ حدثنا محمد بن إسماعيل الرازى أنبأنا يونس بن محمد ثنا عبدالله بن الليثى ثنا نزار بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس . . وعن جابر بن عبدالله قالا . . قال رسول الله ﷺ صنفان من أمتى ليس لهما فى الاسلام نصيب : أهل الارجاء وأهل القدر .

هذا إسناد ضعيف : نزار بن حيان الأسدى . . قال ابن حيان فى كتاب الضعفاء : يأتى عن عكرمة بما ليس من حديثه حتى يسبق القلب أنه المتعمد لذلك . . لايجوز الاحتجاج به بحال وعبدالله بن محمد الليثى مجهول ، قاله الذهبى .

قلت : لم ينفرد ابن ماجه بإخراج هذا الحديث . . فقد رواه الترمذى فى جامعه من طريق

ابن عباس فقط . . وقال حسن غريب . . انتهى ، وإنما أوردته لاضمام جابر بن عبدالله وابن عباس فى هذا الحديث معا . .

٢٨- **حدثنا أبوبكر ابن أبى شيبة ثنا مالك بن إسماعيل ثنا يحيى بن عثمان مولى أبى بكر ثنا يحيى بن عبدالله بن أبى مليكة عن أبيه أنه دخل على عائشة فذكر لها أشياء من القدر ، فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من تكلم فى شىء من القدر سئل عنه يوم القيامة . . ومن لم يتكلم فيه لم يسأل عنه .**

قال أبوالحسن القطان : حدثنا حازم بن يحيى ثنا عبدالملك بن سنان ثنا يحيى بن عثمان . . فذكره بنحوه .

هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف يحيى بن عثمان . قال فيه ابن معين والبخارى وابن حبان . . منكر الحديث . .

زاد ابن حبان : لايجوز الاحتجاج به ويحيى بن عبدالله بن أبى مليكة . . قال ابن حبان يعتبر حديثه إذا روى عنه غير يحيى بن عثمان .

٢٩- **حدثنا على بن محمد ثنا أبومعاوية ثنا داود بن أبى هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون فى القدر فكأنما يفقأ فى وجهه حب الرمان من الغضب . . فقال : بهذا أمرتم ؟ . . أم لهذا خلقتم ؟ . . تضربون القرآن بعضه ببعض . . بهذا هلكت الأمم قبلكم .**

قال : فقال عبدالله بن عمرو : وماغبطت نفسى بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ماغبطت نفسى بذلك المجلس وتخلفى عنه .

هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . . رواه الامام أحمد فى مسنده من هذه الوجه بزيادة فى آخره .

وكذا رواه الحارث بن محمد بن أبى أسامة فى مسنده . . كما أوردته فى زوائد المسانيد العشرة .

٣٠- **حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة وعلى بن محمد قالا ثنا وكيع يحيى بن أبى حية أبوجناب الكلبى عن أبيه عن ابن عمر قال . . قال رسول الله ﷺ لاعدوى ولاطيرة ولاهامة . . فقام إليه رجل أعرابى . . فقال . . يارسول الله . . أرأيت البعير يكون به الجرب فيجرب الإبل كلها . . قال : ذلكم القدر . . فمن أجرب الأول .**

هذا إسناد ضعيف لضعف يحيى بن أبى حية . . ولكنه روى عن أبيه بصيغة العنعنة . . فإنه كان يدلس .

وله شاهد من حديث عبدالله بن مسعود رواه الترمذى فى الجامع .

٣١ـ حدثنا على بن محمد ثنا يحيى بن عيسى الخزاز عن عبدالأعلى ابن أبى المساور عن الشعبى قال : لما قدم عدى بن حاتم الكوفة أتيناه فى نفر من فقهاء أهل الكوفة . . فقلنا له . حدثنا بما سمعت من رسول الله ﷺ فقال : أتيت النبى ﷺ . . فقال : ياعدى بن حاتم ، أسلم تسلم . . قلت : ومـاالإسـلام ؟ . . قال : تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . . وتؤمن بالأقدار كلها خيرها وشرها . . حلوها ومرها . .

هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف عبدالأعلى . . وله شاهد من حديث جابر رواه الترمذى فى جامعه .

٣٢ـ حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير ثنا أسباط بن محمد ثنا الأعمش عن يزيد الرقاش عن غنيم بن قيس عن أبى موسى الأشعرى . . قال : قال رسول الله ﷺ مثل القلب كالريشة تقلبها الرياح بفلاة .

هذا إسناد فيه يزيد بن أبان الرقاش . . وقد أجمعوا على ضعفه ، لكن لم ينفرد به ، فقد رواه مسدد فى مسنده ثنا خالد الحريرى عن غنيم بن قيس عن أبى موسى . . فذكره موقوفا بلفظ . . إنما مثل القلب كمثل الريشة تقلبها الرياح ظهراً لبطن .

ورواه سعيد الجريرى وإن اختلط بآخره . . فقد روى له البخارى ومسلم من طريق خالد بن عبدالله عنه .

٣٣ـ حدثنا على بن محمد ثنا خالى يعلى عن الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن جابر قال . . جاء رجل من الأنصار إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله ، إن لى جارية أعزل عنها . . قال سيأتيها ماقدر لها ، فأتاه بعد ذلك . . فقال : قد حملت الجارية ، فقال النبى ﷺ ماقدر لنفس شيئا إلا هى كائنة .

هذا إسناد صحيح رجاله موثقون .

٣٤ـ حدثنا على بن محمد ثنا وكيع عن سفيان عن عبدالله بن عيسى عن عبدالله ابن أبى الجعد عن ثوبان قال . . قال رسول الله ﷺ لايزيد فى العمر إلا البر ، ولايرد القدر إلا الدعاء ، إن المؤمن ليحرم الرزق للخطيئة يعلمها .

قلت : رواه النسائى فى الرقائق عن سويد بن نصر عن عبدالله بن المبارك عن سفيان به . . بالقصة الثالثة فقط ، وسيأتى فى كتاب الفتن إن شاء الله ، وسألت شيخنا : أبا الفضل العراقى رحمه الله عن هذا الحديث فقال : هذا حديث حسن ، انتهى .

ورواه أحمد بن منيع فى مسنده ثنا أبو أحمد الزبيرى ثنا سفيان فذكره بتمامه .

٣٥- حدثنا هشام بن عمار ثنا عطاء بن مسلم الخفاف ثنا الأعمش عن مجاهد عن سراقة بن جعشم قال . . قلت . . يارسول الله ، العمل فيما جف به القلم وجرت به المقادير أم في أمر مستقبل ؟ . . قال بل فيما جف به القلم وجرت به المقادير . . قال : وكل ميسر لما خلق له .

هذا إسناد فيه مقال ، مجاهد لم يسمع من سراقة والاسناد منقطع ، وعطاء بن مسلم مختلف فيه . . ولكن لم ينفرد به مجاهد ، فقد رواه مسدد فى مسنده ثنا إسماعيل عن روح ابن القسم عن أبى الزبير قال : قال سراقة بن جعشم يارسول الله ﷺ . . فذكره مطولا كما أوردته فى زوائد المسانيد العشرة . .

٣٦- حدثنا محمد بن المصفى الحمصى ثنا بقية بن الوليد عن الأوزاعى عن ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ أن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله . . إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم ، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم . .

هذا إسناد ضعيف فيه بقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعنه ، لكن لم ينفرد ابن ماجه بإخراج هذا المتن ، فقد رواه أبو داود فى سننه من حديث عمر بن الخطاب وسكت عليه فهو عنده صالح . . ومن حديث حذيفة : ورواه الحاكم فى المستدرك من حديث ابن عمر . .

وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، إنه صح سماع أبى حازم من ابن عمر .

قلت لم يصح سماعه كما جزم المزى .

ثم قال الحاكم : وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

باب فضل أصحاب النبى ﷺ

فضل أبى بكر رضى الله عنه

٣٨- حدثنا أبوشعيب صالح بن الهيثم الواسطى ثنا عبدالقدوس بن بكر بن خنيس ثنا مالك بن مغول عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه قال . . قال رسول الله ﷺ أبوبكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين .

٣٩- حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة وعلى بن محمد قالا أبومعاوية ثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ مانفعنى مال قط . . . مانفعنى مال أبى بكر ، قال : فبكا أبوبكر وقال : هل أنا ومالى إلا لك يارسول الله .

قلت : رواه الترمذى إلى قوله فبكا أبوبكر .

رواه النسائى فى المناقب عن محمد بن عبدالعزيز بن أبى رزمة .

وهذا إسناد رجاله ثقات .

رواه أحمد فى مسنده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

باب فضل عمر بن الخطاب رضى الله عنه

٣٩- حدثنا إسماعيل بن محمد الطلحى ثنا عبدالله بن خراش الحوسبى عن العوام بن حوشب عن مجاهد عن ابن عباس قال : لما أسلم عمر بن الخطاب نزل جبريل فقال : يامحمد ، لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر .

هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف عبدالله بن خراش ، إلا ابن حبان فإنه ذكره فى الثقات ، وأخرج هذا الحديث من طريقه فى صحيحه .

٤٠- حدثنا إسماعيل بن محمد الطلحى أنبأ داود بن عطاء المدينى عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى بن كعب قال . . . قال رسول الله ﷺ أول من يصافحه الحق عمر . . . وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة .

هذا إسناد ضعيف فيه داود بن عطاء المدينى ، وقد اتفقوا على ضعفه ، وباقى الرجال ثقات .

رواه الحاكم من طريق يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب به .

٤١- حدثنا على بن محمد ثنا شعبة عن عمرو بن عروة عن عبدالله بن سلمة قال . . سمعت عليا رضى الله عنه يقول : خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبوبكر . . وخير الناس بعد أبى بكر عمر .

رواه أحمد بن منيع فى مسنده من طريق أبى جحيفة عن على وزاد بعد أبى بكر وعمر آخر ولم يسمه . .

٤٢- حدثنا محمد بن عبيد أبو المدينى ثنا عبدالملك بن الماجشون حدثنى الزنجى بن خالد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قال رسول الله ﷺ اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة .

هذا إسناد ضعيف ، عبدالملك بن الماجشون ضعفه الساجى . . وذكره ابن حبان فى الثقات .

ومسلم بن خالد الزنجى ، وإن وثقه ابن معين وابن حبان واحتج به فى صحيحه فقد قال فيه البخارى منكر الحديث وضعفه أبوحاتم والنسائى وغيرهم .

والمتن رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى المستدرك من طريق عبدالملك بن الماجشون به .

ورواه الترمذى فى الجامع من حديث ابن عمر . . وقال : حسن صحيح غريب ، ورواه أيضا من حديث ابن عباس وقال حديث غريب . .

باب فضل عثمان بن عفان رضى الله عنه

٤٣- حدثنا أبومروان محمد بن عثمان العثمانى ثنا أبى عثمان بن خالد عن عبدالرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لكل نبى رفيق فى الجنة ورفيقى فيها عثمان بن عفان .

هذا إسناد ضعيف . . فيه عثمان بن خالد وهو ضعيف باتفاقهم .

رواه الترمذى فى الجامع من طريق طلحة بن عبيد الله قال النبى ﷺ فذكره وقال : هذا حديث غريب ليس إسناده بالقوى وهو منقطع .

٤٤ـ وبه إلى أبى هريرة أن النبى ﷺ لقى عثمان عند باب المسجد فقال . . ياعثمان ، هذا جبريل أخبرنى أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية على مثل صاحبتها .

هذا الإسناد حكمه حكم الإسناد الذى قبله . .

٤٥ـ حدثنا على بن محمد ثنا عبدالله بن إدريس عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة قال : ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقر بها ، فمر رجل مقنع رأسه ، فقال رسول الله ﷺ هذا يومئذ على الهدى ، فوثبت فأخذت بضبعى عثمان ، ثم استقبلت رسول الله ﷺ فقلت : هذا ؟ . . فقال : هذا .

هذا إسناد منقطع . قال أبوحاتم : محمد بن سيرين لم يسمع من كعب بن عجرة ، ورجال الإسناد ثقات .

رواه الامام أحمد فى مسنده من حديث كعب بن عجرة .

رواه أبوبكر بن أبى شيبة فى مسنده عن إسماعيل بن علية عن هشام به .

رواه أحمد بن منيع فى مسنده ثنا يزيد بن هارون ثنا هشام بن حسان ، فذكره بزيادة كما أوردته فى زوائد المسانيد العشرة .

ورواه أبويعلى الموصلى فى مسنده ثنا هدية همام ثنا قتادة عن محمد بن سيرين به .

٤٦ـ حدثنا على بن محمد ثنا أبومعاوية ثنا الفرج بن فضالة عن ربيعة بن يزيد الدمشقى عن النعمان بن بشير عن عائشة قالت . . قال رسول الله ﷺ ياعثمان ، إن ولاك الله هذا الأمر يوما فأرادك المنافقون (على) . . أن تخلع قميصك الذى قمصك الله فلا تخلعه ، يقول ذلك ثلاث مرات .

قال النعمان : فقلت لعائشة : مامنعك أن تعلمى الناس بهذا ؟ قالت : أنسيته والله .

قلت رواه الترمذى فى الجامع بزيادة رجل فى الإسناد فقال : ثنا محمود بن غيلان ثنا حجين بن المثنى ثنا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبدالله بن عامر عن النعمان بن بشير فذكره بتمامه دون قوله . . فقلت لعائشة إلى آخره . . وقال حديث حسن غريب .

قال : وفى الحديث قصة طويلة .

قلت : رواه أبوبكر بن أبى شيبة فى مسنده بتمامه وذكر القصة فى أوله عن زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح حدثنى ربيعة بن يزيد ثنا عبدالله بن قيس أنه سمع النعمان ابن بشير فذكره كما أوردته فى زوائد المسانيد العشرة .

٤٧- حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير وعلى بن محمد قالا ثنا وكيع ثنا إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن عائشة . . قالت . . قال رسول الله ﷺ فى مرضه : وددت أن عندى بعض أصحابى ، قلنا يارسول الله ، ألا ندعو لك أبابكر ؟ . . فسكت ، فقلنا ألا ندعو لك عمر ؟ . . فسكت . . قلنا : ألا ندعو لك عثمان ؟ . . قال : نعم ، فجاء عثمان فخلا به ، فجعل النبى ﷺ يكلمه ووجه عثمان يتغير .

قال قيس . . فحدثنى أبوشهلة مولى عثمان بن عفان أن عثمان بن عفان قال يوم الدار : إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهدا . . وأنا صائر إليه .

وقال على فى حديثه : وأنا صابر عليه .

قال قيس : فكانوا يرونه ذلك اليوم .

هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات .

رواه ابن حبان فى صحيحه من طريق وكيع فذكره بإسناده ومتنه .

ورواه الترمذى فى الجامع من طريق إسماعيل بن أبى خالد بن قيس بن أبى حازم عن أبى شهلة مقتصرا على مارواه قيس عن أبى شهلة فقط . . وقال هذا حديث حسن صحيح لانعرفه إلا من حديث إسماعيل بن أبى خالد .

ورواه الامام أحمد فى مسنده من حديث عائشة أيضا .

باب فضل على بن أبى طالب رضى الله عنه

٤٨- حدثنا على بن محمد ثنا (أبو) الحسين أخبرنى حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ فى حجته التى حج فنزل فى بعض الطريق فأمر الصلاة جامعة ، فأخذ بيد على فقال . . ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ . . قالوا : بلى ، قال . . ألست أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ . . قالوا : بلى ، قال : فهذا مولى من أنا مولاه . . اللهم وال من والاه ، اللهم عاد من عاداه .

هذا إسناد ضعيف لضعف على بن زيد بن جدعان ، رواه الامام أحمد فى مسنده من حديث البراء أيضا .

وروى الحاكم فى المستدرك بعضه من حديث بريدة . . ومن حديث زيد بن أرقم .

ورواه أبـوبكر بن أبى شيبة فى مسنده عن عفان عن حماد بن سلمة به ، وسمى هذه الصلاة صلاة الظهر وذكر زيادة فى آخره كما أخرجته فى زوائد المسانيد العشرة على الكتب الستة .

٤٩ـ **حدثنا عثمان بن أبى شيبة ثنا وكيع ثنا بن أبى ليلى ثنا الحكم عن عبدالرحمن بن أبى ليلى قال : كان أبوليلى يسمر مع على بن أبى طالب . . . فكان يلبس ثياب الصيف فى الشتاء وثياب الشتاء فى الصيف ، فقلنا : لو سألته ، فقال : إن رسول الله ﷺ بعث إلى وأنا أرمد العين يوم خيبر فقلت : يارسول الله ، إنى أرمد العين . . فتفل فى عينى ثم قال . . اللهم أذهب عنه الحر والبرد . . قال : فما وجدت حرا ولابردا بعد يومئذ .**

وقال : لأبعثن رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، ليس بفرار ، فتشوف لها الناس ، فبعث إلى على فأعطاها إياه .

هذا إسناد ضعيف : ابن أبى يعلى شيخ وكيع هو محمد ، وهو ضعيف الحفظ لايحتج بما ينفرد (به) .

٥٠ـ **حدثنا محمد بن موسى الواسطى ثنا المعلى بن عبدالرحمن ثنا ابن أبى ذئب عن نافع عن ابن عمر قال . . قال رسول الله ﷺ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما خير منهما .**

رواه الحـاكم فى المستـدرك من طريق المعلى بن عبدالرحمن ، وهذا إسناد ضعيف . . المعلى بن عبدالرحمن اعترف بوضع سبعين حديثا فى فضل على ابن أبى طالب ، قاله ابن معين . . وأصل الحديث فى الترمذى والنسائى من طريق زر بن حبيش عن حذيفة .

٥١ـ **حدثنا محمد بن إسماعيل (الرازى) ثنا عبدالله بن موسى أنبأ العلاء بن صالح عن المنهال عن عبـاد بن عبـدالله قال . . قال على . . أنا عبدالله وأخو رسول الله ﷺ وأنا الصديق الأكبر . . لايقولها بعدى إلا كذاب ، صليت قبل الناس بسبع سنين . . .**

هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، رواه أبوبكر بن أبى شيبة فى مسنده من طريق أبى سليمان الجهينى عن على فذكره وزاد : لايقولها قبلى ، ورواه محمد بن يحيى بن أبى عمر فى مسنده من طريق أبى سميا عن على بن أبى طالب بإسناده ومتنه ، وزاد فى آخره : فقالها رجل فأصابته جنة .

ورواه الحاكم فى المستدرك من طريق المنهال بن عمرو به وقال : صحيح على شرط الشيخين .

والجملة الأولى فى جامـع الـترمذى من حديث ابن عمر مرفوعا : أنت أخى فى الدنيا والآخرة وقال حديث حسن غريب .

باب فضل العباس بن عبدالمطلب

٥٢- حدثنا محمد بن طريف ثنا محمد بن فضيل ثنا الأعمش عن أبى سبرة النخعى عن محمد بن كعب القرظى عن العباس بن عبد المطلب قال : كنا نلقى النفر من قريش وهم يتحدثون فيقطعون حديثهم فذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : مابال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتى قطعوا حديثهم ، والله لايدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتى .

هذا إسناد رجاله ثقات إلا أن محمد بن كعب روايته عن العباس يقال مرسلة . . رواه الامام أحمد فى مسنده من حديث العباس أيضا .

ورواه أحمد بن منيع فى مسنده ثنا يزيد أنبأ إسماعيل بن أبى خالد عن يزيد بن أبى زياد عن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن العباس فذكره بإسناده ومعناه .

وله شاهد فى جامع الترمذى من حديث عبدالمطلب بن ربيعة . .

٥٣- حدثنا عبدالوهاب بن الضحاك ثنا إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير عن كثير بن مرة الحضرمى عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ إن الله اتخذنى خليلا . . كما اتخذ إبراهيم خليلا . . فمنزلى ومنزل إبراهيم فى الجنة يوم القيامة تجاهين ، والعباس بيننا مؤمن بين خليلين .

هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف عبدالوهاب . . بل قال فيه أبوداود : يضع الحديث .

وقال الحاكم : روى أحاديث موضوعة وشيخه إسماعيل كان يدلس .

باب فضل الحسن والحسين

٥٤- حدثنا على بن ثنا وكيع عن سفيان عن داود بن أبى عوف أبى الجحاف ، وكان مرضيا عن أبى حازم عن أبى هريرة قال . . قال رسول الله ﷺ من أحب الحسن والحسين فقد أحبنى . . ومن أبغضهما فقد أبغضنى .

هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رواه النسائى فى المناقب عن عمرو بن منصور عن أبى نعيم عن سفيان به .

٥٥- حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب ثنا يحيى بن سليم عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن أبى راشد أن يعلى بن مرة حدثهم أنهم خرجوا مع النبى ﷺ إلى طعام دعوا له . .

فإذا حسين يلعب فى السكة . . قال : فتقدم النبى ﷺ أمام القوم وبسط يديه . . فجعل الغلام يفر هاهنا . . ويضاحكه النبى ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى فى فأس رأسه . . فقبله وقال : حسين منى وأنا من حسين . . أحب الله من أحب حسينا ، حسين سبط من الأسباط .

هذا إسناد حسن رجاله ثقات .

رواه الامام أحمد فى مسنده من حديث يعلى بن مرة .

أخرجه الترمذى من هذا الوجه عن الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن عباس عن عبدالله ابن عثمان بن خثيم به مقتصرا على قوله : « حسين منى » . . إلى آخره . . ولم يذكر القصة الأولى وقال : حديث حسن .

ورواه الحاكم فى المستدرك من طريق المنهال بن عمرو عن يعلى بن مرة عن أبيه .

قال شيخنا أبوالفضل العسقلانى فى الأطراف كذا فيه وأظنه عن ابن يعلى بن مرة عن أبيه فيكون من مسند يعلى ، قال : ولست أعرف لمرة صحبة ولا أدرك المنهال يعلى .

باب فضل عمار بن ياسر

٥٦ـ حدثنا نصر بن على الجهضمى ثنا عثام بن على عن الأعمش عن أبى إسحق عن هانىء بن هانىء قال . . دخل عمار على : على بن أبى طالب فقال : مرحبا بالطيب المطيب ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :

ملىء عمار إيمانا إلى مشاشه [1] .

قلت : قوله مرحبا بالطيب والمطيب موقوف فى هذه الرواية ، وقد رواه ابن ماجه والترمذى من طريق سفيان الثورى عن أبى إسحق مرفوعا وصححه .

ورواه النسائى فى الصغرى من طريق عمرو بن شرحبيل عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال رسول الله

ملىء عمار إيمانا إلى مشاشه . فحسب ولم يذكر الصحابى . . فكذلك أوردته .

---

(١) المشاش : رؤوس العظام .

باب فضل جماعة من الصحابة رضى الله عنهم

٥٧- حدثنا أحمد بن سعيد الدارمى ، ثنا يحيى بن أبى بكير ثنا زائدة بن قدامة عن عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش عن عبدالله بن مسعود قال : كان أول من أظهر إسلامه سبعة . رسول الله ﷺ وأبوبكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد . . فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبى طالب ، وأما أبوبكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد ، وصهروهم فى الشمس فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ماأرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه فى الله ، وهان على قومه ، فأخذوه فأعطوه الولدان ، فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد .

هذا إسناد رجاله ثقات .

رواه ابن حبان فى صحيحه ، والحاكم فى مستدركه من طريق عاصم بن أبى النجود به .

ورواه الامام أحمد فى مسنده من حديث عبدالله بن مسعود أيضا .

ورواه الحاكم فى المستدرك من طريق الحسين بن على الجعفى عن زائدة بالاسناد والمتن سواء .

٥٨- حدثنا على بن محمد وعمرو بن عبدالله قالا ثنا وكيع ثنا سفيان عن أبى إسحاق عن أبى ليلى الكندى قال . . جاء خباب إلى عمر . . فقال : ادن . . فما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا عمار . . فجعل خباب يريه آثارا يظهره مما عذبه المشركون .

هذا إسناد صحيح .

٥٩- حدثنا على بن محمد ثنا أبو أسامة عن عمر بن حمزة عن سالم أن شاعرا مدح بلال بن عبدالله فقال : بلال بن عبدالله خير بلال . . فقال ابن عمر : كذبت . . لابل بلال رسول الله ﷺ خير بلال .

هذا إسناد فيه مقال : عمر بن حمزة ضعفه ابن معين والنسائى .

وقال أحمد : أحاديثه مناكير .

وقال ابن حبان فى الثقات : كان ممن يخطىء .

قلت . . وأخرج الحاكم حديثه فى المستدرك وقال : أحاديثه كلها مستقيمة .

باب فضل الانصار

٦٠- حدثنا على بن محمد وأبو كريب قالا : ثنا وكيع ثنا سفيان عن يحيى بن سعيد عن عباية بن رفاعة عن جده رافع بن خديج قال . . جاء جبريل أو ملك إلى النبى ﷺ فقال : ماتعدون من شهد بدرا فيكم ؟ . . قالوا خيارنا . . قال : كذلك هم عندنا خيار الملائكة . .

قلت : أخرجه البخارى فى باب فضل من شهد بدرا من حديثى يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة ورفاعة بن رافع عن أبيه ، فإن كان محفوظا فيجوز أن يكون ليحيى بن سعيد فيه شيخان فإن الجميع ثقات .

رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث رافع بن خديج .

ورواه أبوبكر بن أبى شيبة فى مسنده عن وكيع به وقال جبريل أو ملك على الشك . . كما رواه ابن ماجه .

٦١- حدثنا على بن محمد وعمرو بن عبدالله قالا ثنا وكيع قال . . ثنا سفيان عن تسير بن زعلوق . . قال سمعت ابن عمر يقول : لاتسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره .

هذا إسناد صحيح رجاله ثقات :

والطرف الأول رواه مسدد فى مسنده عن يحيى القطان عن سفيان عن تسير فذكره بإسناده ومتنه .

ورواه الترمذى فى الجامع من حديث أبى سعيد : حسن صحيح .

٦٢- حدثنا عبدالرحمن بن إبراهيم ثنا ابن أبى فديك عن عبدالمهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الصاعدى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال :

الأنصار شعار . . والناس دثار . . ولو أن الناس استقبلوا واديا أو شعبا واستقبلت الأنصار واديا لسلكت وادى الأنصار . . ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار :

هذا إسناد ضعيف والآفة فيه من عبدالمهيمن بن عباس . . وباقى رجال الاسناد ثقات :

رواه الترمذى فى الجامع من حديث أبى بن كعب إلا أنه لم يقل الأنصار شعار والناس دثار . . وقال : لو سلك الناس بدلا استقبلوا . . والباقى نحوه . . وقال حديث حسن .

٦٣- حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة ثنا خالد بن مخلد كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال . . قال رسول الله ﷺ رحم الله الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار :

هذا إسناد ضعيف فيه كثير بن عبدالله وهو متهم .

رواه البخارى ومسلم من حديث زيد بن أرقم بلفظ . . اللهم اغفر للأنصار . . والباقى نحوه . . وهو فى جامع الترمذى من حديث أنس كما هو فى الصحيحين وقال : حسن غريب من هذا الوجه .

باب ذكر الخوارج

٦٤- حدثنا أبو بكر بن شيبة وسويد بن سعد قالا ثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : ليقرأن القرآن ناس من أمتى يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية .

هذا إسناد ضعيف ، والعلة فيه من سماك .

قال النسائى ويعقوب بن شيبة : روايته عن عكرمة مضطربة وروايته عن غيره صالحة .

رواه أبوداود فى سننه من حديث أبى سعيد الخدرى ومن حديث على بن أبى طالب .

٦٥- حدثنا محمد بن الصباح ثنا سفيان بن عيينة عن أبى الزبير عن جابر بن عبدالله قال : كان رسول الله ﷺ بالجعرانة وهو يقسم التبر والغنائم وهو فى حجر بلال ، فقال رجل : اعدل يامحمد فإنك لم تعدل ، فقال : ويلك ، ومن يعدل بعدى إذا لم أعدل ؟ فقال عمر : دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ إن هذا فى أصحاب أو أصيحاب له يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

هذا إسناد صحيح ، والجملة الأولى رواها الترمذى فى جامعه من حديث عبدالله بن مسعود وقال حسن صحيح .

٦٦- حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة ثنا اسحق الأزرق عن الأعمش عن ابن أبى أوفى قال : قال رسول الله ﷺ الخوارج كلاب النار .

رواه عبدالله بن نمير عن الأعمش عن حسين بن واقد عن أبى غالب عن أبى أمامة عن النبى ﷺ ، وإسناد بن أبى أوفى رجاله ثقات إلا أنه منقطع : الأعمش لم يسمع من أبى أوفى ، قاله غير واحد .

رواه الامام أحمد فى مسنده من حديث ابن أبى أوفى أيضا .

. وورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده عن الحشرج عن سعيد بن جمهان عن ابن أبى أوفى وسياقه أتم .

وكذا رواه أحمد بن منيع فى مسنده ثنا شريح ثنا حشرج بن نباتة فذكره .

قال وثنا اسحق الأزرق عن الأعمش عن عبدالله فذكره . .

٦٧- حدثنا هشام بن عمار ثنا يحيى بن حمزة ثنا الأوزاعى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : ينشأ نشء يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم ، كلما خرج قرن قطع .

قال ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول : كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة ثم يخرج فى عراضهم الدجال .

هذا إسناد صحيح احتج البخارى بجميع رواته .

باب فيما أنكرت الجهمية

٦٨- حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا يزيد بن هارون أنبأ حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عُدُس عن أبى رزين قال : قال رسول الله ﷺ ضحك ربنا من قنوط عبده وقرب غيره ، قال : قلت يارسول الله ، أو يضحك الرب ؟ قال : نعم ، قلت : لن نعدم من رب يضحك خيرا . .

هذا إسناد فيه مقال : وكيع ذكره ابن حبان فى الثقات وذكره الذهبى فى الميزان ، وباقى رجال الإسناد احتج بهم مسلم .

رواه الامام أحمد بن حنبل فى مسنده من هذا الوجه .

٦٩- حدثنا محمد بن عبدالملك بن أبى الشوارب ثنا أبوعاصم العبادانى ثنا الفضل الرقاشى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ

بين أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رءوسهم ، فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم : السلام عليكم ياأهل الجنة ، قال : وذلك قوله تعالى : « سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحيم » . . قال : فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شىء من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ، ويبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم .

هذا إسناد ضعيف لضعف الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى .

٧٠- حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ويحيى بن حبيب بن عربى قالا ثنا موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصارى الحزامى قال : سمعت طلحة بن خراش قال : سمعت جابر بن عبدالله يقول : لما قتل عبدالله بن عمرو بن حرام يوم أحد لقينى رسول الله ﷺ فقال : ياجابر ، ألا أخبرك ماقال الله لأبيك ، وقال يحيى فى حديثه : فقال ياجابر ، مالى أراك منكسرا ؟ قال : قلت يارسول الله ، استشهد أبى وترك عيالا ودينا ، قال : أفلا أبشرك بما لقى الله به أباك ؟ قال : بلى يارسول الله ، قال : ماكلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا . . فقال : ياعبدى ، تمن على أعطك ، قال يارب تحيينى فأقتل فيك ثانية ، فقال الرب تبارك وتعالى : إنه سبق منى أنهم إليها لايرجعون ، قال : يارب ، فأبلغ من ورائى . . قال : فأنزل الله تعالى :

«ولَاتَحْسَنَّ الَّذِينَ قُتِلوُا فِى سَبِيلِ الله أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءُ عِنَد رَبِّهِمْ يُرْزَقُون » .

هذا إسناد ضعيف ، طلحة بن خراش قال فيه الأزدى : روى عن جابر منَا كير ، وذكره الذهبى فى الميزان .

وموسى بن إبراهيم قال فيه ابن حبان فى الثقات يخطىء .

٧١- حدثنا هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد ثنا ابن جابر قال : سمعت بشر بن عبدالله يقول سمعت أبا ادريس الخولانى يقول حدثنى النواس بن سمعان الكلابى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

مامن قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه . وكان رسول الله ﷺ يقول : يامثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك . .

قال : والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين إلى يوم القيامة :

هذا إسناد صحيح رواه النسائى فى النعوت عن محمد بن حاتم عن حبان عن ابن المبارك عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر به .

٧٢- حدثنا أبوكريب محمد بن العلاء ثنا عبدالله بن إسماعيل عن مجالد عن أبى الوداك عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله ليضحك إلى ثلاثة : الصف فى الصلاة ، والرجل يصلى فى جوف الليل ، والرجل يقاتل [أراه قال] : خلف الكتيبة .

هذا إسناد فيه مقال :

مجالد بن سعيد وإن أخرج له مسلم فى صحيحه فإنما روى له مقرونا بغيره .

قال ابن عدى : عامة مايرويه غير محظوظ .

وعبدالله بن إسماعيل قال أبوحاتم مجهول ، وذكره فى الميزان .

رواه أبوبكر بن أبى شيبة وأحمد بن منيع فى مسنده ثنا هشام بن بشير أنبأ المجالد فذكراه بالاسناد والمتن .

رواه أبوبكر بن أبى شيبة وأحمد بن منيع فى مسنده ثنا هشام بن بشير أنبأ المجالد فذكراه بالاسناد والمتن .

٧٣- حدثنا هشام بن عمار ثنا الوزير بن صبيح ثنا يونس بن حلبس عن أم الدرداء عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ فى قوله تعالى : « كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ » قال : من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ، ويرفع أقواما ويخفض آخرين . .

هذا إسناد حسن لتقاصر الوزير عن درجة الحفظ والاتقان .

قال فيه أبو حاتم : صالح ، وقال دحيم : ليس بشىء .

وقال أبونعيم : كان يعد من الأبدال ، ربما أخطأ ، وذكره ابن حبان فى الثقات .

روى البخارى هذا الحديث تعليقاً فى تفسير سورة الرحمن .

ورواه ابن حبان فى صحيحه من طريق أم الدرداء به ، انتهى . .

لكن لم ينفرد به الوزير بن صبيح ، فقد رواه أبويعلى الموصلى فى مسنده ثنا عبدالله بن إبان الكوفى ثنا اسحق بن سليمان عن معاوية بن يحيى عن يونس بن ميسرة عن أبى إدريس الخولانى عن أبى الدرداء موقوفا فذكره . .

باب من سن سنة حسنة أو سيئة

٧٤- حدثنا عبدالوارث بن عبد الصمد بن عبدالوارث حدثنى أبى عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فحث عليه ، فقال رجل : عندى كذا وكذا . . قال : فما بقى فى المجلس رجل إلا تصدق عليه بما قل أو كثر ، فقال رسول الله ﷺ :

من استن خيرا فاستن به كان له أجره كاملا ومن أجور من استن به ولاينقص من أجورهم شيئا ، ومن استن سنة سيئة فاستن به فعليه وزره كاملا ومن أوزار الذين استن به ولاينقص من أوزارهم شيئا .

هذا إسناد صحيح ، رواه مسلم فى صحيحه ، والترمذى فى جامعه من حديث جرير بن عبدالله .

٧٥- حدثنا عيسى بن حماد المصرى نبأ الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال : أيما داع إلى ضلالة فاتبع فإن له مثل أوزار من اتبعه ولاينقص من أوزارهم شيئا ، وأيما داع دعا إلى هدى فاتبع فإن له مثل أجور من اتبعه ولاينقص من أجورهم شيئا .

هذا إسناد ضعيف لضعف سعد بن سنان ، وله شاهد من حديث أبى هريرة رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

٧٦- حدثنا محمد بن يحيى ثنا أبونعيم ثنا إسماعيل أبوإسرائيل عن الحكم عن أبى جحيفة قال رسول الله ﷺ :

من سن سنة حسنة عمل بها بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن سنة سن سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزره ومثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا .

هذا إسناد ضعيف لضعف إسماعيل بن خليفة أبو إسرائيل الملائى ، وله شاهد فى الصحيح من حديث جرير بن عبدالله .

٧٧- حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة ثنا أبومعاوية عن ليث عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ .

مامن داع يدعو إلى شىء إلا وقف يوم القيامة لازما لدعوته مادعا إليه وإن دعا رجل رجلا .

هذا إسناد ضعيف ، ليث هو ابن أبى سليم ضعفه الجمهور .

باب فى فضل من تعلم القران وعلمه

٧٨- حدثنا أزهر بن مروان ثنا الحارث بن نبهان ثنا عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : قال : رسول الله ﷺ :

خياركم من تعلم القرآن وعلمه ، قال : وأخذ بيدى فأقعدنى مقعدى هذا أقرىء .

هذا إسناد ضعيف لضعف الحارث بن نبهان ، رواه الدارمى عن المعلى بن راشد عن الحارث بن نبهان به .

والجملة الأولى فى الصحاح من حديث عثمان .

٧٩ـ حدثنا بكر بن خلف أبوبشر ثنا عبدالرحمن بن مهدى ثنا عبدالرحمن بن بديل عن بديل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

إن لله أهلين من الناس ، قالوا : يارسول الله ، من هم ؟ قال : هم أهل القرآن ، أهل الله وخاصته .

هذا إسناد صحيح رجاله موثقون .

رواه النسائى فى الكبرى فى فضائل القرآن عن أبى قدامة عن عبيد الله بن سعيد عن ابن مهدى به ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده عن عبدالرحمن بن بريك بإسناده ومتنه .

٨٠ـ حدثنا عباس بن عبدالله الواسطى ، ثنا عبدالله بن غالب العبادانى عن عبدالله بن زياد البحرانى عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبى ذر قال : قال لى رسول الله ﷺ :

يا أباذر ، لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم يعمل به أولم يعمل به خير لك من أن تصلى ألف ركعة .

هذا إسناد ضعيف لضعف على بن زيد وعبدالله بن زيد .

وله شاهد فى جامع الترمذى من حديث ابن عباس وقال غريب ، وآخر عنده من حديث أبى أمامة وقال حسن غريب .

باب فضل العلماء والحث على طلب العلم

٨١ـ حدثنا بكر بن خلف أبوبشر حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ .

من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين .

وهذا إسناد ظاهره الصحة ، ولكن اختلف فيه على الزهرى فرواه النسائى من حديث شعيب عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة وقال : الصواب رواية الزهرى عن حميد بن عبدالرحمن عن معاوية كما فى الصحيحين .

٨٢ـ حدثنا هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم ثنا مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة بن حلبس أنه حدثه قال سمعت معاوية بن أبى سفيان يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال :

الخير عادة والشر لجاجة ، ومن يرد الله به خيرا يفقه فى الدين .

رواه ابن حبان فى صحيحه من طريق هشام ين عمار فذكره بإسناده ومتنه سواء ، والجملة الثانية فى الصحيح من حديث معاوية عن طريق الزهرى عن حميد بن عبدالرحمن عنه .

وكذا رواه الدارمى فى مسنده عن يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن حنظلة بن عطية عن ابن محيريز عن معاوية .

ورواه صاحب مسند الشهاب للقضاعى جميعه فروى الجملة الأولى منه من طريق الوليد ابن مسلم به ، وروى الجملة الثانية من طريقين :

أحدهما : من طريق الربيع بن سليمان المرادى عن عبدالله بن وهب عن محمد بن كعب عن معاوية به .

والطريقة الثانية : من حديث أبى هريرة ورواه الطبرانى وأبو داود الطيالسى ومسدد وأبوبكر بن أبى شيبة وأحمد بن منيع وأبو يعلى الموصلى كما أوردته فى زوايد المسانيد العشرة .

٨٣- حدثنا هشام بن عمار ثنا حفص بن سليمان البزاز ثنا كثير بن شنطير عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب .

هذا إسناد ضعيف لضعف حفص بن سليمان البزاز .

روى الجملة الأولى منه محمد بن يحيى بن أبى عمر ثنا الحكم بن القاسم عن المستلم بن سعيد الواسطى عن زياد عن أنس به دون قوله : وواضع العلم . . إلى آخره .

٨٤- حدثنا محمد بن يحيى ثنا عبدالرزاق بن معمر عن عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش قال : أتيت صفوان بن عسال المرادى فقال : ماجاء بك ؟ قلت : أنبط العلم ، قال : فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : مامن خارج خرج من بيته فى طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع .

رواه الترمذى من حديث سفيان بن عيينة عن عاصم ولم يرفعه .

ومن حديث حماد بن زيد عن عاصم عن زر عن صفوان قال : بلغنى فذكره .

ورواه النسائى من طريق شعبة عن عاصم مثل رواية سفيان بن عيينة .

ورواه أبوداود الطيالسى فى مسنده عن همام وحماد بن سلمة وشعبة عن عاصم به .

ورواه الإمام أحمد فى مسنده مرفوعا من حديث صفوان .

ورواه أبو داود من حديث أبى الدرداء مرفوعا .

٨٥ـ حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة ثنا حاتم بن إسماعيل عن حميد بن صخر عن المقبرى عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول، :

من جاء مسجدى هذا لم يأته إلا لخير يعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله ، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره .

هذا إسناد صحيح احتج مسلم بجميع رواته .

ورواه الحاكم فى المستدرك من طريق حميد بن صخر وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه قال : ولا أعلم له علة .

قلت : قد أعله الدارقطنى فى علله بأنه اختلف فيه على سعيد المقبرى فرواه حميد عن هكذا ، وخالفه عبيدالله بن عمر فرواه عن المقبرى عن عمر بن أبى بكر بن عبدالرحمن بن الحارث عن كعب الأحبار قوله .

ورواه ابن عجلان عن المقبرى عن أبى بكر بن عبدالرحمن عن كعب قوله وقول عبيدالله بن عمر أشبه بالصواب .

وقول الحاكم إن الشيخين احتجا بجميع رواته فيه نظر ، فلم يحتج البخارى بحميد ولاأخرج له فى صحيحه ، وإنما روى له فى كتاب الأدب المفرد حديثين . نعم ، أخرج له مسلم فى صحيحه .

رواه محمد بن يحيى بن أبى عمر فى مسنده عن المقرى عن حبوة عن أبى صخر حميد بن صخر به ، وأبو يعلى الموصلى ثنا أبوبكر بن أبى شيبة فذكره .

٨٦ـ حدثنا هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد عن ابن أبى عاتكة عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : عليكم بهذا العلم قبل أن يقبض ، وقبضه أن يرفع وجمع بين أصبعيه الوسطى والتى تلى الابهام هكذا ، ثم قال : العالم والمتعلم شريكان فى الأجر ، ولاخير فى سائر الناس .

هذا إسناد فيه على بن زيد بن جدعان والجمهور على تضعيفه .

٨٧ـ حدثنا بشر بن هلال الصواف ثنا داود بن الزبرقان عن بكر بن خنيس عن عبدالرحمن بن زياد عن عبدالله بن يزيد . عن عبدالله بن عمرو قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين : إحداهما يقرءون القرآن ويدعون الله عز وجل ، والأخرى يتعلمون ويعلمون ، فقال النبى ﷺ :

كل على خير ، هؤلاء يقرءون ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون ، وإنما بعثت معلما ، فجلس معهم .

هذا إسناد فيه بكر وداود وعبدالرحمن وهم ضعفاء .

رواه أبو داود الطيالسى والحارث بن أبى أسامة فى مسنديهما من طريق عبدالرحمن الأفريقى به .

باب من بلغ علما

٨٨- **حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير وعلى بن محمد قالا ثنا محمد بن فضيل ثنا ليث بن أبى سليم عن يحيى بن عباد أبى هبيرة الأنصارى عن أبيه عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ : نضر الله امرأ سمع مقالتى فبلغها ، فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .**

زاد فيه على بن محمد : ثلاث لايغل عليهن قلب امرىء مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصح لأئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم .

هذا إسناد فيه ليث بن أبى سليم وقد ضعفه الجمهور ، وهو مدلس رواه بالعنعنة ، لكن لم ينفرد ابن ماجه بهذا الحديث من طريق زيد بن ثابت فقد روى بعضه أبوداود والترمذى والنسائى وأبويعلى الموصلى فى مسنده ، من طريق أبان بن عثمان بن عفان عن زيد بن ثابت ، وسيأتى بقية الحديث فى كتاب الزهد بسند صحيح .

ورواه ابن حبان فى صحيحه بتمامه والبيهقى بتقديم وتأخير .

ورواه أبوداود الطيالسى بزيادة طويلة كما ذكرته فى زوائد المسانيد العشرة .

ورواه الحاكم فى المستدرك من حديث النعمان بن بشير قال : وفى الباب جماعة من الصحابة منهم عمر وعثمان وعلى وعبدالله بن مسعود ومعاذ بن جبل وابن عمرو وابن عباس وأبو هريرة وأنس وغيرهم :

قلت : وفى الباب أيضا مما لم يذكره الحاكم عن أبى بن كعب وبشير بن سعد الأنصارى وجابر بن عبدالله وزيد بن ثابت وسعد بن أبى وقاص وعمرو بن مرة الفزارى وأبى أمامة الباهلى وأبى الدرداء وأبى سعيد الخدرى وأبى قرصافة وغيرهم .

٨٩- **حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير ثنا أبى محمد بن اسحق عن عبدالسلام عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قام رسول الله ﷺ وسلم بالخيف من منى فقال :**

نضر الله امرأ سمع مقالتى فبلغها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . .

حدثنا على بن محمد ثنا خالى يعلى .

وثنا هشام بن عمار ثنا سعيد بن يحيى قالا : ثنا محمد بن اسحق عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبى ﷺ نحوه .

هذا إسناد ضعيف لضعف عبدالسلام وهو ابن أبى الجنوب لكن لم ينفرد عبدالسلام عن الزهرى ، فقد رواه الحاكم فى المستدرك عن عبدالله بن اسحق بن إبراهيم عن أبى الأحوص محمد بن الهيثم القاضى عن نعيم بن حماد عن إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن الزهرى به وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

قلت : إنما أخرج البخارى لنعيم مقرونا بغيره ، وإنما روى له مسلم فى مقدمة كتابه ، والطريق الثانية دلسها ابن اسحق وسيأتى فى كتاب الحج . .

رواه أبوبكر بن أبى شيبة فى مسنده عن عبدالله بن نمير عن محمد بن اسحق بإسناده ومتنه ، وزاد فى آخره :

« ثلاث لايغل عليهن قلب المؤمن : إخلاص العمل ، والنصيحة لأولى الأمر ، ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تكون من ورائهم » . .

وكذا رواه أبو الموصلى كابن أبى شيبة كما أوردته فى زوائد المسانيد العشرة . .

ثم رواه عن أبى حاتم ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا أبى عن ابن اسحق حدثنى عمرو ابن أبى عمر مولى المطلب عن عبدالرحمن بن الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم فذكره . .

٩٠- حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة أبو أسامة ح .

وحدثنا اسحق بن منصور أنبأنا النضر بن شميل عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده معاوية القشيرى قال : قال رسول الله ﷺ : ألا ليبلغ الشاهد الغائب . .

هذا حديث حسن .

٩١- حدثنا محمد بن إبراهيم الدمشقى ثنا مبشر بن إسماعيل الحلبى عن معان بن رفاعة عن عبدالوهاب بن بخت [المكى] عن انس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

نضر الله عبداً سَمعَ مقالتى فوعاها ثم بلغها عنى ، فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .

هذا إسناد فيه محمد بن إبراهيم الشامى ، وهو متهم ، ونسبه ابن حبان بالوضع .

الامام الحافظ ابن حجر العسقلانى

هو الامام أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد العسقلانى الأصل ، المصرى المولد والمنشأ ، نزيل القاهرة ، ولد بمصر فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، ومات أبوه فى رجب سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، وماتت أمه قبل ذلك وهو طفل فنشأ يتيما ، ولم يدخل الكتاب حتى أكمل خمس سنين فأكمل حفظ القرآن وله تسع سنين ، ثم لم يتهيأ له أن يصلى بالناس التراويح إلا فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة ، وقد أكمل ثنتى عشرة سنة ، وكان وصيه الرئيس الشهير أبوبكر نور الدين على الخروبى كبير التجار بمصر قد جاور فى تلك السنة واستصحبه معه ، إذ لم يكن له من يكلفه.ويسمع فى تلك السنة صحيح البخارى على مسند الحجاز عفيف الدين عبدالله النشاورى خاتمة أصحاب إمام المقام رضى الدين الطبرى . ولم يضبط سماعه لكنه يتحقق لم يسمع الجميع ، بل له فيه اجازة شاملة لمروياته ، وكان سماعه بقراءة الشيخ شمس الدين محمد بن عمر السلاوى الدمشقى تحت سكن الخروبى فى البيت الذى بباب الصفا على يمنة الخارج إلى الصفا ويعرف ببيت عيناء ، وهى الشريفة بنت الشريف عجلان ، وبالبيت المذكور شباك يطل على المسجد الحرام ويشاهد من يجلس فيه الكعبة والركن الأسود ، فكان المستمع والقارىء يجلسان عند الشباك دون مصطبة تحت الشباك المذكور . وكان يجلس فيه مؤدب صاحب الترجمة ومن يدرس معه فكان المؤدب يأمرهم عند قراءة القارىء بالانصات إلى أن يفرغ حتى ختم الكتاب ، لكن صاحب الترجمة ربما خرج لقضاء حاجة ولم يكن هناك ضابط للأسماء ، والاعتماد فى ذلك كان على الشيخ نجم الدين المرجانى ، فإنه أعلمنى بعد دهر طويل بصورة الحال فاعتمدت عليه وثوقا به .

وحفظ بعد ذلك كتبا من مختصرات العلوم ، ولازم أحد أوصيائه أيضا ، وهو الشيخ شمس الدين محمد بن على بن محمد بن عيسى بن أبى بكر بن القطان المصرى فحضر دروسه .

ثم حبب إله النظر فى التواريخ ، وهو بعد فى المكتب فعلق بذهنه شىء كثير من أحوال الرواة .

وفى غضون ذلك سمع من نجم الدين بن رزين وصلاح الدين الزفتاوى وزين الدين بن الشحنة ونظر فى فنون الأدب من سنة اثنتين وتسعين فقال الشعر ونظم مدائح نبوية ومقاطيع .

ثم اجتمع بحافظ العصر زين الدين العراقى وذلك فى شهر رمضان سنة ست وتسعين . فلازمه عشرة أعوام ، وحبب إليه فن الحديث فما انسلخت تلك السنة حتى خرج لشيخه مسند القاهرة أبى اسحق التنوخى المائة العشارية .

وكان أول من قرأها فى جمع حافل الحافظ أبوزرعة ابن الحافظ العراقى .

ثم رحل إلى الإسكندرية فسمع من مسنديها إذ ذاك ثم حج ودخل اليمن فسمع بمكة والمدينة وينبع وزبيد وتعز وعدن وغيرها من البلاد والقرى .

ولقى باليمن إمـام اللغـة غير مدافع مجد الدين بن الشيرازى ، فتناول منه بعض تصنيفه المشهور المسمى « القاموس فى اللغة » ولقى جمعا من فضلاء تلك البلاد ثم رجع إلى القاهرة ، ثم رحل إلى الشام فسمع بقطية وغزة والرملة والقدس ودمشق والصالحية وغيرها من القرى والبلاد .

وكانت إقامته بدمشق مائة يوم ومسموعه فى تلك المدة نحو ألف جزء حديثية : منها من الكتب الكبار المعجم الأوسط للطبرانى ، ومعرفة الصحابة لأبى عبدالله بن منده وأكثر مسند أبى يعلى وغير ذلك . ثم رجع وأكمل كتابه « تعليق التعليق » فى حياة كبار مشايخه فكتبوا عليه ولازم الشيخ سراج الدين البلقينى إلى أن أذن له ، وأذن له بعد إذنه شيخه الحافظ زين الدين العراقى .

ثم أخذ فى التصنيف وأملى الأربعين المتباينة بالشيخونية من سنة ثمان وثمانمائة ثم أملى من عشاريات الصحابة نحو مائة مجلس عدة سنين ، ثم ولى درس الحديث بالمدرسة الجمالية الجديدة فأملى فيها ، ثم قطعه لما تركها فى سنة أربع عشرة وثمانمائة ، وتشاغل بالتصنيف ثم ولى مشيخة البيبرسية ، ثم تدريس الشافعية بالمدرسة المؤيدية الجديدة .

ثم ولى القضاء فى السابعة والعشرين من المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة ، فباشر القضاء بالديار المصرية مدة كبيرة .

« ابن حجر المحدث وخطيب الأزهر »

تولى ابن حجر الخطابة فى عدة مساجد من أكبر المساجد بالقاهرة مثل الجامع الأزهر وجامع عمرو وغيرهما من المساجد الكبرى بالقاهرة فقد كان متبحرا فى العديد من العلوم وكان يفد إليه طلاب العلم وأهل الفضل من سائر الانحاء ، وكان يتسم بالحلم والتواضع والصبر كثير الصيام والقيام .

وكان مرجعا فى الحديث النبوى ، حتى لقب بلقب « أمير المؤمنين » فى الحديث . وهذا اللقب لا يظفر به إلا أكبر المحدثين الأفذاذ وقد حبب إلى ابن حجر الحديث وأقبل عليه بكليته وطلبه من سنة ثلاث وتسعين ولكنه لم يلزم الطلب إلا من سنة ست وتسعين فعكف على الزين العراقى وتخرج به وانتفع بملازمته . وتحول إلى القاهرة فسكنها قبيل القرن وارتحل إلى البلاد الشامية والمصرية والحجازية وأخذ عن الشيوخ والأقران وأذن له جل هؤلاء فى الافتاء والتدريس .

وتصدر لنشر الحديث وقصر نفسه عليه مطالعة وقراءة وإقراء وتصنيفا وإفتاء وزادت تصانيفه التى معظمها فى فنون الحديث وفيها من فنون الأدب والفقه ـ على مائة وخمسين تصنيفا . وقد عرف ابن حجر بالحفظ وكثرة الاطلاع والسماع وبرع فى الحديث وتقدم فى جميع فنونه وأثنى عليه شيوخه فى هذا الشأن وقد سبق أنه ولى تدريس الفقه بالمدرسة الشيخونية وتدريس الحديث بالمدرسة الجمالية الجديدة ثم تدريس الشافعية بالمؤيدة الجديدة ومشيخة البيبرسية فى دولة المؤيد وتدريس الفقه بالمدرسة الصلاحية المجاورة للامام الشافعى . كما تولى الخطابة بالجامع الأزهر وبين التدريس والافتاء ولى منصب القضاء. وكانت أول ولايته القضاء فى السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة بعد أن امتنع أولا لأنه كان لايؤثر على الاشتغال بالتأليف والتصنيف شيئا غير أن ابن حجر كما يقول السخاوى قد ندم على قبوله وظيفة القضاء ويقول ابن حجر إن من آفة التلبس بالقضاء أن بعضهم ارتحل إلى لقائى وأنه بلغه تلبس بوظيفة القضاء فرجع . وعزل عن القضاء وأعيد إليه مرات وكان آخر ولايته القضاء إذ عزل نفسه فى الخامس والعشرين من جمادى الأخرة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة .

● **تقدير العلماء وثناؤهم عليه**

عرف ابن حجر بالحفظ وكثرة الاطلاع والسماع وبرع فى الحديث وتقدم فى جميع فنونه ووصل إلى مرتبة الذهبى وأثنى عليه شيوخه فى هذا الشأن . فقد شهد له أستاذه الحافظ العراقى بأنه أعلم أصحابه بالحديث وقد سئل العراقى أيضا : من تخلف بعدك ؟ قال : ابن حجر ثم أبو زرعة ثم الهيثمى ويقول فيه الحافظ تقى الدين محمد بن محمد بن فهد :

وكان فى حال طلبه مفيدا فى زى مستفيد إلى أن انفرد بين علماء زمانه بمعرفة فنون الحديث لاسيما رجاله ومايتعلق بهم فألف التآليف المفيدة المليحة الجليلة السائدة الشاهدة له بكل فضيلة الدالة على غزارة فوائده والمعربة عن حسن مقاصده جمع فيها فأوعى وفاق أقرانه جنسا ونوعا التى تشنفت بسماعها الأسماع وانعقد على كمالها لسان الاجماع .

ويقول فى موضع آخر من ترجمته « وهو إمام علامة حافظ محقق متين الديانة حسن الأخلاق لطيف المحاضرة حسن التعبير عديم النظير لم تر العيون مثله ولا رأى هو مثل نفسه » ويقول صاحب المنهل الصافى . .

كان رحمه الله حافظ العصر حافظ المشرق والمغرب أمير المؤمنين فى الحديث انتهت إليه رياسة علم الحديث من أيام شبيبته بلا مدافعة ، ويقول ابن المناوى الشافعى فى كتابه اليواقيت والدرر : شيخ الاسلام شباب الدين أبوالفضل ابن حجر فريد زمانه حامل لواء السنة فى أوانه ذهبى عصره نضاره وجوهره مرجع الناس فى التصنيف والتصحيح وأعظم الشهود والحكام فى التعديل والتجريح قضى له كل حاكم بارتقائه فى علم الحديث إلى أعلى الدرج . ويقول السيوطى عنه : شيخ

الإسلام وإمام الحفاظ فى زمانه وحافظ الديار المصرية بل حافظ الدنيا مطلقا قاضى القضاة . .
ثم يقول فى ختام ترجمته .

وإن يكن فاتنى حضور مجالسه والفوز بسماع كلامه والأخذ عنه فقد انتفعت فى الفن بتصانيفه واستفدت منها الكثير . وقد غلق بعده الباب وختم به فى هذا الشأن .

● **بعض صفاته الخلقية والخلقية**

كان ذا وقار ومهابة مع مااحتوى عليه من العقل والحلم والسكون والسياسة والدربة بالأحكام ومداراة الناس قل أنه يخاطب الشخص بما يكره بل كان يحسن لمن يسىء إليه ويتجاوز عمن قدر عليه .

وكان جيد الذكاء عظيم الحذق عن ناظره أو حاضره راوية للشعر وأيام من تقدمه ومن عاصره فصيح اللسان شجى الصوت هذا مع كثرة الصوم ولزوم العبادة واقتفاء طرق من تقدمه من الصلحاء والسادة .

● **وفاته**

وتوفى فى ليلة السبت الثامن والعشرين من ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة وحضر الصلاة عليه السلطان وصلى عليه العلم البلقينى بإذن ونقل نعشه إلى القرافة الصغرى فدفن بالقرب من الامام الليث بن سعد .

● **مؤلفاته**

سردها السخاوى فى الباب الخامس من كتاب « الجواهر والدرر » فى نحو عشر ورقات وقال كان ابتداؤه فى التصنيف فى حدود سنة ست وتسعين وسبعمائة ومن تصانيفه ماكمل قبل المهات ومنها مابقى فى المسودات ومنها ماشرع فيه فكاد ومنها ماسطر ومنها ماصلح أن يدخل تحت الاعداد وهذا إيرادها على ترتيب اخترته وتقريب ابتكرته وقد جمع هو أسماء معظمها فى كراسة افتتحها على سبيل التواضع والهضم لنفسه بقوله وأكثر ذلك ـ يعنى تصانيفه ـ مما لايساوى نسخة لغيرى لكن جرى القلم بذلك . وقد سمعته يقول لست راضيا عن شىء من تصانيفى لأنىّ عملتها فى ابتداء الأمر ثم لم يتهيأ لى من يحررها معى سوى شرح البخارى والمشتبه والتهذيب ولسان الميزان بل كان يقول فيه : لو استقبلت من أمرى مااستدبرت لم أتقيد بالذهبى ولجعلته كتابا مبتكرا . ثم قال وأما سائر المجموعات فهى كثيرة العدد واهية العدد ضعيفة القوى وقد تصفحت أنا هذه الورقات فوجدته يقول أحيانا عقيب الكتاب وموضوعه : استوفيت تبييضه أو قد بيضته أو بيض اليسير من أوائله أو مسودة .

● من أهم مؤلفاته

١ـ فتح البارى لشرح البخارى .

٢ـ تهذيب التهذيب .

٣ـ لسان الميزان .

٤ـ تعجيل المنفعة .

٥ـ تقريب التهذيب .

٦ـ الاصابة فى تمييز الصحابة .

٧ـ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة .

٨ـ نزهة الألباب فى الألقاب .

٩ـ رفع الإصر .

١٠ـ تبصير المنتبه .

وغيرها كثير ويمكن لمن يشاء أن أن يرجع إليها فى الجواهر والدرر للسخاوى ففيه الغنية عن غيره .

وسنتكلم عن بعض هذه المؤلفات فى الرجال وهو كتابه :

تقريب التهذيب . وفى شرح الحديث كتابه . « فتح البارى » كما سنعطى نموذجا من كتابه « تبصير المنتبه بتحرير المشتبه » ونماذج من « حقيقة السنة والبدعة » .

كتاب تقريب التهذيب لابن حجر

وقد ترجم فى هذا الكتاب للرواة تراجم موجزة ومركزة موضحا للحكم على كل راو من جهة الجرح والتعديل .

كما وضع مراتب الرواة وطبقاتهم ، وقد بين الحافظ ابن حجر الباعث له على تصنيف هذا الكتاب ومنهجه فيه فى مقدمته التى قال فيها :

الحمد لله الذى رفع بعض خلقه على بعض درجات ، وميز بين الخبيث والطيب بالدلائل الواضحات والبينات ، وتفرد بالملك فإليه منتهى الطلبات والرغبات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده

لا شريك له ذو الأسماء الحسنى والصفات الناقد البصير لأخفى الخفيات الحكم العدل فلا يظلم مثقال ذرة ولا يخفى عنه مقدار ذلك فى الأرضين والسموات وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالآيات البينات والحجج النيرات الآمر بتنزيل الناس مايليق بهم من المنازل والمقامات صلى الله عليه وعلى آله وصحبه السادة الأنجاب الكرماء الثقات .

أما بعد : فإنى لما فرغت من تهذيب « تهذيب الكمال » فى أسماء الرجال الذى جمعت فيه مقصود التهذيب لحافظ عصره ابن الحجاج المزى من تمييز أحوال الرواة المذكورين فيه وضممت إليه مقصود إكماله للعلامة علاء الدين مغلطاى مقتصرا منه على مااعتبرته عليه وصححته من مظانه من بيان أحوالهم أيضا وزدت عليهما فى كثير من التراجم مايُتعجب من كثرته لديهما ويستغرب خفاؤه عليهما ووقع الكتاب المذكور من طلبة الفن موقعا حسنا عند المميز البصير إلا أنه جاوز ثلث الأصل «والثلث كثير» فالتمس منى بعض الاخوان أن أجرد الأسماء خاصة فلم أوثر ذلك لقلة جدواه على طالبى هذا الفن ثم رأيت أن أجيبه إلى مسألته وأسعفه بطلبته على وجه يحصل مقصوده بالافادة ويتضمن الحسنى التى أثار وزيادة وزيادة وهى : أنى أحكم على كل شخص منه بحكم يشمل أصح ماقيل فيه وأعدل ماوصف به بأخلص عبارة وأخلص إشارة بحيث لاتزيد كل ترجمته على سطر واحد غالبا يجمع اسم الرجل واسم ابيه وجده ومنتهى أشهر نسبته ونسبه وكنيته ولقبه مع ضبط مايشكل من ذلك بالحروف ثم صنعته التى يختص بها من جرح أو تعديل ثم التعريف بعصر كل راو منهم بحيث يكـون قائـما مقام ماحذفته من ذكر شيوخه والرواة عنه إلا من لايؤمن لبسه . وباعتبار ماذكرت انحصر لى الكلام على أحوالهم فى اثنتى عشرة مرتبة وحصر طبقاتهم فى اثنتى عشرة طبقة . فأما المراتب .

فأولها : الصحابة : فأصرح بذلك لشرفهم .

الثانية : من أكد مدحه إما بأفعل كأوثق الناس أو بتكرير الصفة لفظا : كثقة ثقة أو معنى كثقة حافظ .

الثالثة : من أفرد بصفة كثقة أو متقن أو ثبت أو عدل .

الرابعة : من قصر عن درجة الثالثة قليلا وإليه الاشارة بصدوق أو لابأس به أو : ليس به بأس .

الخامسة : من قصر عن درجة الرابعة قليلا وإليه الاشارة بصدوق ، سيىء الحفظ أو صدوق يهم أو له أوهام أو يخطىء أو تغير بآخره ويلتحق بذلك من رمى بنوع من البدعة كالتشييع والقدر والنصب والارجاء والتهجم مع بيان الداعية من غيره .

السادسة : من ليس له من الحديث إلا القليل ولم يثبت فيه مايترك حديثه من أجله وإليه الاشارة بلفظ مقبول حيث يتابع وإلا فلين الحديث .

السابعة : من روى عنه أكثر من واحد ولم يوثق وإليه الاشارة بلفظ مستور أو مجهول الحال .

الثامنة : من لم يوجد فيه توثيق لمعتبر ووجد فيه إطلاق الضعف ولو لم يفسر وإليه الاشارة بلفظ ضعيف .

التاسعة : من لم يرو عنه غير واحد ولم يوثق وإليه الاشارة بلفظ مجهول

العاشرة : من لم يوثق ألبتة وضعف مع ذلك بقادح وإليه الاشارة بمتروك أو متروك الحديث أو واهى الحديث أو ساقط .

الحادية عشرة : من اتهم بالكذب .

الثانية عشرة : من أطلق عليه اسم الكذب والوضع .

وأما الطبقات : **فالأولى** : الصحابة على اختلاف مراتبهم وتمييز من ليس له منهم إلا مجرد الرواية من غيره .

الثانية : طبقة كبار التابعين كابن المسيب فإن كان مخضرما صرحت بذلك .

الثالثة : الطبقة الوسطى من التابعين كالحسن وابن سيرين .

الرابعة : طبقة تليها بكل روايتهم يعنى كبار التابعين كالزهرى وقتادة .

الخامسة : الطبقة الصغرى منهم ، كالذين رأوا الواحد والاثنين ولم يثبت لبعضهم السماع من الصحابة كالأعمش .

السادسة : طبقة عاصروا الخامسة لكن لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة كابن جريج .

السابعة : طبقة كبار أتباع التابعين كمالك والثورى .

الثامنة : الطبقة الوسطى منهم كابن عيينة وابن عُلية .

التاسعة : الطبقة الصغرى من أتباع التابعين كيزيد بن هارون والشافعى وأبى داود الطيالسى وعبدالرزاق .

العاشرة : كبار الآخذين عن تبع الأتباع ممن لم يلق التابعين كأحمد بن حنبل .

الحادية عشرة : الطبقة الوسطى من ذلك كالذهلى والبخارى .

الثانية عشرة : صغار الآخذين عن تبع الأتباع كالترمذى .

وألحقت بها باقى شيوخ الأئمـة الستـة الذين تأخرت وفاتهم قليلا كبعض شيوخ النسائى وذكرت وفاة من عرفت سنة وفاته منهم فإن كان من الأولى والثانية منهم قبل المائة وإن كان من الثالثة إلى آخر الثامنة منهم بعد المائة وإن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات منهم بعد المائتين ومن ندر عن ذلك بينته وقد اكتفيت بالرقم على أول اسم كل راو إشارة إلى من أخرج حديثه من الأئمة فللبخارى فى صحيحه (خ) فإن كان حديثه عنده معلقا (خت) وللبخارى فى الأدب المفرد (بخ) وفى خلق أفعال العباد (عخ) وفى جزء القراءة (ز) وفى رفع اليدين (ى) ولمسلم (م) ولأبى داود (د) وفى المراسيل له (مد) وفى فضائل الأنصار (صد) وفى الناسخ (خد) وفى القدر (ق) وفى التفرد (ف) وفى المسائل (ل) وفى مسند مالك (كد) وللترمذى (ت) وفى الشمائل له (تم) وللنسائى (س) وفى مسند على له (عس) وفى مسند مالك (كن) ولابن ماجه (ق) وفى التفسير له (فق) .

فإن كان حديث الـرجـل فى أحد الأصول الستة اكتفى برقمه ولو أخرج له فى غيرها وإذا اجتمعت فالرقم (ع) وأما علامة ٤ فهى لهم سوى الشيخين ومن ليست له عندهم رواية مرقوم عليها تمييز إشارة إلى أنه ذكر ليتميز عن غيره ومن ليست عليه علامة نُبه عليه وترجم قبل أو بعد .

وسميته « تقريب التهذيب » والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينفع به قارئه وكاتبه والناظر فيه وأن يبلغنا من فضله وإحسانه مانؤمله ونرتجيه إنه ولى ذلك والقادر عليه لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب .

كتابه « فتح البارى »

ألف الحافظ ابن حجر فى شرح الحديث النبوى كتابه القيم النفيس : « فتح البارى » وهو أحد مؤلفاته التى بلغت خمسين ومائة كتاب ١٥٠ كتابا ، ماترك نوعا من أنواع الحديث ولافنا من فنونه إلا وألف فيه .

ففى تراجم الرجال والكلام عن رجال الحديث وتراجم الصحابة ألف كتبا من أهم المراجع فى بابها ومن أعظمها فائدة منها الاصابة فى تمييز الصحابة » « تعجيل المنفعة برجال الأربعة » .

وفى مجال مصطلح الحديث ألف « نخبة الفكر » وشرحها وفى مجال السنة والبدعـة ألف كتابه « حقيقة السنة والبدعة » وفى مجال الدفاع عن كتب السنة وأئمتها ألف كتابه :

« القـول المسـدّد فى الـذب عن المسند » وفى أحاديث الأحكام ألف « بلوغ المرام فى أدلة الأحكـام » وفى مجال شرح الأحاديث النبوية ألف كتابه النفيس « فتح البارى فى شرح صحيح البخارى » ولو لم يكن له من المؤلفات إلا هذا الكتاب لكفى فى عظمته وأمانته فهذا الكتاب يعتبر

بحق أعظم كتاب ألف فى شرح الحديث بصفة عامة ، وفى شرح صحيح البخارى بصفة خاصة ، إنه قاموس السنة .

أبتدأ الامام الحافظ ابن حجر فى تأليفه فى أول سنة سبع عشرة وثمانمائة ٨١٧هـ وانتهى منه فى عام ٨٤٣هـ وعندما ختم تأليف هذا الكتاب العظيم المبارك أعدّ وليمة عقب ختمه حضرها وجوه المسلمين من أهل العلم والفضل وقد اشتمل هذا الكتاب على فوائد حديثية واستنباطات فقهية ، ونكات بلاغية وأدبية .

كما امتاز باستقراء الأحاديث التى رويت فى الباب وبيان منزلتها من القوة والضعف .

وقد نهج ابن حجر فى كتابه بالنسبة للأحاديث المكررة أن يقوم بشرح مايتصل بمقصد البخارى منها فى كل مناسبة ، ثم يميل الباحث على المواضيع الأخرى .

ولكتاب فتح البارى مقدمة نفيسة تضمنت بحوثا قيمة ، واشتملت على بيان منزلة صحيح البخارى وبيان التراجم والتعليقات والأحاديث المنتقدة والرجال الذين انتقدوا ، والاجابة على ذلك وترجمة الامام البخارى وما إلى ذلك . . .

وقد احتل كتاب « فتح البارى » مكانته فى نفوس العلماء والباحثين بحيث يدرك كل واحد منهم عظيم قدره وسمو مادته العلمية .

ولما طلب من الشيخ محمد بن على الصنعانى الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٥هـ صاحب « نيل الأوطار » شرح « منتقى الأخبار » أن يشرح صحيح البخارى ، التزم مكانه وقال : « لاهجرة بعد الفتح ، معترفا لابن حجر بالامامة والمكانة ، ومعترفا للكتاب بالسبق والعظمة ، ويقع الشرح فى ثلاثة عشر مجلدا ، ومقدمته فى مجلد .

نماذج من كتابه

« تبصير المنتبه لتحرير المشتبه »

● قال فى المقدمة :

الحمد لله جامع الناس ليوم لارَيْب فيه، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ولانظير ولاشبيه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المكمَّل الوجيه ، المصطفى على جميع الخَلْق فجلَّ مصْطَفيه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وَمَن تبعهم من متفقِّه وفقيه ، وخامل ونبيه .

أما بعد فإننى لما علَّقت كتاب المشتبه الذى لخصه الحافظ الشهير أبو عبدالله الذهبى رحمه الله وجَدْت فيه إعوازا من ثلاثة أوجه :

أحدها ـ وهو أهمّها : تحقيقُ ضَبْطه ، لأنه أحال فى ذلك على ضبط القلم ، فما شفى عن ألمَ .

ثانيها : اجحافه فى الاختصار ، بحيث إنه يعمد إلى الاسمين المشتبهين إذا كُثر فيقول فى كل منهما : فلان وفلان وفلان وغيرهم ـ وهذا لايُروى الغُلة ، ولايَشْفى العِلَّة ، بل يُبقى اللبس على المستفيد كما هو ، وكان ينبغى أن يستوعب أقلّهما .

وثالثها ـ وفيه مالا يرد عليه إلاّ أن ذلك من تَتمة الفائدة ـ مافاته من التراجم المستقلَّة التى لم يَتَضمنهْا كتابُه من كونها فى أصل ابن ماكولا وقيل ابن نقطة اللذين لخَّصهما ، وزاد من ذَيل أبى العلاء الفرضى وغيره مااستُدرك عليهما .

فاستخرْت الله تعالى فى اختصار ماأسهب فيه ، وبسط ماأجحف فى اختصاره ، بحيث يكون مااقتصر عليه من ذلك أزيد من حجمه قليلا . فأعان الله على ذلك ، وله الحمد .

فكل اسم كان شهيرا بَدأتُ به ، ولاأحتاج إلى ضبطه ، بل أضبط مايشتبه به بالحروف . وكل حرف لم أتعرض له فهو نظيرُ الذى قبله ، اهمالا واعجاماً ، وحركةً وسكوناً .

وعبرَّت عن الباء بالموحّدة ، وعن التاء بالمثّناة ، وعن الثاء بالمثلثة ، وأما الياء ـ آخر الحروف ـ فبالياء بلا وصْفِ غالبا .

وقد مِزْت مازدته عليه بقولى فى أوله : قلت ، وفى آخره : انتهى ، إلا الضبط فإنه مُدْمَج .

واعتمدت على نسخة المصنف التى بخطّه ، وعلى الأصول التى نقل هو منها ، وعلى غيرها مما غلب ظَنّى أنه لم يراجعه حالة تصنيفه ، كالأنساب للرشاطى ولابن السمعانى ، وكالذيل الذى ذَيّل به الحافظ منصور بن سُليم الاسكندرانى على ذيلِ ابن نقطة ، وكالذيل الذى ذيل به العلاّمة علاء الدين مغلطاى أجزاء ، وهو ذيل كبير لكنه كثير الأوهام والتنكرات والاعادة والايراد لما لاتمسّ الحاجةُ إليه غالبا .

فتحرَّيت فيه الصوابَ بجهدى مع اعترافى بفَضْل المتقدّم ، ولم أغير ترتيبه إلاّ نادرا . ولكنى أسرد فى كل حَرْفٍ الأسماء وغيرها على الولاء ، ثم أسرد الانساب ، منفردة متوالية أيضا ، وسميته : « تبصير المنتبه بتحرير المشتبه » .

والله أسأل أن ينفع بن كاتبه وناظره وأن يجمع لكل منا خيرى الدنيا والآخرة ، إنه قريب مجيب ، عليه توكلت وإليه أنيب .

● **حرف الألف**

قلت :

والمشهور أنّ أول من سُمِّى به بعد نبى الله ﷺ والد الخليل بن أحمد لكن زعم الواقدىّ أنه كان لجعفر بن أبى طالب ابن اسمه أحمد . أفاد ذلك أبوبكر بن فتْحون فى ذيله على الاستيعاب . وحكى أن اسم أبى حفص أحمد ، وفى والد أبى السفر أن اسمه أحمد .

قال الترمذى : أبوالسفر هو سعيد بن يُحْمِد . ويقال ابن أحمد . انتهى .

وبالجيم : أجْمَد بن عُجْبان ، شهد فتح مصر ، وأبوه بوزن عثمان ، وقيل . وزن عُليّان . وأحمِر ، بالراء المهملة ، غير ملتبس .

أبان ، بَينّ . وبضم ومثلثة ، أُثَان بن نعيم ، أدرك عليا . وبياء مشددة وفتح أوله (أيان) : أبوبكر أحمد بن أبى القاسم بن أيّان الدَّشتى ، حدّث عن أبى القاسم بن رواحة .

قلت : وأيان أيضا فى نَسب خالِه محمود الدّشتى الذى سمع أبوبكر بإفادته .

أبّا ، بفتح الهمزة وتشديد الموحدة ، وقيل بتخفيفها مقصور : هو ابن جعفر النَّجيرمى أحد الضعفاء .

وأبّا الذى ينسَبُ إليه نهر أبّا .

وسالم بن عبدالله من أبّا ، أندلسى روى ابن مُزيْن .

وبالمد : أباء بن أبى بن نضلة بن جابر ، كان شريفا فى زمانه وأبى بن أبّاء بن أبى له خبر مع الحجاج ، ذكره أبوالعيناء ، ولعله ولَدُ الذى قبله .

وبياء أخيرة بلا مدّ (أيّا) : على ابن محمد بن الحسين بن عبدوس بن إسماعيل بن أيّا بن سيْبحت ، شيخ ليحيى الحضرمى ، ذكره فى مؤلفه فى هذا الفن .

أبْـرَجَـة ، بالفتح وسكون الموحدة وفتح الراء وتخفيف الجيم : لقب إبراهيم بن محمد بن الحارث الأصبهانى الحافظ المعروف بابن نائلة وهى أمه .

وإبراهيم بن يوسف الأصبهانى أُبْرَجَة ، روى عنه ابنه أبوعلى .

وبضم الهمـزة والـراء ومثنّـاة وتثقيل الجيم : أتْـرجَّـة ـ لقب لعبـدالله بن محمد بن داود ، ولعيسى بن خُشنام المدائنى ، ولداود بن عيسى الهاشمى الذى كان يصْحَب المستعين ، انتهى
أَبَّة ، بالفتح وتثقيل الموحدة : إبراهيم بن محمد بن فيرة الأصبهانى الطيان يعرف بابن أبة .

قلت :

الصواب يقال له : أُبَّة . انتهى .

وبنُونٍ : عمرو بن سعيد بن أنّة الجمال ، روَى عن يعقوب الحضرمى قراءته .

قلت :

وأنَّة المخنّث عدَّة فى الصحابة الباوَردِى ، وضبطه السهيلى .

وبالضم ومثلثة : أُثّة بن سعد بن محمد بن بُحُر الرعيْنى ، ذكره ابن عفير فى الأخبار . انتهى
أبىّ واضح .

وبالمد وكسر الموحّدة وتخفيف الباء : أبى اللحم الغفِارى ، صحابى .

قلت :

وله ذرية .

وعُمير مولى أبى اللحم صحابىّ أيضا .

وآبى الخسُف لَقبُ خويلد بن أسـد بن عبـد العُـزّى ، والد خديجة زوج النبى ﷺ وجدُّ الزُّبير بن العوام بن خويلد ، وفيه يقول يحيى بن عروة بن الزبير :

أبُ لى آبى الخسْف قد يَعْلمُونه وفارسُ معروفٍ رئيس الكتائب ، انتهى .

وبكسر الموحدة وتشديد الياء بلا مد (أبىّ) : محمد بن يعقوب بن أُبى ، شيخ لأبى الطاهر الذهْلى .

قلب .

أَبْيَنَ ، بوزن أحمد ، الذى تُنسب إليه عدَنَ أَبْيَنَ هو ابن زهير بن الهَمَيسع بن حِمْيَر . وبالضم ، وفتح الموحدة ، وسكون الياء : أُبَين بن سفيان أحد الضعفاء . انتهى أُثاثة ، بالضم ومُثلَّثتين : مسطح بن أُثاثَة بن عبّاد بن المطلب ، بدْرى .

قلت :

وأخته هند بنت أُثاثة .

وعمرو بن أبى أُثُاثة العدوى صحابى أيضا انتهى .

وبكسر الهمزة وموحدة وياء (إباية) : أبوالقاسم بن إباية الأشبيلى مقرىء ، أخذ عن أبى عبدالله بن شريح .

الأثير لقب جماعة .

وباسكان الموحّدة وفتح المثناة : الأبْتر هو العاص بن وائل السهمى .

أُثير ، بالضم وفتح المثلثة ، هو ابن عمرو السِّكونى الكوفى ، تنسب إليه صحراء أُثير . ومغيرة بن جَميل بن أُثير شيخ لأبى سعيد الأشبح خَتنه .

ابن حجر المدافع عن السنة
دفاع ابن حجر عن مسند ابن حنبل

وقد أجاب ابن حجر ـ فى دفاعه عن الأحاديث التى أوردها ابن الجوزى ـ إجابة إجمالية أولا ، ثم تناول الاحاديث بعد ذلك بالتفاصيل ، أما الاجابة الاجمالية :

فبين فيها أن الاحاديث المذكورة « ليس فيها شيء من أحاديث الأحكام فى الحلال والحرام والتساهل فى إيرادها مع ترك البيان بحالها شائع ، وقد ثبت عن الامام أحمد وغيره من الأئمة أنهم قالوا : إذا روينا فى الحلال والحرام شددنا وإذا روينا فى الفضائل ونحوها تساهلنا وهكذا حال هذه الاحاديث »[1].

وأما الاجابة التفصيلية : فلنضرب عليها بحديث من الأحاديث التى كان الحق فيها مع الحافظ ابن حجر ، بل وأخرجه الامام مسلم فى صحيحه :

---

(١) القول المسدد لابن حجر ص ١١.

قال الامـام أحمد : حدثنا أبوعامر ثنا أفلح بن سعيد نا عبدالله بن رافع سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « ان طالت بك مدة أوشك أن ترى قوما يغدون فى سخط الله عز وجل ويروحون فى الفتنة فى أيديهم مثل أذناب البقر[1] » ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات بإسناد المسند أيضـا ، ونقل عن ابن حبان أنه قال : « ان هذا الخبر باطل » وأفلح « كان يروى عن الثقات الموضوعات » وهذا الحديث أخرجه مسلم عن جماعة من مشايخه عن أبى عامر العقدى بهذا أو أخرجه من وجه آخر وقال ابن حجر :

ولم أقف فى كتـاب المـوضـوعات لابن الجوزى على شىء حكم عليه بالوضع وهو فى أحد الصحيحين غير هذا الحديث ، وإنها لغفلة شديدة منه ، « وأفلح » المذكور يعرف بالقبائى مدنى من أهل قباء ثقة مشهور ، وثقه ابن معين وابن سعد ، وقال ابن معين أيضا والنسائى : لابأس به وقال أبوحاتم شيخ صالح الحديث . وأخرج له مسلم فى صحيحه وقد روى عبدالله بن مبارك . وطبقته ولم أر للمتقدمين فيه كلاما إلا أن العقيلى قال : لم يرو عنه ابن مهدى وقال ابن حجر : وليس هذا بجرح ، وقد غفل ابن حبان فذكره فى الطبقة الرابعة من الثقات وقد أخطأ ابن الجوزى فى تقليده لابن حبان فى هذا الموضع خطأ أو غلط ابن حبان فى « أفلح » فضعفه بهذا الحديث وعقبه بأن قال : هذا بهذا اللفظ باطل والمحفوظ عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة بلفظ : « اثنان من أمتى لم أرهما : رجال بأيديهم سياط مثل أذناب البقر ونساء كاسيات عاريات » وتعقب الذهبى فى الميزان كلام ابن حبان هذا فقال : « حديث أفلح حديث صحيح غريب ورواية سهيل شاهدة له وابن حبان ربما جرح الثقة » . وقد صححه من طريق أفلح « أيضا الحاكم فى المستدرك وصححه من طريق سهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال حدثنا أبوحيثمة ثنا جرير عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ؛ قال رسول الله ؛ صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذنـاب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المـائلة لايدخلن الجنـة ولايجـدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا كذا . وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة من طريق الحسن بن سفيان عن محمد بن عبدالله نمير ثنا زيد بن الحباب حدثنا أفلح بن سعيد فذكره ولفظه : « يوشك أن طالت بك مدة أن ترى قوما فى أيديهم مثل أذناب البقر يغدون فى غضب الله ويروحون فى سخطه » قال البيهقى رواه مسلم عن محمد بن عبدالله بن نمير وهو كما قال ابن حجر : « فلقد أساء ابن الجوزى لذكره فى الموضوعات حديثا من صحيح مسلم[2] أ. هـ .

---

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند ٢٠٨/٢ رقم ٨٠٥٩ والإمام مسلم فى صحيحه ٣٥٥/٢.

(٢) القول المسدد ٣٣.

وهذا الذى قدمناه نموذج لاجابة ابن حجر التفصيلية على الأحاديث التى أوردها بين الموضوعات وقد رأينا إلى أى حد كان ابن حجر موفقا فى دفاعه .

● وخلاصة الآراء

(١) أن العلماء يقررون فى شبه اتفاق على أن فى المسند الضعيف لأن الامام أحمد كان يروى عمن لايعرف بالكذب ، ويروى عمن ضعف حفظه ويعتضد به .

(٢) يرى البعض أن المسند ليس فيه موضوع قط وممن ذهب إلى ذلك الحافظ أبوموسى المدينى وأبوالعلاء الهمدانى ونحوهما .

(٣) ويرى البعض أن فى المسند الأحاديث الموضوعة كأحاديث فضائل مرو وعسقلان وغير ذلك . وهؤلاء يختلفون : هل هى برواية أحمد أم لا ؟ فيرى البعض : أن المسند ليس فيه موضوع برواية أحمد ، وإنما هو من زيادة القطيعى . ويرى البعض الآخر أن فى المسند الموضوع برواية أحمد أو ابنه وممن ذهب إلى ذلك العراقى فقد رد عليه ابن حجر كما سبق .

والذى أرجحه هو أن بعض الأحاديث كان الحق فيها مع الحافظ ابن حجر ، وهى لاتصل إلى حد أن يحكم عليها بالوضع ، وأن البعض الآخر تكلف الحافظ فى الرد عليهما ، ويدل على رجوعه فى الرأى وحكمه بالوضع على بعض الأحاديث .

ويمكن التقريب بين الآراء فى درجة أحاديث المسند بحيث لايكون هناك كبير اختلاف بينهما وذلك بارجاع الرأيين :

الأول والثانى إلى الثالث .

فمن قال بأن فى المسند بعض الأحاديث الموضوعة نظر إلى زيادات القطيعى وعبدالله ، ومن قال : بأن مافيه صحيح يحتج به لايتنافى قوله مع وجود الضعيف ، لأن الضعيف دائرٌ بَيْنَ الحسن لذاته والحسن لغيره .

وإذا كنا قد وقفنا الآن على النقد القديم ، فلننظر بعد ذلك إلى النقد الحديث الذى وجه إلى المسند ، ثم نرد عليه . . .

« نقد الجامع الصحيح للامام البخارى »
ودفاع الحافظ ابن حجر

تلقت الأمة كتاب الجامع الصحيح للامام البخارى بالقبول واحتل هذا الكتاب النفيس مكانته الجليلة وتقديره العظيم عند أئمة الحديث ولذا عنوا به عناية عظيمة فكان منهم من دفعه اهتمامه بالكتاب وتقديره له إلى أن قام بتطبيق مافيه من الاحاديث على مااشترطه البخارى فى صحيحه ، فإذا مابدا له أن بعض الأحاديث لاتتفق ومااشترطه البخارى وتبين له أنها نزلت عن الدرجة العالية التى التزمها ، إذا مابدا له ذلك تناول هذا الأحاديث بالنقد ، وليس معنى نقدهم لها أنها قد وصل بها الضعف إلى حد الموضوع أو المنكر كما سيتضح ذلك .

وقد كان من بين الأحاديث المنتقدة على البخارى ماوافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثا ومنها ماانفرد البخارى بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثا وقبل بيان الرد الاجمالى والتفصيلى على هذا النقد أحب أن أقرر الدافع لهؤلاء النقاد الذى حفزهم على هذا النقد هو شدة حذرهم ويقظتهم ، وكمال اهتمامهم وعنايتهم بهذه المصنفات النفيسة ، وعلى أساس من الاخلاص وليس بدافع القدح أو الحسد .

رد الحافظ ابن حجر ودفاعه

ذكر ابن حجر فى مقدمة فتح البارى جوابا إجماليا قال فيه : « لاريب فى تقديم البخارى ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن فى معرفة الصحيح والمعلل فإنهم لايختلفون فى أن على بن المدينى كان أعلم أقرانه بعلل الحديث وعنه أخذ البخارى ذلك حتى يقول : مااستصغرت نفسى عند أحد الا عند على بن المدينى ، ومع ذلك فكان على بن المدينى إذا بلغه ذلك عن البخارى يقول : دعوا قوله فإنه مارأى مثل نفسه وكان محمد بن يحيى الذهلى أعلم أهل عصره بعلل حديث الزهرى وقد استفاد منه ذلك الشيخان جميعا . وروى الفربرى عن البخارى قال : ماأدخلت فى الصحيح حديثا إلا بعد أن استخرت الله تعالى وتيقنت صحته ، وقال مكى بن عبدالله سمعت مسلم بن الحجاج يقول : عرضت كتابى هذا على أبى زرعة الرازى فكل ماأشار أن له علة تركته فإذا عرف وتقرر إنهما لايخرجان من الحديث إلا مالا علة أو له علة إلا أنها غير مؤثرة عندهما فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا لتصحيحهما ولاريب فى تقديمهما فى ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة « أ.هـ » [1] .

(١) هدى السارى ص ٣٤٥ .

وأمـا من حيث التفاصيل فإن الاحادث المنتقدة تنقسم إلى ستة أقسام :

القسم الاول :

ماتختلف الرواة فيه بالزيادة والنقص من رجال الإسناد ، فإن أخرج صاحب الصحيح الطريق المزيدة وعلله الناقد بالطريق الناقصة فهو تعليل مردود كما صرح به الدارقطنى لأن الرواى ان كان سمعه فالزيادة لاتضر لأنه قد يكون سمعه بواسطة عن شيخه ثم لقيه فسمعه منه وان كان لم يسمعه فى الطريق الناقصة فهو منقطع ، والمنقطع من قسم الضعيف والضعيف لايعل الصحيح ، وأن اخرج صاحب الطريق الناقصة وعلله الناقد بالطريق المزيدة تضمن اعتراضه دعوى انقطاع فيما صححه المصنف فينظر إن كان ذلك الراوى صحابيا أو ثقة غير مدلس قد ادرك من روى عنه ادراكا بينا أوضح بالسماع أن كان مدلسا من طريق أخرى فإن وجد ذلك اندفع الاعتراض بذلك وإلا لم يوجد ، وكان الانقطاع فيه طاهرا فيحصل الجواب عن صاحب الصحيح أنه إنما أخرج مثل ذلك فى باب مالـه متابع وعاضد أو ماحفته قرينه فى الجملة تقويه ويكون التصحيح وقع من حيث المجمـوع وربما علل بعض النقـاد ، أحاديث ادعى فيها الانقطاع لكونها غير مسموعة كما فى الأحاديث المروية بالمكاتبة والاجازة وهذا لايلزم منه الانقطاع عند من يسوغ الرواية بالاجازة بل فى تخريج صاحب الصحيح لمثل ذلك دليل على صحة الرواية بالاجازة عنده .

القسم الثانى :

ماتختلف الرواة فيه بتغيير رجال بعض الإسناد ، فالجواب عنه ان امكن الجمع بأن يكون الحديث عند ذلك الرواى على الوجهين جميعا فأخرجهما المصنف ولم يقتصر على احدهما حيث يكون المختلفون فى ذلك متعادلين فى الحفظ والعدد ، وان امتنع بأن يكون المختلفون غير متعادلين بل متقاربين فى الحفظ والعدد فيخرج المصنف الطريق الراجحة ويعرض عن الطريق المرجوحة أو يشير إليها ، فالتعليل بجميع ذلك من أجل مجرد الاختلاف غير قادح إذ لايلزم من مجرد الاختلاف اضطراب يوجب الضعف الاعراض ايضا عما هذا سبيله .

القسم الثالث :

ماتفرد بعض الرواة بزيادة فيه دون من هو أكثر عددا أو أضبط ممن لم يذكرها فهذا لايؤثر التعليل به إلا إن كانت الزيادة منافية بحيث يتعذر الجمع أما إن كانت الزيادة لامنافاة فيها بحيث تكون كالحديث المستقل فلا ، اللهم إلا إن وضح بالدلائل القوية أن تلك الزيادة مدرجة فى المتن من كلام بعض رواته فما كان من هذا القسم فهو مؤثر .

القسم الرابع :

ماتفرد به بعض الرواة ممن ضعف منهم ، وليس فى هذا « الصحيح » من هذا القبيل غير حديثين وتبين أن لكل منهما متابعا أحدهما حديث أبى بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال : كان للنبى ﷺ فرس يقال له اللحيف ، قال الدارقطنى وأبى هذا ضعيف ، قال الحافظ وقد تابعه عليه أخوه عبدالمهيمن بن عباس ، وثانيهما : حديث إسماعيل بن أبى اويس عن مالك وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر رضى الله عنه استعمل مولى له يدعى هنيا على الخمس الحديث قال الدارقطنى وإسماعيل ضعيف قال الحافظ : لم ينفرد به بل تابعه عليه معن بن عيسى فرواه عن مالك كرواية إسماعيل سواء .

القسم الخامس :

ماحكم فيه بالوهم على بعض رواته ، والجواب أن الوهم إنما يؤثر إذا لم يرو الحديث من غير طريق الذى حكم عليه بالوهم وقال ابن حجر وليس فى الصحيح منه بحمد الله شىء . وأما إذا روى الحديث من غير طريق فذلك الوهم لايؤثر ويكون المعتمد عليه أصل الحديث لاخصوص ذلك الطريق .

القسم السادس :

مااختلف فيه بتغيير بعض ألفاظ المتن والجواب : إن هذا أكثره لايترتب عليه قدح لامكان الجمع فى المختلف من ذلك أو الترجيح ، أ . هـ [1] وبعد أن ذكر ابن حجر الاحاديث المنتقدة وأجاب عنها بيد أن هذا هو جميع ماتعقبه الحفاظ النقاد العارفون بعلل الأسانيد وقد ظهر واضحا أنه مامن حديث إلا وورد من طريق آخر وثبتت صحة المتون كلها فضلا عن رد كل نقد وجه إلى الأحاديث ولايغض هذا النقد من قيمة الجامع الصحيح وأصحيته فهو فى الدرجة الأولى من الصحة .

● ومن أمثلة الأحاديث المنتقدة

١ـ قال الدارقطنى : « وأخرجا جميعا ـ أى البخارى ومسلم ـ حديث الأعمش عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس يعنى فى قصة القبرين وإن أحدهما كان لايستبرىء من بوله . قال وقد خالفه منصور فقال عن مجاهد عن ابن عباس وأخرج البخارى حديث منصور على اسقاطه طاوسا ، وهذا الحديث قد أخرجه البخارى فى كتاب الطهارة عن عثمان بن أبى شيبة عن جرير وأخرجه فى كتاب الأدب عن كثير بن سلام عن عبيدة بن حميد كلاهما عن منصور به ، ورواه من طريق أخرى من حديث الأعمش وأخرجه باقى الستة من حديث الأعمش أيضا وأخرجه أبوداود

(١) هدى السارى ص ٣٤٦ـ٣٤٨.

والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه من حديث منصور أيضا ، وقال بعد أن أخرجه : رواه منصور عن مجاهـد عن ابن عباس وحديث الأعمش أصح يعنى المتضمن للزيادة قال الحافظ وهذا فى التحقيق ليس بعلة لأن مجاهدا لم يوصف بالتدليس وسمعه من ابن عباس صحيح فى جملة من الأحاديث ومنصور عندهم أتقن من الأعمش مع أن الأعمش أيضا من الحفاظ فالحديث كيفما دار على ثقـة والإسنـاد كيفما دار كان متصلا فمثل هذا لايقدح فى صحة الحديث إذا لم يكن راويه مدلسا ، وقد أكثر الشيخان من تخريج مثل هذا ولم يستوعب الدارقطنى انتقاده [1] .

٢ـ قال الدارقطنى : وأخرجا جميعا حديث ابن جريج عن الزهرى عن عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه وعمـه عبيدالله بن كعب ، عن كعب أن النبى ﷺ كان إذا قدم من سفـر ضحى بدأ بالمسجد الحديث . . وقد خالفه معمر فقال عن الزهرى عن عبدالرحمن بن كعب عن أبيه وقال عقيل عن الزهرى عن ابن كعب عن ابيه وهو يشبه رواية معمر ، قال الدارقطنى ورواية ابن جريج أصح ولايضره من خالفه ، قال ابن حجر قول معمر وغيره عن عبدالرحمن بن كعب يحمل على أنه نسبه إلى جده فتكون روايتهم منقطعة وهذا الجواب صحيح من الدارقطنى فى أن الاختلاف فى مثل هذا لايضر [2] .

● **نقد الرجال**

وجـه بعض النقـاد الـطعن فى بعض رجـال البخـارى الـذى خرج لهم فى كتابه « الجامع الصحيح » ومعظمهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وخبرهم وميز بين صحيح مروياتهم من سقيمها وقد أخرج لبعضهم فى أصول الكتابة وأخرج لبعضهم الآخر فى المتابعات والشواهد .

وانبرى الحافظ ابن حجر فى مقدمته للاجابة عن تلك الاعتراضات والطعون وتناول الدفاع عنهم واحدا واحدا ورتبهم على حروف المعجم مما يشهد له بدقة النقد العلمى ونزاهته ، يقول الحافظ ابن حجر [3] : ينبغى لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأى رواية كان مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ولاسيما ماانضاف إلى ذلك من اطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين ، وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنهم فى الصحيح فهو بمثابة اطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما هذا إذا خرج له فى الأصول إما أن خرج له فى المتابعات والشواهد والتعاليق فهذا تتفاوت درجات من اخرج له منهم فى الضبط وغيره مع حصول إسم الصدق لهم ، وحينئذ إذا وجدنا لغيره فى أحد منهم طعنا فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا

---

(١) هدى السارى ص ٣٤٦، ٣٤٨.

(٢) هدى السارى ص ٣٦٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٨١.

الامام فلا يقبل إلا مبين السبب مفسرا بقادح فى عدالة هذا الراوى أو فى ضبطه مطلقا ، أو فى ضبطه لخبر بعينه لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها مايقدح . وقد كان الشيخ أبوالحسن المقدسى يقول فى الرجل الذى يخرج عنه فى الصحيح هذا جاز القنطرة يعنى بذلك أنه لايلتفت إلى ماقيل فيه .

وقد وضع ابن حجر مقاييس دقيقة لنقد الرجال يزن بها رجال الصحيح فقال لايقبل الطعن فى أحد منهم إلا بقادح واضح لأن أسباب الجرح مختلفة ومدارها على خمسة أشياء :

(١) البدعة (٢) المخالفة (٣) الغلط (٤) جهالة الحال (٥) دعوى الانقطاع فى السند بأن يدعى فى الراوى أنه كان يدلس أو يرسل . فاما جهالة الحالة فمندفعة عن جميع من أخرج لهم فى الصحيح لأن شرط الصحيح أن يكون راويه معروفا بالعدالة فمن زعم أن أحدا منهم مجهول فكأنه نازع المصنف فى دعواه أنه معروف ولاشك أن المدعى لمعرفته مقدم على من يدعى عدم معرفته لما مع المثبت من زيادة العلم ومع ذلك فلا تجد فى رجال الصحيح أحدا يسوغ إطلاق اسم الجهالة عليه أصلا . وأما الغلط : فتارة يكثر من الرواية وتارة يقل فحيث يوصف بكونه كثير الغلط فيما أخرج له إن وجد مرويا عنده ، وعند غيره من رواية غير هذا الموصوف بالغلط علم أن المعتمد أصل الحديث لاخصوص هذه الطريقة وان لم يوجد إلا من طريقه ، فهذا قادح يوجب التوقف عن الحكم بصحة ماهذا سبيله وليس فى الصحيح بحمد الله من ذلك شىء .

وحيث يوصف بقلة الغلط كما يقال سيىء الحفظ أو له أوهام أو له مناكير وغير ذلك من العبارات ، فالحكم فيه كالحكم فى الذى قبله أى تارة يكثر وتارة يقل وينظر فيما أخرج له . . إلخ . إلا أن الرواية عن هؤلاء فى المتابعات أكثر منها عند المصنف من الرواية عن أولئك مع عدم التفرد فلا طعن ـ إلا أن الرواية عنهم إنما هى للاستئناس والشواهد وتكثير الطرق فهى معادة .

وأما المخالفة : فيثبت بها الشذوذ والنكارة ، فإذا روى الضابط والصدوق شيئا فرواه من هو أحفظ منه وأكثر عددا بخلاف ما روى بحيث يتعذر الجمع على قواعد المحدثين فهذا شاذ ، وقد تشتد المخالفة بأن يضعف الحفظ فيحكم على من يخالف فيه يكون منكرا ، وهذا ليس فى الصحيح منه إلا نذر يسير . وكان البخارى بعد ذكر الروايات جميعها ينبه عليها ويذكر رأيه فلا اعتراض عليه . وأما دعوى الانقطاع فمدفوعة عمن أخرج لهم البخارى كما علم من شرطه (وهو أن العنعنة تفيد الاتصال بشرط المعاصرة واللقاء) ومع ذلك فحكم من ذكر من رجاله بتدليس أو إرسال أن تسير أحاديثهم الموجودة عنده فإن وجد التصريح بالسماع فيها ـ بأن يوجد هذا طرق أخرى ـ اندفع الاعتراض وإلا فلا . وقد ثبت السماع فى المعنعن فلا وجه للاعتراض .

وأما البدعة : فالموصوف بها إما أن يكون ممن يكفر بها أو يفسق فالمكفر بها لابد أن يكون ذلك التكفير متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة كما فى غلاة الروافض من دعوى بعضهم حلول

الألوهية فى على أو غيره أو الإيمان برجوعه إلى الدنيا قبل يوم القيامة أو غير ذلك وليس فى الصحيح من حديث هؤلاء شيء ألبتة .

والمفسق بها : كبدع الخوارج والروافض الذين لايغلون ذلك الغلو ، وغير هؤلاء من الطوائف المخالفين لأصول السنة خلافا ظاهرًا لكنه مستند إلى تأويل ظاهره سائغ فقد اختلف أهل السنة فى قبول حديث ماهذا سبيله إذا كان معروفا بالتحرز من الكذب مشهورا بالسلامة من خوارم المروءة موصوفا بالديانة والعبادة فقيل يقبل مطلقا وقيل يرد مطلقا ، والثالث التفصيل بين أن يكون داعية لبدعته أو غير داعية فيقبل غير الداعية ويرد حديث الداعية ، وهذا المذهب هو الأعدل وصارت إليه طوائف من الأئمة وادعى ابن حبان إجماع أهل النقل عليه . لكن فى دعوى ذلك نظر فقد روى عن الامام مالك رد روايتهم مطلقا . ثم اختلف القائلون بهذا التفصيل فبعضهم أطلق ذلك وبعضهم زادهم تفصيلا فقال إن اشتملت رواية غير الداعية على مايشيد ببدعته ويزينها ويحسنها ظاهرا فلا تقبل وإن لم تشتمل فتقبل هذا وطرد بعضهم هذا التفصيل بعينه فى عكسه فى حق الداعية فقال : إن اشتملت روايته على مايريد بدعته قبل وإلا فلا وعلى هذا إذا اشتملت رواية المبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على مالا تعلق له فى بدعته أصلا هل ترد مطلقا أو تقبل مطلقا ؟

مال أبوالفتح القشيرى إلى تفصيل آخر فيه فقال : إن وافقه غيره فلا يلتفت إليه هو اخمادا لبدعته واطفاء لناره وإلا لم يوافقه ولم يوجد ذلك الحديث إلا عنده مع وصفنا من صدقه وتحرزه عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته فينبغى أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنة على مصلحة إهانته وإطفاء بدعته . .

وإعلم أنه قد وقع من جماعة الطعن فى جماعة بسبب اختلافهم فى العقائد فينبغى التنبه لذلك وعدم الاعتداد به إلا بحق . وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة وخذلوا فى الدنيا فضعفوهم لذلك ولا أثر لذلك التضعيف مع الصدق والضبط والله الموفق . وأبعد من ذلك كله من الاعتبار تضعيف من ضعف بعض الرواة بأمر يكون الحمل فيه على غيره أو التحامل بين الأفراد ، وأشد من ذلك تضعيف من ضعف من هو أوثق منه أو أعلى قدرا أو أعرف بالحديث فكل هذا لايعتبر به .

وقد عقد ابن حجر فصلا مستقلا جمع فيه اسماء الرجال الذين طعن فيهم مع ذكر الطعن الموجه إليهم وسببه ، وقام بالاجابة عنه ومن أمثله ذلك :

(١) أحمد بن بشير الكوفى أبوبكر مولى عمرو بن حريث المخزومى ، قال النسائى : ليس بذاك القوى وقال عثمان الدارمى متروك وقواه ابن معيين وابوزرعة وغيرهما وأخرج له البخارى حديثا واحدا تابعه عليه مروان بن معاوية وأبوسلمة وهو فى كتاب الطب أما تضعيف النسائى له فمشعر بأنه غير حافظ ، وأما كلام عثمان الدارمى فقد رده الخطيب بأنه اشتبه عليه براو آخر اتفق اسمه واسم أبيه وهو كما قال الخطيب رحمه الله تعالى وقد روى له الترمذى وابن ماجه .

(٢) أحمد بن شبيب بن سعيد الحلبى روى عنه البخارى أحاديث بعضها قال فيه حدثنا وبعضها قال فيه : قال أحمد بن شبيب ووثقة أبوحاتم الرازى وقال ابن عدى : وثقه أهل العراق ، وكتب عنه على بن المدينى وقال أبوالفتح الأزدى : منكر الحديث غير مرضى ، ولاعبرة بقول الأزدى لأنه هو ضعيف فكيف يعتمد على تضعيف الثقات .

وأرى بعد هذا النقد والاجابة عليه : أن كتاب الجامع الصحيح للامام البخارى هو أول الكتب الستة فى الصحة ، ولايغض من قيمته مثل هذا النقد ، فقد وردت الاحاديث المنتقدة من طرق أخرى ، وقد تبين عن الاجابة عليها ، وعلى الرجال المنتقدين أن الامام البخارى كان شديد التحرى مبالغ الحيطة ، فى روايته .

الامام العينى

هو الامام المحدث العلامة بدر الدين أبومحمود بن أحمد الحلبى الأصل ، نسب إلى بلدة عين تاب على ثلاث مراحل من حلب ، القاهرى الدار والوفاة .

ولد فى السابع عشر من شهر رمضان سنة ٧٦٢هـ ونشأ وتفقه على يد والده وغيره من شيوخ العلم .

. وقد سافر إلى القاهرة ونشأ بها ، وتلقى العلم على أكابر شيوخها ومن شيوخ العينى : الحافظ زين الدين عبدالرحيم العراقى وسراج الدين البلقينى .

وكان بين العينى والحافظ ابن حجر منافسة كالتى تكون بين الأقران والمتعاصرين منافسة شريفة نقية ، وكان الحافظ ابن حجر أصغر من العينى باثنتى عشرة سنة وسمع منه بعض الأحاديث . وأخذ العلم عن العينى . كذلك الامام كمال الدين بن الهمام والسخاوى .

وكان عالما بالحديث وفقهه ، ملما بأحاديث الأحكام ، عالما بعلل أسانيدها ومتونها .

تولى العينى « الحسبة » بالقاهرة ، كما تولى مشيخة نظر الأحباس وهى وظيفة تعادل وزارة الأوقاف اليوم . ودرس الحديث بالمؤيدية ، وفى آخر عام تقلد فيه تدريس الحديث بالمؤيدية كادت تسقط مئذنة الجامع المؤيدى ، فهدمت وبنيت من جديد فقال الحافظ بن حجر .

لجامع مولانا المؤيد رونق ... منارته بالحسن تزهو وبالزين

تقول وقد مالت عليهم تمهلوا ... فليس على حسنى أضرٌّ من العين

فتحدث الناس أن ابن حجر قصد التورية بالعين التى تصيب الأشياء فتتلفها و« بالشيخ العينى » فقال العينى معارضا :

منارة كعروس الحس إذ جليت ... وهدمها بقضاء الله والقدر

قالوا : أصيبت بعين قلت ذاغلط ... مآفة الهدم إلا خسة الحجر

وهى فكاهة أدبية بين هذين الامامين المحدثين الأديبين رضى الله عنهما وجزاهما خيرا على ماقدماه من جهود تذكر فتشكر لخدمة السنة المطهرة . وفى عهد السلطان الأشرف كانت للعينى مكانته ، فقد عرف له فضله وقال عنه السلطان الأشرف :

« لولا العينى لكان فى إسلامنا شىء » وولاه قضاء القضاة فباشر القضاء والحسبة ونظر الاحباس .

ولما تقلد الأمر سلطان آخر وآذى بعض العلماء ، أعفى العينى من مناصبه ، فانتقل إلى مدرسة قريبة من الأزهر ووقف كتبه لطلاب العلم ، ونقلت كتبه إلى دار الكتب المصرية وتوفى العينى سنة ٨٨٥هـ وكان عمره ثلاثة وتسعين عاما وصلى عليه المسلمون بالجامع الأزهر ودفن بمدرسته .

● عمدة القارىء

وللعينى مؤلفات كثيرة أهمها وأعظمها فى مجال السنة النبوية « عمدة القارى » شرح الجامع الصحيح للامام البخارى وهو من أعظم وأهم الشروح لصحيح البخارى .

عُنى الامام العينى فى كتابه القيم « عمدة القارى » بما يستنبط من الأحاديث من الأحكام الفقهية ، والآداب ، وبيان النواحى اللغوية والأعرابية ووجوه المعانى والبيان .

ويقوم منهج العينى فى شرحه على تخريج الحديث وذكر من خرجه من أصحاب الكتب المشهورة ، وعند شرح الأحاديث المكررة ينص على سياق الحديث بأكمله ، ولا يحيل على المواضع الأخرى .

وقد سار فى شرحه على طريقة السؤال والجواب ، وهى طريقة حسنة ومجدية .

وابتدأ فى كتابه هذا سنة ٨٢١هـ وانتهى منه سنة ٨٤٧ ، وهذا مطبوع فى استانبول ومصر .

« الامام السيوطى »

● نسبه ومولده

هو عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناصر الدين محمد بن يوسف الدين خضر بن نجم الدين بن أبى الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الخضيرى الاسيوطى .

ولقب بجلال الدين ، وكنى بأبى الفضل ، وأما جده الأعلى وهو همام الدين فكان من أهل الحقيقة ، ومن مشايخ الطرق . وأما من دون هذا الجد ، فقد كانوا أهل وجاهة ورياسة ، وليس من بينهم من عرف بخدمة العلم خدمة عظيمة إلا والده .

وأما نسبته بالخضيرى ، فقد تحدث هو عنها فى ترجمته لنفسه ، إذ يقول : « وأما نسبتنا بالخضيرى فلا أعلم ماتكون إليه هذه النسبة الا الخضيرية محلة بغداد وقد حدثنى من أثق به أنه سمع والدى رحمه الله تعالى يذكر أن جده الأعلى كان أعجميا أو من الشرق ، فالظاهر أن النسبة إلى المحلة المذكورة » [1] .

واشتغل والده ببلدة أسيوط ، وتولى بها القضاء ، ثم قدم القاهرة ، فلازم العلامة القاياتى وأخذ عنه الكثير من الفقه والأصول والنحو والاعراب والمعانى والمنطق وأجازه بالتدريس فى سنة ٨٢٩ تسع وعشرين وثمانمائة ـ كما قال الجلال ـ كما أخذ عن الحافظ ابن حجر العسقلانى علم بالحديث وسمع عليه صحيح مسلم ، ولم تقف حال أبيه عند قضاء اسيوط وإجازة القاياتى أباه بالتدريس ، بل إنه أفتى ودرس سنين كثيرة ، وناب فى الحكم بالقاهرة عن جماعة وولى درس الفقه بالجامع الشيخونى ، وخطب بالجامع الطولونى ، وأم بالخليفة المتكفى بالله ، وكان يجله إلى الغاية ، ويعظمه ، ولم يكن يتردد إلى أحد من الأكابر غيره ، وعين لقضاء مكة فلم يتفق له ، وتوفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة .

ولد جلال الدين السيوطى بعد مغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، أى قبل وفاة أبيه بست سنين .

---

(١) حسن المحاضرة للسيوطى ١٠٤.

قال السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة » : وكان مولدى بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، وحملت فى حياة أبى إلى الشيخ محمد المجذوب رجل كان من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسى فدك على : أى : يباركه ، فإن التبرك بأهل الصلاح والخير مستحب ، ففيما رواه الامام مسلم رحمه الله بسنده عن عائشة زوج النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم . . . إلخ الحديث ، أى كان يدعو لهم ويمسح عليهم ، وأصل البركة ثبوت الخير وكثرته . قال الامام النووى رحمه الله تعالى فى تعليقه على هذا الحديث :

فيه استحباب تحنيك المولود ، وفيه التبرك بأهل الصلاح والفضل . وهكذا استقبل بيت العلم والورع والفضل العلامة الحافظ جلال الدين الذى كان بهجة لوالده وقرة عين له .

● **نشأته**

نشأ جلال الدين السيوطى نشأة علمية منذ نعومة أظفاره ، فقد كان والده أحرص مايكون على أن يوجهه وجهة شديدة صالحة فكان يحفظه القرآن الكريم فى صغره ، ويصحبه معه فى مختلف مجالسه العلمية والقضائية .

وقد طلب والده من الحافظ ابن حجر العسقلانى أن يدعو له بالبركة والتوفيق ، وكان السيوطى يرى فى ابن حجر مثله الأعلى حتى أنه لما شرب من ماء زمزم كان ينوى ويدعو الله أن يجعله مثل ابن حجر حتى صار من أبرز العلماء ، ومن أكبر الحفاظ .

ومات والده وله من العمر حوالى خمس سنوات وسبعة أشهر ، ولكن الله تعالى قد كلأه بعنايته ، وأحاطه برعايته ، فقد قيض الله تعالى له العلامة كمال الدين بن الهمام الحنفى صاحب « فتح القدير » فكان يرعاه ويتابعه فى تحفيظ القرآن الكريم ، وكانت مخايل الذكاء فيه ظاهرة ، وقد منحه الله تعالى حافظة قوية ، وقريحة سيالة تحفظ وتستظهر بصورة فذة ، ولاغرابة فى هذا فقد حفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان سنين ، ثم حفظ العمدة والمنهاج الفقهى ، المنهاج الأصولى ، وألفية ابن مالك .

وابتدأ الاشتغال بالعلم سنة ٨٦٤هـ : فأخذ الفقه عن الشيخ سراج الدين البلقينى وقد لازمه إلى أن توفى ، فلازم من بعده ولده علم الدين الذى توفى سنة ٨٦٨هـ ، وقد سمع منه الكثير مثل الحاوى الصغير ، والمنهاج ، وشرح المنهاج والروضة . وأخذ الفرائض عن الشيخ شهاب الدين الشارماحى ولازم الشرف المناوى أبازكريا يحيى بن محمد جد عبدالرؤوف شارح الجامع الصغير وتوفى الشرف سنة ٨٧١هـ .

ولزم فى العلوم العربية والحديث تقى الدين الشمنى الحنفى المتوفى سنة ٨٧٢هـ . ثم لازم الشيخ محيى الدين محمد بن سليمان الرومى الحنفى أربع عشرة سنة ، فأخذ عنه التفسير والأصول العربية وعلوم المعانى .

وأخذ عن جلال الدين المحلى المتوفى سنة ٨٦٤هـ ، وعن المعز الكنانى أحمد بن إبراهيم الحنبلى .

وقرأ صحيح مسلم والشفا وألفية ابن مالك والتسهيل والتوضيح على الشمس السيرامى .

ولم يدع السيوطى فرعا من فروع المعرفة ولانوعا من أنواع العلم إلا وأدلى منه بدلوه ، واتجه ينهل منه كالفرائض والحساب ، كما أخذ عن المجد بن السباع وعبدالعزيز الوقائى الميقات وأخذ الطب عن محمد بن إبراهيم الدوانى الرومى .

هذا والمتتبع لنشأة السيوطى يجد أنه قد أخذ الكثير من العلوم عن الكثير من الشيوخ ، فلم يقتصر فى علمه ودراسته وتعلمه على علوم الدين واللغة ، كما لم يقتصر فى الشيوخ على علماء مصر ، بل إنـه رحل فى طلب العلم ورواية الحديث إلى المغرب واليمن والهند والشام والحجاز والمحلة ودمياط والفيوم من المدن المصرية ، وغير ذلك من الأقطار الإسلامية ، وقد حج وشرب من ماء زمزم رجاء أن يصل فى الفقه إلى رتبة الشيخ البلقينى ، وفى الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر. وهكـذا طوف هذا الإمـام الجليل ، ورحل الترحلات الكثيرة وركب المركب الصعب من أجل تحصيل العلم ، ولـذا كثـر شيوخـه الذين أخذ عنهم وروى عنهم وقد ذكر الشيخ عبدالوهاب الشعرانى فى الطبقات أن شيوخه قد وصلوا نحو ستمائة ، وقد قسمهم إلى طبقات .

الطبقة الأولى : من يروى عن أصحاب الفخر ابن البخارى والشرف الدمياطى ووزيره والحجار وسليمان بن حمزة .

الطبقة الثانية : من يروى عن السراج البلقينى والحافظ ابن الفضل العراقى .

الطبقة الثالثة : من يروى عن الشرف بن الكويك ونحوه .

الطبقة الرابعة : من يروى عن أبى زرعة بن الزين العراقى وابن الجزيرى ونحوهما [1]

وقد تحدث السيوطى عن هذه المرحلة فى كتابه : « حسن المحاضرة » فقال : « ونشأت يتيما فحفـظت القـرآن ولى دون ثمان سنين ، ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك ، وشرعت فى الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين فأخذت الفقه والنحو عن جماعة

(١) طبقات الشعرانى وإمام السيوطى للدكتور على صافى حسين .

من الشيوخ وأخذت الفرائض عن العلامة فرضى زمانه الشيخ شهاب الدين الشارمساحى الذى كان يقال أنه بلغ السن العالية وجاوز المائة بكثير « أ. هـ » .

وإلى جوار ماسبق من شيوخه الكثيرين الذين أخذ منهم وروى عنهم ، وبالاضافة إلى رحلاته الواسعة التى قام بها ، فإنه يضاف إلى هذا وذاك انتفاعه بمكتبة المدرسة المحمودية ، التى كان مقرها بقصبة رضوان مكان الجامع المعروف باسم « جامع الكردى » فى أول الخيمية من ناحية باب زويلة .

وقال المقريزى : وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن ، وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر ، وتنسب إلى محمود بن الاستادار الذى أنشأها سنة ٧٩٧هـ وقال عنها الحافظ ابن حجر فى « أنباء القمر » :

إن الكتب التى بها وهى كثيرة جدا من أنفس الكتب الموجودة الآن بالقاهرة ، وهى من جمع البرهان ابن جماعة ، واشتراها محمود الاستادار من تركته بعد موته ووقفها . . وقد كانت هذه الخزانة فى أمانة الحافظ بن حجر ، وبها نحو من أربعة آلاف مجلد . وقد عمل لها ابن حجر فهرستا ، وللسيوطى فيها رسالة تسمى « بذل المجهود فى خزانة محمود » .

وقد نضجت شخصية السيوطى ، واكتملت ملامح تكوينه العلمى ، حتى تمت لديه أدوات الاجتهاد ، وحصل علومه وكان سريع البديهة ، قوى الحافظة ، منحه الله تعالى عقلا علميا خصبا ، وذكاء حادا ، وإلى جانب هذه الخصائص فقد كان عابدا زاهدا متواضعا لايقبل جوائز الملوك ، وقد أهدى له السلطان الغورى خصيا وألف دينار ، فرد الألف وأخذ الخصى فأعتقه ، وجعله خادما فى الحجرة النبوية ، وقال لقاصد السلطان : لاتعد فتأتينا بهدية قط فإن الله تعالى أغنانا عن مثل ذلك [١] .

● **حياته العلمية**

وقد ذكرت مصادر عديدة مثل : « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلى وغيرها أن السيوطى أجيز بالتدريس فى مستهل سنة ست وستين وثمانمائة ، وذلك بتدريس العربية فى سن مبكرة ، وعمره سبعة عشر عاما . أما بالنسبة لتدريس الفقه واملاء الحديث ، فقد كان ذلك سنة اثنين وسبعين وثمانمائة [٢]

---

(١) مقدمة تدريب الراوى بتحقيق الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف .

(٢) الطبقات للشعرانى والضوء اللامع للسخاوى .

وأجيز بالتدريس والافتاء سنة ست وسبعين ، وسنه سبعة وعشرون عاما أجازه بهما ابن شيخ الإسلام البلقينى وحضر نصديره ، وشرع فى التأليف والتصنيف فى سنة ست وستين وأول شىء ألفه رسالة فى شرح الاستعاذة والبسملة ، ورآها شيخ الإسلام البلقينى فاستحسنها وكتب عليها تقريظا [1] .

وعرف بشجاعته الأدبية ، وقوته فى إقامة أحكام الشريعة الإسلامية وتطبيقها دون أن يجامل أحدا ، فلم يخش فى الحق لومة لائم ، فقد تصدى للافتاء وشئون القضاء ، فحرص على إقامة الحدود ، وتطبيق الأحكام الدينية ، مهما كلفه ذلك ، ولم يكترث بغضب الأمراء أو السلاطين ، بل كان إذا رأى قاضيا ماتأول فى حكم أرضاء لأمير ، أو زلفى لسلطان قاوم مثل ذلك وأعلن إنكاره ومعارضته ، وبين خطأه ، وقد ذكر فى مقامته « الاستنصار بالواحد القهار » أنه قاسى كثيرا من جراء الفتوى . وقد استهل السيوطى مشتغلا بالتدريس والافتاء إلى أن بلغ من العمر اربعين سنة ، فاعتذر بعد ذلك وترك التدريس والافتاء ، وتفرغ للعبادة والتأليف ، وألف رسالة تسمى « التنفيس فى الاعتذار من ترك الافتاء والتدريس » ومؤلفات السيوطى تزيد على الخمسمائة ، وهذه المؤلفات الكثيرة تدل على رسوخ قدمه فى العلم ، وتبحره فى سائر فنونه ، يقول السيوطى « ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله لا بحولى ولابقوتى ، فلا حول ولاقوة إلا بالله » .

● **مؤلفات السيوطى : ومنهجه**

ولقد فطر الله تعالى إمامنا السيوطى على حب القرآن الكريم ، ووفقه إلى حفظه منذ الصغر ، فقد ابتدأ فجر حياته التعليمية بكتاب الله حفظا ودراسة ، كما ابتدأ حياته العلمية وحياة التأليف بالقرآن كذلك ، فكان أول شىء قام بتأليفه هو كتابه الذى كتبه فى تفسير الاستعاذة والبسملة وقد عرضه على شيخ الإسلام علم الدين صالح البلقينى فأقر تأليفه وامتدحه . ثم توالى تأليفه بعد ذلك . . وقد رزقه الله تعالى عقلية خصبة ، وفكرا معطاء ، مما جعله يتبحر فى كثير من العلوم والمعارف ، وقد كان علم التفسير من العلوم التى تبحر فيها السيوطى : قال : ورزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع على طريقة العرب والبلغاء لاعلى طريقة العجم وأهل الفلسفة . والذى أعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التى اطلعت عليها فيها لم يصل إليه ولاوقف عليه أحد من أشياخى فضلا عمن هو دونهم وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه بل شيخى فيه أوسع نظرا وأطول باعا ودون هذه السبعة فى المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ودونها الانشاء والترسل والفرائض ودونها القراءات ولم آخذها عن شيخ . . [2] أ. هـ.

---

(١) مقدمة الجامع الصغير بتحقيق الشيخ محيى الدين عبدالحميد.

(٢) حسن المحاضرة ١٤١.

وقد ألف السيوطى فى التفسير وعلوم القرآن كتبا كثيرة وهى :

١ـ الاتقان فى علوم القرآن .
٢ـ الدر المنثور فى التفسير المأثور .
٣ـ ترجمان القرآن فى التفسير .
٤ـ أسرار التنزيل ، ويسمى قطف الأزهار فى كشف الأسرار .
٥ـ لباب النقول فى أسباب النزول .
٦ـ مفحمات الأقران فى مبهمات القرآن .
٧ـ المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب .
٨ـ الاكليل فى استنباط التنزيل .
٩ـ تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلى .
١٠ـ التبحير فى علوم التفسير .
١١ـ حاشية على تفسير البيضاوى .
١٢ـ تناسق الدرر فى تناسب السور .
١٣ـ مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع .
١٤ـ مفاتح الغيب فى التفسير . .
١٥ـ مجمع البحرين ومطلع البدرين فى التفسير.
١٦ـ الأزهار الفائحة على الفاتحة .
١٧ـ شرح الاستعاذة والبسملة .
١٨ـ الكلام على أول الفتح ، وهو تصدير ألقاه السيوطى عندما باشر التدريس بجامع شيخون بحضرة شيخه البلقينى .
١٩ـ شرح الشاطبية .
٢٠ـ الألفية فى القراءات العشر .
٢١ـ خمايل الزهر فى فضائل السور .
٢٢ـ فتح الجليل للعبد الذليل فى الأنواع المستخرجة من قوله تعالى : « الله ولىّ الّذينَ آمنُوا » الآية وعدتها مائة وعشرون نوعا .
٢٣ـ القول الفصيح فى تعيين الذبيح .
٢٤ـ اليد البسطى فى الصلاة الوسطى .
٢٥ـ معترك الأقران فى مشترك القرآن .

وإذا كان الناس بالنسبة لجواز تفسير القرآن لكل أحد أو عدم جواز ذلك ، قد اختلفوا فمنهم من قال بعدم جواز التفسير لأى أحد وإن كان عالما واسع المعرفة والأدلة وعارفا بالأحكام والأخبار فليس له إلا أن ينتهى إلى ماروى عن النبى ﷺ فى ذلك .

ومنهم من قال يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التى يحتاج إليها ، فقد بين الامام السيوطى هذه العلوم التى يحتاج إليها المفسر ، وهى خمسة عشر علما .

الأول : اللغة ، لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ، قال مجاهد : لايحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب ، وتقدم قول الامام مالك فى ذلك ، ولايكفى فى حقه معرفة اليسير منها ، فقد يكون اللفظ مشتركا ، وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر .

الثانى : النحو ، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الاعراب فلابد من اعتباره ، أخرج أبوعبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته فقال : حسن فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعى بوجهها فيهلك منها .

الثالث : التصريف ، لأن به تعرف الأبنية والصيغ ، قال ابن فارس : ومن فاته علمه فاته المعظم لأنه إن وجد مثلا كلمة مبهمة فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها . وقال الزمخشرى : من بدع التفاسير قول من قال ان الامام فى قوله تعالى : « يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ » جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم قال : وهكذا غلط أوجبه جهله بالتصريف فإن أما لاتجمع على إمام .

الرابع : الاشتقاق ، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح .

الخامس : علم المعانى .

السادس : علم البيان .

والسابع : علم البديع .

وهذه علوم البلاغة ، فيعرف بالمعانى خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ويعرف بالبيان خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الأدلة وخفائها ، ويعرف بالثالث وجوه تحسين الكلام . وهذه العلوم من أعظم أركان المفسر لأنه لابد له من مراعاة مايقتضيه الاعجاز ، وإنما يدرك بهذه العلوم .

وقال السكاكى : اعلم أن شأن الاعجاز عجيب يدرك ولايمكن وصفه كاستقامة الوزن ، تدرك ولايمكن وصفها ، كالملاحة ، ولاطريق إلى تحصيله لغير ذوى الفطرة السليمة إلا التمرن على علمى البيان والمعانى .

الثامن : علم القراءات ، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

التاسع : أصول الدين بما فى القرآن من الآية الدالة بظاهرها على مالا يجوز على الله تعالى فالأصولى يؤول ذلك ويستدل على مايستحيل ومايجب ومايجوز .

العاشر : أصول الفقه ، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .

الحادى عشر : أسباب النزول والقصص ، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ماأنزلت فيه .

الثانى عشر : الناسخ والمنسوخ ، ليعلم المحكم من غيره .

الثالث عشر : الفقه .

الرابع عشر : الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم .

الخامس عشر : علم الموهبة ، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ، وإليه الاشارة بحديث : « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم »[1] أ . هـ .

وإلى هذا النوع من العلم الاشارة بقول الله تعالى : « وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ »[2] وقد قال السيوطى ـ بعد أن بين علم الموهبة : « ولعلك تستشكل علم الموهبة ، وتقول : هذا شىء ليس فى درة الإنسان ، وليس الأمر كما ظننت من الاشكال والطريق فى تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد ، قال فى البرهان : أعلم أنه لايحصل للناظر فهم معانى الوحى ولايظهر له أسراره ، وفى قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا ، أو وهو مصر على ذنب ، أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق ، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله ، وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكد من بعض قلت : وفى هذا المعنى قوله تعالى : « سَأَصْرِفُ[3] عَنْ الَّذِين يَتَكَبَّرُون فى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ[4] » .

---

(١) الاتقان ٢ / ١٨٠.

(٢) الآية ٢٨٢ سورة البقرة.

(٣) الآية ١٤٦ من الأعراف.

(٤) الاتقان ٢ / ١٨١.

وحول دراستنا هذه عن الامام السيوطى ، سنتناول بعون الله تعالى وتوفيقه دراسة بعض كتبه فى هذا الشأن :

* ففى مجال علوم القرآن سنقدم دراسة عن كتابه النفيس : « الاتقان فى علوم القرآن » .

* وفى مجال أسباب النزول سنقدم دراسة عن كتابه القيم : « لباب النقول فى أسباب النزول » وهم ينم عن مكانته الكبرى فى الحديث .

* وفى مجال التفسير وماقدمه من خدمة جليلة لكتاب الله تعالى سنتناول دراسة كتابين من كتبه ، كل واحد من هذين الكتابين يمثل اتجاها معينا فى التفسير :

الكتاب الأول : « الدر المنثور فى التفسير بالمأثور » وهذا الكتاب يمثل اتجاها من اتجاهات التفسير ، وهو التفسير بالمأثور . وهو قائم على أساس تضلعه فى الحديث .

والكتاب الثانى : « تفسير الجلالين » وهو يمثل اتجاه التفسير بالرأى .

وفى مجال الحديث وعلومه : « جمع الجوامع » و« تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى » .

الاتقان فى علوم القرآن

إن العلوم تشرف بشرف موضوعها ، وترقى منزلتها بدرجة ماتعالجه من معارف ، وماتقدمه من فوائد وثمرات ، وإذا كانت علوم القرآن يدور البحث فيها حول مايتعلق بكتاب الله تعالى ونزول آياته الشريفة ، وأسباب هذا النزول وتاريخه ، ومكانه وما إلى ذلك من الأنواع . فهذا يدل على عظمة هذا العلم وعلى رفعة شأنه ، وعلى أهميته فى معاونة العلماء والباحثين ، فى تفسير آياته ، وبيان مايرشد إليه من العقيدة والعبادة والأخلاق وتلك فوائد من أعظم ماتصبو إليه نفس المسلم .

وقد قدم الامام السيوطى لكتابه : « الاتقان » بمقدمة بين فيها الداعى إلى تأليف هذا الكتاب ؟

حيث ذكر فى مقدمة الاتقان تشوقه وتطلعه إلى أهمية علوم القرآن والحاجة إلى التأليف فى هذا المضمار ، كما دون العلماء وكتبوا فى علم الحديث ، فقال :

ولقد كنت فى زمن الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتابا من أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ، فسمعت شيخنا أستاذ الاستاذين ، وانسان عين الناظرين ، خلاصة الوجود علامة الزمان فخر العصر وعين الأوان أباعبدالله محيى الدين الكافيجى ـ مد الله فى أجله وأسبغ عليه ظله ، يقول:قد دونت فى علوم التفسير كتابا لم أسبق إليه فكتبته عنه فإذا هو صغير الحجم جدا ، وحاصل مافيه بابان :

الأول : فى ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية .

والثانى : فى شروط القول فيه بالرأى وبعدهما خاتمة فى آداب العالم والمتعلم فلم يشف لى ذلك غليلا ولم يهدنى إلى المقصود سبيلا . . ثم ذكر ماأوقفه الشيخ علم الدين البلقينى من كتاب لأخيه جلال الدين سماه مواقع العلوم من مواقع النجوم وماقاله فى خطبة هذا الكتاب : « قد اشتهرت عن الامام الشافعى رضى الله عنه مخاطبة لعلماء بنى العباس فيها ذكر بعض أنواع القرآن كما وضع السيوطى أن علم التفسير لم يدونه أحد لافى القديم ولافى الحديث حتى جاء .

* شيخ الإسلام جلال الدين البلقينى فعمل فيه كتابه « مواقع العلوم من مواقع النجوم » فنقحه وهذبه وقسم أنواعه ورتبه ولم يسبق إلى هذه المرتبة ، فإنه جعله نيفا وخمسين نوعا منقسمة إلى ستة أقسام ، وتكلم فى كل نوع منها بالمتين من الكلام لكن كما قال الامام أبوالسعادات ان الأثير فى مقدمة نهايته : كل مبتدىء بشىء لم يسبق إليه ، ومبتدع أمر لم يتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلا ثم يكثر وصغيرا ثم يكبر . .

ثم أشاد الامام السيوطى بجهود من سبقه فى هذا الشأن وخاصة الشيخ الزركشى . . قال : ثم خطر لى بعد ذلك أن أؤلف كتابا مبسوطا ومجموعا ومضبوطا أسلك فيه طريق الإحصاء ، وأمشى فيه على منهـاج الاستقصاء ، هذا كله وأنا أظن أنى متفرد بذلك غير مسبوق بالخوض فى هذه المسالك فبينا أنا أجيل فى ذلك فكرى أقدم رجلا وأؤخر أخرى ، إذ بلغنى أن الشيخ الامام بدر الـدين محمـد بن عبدالله الزركشى أحد متأخرى أصحابنا الشافعيين ألف كتابا فى ذلك حافلا يسمى « البرهان فى علوم القرآن » فتطلبته حتى وقفت عليه . .

ولما وقف على هذا الكتاب ازداد سرورا وفرحا ، وحمد الله وقويت عزيمته فى تصنيف ماأراد ، فوضع كتابه النفيس « الاتقان » ورتب الامام السيوطى كتابه هذا ترتيبا أنسب من ترتيب البرهان ، فأدمج هذا الفن مايحتاج إلى ادماج ، وفصل مايحتاج إلى تفصيل وزيادة بيان .

والحقيقة : أن كل نوع من الأنواع التى تناولها السيوطى بالدراسة فى كتابه يمكن أن تفرد بالتأليف .

وكان هدفه من وراء تأليف هذا الكتاب ، أن يجعله مقدمة للتفسير الكبير الذى كان قد شرع فى تأليفه وسماه : « مجمع البحرين ومطلع البدرين ، الجامع لتحرير الرواية ، وتقرير الدراية » وقد ذكر السيوطى فى مقدمة الاتقان ، مااشتمل عليه هذا الكتاب من علوم القرآن وهى :

النـوع الاول : معـرفـة المكى والمـدنى . **الثانى** : معرفة الحضرى والسفرى . **الثالث** : النهـارى والليلى . **الـرابـع** : الصيفى والشتائى . **الخامس** : الفراشى والنومى . **السـادس** : الارضى والسماوى . **السابع** : أول مانزل . **الثامن** : آخر مانزل . **التاسع** : أسباب النزول .

العاشر : مانزل على لسان بعض الصحابة . **الحادى عشر** : ماتكرر نزوله . **الثانى عشر** : ماتأخر حكمه عن نزوله وماتأخر نزوله عن حكمه . **الثالث عشر** : معرفة مانزل مفرقا ومانزل جمعا . **الرابع عشر** : مانزل مشيعا ومانزل مفردا . **الخامس عشر** : ماأنزل منه على بعض الانبياء ومالم ينزل منه على أحد قبل النبى ﷺ . **السادس عشر** : فى كيفية انزاله . **السابع عشر** : فى معرفة أسمائه وأسماء سوره . **الثامن عشر** : فى جمعه وترتيبه . **التاسع عشر** : فى عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه . **العشرون** : فى حفاظه ورواته . **الحادى والعشرون** : فى العالى والنازل . **الثانى والعشرون** : معرفة المتواتر . **الثالث والعشرون** : فى المشهور . **الرابع والعشرون** : فى الآحاد . **الخامس والعشرون** : المدرج . **السادس والعشرون** : فى معرفة الوقف والابتداء . **السابع والعشرون** : فى بيان الموصول لفظا المفصول معنى . **الثامن والعشرون** : فى الإمالة والفتح ومابينهما . **التاسع والعشرون** : فى الادغام والاظهار والاخفاء والاقلاب . **الثلاثون** : فى المد والقصر . **الحادى والثلاثون** : فى تخفيف الهمزة . **الثانى والثلاثون** : فى كيفية تحمله . **الثالث والثلاثون** : فى آداب تلاوته . **الرابع والثلاثون** : فى معرفة غريبه . **الخامس والثلاثون** : فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز . **السادس والثلاثون** : فيما وقع فيه بغير لغة العرب . **السابع والثلاثون** : فى معرفة الوجوه والنظائر . **الثامن والثلاثون** : فى معرفة معانى الأدوات التى يحتاج إليها المفسر . **التاسع والثلاثون** : فى معرفة إعرابه . **الاربعون** : فى قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها . **الحادى والأربعون** : فى المحكم والمتشابه. **الثانى والأربعون** : فى مقدمه ومؤخره . **الثالث والأربعون** : فى خاصه وعامه . **الرابع والأربعون** : فى مجمله ومبينه . **الخامس والأربعون** : فى ناسخه ومنسوخه . **السادس والأربعون** : فى مشكله وموهم الاختلاف والتناقص . **السابع والأربعون** : فى مطلقه ومقيده . **الثامن والأربعون** : فى منطوقه ومفهومه . **التاسع والأربعون** : فى وجوه مخاطباته . **الخمسون** : فى حقيقته ومجازه فى كناياته وتعريضه . **الحادى والخمسون** : فى الحصر والاختصاص . **الثانى والخمسون** : فى الايجاز والاطناب . **الثالث والخمسون** : فى الخبر والانشاء . **الرابع والخمسون** : فى بدائع القرآن . **الخامس والخمسون** : فى فواصل الآى . **السادس والخمسون** : فى فواتح السور . **السابع والخمسون** : فى خواتم السور . **الثامن والخمسون** : فى مناسبة الآيات والسور . **التاسع والخمسون** : فى الآيات المشتبهات . **الستون** : فى إعجاز القرآن . **الحادى والستون** : فى العلوم المستنبطة من القرآن . **الثانى والستون** : فى أمثاله . **الثالث والستون** : فى اقسامه . **الرابع والستون** : فى جدله . **الخامس والستون** : فى الأسماء والكنى والألقاب . **الثامن والستون** : فى فضائل القرآن . **التاسع والستون** : فى أفضل القرآن وفاضله . **السبعون** : فى مفردات القرآن . **الحادى والسبعون** : فى خواصه . **الثانى والسبعون** : فى رسم الخط وآداب كتابته . **الثالث والسبعون** : فى معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحجة إليه . **الرابع والسبعون** : فى شروط المفسر وآدابه . **الخامس والسبعون** : فى غرائب التفسير . **السادس والسبعون** : فى طبقات المفسرين .

وقد بين أن هذه الانواع إنما ذكرها على سبيل الادماج ، ولو أنها نوعت وفصلت لزادت على الثلاثمائة .

ومن الملاحظ أن الامام السيوطى ، قد وصف ودون فى هذا الكتاب مالم يسبق إليه ، نعم كانت هناك مصنفات فى هذا العلم قبله إلا أنها كانت نبذا وشذرات ، ومختصرات وعجالات وكانت المؤلفات من قبله عبارة عن تصنيف مفرد لنوع منها أو لبعضها . وقد ذكر فى مقدمة كتابه « الاتقان » الكتب التى زجع إليها ، والمراجع التى اعتمد عليها ، مابين كتب التفسير والحديث والقراءات واللغات ، والأحكام وتعلقاتها ، وكتب فى الاعجاز وفنون البلاغة ، وغير ذلك من أنواع العلوم .

وقد أبدع الإمام السيوطى فى كتابه هذا ، حيث فصل ماأجمله المصنفون فى هذا العلم قبله ، وأتى بأمور جديدة فى هذا الشأن سكت عنها السابقون ، فجاء الكتاب حافلا بمادة علمية خصبة ، تدل على ماأوتى مؤلفه من فكر ثاقب ، وحافظة قوية ، وبصيرة نافذة ، ألهمه الله تعالى إياها . فهو يعتبر أول كتاب متكامل فى هذا الشأن ، ولئن كان قبله كتب فى هذا المضمار إلا أنها كانت بحوثا متفرقة .

كما يعتبر الكتاب المذكور خلاصة كتب كثيرة ، وعصارة معلومات حصلها السيوطى ممن سبقه وممن عاصره ، ومن شتى أنواع الكتب والعلوم حتى جاء فى ثوبه المتكامل وقد قال فى آخر كتابه :

« . . محضت فيه كتب العلم على تنوعها وأخذت زبدها ودرها ، ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها ، واقتطفت ثمارها وزهرها وغصت بحار فنون القرآن ، فاستخرجت جواهرها ودررها وبقرت عن معادن كنوز فخلصت سبائكها وسبكت فقرها ، فقد تحصل فيه من البدائع ماتبت [1] عنده الأعناق بتا وتجمع فى كل نوع منه ماتفرق فى مؤلفات شتى ، على أنى لاأبيعه بشرط البراءة من كل عيب ، ولاأدعى أنه جمع سلامة كيف ، والبشر محل النقص بلا ريب. هذا وإنى فى زمان ملأ الله قلوب أهليه من الحسد ، وغلب عليهم اللؤم حتى جرى منهم مجرى الدم من الجسد .

وإذا أراد الله نشر فضيلة	طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت	ماكان يعرف طيب عرف العود

إلى أن قال : وأنا أضرع إلى الله جل جلاله وعز سلطانه كما من باتمام هذا الكتاب أن يتم النعمة بقبوله وأن يجعلنا من السابقين الأولين من أتباع رسوله [2] .

---

(١) تبت : أى تقطع .
(٢) الاتقان جـ ٢ ص ٢٠٦ .

فى أسباب نزول القران الكريم
كتاب
« لباب النقول فى أسباب النزول »

معرفة أسباب النزول كتب فيها السيوطى كتابة مركزة ضمن الأنواع التى تعرض لها فى كتابه « الاتقان » فذكرها تحت النوع التاسع ، ووضح أن جماعة قد أفردوها بالتصنيف أقدمهم على بن المدينى شيخ البخارى ، ومن أشهر ماكتب : كتاب الواحدى ، وقد اختصره الجعبرى فحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئا ، وألف فيه أبوالفضل بن حجر كتابا ولكنه كما قال السيوطى مات عنه وهو مسودة . .

ثم جاء السيوطى فألف كتابه الحافل الموجز « لباب النقول فى أسباب النزول » ، وهو كتاب لم يؤلف مثله فى هذا النوع ، وإن كان كتاب الواحدى يعتبر أشهر كتاب فى هذا الفن إلا أن كتاب السيوطى يتميز عليه بأمور :

أحدها : الاختصار .

ثانيها : الجمع الكثير فقد اشتمل على زيادات كثيرة على ماذكره الواحدى وميزها حين رمز إليها بالرمز (ك) .

وثالثها : أن السيوطى عزا كل حديث إلى من خرجه من أصحاب الكتب المعتبرة كالكتب الستة ، والمستدرك ، وصحيح ابن حبان ، وسنن البيهقى ، والدارقطنى ، ومسند أحمد ، والبزار ، وأبى يعلى ، ومعاجم الطبرانى ، وتفاسير ابن جرير ، وابن حاتم وابن مردويه ، وأبى الشيخ ، وابن حبان ، والفريابى وعبدالرزاق ، وابن المنذر ، وغيرهم .

وأما الواحدى فإنه تارة يورد الحديث باسناده وتارة يورده مقطوعا فلا يعلم إن كان له اسناد ام لا .

رابعها : تمييز الصحيح من غيره والمقبول من المردود .

خامسها : الجمع بين الروايات المتعددة .

سادسها : تنحية ماليس من أسباب النزول [1] .

(١) لباب النقول بتصرف .

وقد ابتدأ كتابه هذا بمقدمة موجزة ، بين فيها أهمية أسباب النزول ، وفوائد هذا العلم حيث قال : « ومن فوائده الوقوف على المعنى أو إزالة الاشكال ، قال الواحدى : لايمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها ، وقال ابن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوى فى أهم معانى القرآن ، وقال ابن تيمية : معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب .

ثم نبه ـ قبل الشروع فى موضوعه ـ على أمور ذكرها بقوله .

الأول : ماجعلناه من قبيل المسند من الصحابى إذا وقع من تابعى فهو مرفوع أيضا لكنه مرسل ، فقد يقبل إذا صح السند إليه ، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة : كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ، أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك .

الثانى : كثيرا مايذكر المفسرون لنزول الآية أسبابا متعددة وطريق الاعتماد فى ذلك أن تنظر إلى العبارة الواقعة فإن عبر أحدهم بقوله : نزلت فى كذا ، والآخر نزلت فى كذا وذكر أمرا آخر ، فقد تقدم أن هذا يراد به التفسير لاذكر سبب النزول ، فلا منافاة بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولها كما بينته فى كتابى « الاتقان » . وحينئذ فحق مثل هذا أن لايورد فى تصانيف أسباب النزول وإنما يذكر فى تصانيف أحكام القرآن . . »[1].

ولنضرب أمثلة متنوعة لما أورده فى كتابه هذا :

* فمن ذلك مانبه عليه السيوطى بأنه إن ذكر واحد سببا للآية وذكر آخر سببا غيره ، فقد تكون نَزلت عقب تلك الأسباب وذلك كما فى آية اللعان : (وَالَّذِين يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُم) الآية .

أخرج البخارى من طريق عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبى ﷺ ، فقال له النبى ﷺ البينة أو حد فى ظهرك ، فقال : يارسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجـلا ينطلق يلتمس البينة ؟ فجعل النبى ﷺ يقول : البينة أو حد فى ظهرك ، فقال هلال : والذى بعثك بالحق إنى لصادق ولينزلن الله مايبرىء ظهرى من الحد ، فنزل جبريل فأنزل الله عليه :

« وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُم . . » فقرأ حتى بلغ « . . إن كان من الصادقين » . ثم ذكر سببا آخر رواه الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد قال : جاء عويمر إلى عاصم بن عدى فقال : اسأل لى رسول الله ﷺ ، أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتله أيقتل به أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم

---

(١) لباب النقول للسيوطى ص ٥ .

رسول الله ﷺ ، فعاب رسول الله ﷺ السائل ، فلقيه عويمر فقال : ماصنعت ؟ قال : ماصنعت إنك لم تأتنى بخبر سألت رسول الله ﷺ فعاب السائل ، فقال عويمر : فوالله لآتين رسول الله ﷺ فلأسألنه ، فسأله فقال : إنه أنزل فيك وفى صاحبتك الحديث . قال الحافظ ابن حجر : اختلف الأئمة فى هذه المواضع ، فمنهم من رجح أنها نزلت فى شأن عويمر ، ومنهم من رجح أنها نزلت فى شأن هلال ، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجىء عويمر أيضا فنزلت فى شأنهما معا ، وإلى هذا جنح النووى وتبعه الخطيب ، فقال : لعلهما اتفق لهما ذلك فى وقت واحد . قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال ، فلما جاء عويمر ولم يكن له علم بما وقع لهلال ، أعلمه النبى ﷺ بالحكم ، ولهذا قال فى قصة هلال ، فنزل جبريل ، وفى قصة عويمر : قد أنزل الله فيك فيؤول قوله قد أنزل الله فيك : أى فيمن وقع له مثل ماوقع لك . وبهذا أجاب ابن الصباغ فى الشامل ، وجنح القرطبى إلى تجويز نزول الآية مرتين [1] أ . هـ .

وقد يكون النزول حدث مرتين وذلك كما فى آية الروح أخرج البخارى عن ابن مسعود قال : كنت أمشى مع النبى ﷺ بالمدينة وهو متوكىء على عسيب ، فمر بنفر من قريش ، فقال بعضهم : لو سألتموه ؟ فقالوا : حدثنا عن الروح ، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحى ثم قال : الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . وأخرج الترمذى عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود علمونا شيئا نسأل هذا الرجل ، فقالوا : سلوه عن الروح فسألوه ، فأنزل الله « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى . . قال ابن كثير : يجمع بين الحديثين بتعدد النزول ، وكذا قال الحافظ ابن حجر ، أو يحمل سكوته حين سؤال اليهود على توقع مزيد بيان فى ذلك وإلا فما فى الصحيح أصح . قلت : ويرجح مافى الصحيح بأن راويه حاضر القصة بخلاف ابن عباس [2] أ . هـ .

هذا وقد تعرض الإمام السيوطى فى كتابه « لباب النقول » إلى جميع سور القرآن الكريم مع زيادات كثيرة على ماأورده الواحدى ومع الفرد إلى كتب السنة الصحيحة .

---

(١) لباب النقول ص ١٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤١ .

فى التفسير بالمأثور
كتاب
« الدر المنثور فى التفسير بالمأثور »

التفسير بالمأثور : هو توضيح معنى الآية القرآنية بما جاء فى القرآن الكريم ، لأنه قد يكون ماجـاء مجملا فى موطن فصل فى آخـر أو بما جاء فى السنة النبوية الصحيحة ، فإن السنة مبينة وموضحة للقرآن ، ومفصلة لمجمله ، ومقيدة لمطلقه ، ومخصصة لعامه ، وموضحة لأحكامه .

أو بما ورد من أقوال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وأما ما جاء عن التابعين ، فقد عده بعض العلماء من المأثور ، لأن التابعين قد أخذوه عن الصحابة فى الغالب . وعده البعض من التفسير بالرأى ، لكثرة اختلافهم أكثر من الصحابة أو لأنهم أخذوه عن أهل الكتاب الذين أسلموا [١] .

وقد أبرز لنا السيوطى الداعى إلى تأليف كتاب الدر المنثور ، إذ يقول فى مقدمته : « فلما ألفت كتاب ترجمان القرآن وهو التفسير المسند عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم وتم بحمد الله فى مجلدات فكان ماأوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردات رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله ، ورغبتهم فى الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله ، فلخصت منه هذا المختصر مقتصرا فيه على متن الأثر مصدرا بالعزو والتخريج إلى كتاب معتبر وسميته الـدر المنثور فى التفسير بالمأثور [٢] أ . هـ .

فالسيوطى إذا اختصر كتابه هذا من كتابه « ترجمان القرآن » وحذف أسانيد الروايات خشية السآمة والملل ، وعزا كل رواية إلى أصلها ومرجعها ، ولم يخلط السيوطى بالروايات التى نقلها شيئا من عمل الرأى كما فعل غيره . وإنما قام بجمع الروايات على السلف فى التفسير بدون أن يعقب عليهـا ، ولايجـرح ولايعـدل ولا يضعف ولايصحـح ، وقد أخذ عن البخارى ومسلم والنسائى والترمذى وأبى داود ، وأحمد ، وابن أبى حاتم ، وعبد بن حميد وابن أبى الدنيا وغيرهم ممن تقدمه ودوّن التفسير .

---

(١) تاريخ التفسير ومناهج المفسرين للدكتور عبدالعظيم الغباشى .

(٢) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ص ٢.

- التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبى ح ١ ص ٢٥٤.

* فمنهج السيوطى فى هذا الكتاب : يتلخص فى سرد الروايات عن السلف بدون تعقيب عليها ، فقد كان مولعا بتدوين الروايات دون فحص وتمحيص مما أدى إلى اختلاط الصحيح بغيره ، فقد جمع فيه عن النبى ﷺ والصحابة والتابعين .

ولكن يؤخذ على السيوطى فى هذا الكتاب : أنه وإن عزا الروايات إلى مصادرها إلا أنه لم يوضح درجة كل الرواية من حيث الصحة أو الضعف وما إلى ذلك . وفى الكتاب اسرائيليات ولاسيما فى قصص الانبياء ، كما فى قصة هارون وماروت وفى قصة الذبيح وأنه إسحق ، وفى قصة يوسف ، وفى قصة داود ، وسليمان وفى قصة إلياس [1] .

فالكتاب فى حاجة إلى تنقية وتمحيص ، وبيان درجة ماجاء فيه من الأحاديث .

(١) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للدكتور محمد أبوشهبة .

فى التفسير بالرأى
كتاب
تفسير الجلالين

التفسير بالرأى : هو تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد بعد معرفة المفسر للعلوم التى ينبغى معـرفتهـا لمن يتصـدى للتفسـير وقد بينتها فيما سبق ووضحت مااشترطه السيوطى للمفسر هذا بالاضافة إلى معرفة المفسر لكلام العرب وفنونه ، والوقوف على أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك [١] .

وقد اشترك الإمامان الجليلان جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى فى هذا التفسير وقد اختلف الكتاب فى تعيين القدر الذى فسره كل واحد منهما فى كتاب الله تعالى قال صاحب كشف الظنون : « تفسير الجلالين من أوله إلى آخر سورة الاسراء للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعى المتوفى سنة ٨٦٤هـ أربع وستون وثمانمائة ولما مات كمله الشيخ المتبحر جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ إحدى عشرة وتسعمائة . . ثم قال : وكان المحلى لم يفسر الفاتحة وفسرها السيوطى تفسيراً مناسبا [٢] ولكن الحقيقة أن جلال الدين المحلى فسر النصف الثـانى وفسر سورة الفـاتحة والسيوطى فسر النصف الأول غير الفـاتحة وعلى ذلـك فرأى صاحب كشف الـظنـون يجافى الصـواب وذلـك لأن السيوطى فى مقـدمـة هذا التفسير قال : هذا مااشتدت إليه حاجة الراغبين فى تكملة تفسير القرآن الكريم الذى ألفه الإمام العلامة الجليل المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعى رحمه الله وتم مافاته من أول سورة البقرة إلى آخر الاسراء واعراب مايحتاج إليه وتنبيه على القرارات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية والله أسأل النفع به فى الدنيا وأحسن الجزاء عليه فى العقبى بمنه وكرمه [٣] .

كما قال أيضا فى آخر سورة الإسراء هذا آخر ماكملت به تفسير القرآن الكريم الذى ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلى الشافعى رضى الله عنه .

---

(١) تاريخ التفسير ومناهج المفسرين للدكتور عبدالعظيم الغباشى.

(٢) كشف الظنون ج ١ ص ٢٣٦.

(٣) مقدمة تفسير الجلالين .

وبهذا يتبين لنا مقدار ما ألفه كل منهما على الحقيقة وهو أن السيوطى قد فسر النصف الأول غير الفاتحة والمحلى فسر النصف الثانى مضاف إليه الفاتحة.وقد وضح الشيخ سليمان الجمل من مقدمة حاشيته على هذا التفسير بأن الفاتحة فسرها المحلى وجعلها السيوطى فى آخر تفسير المحلى لتكون منضمة إلى تفسيره .

وقد التزم السيوطى منهج المحلى فى الاختصار والعبارة المختصرة الدقيقة وعدم التوسع فسار على نفس النمط وذكر فى خاتمة سورة الإسراء أنه ألف الجزء الذى ألفه فى قدر ميعاد الكليم وهو أربعون يوما وذكر أنه استفاد من تفسير الجلال المحلى واعترف أنه اعتمد على طريقته فى الآية المتشابهة وأن الذى وصفه الجلال المحلى فى قطعته أحسن مما وصفه هو بطبقات كثيرة وهذا إنما يدل على نبل العلماء وأدبهم الرفيع وخلقهم الجم وحسن تواضعهم وعرفانهم للفضل والجميل والذى يقرأ تفسير الجلالين لايكاد يرى فرقا كبيرا بين الشيخين ولامخالفة إلا فى القليل.ومن المواضع التى لوحظ فيها الاختلاف بينهما : أن المحلى فسر الروح فى سورة «ص» بأنها جسم لطيف يحى به الإنسان بنفوذه فيه والسيوطى تابعه على هذا التفسير فى سورة الحجر ثم ضرب عليه لقوله تعالى فى سورة الإسراء « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الروحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيّ وَمَا أُوتِيتُم مِنْ الْعِلْمِ إلَّا قَلِيلًا » فهى صريحة أو كالصريحة من أن الروح من علم الله تعالى فالامساك عن تعريفها أولى .

ومنها أن المحلى قال فى سورة الحج:الصابئون فرقة من اليهود وتابعه السيوطى على ذلك فى سورة البقرة وزاد عليه « أو النصارى » وهذا بيان منه لقول ثان وقد ذكر صاحب كشف الظنون عن بعض علماء اليمن أنه قال عددت حروف القرآن وتفسيره للجلالين فوجدتها متساويين إلى سورة المزمل ومن سورة المدثر التفسير زائد على القرآن فعلى هذا يجوز حمله بغير الوضوء [1] .

وبالجملة فهو كتاب قيم فى بابه نال من عناية العلماء والباحثين الكثير وظفر بشروح وحواش وتعاليف من أهمها حاشية الجمل وحاشية الصاوى .

● **مؤلفات السيوطى فى علم الحديث**

نشير إلى بعضها لنتبين مدى تحليقه فى سماء الحديث النبوى فى علم أصول الحديث وقواعده الأصلية .

وفى معرفة رجال الحديث .

وفى معرفة الأحاديث الموضوعة .

---

(١) كشف الظنون ح ١ ص ٢٣٦.

وفى جمع الحديث ، له فى هذه المجالات كتب تتلمذ عليها أجيال فى الأزهر الشريف والعالم الإسلامى عامة .

فى علم أصول الحديث كتاب « تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى لخاتمة الحفاظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى »[1] احتل مكانة سامية فى جامعة الأزهر والجامعات الإسلامية فى العالم الإسلامى كمقياس لقواعد الحديث وأصوله ومعرفة الصحيح والحسن والضعيف ومسائل الحديث . وقد درسناه فى قسم الحديث فى كلية أصول الدين وقسم الدراسات العليا للحديث ، وعنه ينقل المؤلفان فى أصول الحديث فى العالم الإسلامى .

قال السيوطى فى مقدمته : أما بعد . . فإن علم الحديث رفيع القدر عظيم الفخر شريف الذكر ، لايعتنى به إلا كل حبر ولايحرمه إلا كل غمر « غير مجرب » ولاتفنى محاسنه على مر الدهر ، وكنت ممن عبر إلى لجة قاموسه « معظم ماء البحر » . . مع ماامدنى الله تعالى به من العلوم . ثم يقول : فرأيت كتاب التقريب والتيسير لشيخ الإسلام الحافظ ولى الله تعالى أبى زكريا النووى كتابا جل نفعه وعلا قدره وكثرت فرائده وغزرت للطالبين فوائده . . فقوى العزم على كتابة شرح كافل بايضاح معانيه وتحرير ألفاظه ومعانيه . . فشرعت فى ذلك مستعينا بالله وسميته « تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى » وجعلته شرحا لهذا الكتاب خصوصا ، ثم لمختصر ابن الصلاح ولسائر كتب الفن عموما .

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه . .

وفى علم رجال الحديث نذكر له « طبقات الحفاظ » .

حقق طبقات الحفاظ للسيوطى الأستاذ على محمد عمر ونشر فى مكتبة وهبة بمصر ـ قال المحقق للكتاب فى المقدمة وكتاب طبقات الحفاظ للسيوطى الذى نقدمه اليوم:رتب التراجم فيه طبقا لأجيال المحدثين وطبقاتهم ، وقد لخص الإمام السيوطى طبقاته هذه من طبقات الحفاظ لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨هـ ، وجمع فيها تراجم من يرجع إلى اجتهادهم فى التوثيق والتجريح والتضعيف والتصحيح ، وذيلها بذكر من جاء بعدهم من الحفاظ والأصوليين والمحدثين ، ورتبها على أربع وعشرين طبقة تبتدىء الطبقة الأولى من كبار الصحابة وتنتهى الطبقة الأخيرة بابن حجر المتوفى سنة ٨٥٣هـ . ويقول أن السيوطى كان يختار ويؤلف ولايلخص فقط .

ومن هنا يمكن أن نستنتج أن لاغنى للباحثين عن كل من الكتابين (طبقات الحفاظ للذهبى وطبقات الحفاظ للسيوطى) وأن لكل منهما مزاياه الخاصة وثمة مظهر آخر من مظاهر شأن طبقات

---

(١) المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

السيوطى ، هو أنه ذيل عليها بالحفاظ الذين تلوا عصر الذهبى إلى طبقة ابن حجر . وقد طبع هذا الكتاب « طبقات الحفاظ للسيوطى » فى أوروبا مع ترجمة فرنسية سنة ١٨٣٣م والكتاب تحقيق للنسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٥٩ تاريخ مصطفى فاضل بعنوان « طبقات الحفاظ لشيخ الإسلام حافظ العصر بقية المجتهدين أبى الفضل جلال الدين السيوطى الشافعى » .

● **رواية السيوطى وعلمه بالأحاديث :**

السيوطى من أقدر العلماء على معرفة الأحاديث الموضوعة فى كتاب سماه « اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة » ليتجنبها العلماء . وعندما يقول عالم أن السيوطى جمع الموضوعات ، فلا يصدق هذا القول إلا على كتاب « اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة » والكتاب قد طبعته المكتبة التجارية الكبرى من أجل الحفاظ على السنة ، يقول السيوطى فى مقدمته « فإن من مهمات الدين التنبيه على ماوضع من الحديث واختلق على سيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين . وقد جمع فى ذلك الحافظ أبوالفرج الجوزى كتابا فأكثر فيه من اخراج الحديث الضعيف الذى لم ينحط إلى رتبة الوضع ، بل ومن الحسن ومن الصحيح كما نبه على ذلك أئمة الحفاظ ومنهم ابن الصلاح فى علوم الحديث وأتباعه ، وطالما اختلج فى ضميرى انتقاؤه وانتقاده واختصاره لينتفع به مرتاده ، إلى أن استخرت الله تعالى وانشرح صدرى لذلك وهيأ لى أسباب المسالك : فأورد الحديث من الكتاب الذى أورده هو منه كتاريخ الخطيب والحاكم والكامل لابن عدى والضعفاء للعقيلى ولابن حبان وللأزدى وأفراد الدارقطنى والحلية لأبى نعيم وغيرهم بأسانيدهم . ضامًا إسناد أبى الفرج إليهم ثم أعقبهم بكلامه ، ثم ان كان متعقبا نبهت عليه وأقول فى أول ماأزيده « قلت » وفى آخره « والله أعلم » .

وسميته (اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة) ثم يقول : واعلم أنى كنت شرعت فى هذا التأليف سنة سبعين وثمانمائة وفرغت منه فى سنة خمس وسبعين ، وكانت التعقيبات فيه قليلة وعلى وجه الاختصار . وكتبت منه عدة نسخ ومنها نسخة راحت إلى بلاد التكرور . ثم بدا لى فى هذه السنة وهى سنة خمس وتسعمائة استئناف التعقبات على وجه مبسوط ، وإلحاق موضوعات كثيرة فاتت أبا الفرج فلم يذكرها . ففعلت ذلك فخرج الكتاب عن هيئته التى كان عليها أولا ، وتعذر إلحاق مازدته فى تلك النسخ التى كتبت الا باعدام تلك ، وانشاء نسخ مبتدأة ، فأبقيت تلك على ماهى عليه ، ويطلق عليها الموضوعات الصغرى وهذه الكبرى وعليها الاعتماد (أ. هـ) .

فالسيوطى مدافع عن سنة رسول الله ﷺ . وهو كعالم للحديث له مقاييسه الصحيحة المتفق عليها عند علماء الحديث ، فهو يفرق بين الحديث الصحيح والحسن والضعيف ، ولايخلط بين الحديث الضعيف والمكذوب .

ويعرف ذلك كل من يرجع إلى أمهات أصول الحديث ومنها كتاب تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى للسيوطى وإن تعمد الخلط بين أنواع الحديث يعتبر من الكذب على رسول الله ﷺ .

يقول الامام الحافظ أبوالعلى محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفورى فى مقدمته تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى فى ذكر الكتب التى ألفت فى الأحاديث الموضوعة : منها الذيل على موضوعات ابن الجوزى للسيوطى ، وذكر منها الموضوعات الكبرى - فى أربع مجلدات لابن الجوزى وقد أورد ابن حجر فى الذب عن مسند أحمد جملة من الأحاديث التى أوردها ابن الجوزى فى الموضوعات وهى فى مسند أحمد ورد عليها أحسن الرد - وقد شرع ابن حجر فى تأليف تعقيبات على الموضوعات . وقد تتبع جلال الدين السيوطى جملة من الاحاديث ليست بموضوعة ، منها ماهو فى السنن الأربعة والمستدرك فى تأليف سماه (النكت البديعيات على الموضوعات) ولخصها أيضا فى زيادات وتعقيبات سماه (اللآلىء المصنوعة فى الأخبار الموضوعة) كذا فى الكشف . ومنها تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة للشيخ أبى الحسن على بن محمد بن عراق الكتانى المتوفى . جمع فيه موضوعات ابن الجوزى والسيوطى ورتب على ترتيبه وأهداه إلى السلطان سليمان خان [1] .

فالسيوطى إمام فى معرفة الحديث ، وناقد ومدافع عن السنة بمنهج أقره علماء السنة ولمنهجه أثره العظيم فيمن ألف بعده للذب عن رسول الله ﷺ فكتاب تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة هو جمع لموضوعاته وموضوعات ابن الجوزى - وارتضى مقاييسه علماء الحديث فى كل عصر ومصر .

السيوطى وشرح السنة :

له كتاب « تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك » .

وله شرح على الترمذى « قوت المغتذى على جامع الترمذى » .

وله شرح لصحيح مسلم بن الحجاج « الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج » .

أيها القارىء الكريم :

إن السيوطى صاحب هذه التصانيف وغيرها فى مكتبة الحديث هو مؤلف الجامع الكبير فماذا قال العلماء فيه ؟

---

(١) مقدمة تحفة الاحوذى للمباركفورى ص ٣٩٠.

● الجامع الكبير للسيوطى وتقدير علماء الحديث له

يقول فيه المحدث العلامة علاء الدين بن حسام الدين الشهير بالمتقى الهندى : إنى قد وقفت على كثير مما دونه الأئمة فى كتب الحديث ، فلم أر فيها أكثر جمعا ولا أكثر نفعا من كتاب جمع الجوامع الذى ألفه العلامة عبدالرحمن جلال الدين السيوطى سقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه ، حيث جمع فيه من الأصول الستة (البخارى ومسلم وجامع الترمذى وسنن أبى داود وسنن النسائى وابن ماجه) وغيرها الآتى ذكرها عند رموز الكتاب ، وأودع فيه من الأحاديث ألوفا ومن الآثار صنوفا ، وأجاد فيه كل الاجادة مع كثرة الجدوى وحسن الافادة [1] هذه شهادة محدث من أكبر محدثى علماء الهند ، والعالم الإسلامى ، وأعلنها منذ أكثر من ثمانين سنة فى كتابه المطبوع فى ذلك الوقت ، وملأ الدنيا واحتل الصدارة فى مكتبات العالم الإسلامى وجامعاته ، وأقرها العلماء المحدثون فى الهند ، ولم يعترض عليها عالم ، وأقرها علماء الحديث بمصر والأزهر والعالم الإسلامى ، ولم نر اعتراضا أو مخالفة من علماء الحديث فى قوله .

وصاحب الرسالة المستطرفة يعد جمع الجوامع من مشهور كتب السنة المشرفة . ذكر مولانا الإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى فى كتابه الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة [2] قال : (والجوامع الثلاثة للسيوطى وهى الصغير وفيه على ماقيل عشرة آلاف حديث وتسعمائة وأربعة وثلاثون حديثا فى مجلد متوسط ، وذيله المسمى بزيادة الجامع وهو قريب من حجمه ، والكبير وهو المسمى (جمع الجوامع) أ.هـ .

ثم يذكر الكتانى المؤلفات التى ألفت حول الجوامع وكانت ثمرة له فى مكتبة الحديث وسأذكرها فى هذا البحث عن أثر جمع الجوامع فى مكتبة الحديث الشريف .

ويقول صاحب أهم مرجع لأحاديث الأحكام وهو كتاب نيل الأوطار ، محمد بن على بن محمد بن عبدالله الشوكانى ثم الصنعانى ، ذكروا فى ترجمته أنه سند المجتهدين الحفاظ وترجمان الحديث وشيخ الإسلام قال : ومؤلفات السيوطى محررة لاتصحيف فيها وقد انتشرت فى سائر الأمصار .

وفى كتاب كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون للعالم الفاضل المؤرخ الكامل مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجى خليفة وبكاتب جلبى ، قال : جمع الجوامع فى الحديث

---

(١) مقدمة كتاب كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال للمقتى الهندى .

(٢) الرسالة المستطرفه لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمولانا الإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى طبع دار الفكر سنة ١٩٦٤ صفحة ١٨٢ وفهرس الفهارس للكتانى .

مقدمة تدريب الراوى للشيخ عبدالوهاب عبداللطيف .

كشف الظنون طبع طهران ج ١ ص ٥٩٧ .

للسيوطى الشـافعى وهـو كبير . . ذكر فيه أنه قصد استيعاب الأحاديث . وأخذ يعرف به بلا اعتراض عليه .

ويقول المحدث الشيخ أبوالحسن البكرى فى تأليف جمع الجوامع « للسيوطى منة على العالمين وللمتقى منة عليه » [1] .

ففى رأى المحدث الكبير أن السيوطى بتأليفه الجامع الكبير أسدى للعاملين خيرا وكان له بذلك التأليف منة على العالمين لنشر سنة رسول الله ﷺ ومنهجه الموفق ، وللمتقى منة عليه لأنه رتب جمع الجوامع على الأبواب فى كتابه « كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال » ، وعرف بالجامع الكبير للسيوطى صاحب تحفة الاحوذى شرح الترمذى فى المقدمة [2] وهو الإمام الحافظ أبى العلى محمـد بن عبـدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفورى ، ذكر الجوامع وبدأ بالجامع الكبير للسيوطى فقال : منها جمع الجوامع لجلال الدين عبدالرحمن أبى بكر السيوطى وهو كبير ، ذكر فيه أنه قصد استيعاب الأحاديث النبوية وقسمه قسمين :

الأول : ساق فيه لفظ الحديث بنصه يذكر من خرجه ومن رواه من واحد إلى عشرة أو أكثر يعرف منه حال الحديث مرتبا ترتيب اللغة على حروف المعجم .

والثانى : فى الأحاديث الفعلية المحضة والمشتملة على قول أو فعل أو سبب أو مراجعة ونحو ذلك مرتبا على مسانيد الصحابة ، قدم العشرة ثم بدأ بالباقى على حروف المعجم فى الأسماء ثم بالكنى كذلك ثم بالمبهمات ثم بالنساء ثم بالمراسيل وطالع لأجله كتبا كثيرة قال فى الجامع الصغير : قصدت فى جمع الجوامع جمع الأحاديث النبوية بأسرها .

قال شارحه المناوى : هذا بحسب مااطلع عليه المؤلف لا باعتبار مافى نفس الأمر لإنافتها على ماجمعه الجامع المذكور لو تم ، وقد اخترمته المنية قبل اتمامه [3] .

أثر جمع الجوامع فى مكتبة الحديث الشريف :

عرف العلماء المحدثون قدر الجامع الكبير للسيوطى فقامت حوله الدراسات الحديثة وألفت حوله الكتب من كبار علماء الحديث العاملين بمقياس الحديث ورجاله .

يقول صاحب الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة بعد التعريف بالجامع الكبير للسيوطى :

---

(١) أول كنز العمال طبع دائرة المعارف النظامية فى حيدر أباد الدكن سنة ١٣١٣هـ .

(٢) مقدمه تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى للمباركفورى ص ٧٧.

مقدمه تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى للمباركفورى ص ٧٧.

« والخاتمة المحققين بالحديث بالديار المغربية (أبى العلاء) مولانا المتوفى بها سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف هجرية كتاب عرف فيه بأئمة الحديث المخرج لهم فى الجامع الكبير « الفتح البصير فى التعريف بالرجال المخرج لهم فى الجامع الكبير » وله أيضا كتاب آخر فى الكلام على أحاديث الجامع الكبير بالصحة والحسن وغيرهما ، وسماه الدرر اللوامع فى الكلام على أحاديث جمع الجوامع ولكنه لم يكمل »[1].

كتاب الجامع الأزهر من حديث النبى الأنور[2]

رأى صاحب كتاب الجامع الأزهر الإمام عبدالرءوف المناوى بن تاج العارفين على الجداوى المناوى المصرى المتوفى بمصر ١٠٣٧هـ أن العلماء اعتقدوا أن جمع الجوامع به جميع الأحاديث ، لأن السيوطى قال : قصدت جمع الأحاديث النبوية بأسرها . ولكن قد اخترمته المنية قبل أن يستكمل الأحاديث بأسرها . ورأى أن العلماء إذا لم يجدوا حديثا فى الجامع الكبير للسيوطى ظنوا أنه غير موجود ، وذكر أن العلماء المحدثين يعتمدون عليه فى الكشف على الحديث ، وهذا يدل على تقدير العلماء للكتاب واتخاذه مرجعا وإقرارهم له ، فرأى مؤلف الجامع الأزهر ، أن يكمل هذا البناء الشامخ العظيم مع المحافظة على مافى الجامع ، ومثل هذا هو النقد البناء ، قال المباركفورى[3] :

(الجامع الأزهر من حديث النبى الأنور) قال مؤلفه فى خطبة الكتاب مالفظه : ومن البواعث على تأليف هذا الكتاب أن الحافظ الكبير الجلال السيوطى ادعى أنه جمع فى « كتابه الجامع الكبير » الأحاديث النبوية ، مع أنه فاته الثلث فأكثر فيما وصلت إليه أيدينا ، فصار كل حديث يسأل عنه أو يريد الكشف عنه يراجع الجامع الكبير ، فإن لم يجده فيه غلب على ظنه أن لاوجود له فربما أجاب بأنه لاأصل له . . فأردت التنبيه على مافاته فى هذا المجموع ، فما كان فى الجامع الكبير أكتبه بالمداد الأسود ، وماكان من المزيد فبالمداد الأحمر أو أجعل عليه مدة حمراء . ولم أورد فيه مما فى الكتب الستة إلا النادر لشهرتها وكثرة تداولها وسهولة الوقوف عليها ، فعمدت إلى جمع الشوارد والاعتناء بالزوائد ، واعتمدت فى بيان حال الأسانيد على ماحرره جدنا من قبل الأمهات ولى الدين العراقى والحافظ الكبير نور الدين الهيثمى ومن فى طبقتهم ، فهم المرجع فى ذلك والعمدة وعليهم الاعتماد والعهدة . ولما تم هذا المطلب على هذا النمط سميته (الجامع الأزهر من حديث النبى الأنور) . . مرتبا على حروف المعجم لكونه أسهل كشفا وأقوم ، ولأن كلا من الطلاب لذلك ألف .

---

(١) الرسال المستطرفة لبيان أحاديث السنة المشرفة طبعة دار الفكر صفحة ١٨٢ ط . ث .

(٢) أنظر . مقدمه تحفه الأحوذى شرح جامع الترمذى للمباركفورى ص ٧٨ .

(٣) مقدمه تحفة الأحوذى .

كتاب منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندى مطبوع على هامش مسند الإمام أحمد وعليه تنبيه نصه « كنز العمال وإن اشتهر بين الأنام ، لكن منتخب كنز العمال الموضوع بالهامش مع احتوائه على المقصود من كنز العمال قد فاق عليه بشيئين احدهما بحذف التكرار والثانى امتزاج احاديث الأفعال بأحاديث الأقوال ترجمة بعد ترجمة » وقد اشتمل على نحو اثنين وثلاثين ألف حديث خالية من التكرار فليعلم » .

● **كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال**

للعلامة المحدث علاء الدين على بن حسام الدين المتقى الهندى طبع بحيدر أباد الدكن بالهند وطبع بحلب . . طبع منشورات مكتبة التراث الإسلامى ، ضبطه وفسر غريبه الشيخ بكرى حياتى ، وصححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوت السقا ، وقدم له فضيلة المحدث الكبير محمد يوسف الحسينى البنورى . جمع فيه المؤلف الجامع الكبير للسيوطى ، والجامع الصغير للسيوطى وهو عشرة آلاف حديث . كما ذكر النبهانى فى كتابه « الفتح الكبير » الذى جمع فيه الجامع الصغير وزيادات السيوطى عليه ، وذكر النبهانى إن زيادة السيوطى على الجامع الصغير عدها بعض أصحابه فوجدها أربعة عشر ألف وأربعمائة وخمسين حديثا ، جمع كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال الجامع الكبير والجامع الصغير ـ والزيادة على الجامع الصغير ورتب الأحاديث على الأبواب ، قال المتقى الهندى (وسميته كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال) فمن ظفر بهذا التأليف فقد ظفر بجمع الجوامع للسيوطى مبوبا مع أحاديث كثيرة ليست فى جمع الجوامع ، لأن المؤلف السيوطى رحمه الله زاد فى الجامع الصغير وذيله أحاديث لم تكن فى جمع الجوامع [١] .

وقالوا فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين المتقى الهندى لله دره حيث عنى بترتيب جمع الجوامع للسيوطى وكان ترتيب أحاديثه على وفق حروف الهجاء فسهل الطريق على الطالبين ، وصيرها مبوبة على دين الفقهاء فشدوا الرحال إليه . وكان الشيخ أبوالحسن البكرى يقول « للسيوطى منة على العالمين وللمتقى منة عليه » .

وقد فرغ المؤلف من تأليفه سنة ٩٧٥هـ فى شهر جمادى الأولى .

ولمنهج التبويب على طريقة الفقهاء أهميته فى دراسة الموضوع متكاملا ، وجمع الأحاديث فى مكان واحد يفسر بعضها بعضا ، فيطلع الباحث على جميع أحاديث البيع مثلا فى مكان واحد ، أو الزكاة أو الصلاة أو الاخلاق إلخ . . .

ولمنهج الترتيب على حروف المعجم أهميته ومميزاته ، فلا يغنى منهج عن منهج كما قال صاحب

---

(١) كنز العمال ص ٣ طبع حيدر اباد الدكن بالهند سنة ١٣١٢

كتاب (الجامع الأزهر من حديث النبى الأنور) : « جعلته مرتبا على حروف المعجم لكونه أسهل كشفا وأقوم ، ولأن كلا من الطلاب لذلك ألف » .

ومثال ذلك مسند الإمام أحمد ، رتبه الشيخ البنا فى كتابه القيم(الفتح الربانى) مبوبا على طريقة الفقهاء ، وهو عمل جليل له مميزاته ، ولكن لايقال نستغنى به عن طبع المسند للإمام أحمد ، فهو مع ذلك لازال يطبع طبعات متعددة ولقد فطن المحدثون لذلك فطبعوا كتب المسانيد ، والمعاجم والجوامع . وعن تنظيمهم ومناهجهم وتبويبهم وفهرستهم ، تعلمت أوروبا وطوروا منهج التنظيم فأنتجوا مثل المعجم المفهرس لألفاظ الحديث لونسنك وغيره . منهج السيوطى فى الجامع الكبير :

● « جمع الجوامع »

قال السيوطى « هذا كتاب شريف حافل ، بجميع الأحاديث النبوية كامل ، قصدت فيه استيعاب الأحاديث النبوية وقسمته قسمين : « الأول - أسوق فيه لفظ المصطفى بنصه وأطوق كل خاتم منه بفصه ، واتبع متن الحديث بذكر من خرجه من الأئمة أصحاب الكتب المعتبرة ومن رواه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين » .

ويرمز السيوطى لدرجة الحديث الصحيح (ص) والحسن (ح) والضعيف (ض) ووضع رموزا لأسماء الكتب التى يعزو إليها مثل (خ) لصحيح البخارى و(م) لمسلم (ق) فى الجامع الصغير لما اتفق عليه البخارى ومسلم وأما فى الجامع الكبير فهى رمز (للبيهقى) و(د) لأبى داود (ت) للترمذى (ن) للنسائى (حم) لأحمد فى مسنده (حب) لابن حبان فى صحيحه . إلى آخر ماذكره فى المقدمة . وقال فى جمع الجوامع وجميع مافى الكتب الخمسة صحيح البخارى ومسلم وصحيح ابن حبان والمختارة للضياء المقدسى والمستدرك للحاكم سوى مافيه من التعقيب فينبه عليه ، والعزو إليها معلم بالصحة ، وكذلك مافى موطأ مالك وصحيح ابن خزيمة وابن عوانة وابن السكن والمنتقى لابن الجارود - والمستخرجات ، فالعزو إليها معلم بالصحة أيضا . وفى سنن أبى داود ماسكت عليه فهو صالح ومابين ضعفه نقلته عنه ، وفى النسائى والترمذى وابن ماجه ومسند الإمام أحمد وزوائد ابنه ومصنف عبدالرزاق وابن أبى شيبة ومسند أبى يعلى والطبرانى فى المعجم الكبير والصغير والأوسط - والترطبى والحلية لأبى نعيم والبيهقى فى الشعب والسنن يقول فيها : صحيح وحسن وضعيف فأبينه غالبا . وكل ماكان فى مسند أحمد فهو مقبول ، فإن الضعيف الذى فيه يقرب من الحسن ، وكل ماعزى للعقيلى فى الضعفاء ولابن عدى فى الكامل وللخطيب فى تاريخه ولابن عساكر فى تاريخه والديلمى فى مسند الفردوس فهو ضعيف فيستغنى بالعزو إليها أو إلى بعضها عن بيان ضعفه » .

وذكر السيوطى [1] أسماء الكتب التى اطلع عليها ، حتى إذا اخترمته المنية يكمل من يريد بعده من غير الكتب التى جمعها فى الجامع الكبير .

قال المتقى الهندى : (وجد بخط الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله ماصورته) الحمد الله وسلام على عباده الذين اصطفى ، هذه تذكرة مباركة بأسماء الكتب التى انتهيت من مطالعتها على تأليف جمع الجوامع خشية أن تهجم المنية قبل تمامه على الوجه الذى قصدته فيقيض الله من يذيل عليه ، فإذا عرف ماانتهت مطالعتـه استغنى عن مراجعته ونظر ماسواه » فذكر مما انتهت الكتب الستة : البخارى ومسلم وأبوداود والترمذى والنسائى وابن ماجه ـ والموطأ ومسند الإمام أحمد ومسند الشافعى وأخذ يعد أكثر من ثمانين كتابا ختمها بمصنف عبدالرزاق ومصنف ابن أبى شيبة والترغيب فى الذكر لابن شاهين .

علمنـا من دراسة منهج السيوطى فى التنبيه على درجات الحديث وكتبه أن من كتب السنة المعتمدة عن علماء الحديث مايشتمل على الحديث الصحيح والحسن والضعيف مثل سنن لأبى داود ، وسنن النسائى ، وجامع الترمذى أو صحيح الترمذى كما يطلق عليه علماء الحديث وسنن ابن ماجه ومسند الإمام أحمد ومصنف عبدالرزاق ومصنف ابن أبى شيبة وسنن البيهقى .

فمن الضعيف مايقرب من درجة الحسن كما ذكر السيوطى فى قوله « وكل مافى مسند أحمد فهو مقبول فإن الضعيف الذى فيه يقرب من الحسن » .

● السيوطى وعلماء الحديث يحذرون من رواية الأخبار الموضوعة ويدافعون عن السنة وكتبها ويفرقون بين الضعيف والموضوع

يقول الشيخ ابن الصلاح : الموضوع هو المختلق المصنوع ، واعلم أن الحديث الموضوع شر الأحاديث الضعيفة ، ولاتحل روايته لأحد علم حاله فى أى معنى كان إلا مقرونا ببيان وضعه ، بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التى يحتمل صدقها فى الباطن حيث جاز روايتها فى الترغيب والترهيب « مقدمة ابن الصلاح » .

ويقـول الإمام النووى فى كتابه التقريب [2] (الموضوع هو المختلق المصنوع وشر الضعيف وتحرم روايته مع العلم به فى أى معنى كان إلا مبينا » .

ويقول السيوطى فى كتابه تدريب الراوى شرح تقريب النواوى فى النوع الحادى والعشرين

---

(١) مقدمة كنز العمال للمتقى ص ١١ ج ١ طبع الهند .

(٢) تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى ص ١٧٨.

« الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع وهو شر الضعيف وأقبحه ، وتحرم روايته مع العلم بوضعه فى أى مكان سواء فى الاحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مبينا أى مقرونا ببيان وضعه ، وذلك لحديث الإمام مسلم عن النبى ﷺ قال : من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين » .

وقال النووى فى التقريب « قد أكثر جامع الموضوعات فى نحو مجلدين أعنى أباالفرج ابن الجوزى فذكر كثيرا مما لادليل على وضعه بل هو ضعيف » فالمحدثون يفرقون بين الموضوع والضعيف .

● **مقاييس ابن حجر والسيوطى المعتمدة فى الذب عن السنة وكتبها**

وذكر السيوطى فى كتابه التدريب قال : « قد اختصرت هذا الكتاب « الموضوعات لابن الجوزى » فعلقت على أسانيده وذكرت منها مواضع الحاجة . وأثبت المتون وكلام ابن الجوزى عليها وتعقبت كثيرا منها . وتتبعت كلام الحفاظ فى تلك الأحاديث خصوصا شيخ الإسلام ابن حجر فى تصانيفه وأماليه ، ثم أفردت الأحاديث المتعقبة فى تأليفه : ذلك أن شيخ الإسلام ألف « القول المسدد فى الذب عن المسند » (مسند أحمد) أورد فيه أربعة وعشرين حديثا فى المسند وهى فى الموضوعات وانتقدها حديثا حديثا (فأخرجها عن الوضع) ومنها حديث فى صحيح مسلم ، وذكر فيه فى الموضوعات غفلة شديدة ـ قال السيوطى : وذيلت على هذا الكتاب بذيل فى الأحاديث التى بقيت فى الموضوعات من المسند وهى أربعة عشر مع الكلام عليها ، ثم ألفت ذيلا بهذين الكتابين سميته « القول الحسن فى الذب عن السنن [1] » أوردت فيه مائة وبضعة وعشرين حديثا ليست بموضوعة منها ماهو فى سنن أبى داود وهى أربعة أحاديث ، ومنها ماهو فى جامع الترمذى وهو ثلاثة وعشرون حديثا ، ومنها ماهو فى صحيح البخارى رواية حماد بن شاكر ، ومنها ماهو أطلق عليه اسم الصحيح كمسند الدارمى والمستدرك وصحيح ابن حبان ، أو فى مؤلف معتبر كتصانيف البيهقى ، فقد التزم ألا يخرج فيها حديثا موضوعا ، ومنها ماليس فى أحد هذه الكتب . وقد حررت الكلام على ذلك حديثا حافلا فجاء كتابا حافلا [2] .

وبهذه القوة العلمية والمقاييس الدقيقة دافع ابن حجر والسيوطى عن السنة وكتبها وبصروا المحدثين بدرجات الحديث النبوى وكتبه . وتتلمذ العلماء على كتبهما وكتب ابن الصلاح والنووى فى المحافل العلمية والجامعات الإسلامية وتأليف كتب أصول الحديث النبوى الشريف .

---

(١) تدريب الراوى للسيوطى ص ١٨٢.

(٢) انظر تدريب الراوى فى أصول الحديث ص ١٨٢ طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

● أيها القارى الكريم :

قد أكون أطلت وأسهبت ولكن من أجل غاية نبيلة « الدفاع عن كتب سنة رسول الله ﷺ »

- ولعل بعد هذه الدراسة الموضوعية العلمية المدعمة بالمراجع الأصلية ، وليس لنا فيها إلا شرف إظهار الحقيقة والاشارة إلى قسماتها الوضاءة ، لعلنا نتفق على نتائج حاسمة صادقة .

ويلاحظ فى حياة الإمام السيوطى العلمية مايأتى :

١ـ السيوطى صاحب مكانة فى الحديث النبوى وعلومه بمؤلفاته فى أصول الحديث . وعلم رجال الحديث وطبقاته ـ وفى الدلالة على الأحاديث الموضوعة والتحذير منها ـ وفى شرحه الحديث وجمع الحديث وتخريج الحديث وبيان درجته .

٢ـ كتاب جمع الجوامع والجامع الصغير وزوائد الجامع الصغير . طبعت منذ أكثر من ثمانين عاما مبوبة على طريقة الفقهاء ، وكان تخريجها ودرجاتها كما خرجها السيوطى ونشرت باسم « كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال » ـ واستقبله علماء الحديث بالتقدير ، وحفلت به مكتبات العالم الإسلامى فى الهند ومصر فى مكتباتها العامة والخاصة ومنها مكتبة الأزهر وكلية أصول الدين والشريعة بالأزهر ، وعرفه العامة والخاصة ولم يعترض عليه معترض ، بل ظفر بثناء العلماء المحدثين ودراساتهم فى العالم الإسلامى فى الهند والمغرب ومصر والعالم الإسلامى ، وأشاد به مدونو كتب احديث واعتبروه من كتب السنة المشرفة ، ولم يدع عالم مطلقا فى العالم الإسلامى بأنه من كتب الموضوعات . وقد عمت شهرته وتعددت طبعاته فى القديم والحديث فى الهند ودمشق وبيروت .
ومع هذا العمل يرجع الفضل بها إلى :

٣ـ مجمع البحوث بالأزهر قد سبق علماء الحديث فى العالم الإسلامى بالعناية بكتاب الجامع الكبير ، وأثنى العلماء على هذا العمل الجليل .

٤ـ الجامع الكبير (جمع الجوامع للسيوطى) ضمن محتوياته كتب أصول السنة المعتمدة :

صحيح البخارى وصحيح مسلم وجامع الترمذى وسنن أبى داود والنسائى وابن ماجه والموطأ للإمام مالك ومسند الإمام أحمد ، ومعلوم أن مسند الإمام أحمد وحده يضم أربعين ألف حديث بالمكرر وثلاثين ألف حديث بغير المكرر[1] .

---

(١) مقدمة مسند الإمام أحمد فى مناقب الإمام أحمد والتعريف بمسنده ملخصة من طبقات الإمام ابن السبكى الكبرى ـ المطبعة اليمنية ج ١ ص ٢ من المقدمة .

٥ـ يفرق علماء الحديث بين الضعيف الذى قد يوجد ضمن كتب السنة المعتمدة كمسند الإمام أحمد وجامع الترمذى وسنن أبى داود وابن ماجه وغيرها وبين الموضوع . وأئمة علوم الحديث ابن الصلاح والنووى وابن حجر والسيوطى وغيرهم يحرمون رواية الحديث الموضوع ويوجبون النص عليه بأنه موضوع وإلا كان أحد الكذابين . كما روى لنا السيوطى حديث الإمام مسلم عن النبى ﷺ قال : « من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين » . .

ولنختم التقديم برأى صاحب كنز العمال المحدث الكبير علامة الهند المتقى الهندى فى الجامع الكبير للسيوطى قال :

« إنى قد وقفت على كثير مما دونه الأئمة فى كتب الحديث فلم أر فيها أكثر جمعا ولا أكبر نفعا من كتاب جمع الجوامع الذى ألفه العلامة عبدالرحمن جلال الدين السيوطى سقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه ، حيث جمع فيه من الأصول السنة : البخارى ومسلم وجامع الترمذى وسنن أبى داود وسنن النسائى وابن ماجه ، وغيرها من الموطأ ومسند أحمد وصحيح ابن حبان . . . إلخ ، وأودع فيه من الأحاديث ألوفا ومن الآثار صنوفا ، وأجاد كل الإجادة مع كثرة الجدوى وحسن الافادة » [١] .

● حقيقة السنة والبدعة

ومن مؤلفات السيوطى هذا البحث القيم عن « حقيقة السنة والبدعة ، أو الأمر بالاتباع والنهى عن الابتداع ، وقد رأينا إتماما للفائدة أن نورد كنموذج منه قال :

قال الله عز وجل : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِى» . . إلى قوله : «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أنزل مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ» . . سورة الأعراف الآيتان ١٥٦ ، ١٥٧ .

وقال تعالى : « وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » . .

وقال تعالى : « إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُم الله ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » . . [٢] .

وقال تعالى : « يَا أَيُّهاَ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ » . . إلى قوله : « يَا أَيُّهاَ الَّذِينَ آمَنوا اسْتَجِيبوا لله وَلِلرَّسُولِ إذَا دَعَاكُم لِمَا يُحيِيكُمْ » . .

---

(١) مقدمة كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندى ـ طبع الهند .

(٢) ال عمران : آية رقم ٣١.

وقال تعالى : «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » .

وقال تعالى : «وأَنَّ هذا صِرَاطِى مستقيما فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » . . .

وقال تعالى : « **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبهم فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ** » . .

وقال تعالى : « **فَإِن تَنَازَعْتُم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى الله والرَّسُولِ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الْآخر** » . .

قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى : فى قوله تعالى : «**فَرُدُّوهُ إلى الله وَالرَّسُول** » . . .

أى إلى ماقاله الله والرسول . .

إلى غير ذلك من الآيات . .

وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : خط رسول الله ﷺ وسلم لنا خطا ثم قال هذا سبيل الله ، ثم خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه . وقرأ : « **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ** » الآية . . .

وعن العرباض [1] بن سارية رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت [2] منها العيون ووجلت [3] منها القلوب . فقال رجل يارسول الله كأنها موعظة مودع [4]، فماذا تعهد إلينا فقال :

« **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان [5] عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ [6] وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** » . .

أخرجه أبوداود والترمذى . .

---

(١) رواه أحمد وأبوداود والترمذى وابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال الترمذى حسن صحيح ورواه الدارمى فى سننه ص ٤٣ ج ١ وفيه ان الصلاة صلاة الفجر وابن الجوزى ص ١١ وفيه أن الصلاة صلاة الصبح .

(٢) دمعت.

(٣) خافت .

(٤) لما فيها من حرارة .

(٥) أى الحاكم .

(٦) كناية عن شدة التمسك بها والحفاظ عليها.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ : « **ذرونى ماتركتم فإنما هلك الذين من قبلكم بكثرة سؤالهم** [1] ، **واختلافهم على أنبيائهم** [2]**فإن نهيتكم عن شىء فاجتنبوه ، وإذا امرتكم بامر فأتوا منه مااستطعتم** [3] » . .

متفق عليه . . .

وعن بلال بن الحرث رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من احيا سنة قد أميتت بعدى فإن له من الاجر مثل من عمل بها من الناس لاينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن ابتدع بدعة لاترضى الله ورسوله فإن له مثل اثم من عمل بها من الناس لاينقص ذلك من آثام الناس شيئا » .

رواه الترمذى [4] . . . .

---

(١) فيما لايفيد .

(٢) حيث ساروا مع عقولهم ولم يتبعوا هدى الدين .

(٣) لسهولة الكف عن الفعل .

(٤) رواه الترمذى وفيه ضعف .

فصل
فى الأمر بلزوم السنة والجماعة والنهى عن الفرقة

قال الله تعالى : « وَمَاتَفَرقوا إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ » . .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما : أن عمر رضى الله عنه خطب بالجابية [1] فقال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيبا فقال :

« من أراد منكم بحبوحة [2] الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » . .

رواه الترمذى وصححه . .

وقال رسول الله ﷺ :

« يد الله [3] على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة » [3] . . . .

وعن أبى شريك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

يد الله [4] على الجماعة فإذا شذ الشاذ منهم اختطفه الشيطان كما يختطف الذئب الشاة من الغنم » . .

وعن معاذ [5] رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« إن الشيطان ذيب كذيب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناجية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد [6] » .

---

(١) الجابية : قرية بالشام بدمشق .

(٢) بحبوحة الجنة : وسطها .

(٣) الترمذى عن ابن عباس مرفوعا . وابن الجوزى فى تلبيس ابليس ص ٦ عن عرفجة .

(٤) أبوداود وابن الجوزى عن أسامة بن شريك ص ٦ .

(٥) أحمد بن حنبل عن معاذ وهو حديث حسن . الجامع الصغير ورواه ابن الجوزى ص ٧ وفيه ذئب كذئب الغنم .

(٦) أحمد بن حنبل عن أبى ذر . صحيح . ورواه ابن الجوزى ص ٧ .

وعن أبى ذر [1] رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« أثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فإن الله لم يجمع أمتى إلا على هدى » [2] . .

وعن عبدالله [3] بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« ليأتين على أمتى ماأتى على بنى إسرائيل حذو النعل [4] بالنعل حتى إن كان منهم من يأتى أمه علانية لكان من أمتى من يصنع ذلك وأن بنى إسرائيل تفرقوا اثنين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاثة وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا ملة واحدة قالوا من هى يارسول الله ؟ قال : ماأنا عليه وأصحابى » . . . .

أخرجه أبو دواد والترمذى . .

وعن معاوية [5] بن أبى سفيان أنه قام فى الناس خطيبا فقال : ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاثة وسبعين ملة اثنان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة .

وقال عبدالله بن مسعود [6] رضى الله عنه : الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة .

وقال أبى بن كعب [7] رضى الله عنه : عليكم بالسبيل [8] والسنة فانه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فمسته النار أبدا وان إقتصادا فى سبيل وسنة خير من اجتهاد فى خلاف سبيل وسنة [9] .

---

(١) الترمذى عن ابن عمرو حسن غريب.

(٢) اسمه جندب بضم الجيم والدال ، وقيل برير والمشهور جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد الغفارى الحجازى من السابقين إلى الإسلام وتوفى بالربدة سنة ٣٢هـ وكان زاهدا شجاعا فى قول الحق.

(٣) معاذ بن جبل بن عمر بن اوس الانصارى الخزرجى ، أسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة وشهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار ، والمشاهد كلها مع الرسول ﷺ ، وتوفى شهيدا فى طاعون عمواس بالشام سنة ١٧هـ.

(٤) اى مطابقة تامة بين مايأتى الجميع كما تقدم . كل واحدة من النعل على قدر صاحبتها.

(٥) رواه الدارمى جـ٢ ص ١٥٨ السند حدثنا . واحمد وابو داود وابن الجوزى ص ٠٧

(٦) الدارمى ص ٦٣ وفيه القصد فى السنة ص ٢٢٣ ، ابن الجوزى ص ٠٨

(٧) السبيل : الطريق والمراد القرآن لعطفالسنة عليه .

(٨) ارشاد إلى مصاحبة أهل السنة.

(٩) ابن الجوزى ص ٨ وفيه ان ذلك « عبادة ».

وقال ابن عباس [1] رضى الله عنهما : النظر [2] إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة [3] .

وقال أبو العالية [4] : عليكم بالأمر الأول الذى كانوا عليه قبل أن يفترقوا .

وقال الأوزاعى [5] رضى الله عنه : اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ماوسعهم .

وقال الأوزاعى [6] أيضا : رأيت رب العزة فى المنام فقال لى ياأبا عبدالرحمن [7] أنت الذى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقلت : بفضلك يارب [8] قلت : يارب أمتنى على الإسلام قال : وعلى السنة [9] .

وقال سفيان [10] : لايستقيم قول وعمل إلا بموافقة السنة .

وقال يوسف [11] بن أسباط : إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام فقد قل أهل السنة .

وقال أيوب [12] : إنى لأخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنى أفتقد بعض أعضائى .

---

(١) ابن الجوزى ص ٨ وفيه قال عاصم : فحدثت به الحسن فقال : قد نصحك والله وحدثك.

(٢) ابن الجوزى ص ٨ .

(٣) ابن الجوزى ص ٩.

(٤) خطأ . والصواب ياعبدالرحمن.

(٥) أبى بن كعب بن قيس بن عبيد بن يزيد بن معاوية الخزرجى الأنصارى النجارى شهد العقبة الثانية ، وشهد كثيرا من المشاهد وكان من أقرأ الناس للقرآن توفى بالمدينة سنة ٣٠هـ .

(٦) عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد بضم الياء وكسر الميم الأوزاعى إمام أهل الشام بلا مدافعة ولامخالفة ، سكن دمشق ثم تحول إلى بيروت إلى أن مات بها سنة ١٥٧هـ وولد سنة ٨٨هـ وكان مولده ببعلبك ومات فى حمام بيروت ، جمع إلى العبادة الورع والعلم وقول الحق والتمسك بالسنة من اتباع التابعين .

(٧) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم ابن عم الرسول ﷺ من أكثر الصحابة رواية عن الرسول ﷺ واعلمهم توفى سنة ٦٨هـ أو بعدها بقليل بالطائف ومناقبه كثيرة مشهورة .

(٨) هنا حذفت الواو أو وقلت يارب كما فى ابن الجوزى.

(٩) مثل هذا يذكر للاستئناس به فقط.

(١٠) ابن الجوزى ص ٩ وأصله : الا يقبل قول إلا بعمل ولايستقيم قول وعمل آلا بنية ، ولايستقيم قول وعمل ونية الا بمتابعة السنة . وهو سفيان بن سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفى . من اتباع التابعين ولد سنة ٩٧هـ اجمعوا على مدحه ووصفوه بالورع والزهد والحرص على الحلال توفى بالبصرة سنة ١٦١هـ .

(١١) ابن الجوزى ص ٩ وفيه : وإذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام إلخ .

(١٢) ابن الجوزى ص ٩ وفيه : فكأنى افقد وهو ايوب بن ابى تميمة كيسان العبرى البحرى السختيانى بكسر التاء ، من التابعين ، واتفقوا على امامته وحفظه وتوثيقه ، ووفور علمه وفهمه وسيادته توفى سنة ١٣١هـ .

وقال أيضا [١] : إن من سعادة الحدث والأعجمى أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة .

وقال ابن شوذب [٢]: إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يوافى صاحب سنة يحمله عليها .

وقال ابن أسباط [٣]: كان أبى قدريا وأخوالى روافض فأنقذنى الله بسفيان .

وقال معتمر [٤] بن سليمان : دخلت على أبى وأنا منكسر القلب فقال لى : مالك . قلت : نعم . فقال : لاتحزن عليه .

وقال سفيان [٥] الثورى : استوصوا بأهل السنة خيرا فإنهم غرباء .

وقال أبوبكر [٦] بن عياش : السنة فى الإسلام أعز من الإسلام فى سائر الأديان .

وقال الإمام الشافعى [٧] رضى الله عنه : إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنى رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ .

وقال الجنيد [٨] رحمه الله : الطرق [٩] كلها مسدودة إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ والمتبعين سنته وطريقته فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه كما قال تعالى : « **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** » .

---

(١) نفس المورد السابق ص ٩ واسمه شوذب بالذال المعجمة.

(٢) القدرية من يزعم ان الشر من العبد وحده ، والرافضة من يقدمون عليا على غيره من الخلفاء الراشدين ، فإن صدر منهم شىء فهم غلاة فى الرفض .

(٣)

(٤) ابن الجوزى ص ١٠ وهو نص مبتور وصحته : دخلت على ابى وانا منكسر فقال لى مالك ؟ فلت مات صديق لى قال مات على السنة ؟ قلت نعم . قال لاتحزن عليه ، وهو معتمر بن سليمان بن طرخان ابومحمد التميمى البصرى ، نسب لبنى تيم لنزوله فيهم من اتباع التابعين ، البعض على توثيقه ووصفه بالعبادة ولد سنة ١٠٦هـ ومات سنة ١٨٧هـ بالبصرة وقد جاوز الثمانين وقيل كل سىء الحفظ يخطىء إذا حدث من حفظه ، وإذا حدث من كتابة فهو ثقة .

(٥) ابن الجوزى ص ١٠.

(٦) أبوبكر بن عياش بن سالم الأسدى الكوفى ، والأصح أن كتبه اسمه ، وقيل غير ذلك ثقة عابد ، إلا أنه لما جاء كبير ساء حفظه وكتابه صحيح ، مات سنة ٩٤هـ .

(٧) ابن الجوزى ص ١٠.

(٨) سيد الصوفية وإمامهم أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده بالعراق كان من الفقهاء العلماء العاملين وممن يبحثون على العمل وينكرون البدع وخاصة التى تتصل بالتعاون فى التكاليف أو تركها ومات سنة ٢٩٧هـ .

(٩) الرسالة القشيرية ج ١ ص ١٠٦ وابن الجوزى ص ١٠ .

فصل
فى ذم البدع والأهواء

قال الله تعالى : « وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ » . .

وقال تعالى : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ » . . .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد** »[1] . .

وفى رواية :

« **ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد** »[2] . . .

متفق عليه . . . .

وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال « **من رغب عن سنتى فليس منى** »[3] . . .

أخرجه البخارى . . . .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **أنا فرطكم[4] على الحوض . وليختلجن[5] رجال دونى فأقول يارب اصحابى[6] فيقال إنك لاتدرى ماأحدثوا بعدك[7]** » . . . متفق عليه .

---

(١) رواة البخارى و سلم . ومعنى « رد » مردود عليه غير مقبول فعله منه أو من غيره.

(٢) الفرق بين الرواية الأولى « من أحدث » والرواية الثانية « من عمل » ان الأولى خاصة من احدث البدعة ، والثانية تشمل من احدثها ومن فعلها وان لم يحدثها فكل بدعة مردودة .

(٣) يشمل تاركها ومن استبدل بها غيرها.

(٤) فرطحكم : الفرط : بفتح الفاء والراء الذى يتقدم الواردين فهيىء لهم مايحتاجون والمراد أنه المتقدم للثواب والشفاعة.

(٥) يختلجن : يقنطعون وينتزعون بعيدا.

(٦) المراد المنافقون وكانوا معروفين بأسمائهم . أو دعائهم بذلك لشبههم بالصحابة فى إظهار الإسلام.

(٧) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١٢.

قال عبدالله بن محيريز[1] : يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة . . . متفق عليه .

وقال معاذ بن جبل : يفتح القرآن على الناس حتى تقرأه المرأة والصبى والرجل فيقول الرجل قد قرأت القرآن فلم اتبع والله لأقومن به فيهم لعلى اتبع . فيقوم به فيهم فلا يتبع فيقول : قد قرأت القرآن فلم اتبع ، وقمت فيهم فلم اتبع لأحتضرن فى بيتى مسجدا ، فيحتضر فى بيته مسجدا فلا يتبع . فيقول لقد قرأت القرآن فلم أتبع وقمت به فيهم فلم أتبع وقد احتضرت فى بيتى مسجدا فلم أتبع والله لآتينهم بحديث لايجدونه فى كتاب الله ولم يسمعوه من رسو الله ﷺ . لعلى اتبع ، فإياكم وماجاء به فإن ماجاء به ضلالة [2] .

وروى هذا الأثر أبوداود بلفظ آخر فقال : قال معاذ : إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر فيوشك أن يقول قائل ما للناس لايتبعونى وقد قرأت القرآن ماهم بمتبعى حتى أبتدع لهم غيره فإن ماابتدع ضلالة وأحذركم زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق .

وقال عبدالله : تعلموا العلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق [3] .

قلت : لا ، قال : يهدمه زلة العالم وجدال منافق بالآيات وحكم الأئمة المضلين [4] .

وعن عمر [5] رضى الله عنه أنه قال : سيأتى قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فحذروهم بالسنن فإن أهل السنة أعلم بكتاب الله عز وجل [6] .

---

(١) اس الجوزى عبدالله بن محيريز بن جنادة بن وهب لوذان القريشى الجمحى المكى التابعى ابو محيريز نزل الشام وسكن بيت المقدس . توفى فى خلافة الوليد بن عبدالملك وقيل فى خلافة عمر بن عبدالعزيز . وأجمعوا على توثيقه وإمامته وفضله .

(٢) الدارمى ص ٥٩ ص ١.

(٣) العتيق القديم .

(٤) الدارمى ص ٦٣ ج ١.

(٥) حذيفة بن اليمان حسل بن جابر بن عمرو العبسى حليف بنى عبدالأشهل من الأنصار شهد كثيرا من المشاهد وتم على يديه فتح همزان والرى والدينور كان من أعلم الناس بالفتن بالمنافقين وتوفى سنة ٣٥هـ .

(٦) عمر بن عبدالعزيز مروان بن الحكم القرشى الأموى التابعى باحسان ، وأجمعوا على جلالته وفضله ووفور عمله وصلاحه وزهده وورعه وعدله وشفقته على المسلمين والاقتداء بالسنة ولد بمصر سنة ٦١ وتوفى يوم الجمعة سنة ١٠١هـ .

وعن عثمان الأزدى قال : دخلت [1] على ابن عباس رضى الله عنهما فقلت له أوصنى ، فقال عليك بتقوى الله تعالى والاستقامة اتبع ولاتبتدع .

وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إن أبغض الأمور إلى الله تعالى البدع وإن من البدع الاعتكاف فى المساجد التى فى الدور [2] .

وروى أبو داود فى سننه عن حذيفة رضى الله عنه قال : كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تتعبد بها فإن الأول لم يدع للآخر مقالا فاتقوا الله يامعشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم .

ومن كلام عمر بن عبدالعزيز رحمه الله [3] : أوصيكم بتقوى الله والاقتصاد فى أمره واتباع أمر رسول الله ﷺ وترك ماأحدث المحدثون بعده .

وقال ابن سيرين رحمه الله [4] : ماأحدث رجل بدعة فراجع سنة .

وقال الحسن : لايقبل الله لصاحب بدعة صوما ولاصلاة ولاحجا ولاعمرة حتى يدعها .

وقال محمد بن أسلم : من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام .

وقال أبو معشر : سألت إبراهيم عن شىء من هذه الأهواء فقال ماجعل الله فى شىء منها مثقال ذرة من خير ، ماهى إلا نزعة من الشيطان عليك بأول الأمر .

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال : كل بدعة ضلالة وإن رأها الناس حسنة .

وقال معمر [5] كان طاوس جالسا يوما وعنده ابنه فجاء رجل من المعتزلة فتكلم فى شىء فأدخل طاوس أصبعه [6] فى أذنيه وقال : يابنى ادخل اصبعك [7] فى أذنيك حتى لاتسمع من قوله

---

(١) الدارمى وتنظر الحلية الدارمى ص ٥٠ج ١ عن عثمان بن حاضر الأزدى قال دخلت على ابن عباس فقلت اوصنى فقال نعم إلخ .

(٢) البيهقى فى كتاب السنن وسنده ابو نعيم ثنا زمعة بن صالح عن عثمان بن حاضر الأزدى .

(٣) أبوداود وهو مختصر من كلام طويل وابن وضاح ص ٣٠ من كلام طويل البدع والنهى عنها وابن الجوزى ص ٨٦ من كلام طويل .

(٤) الدارمى ماأخذ رجل ببدعة فراجع سنته سنة ص ٦١.

(٥) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١٢ ظ مكتبة المتنبى ـ القاهرة.

(٢٠) ابن الجوزى تلبيس ابليس ص ١٢

(٦) الصواب اصبعيه.

(٧) اصبعيك.

شيئا فإن هذا القلب ضعيف ، ثم قال : أى بنى شدد [1] فمازال يقول شدد [2] حتى قام الرجل .

وعن محمد العينى [3] قال : كان رجل معنا يختلف إلى إبراهيم فبلغ إبراهيم أنه دخل فى الإرجاء فقال له إبراهيم : إذا قمت من عندنا فلا تعد .

وقال محمد بن داود [4] الحرائى : قلت لسفيان بن عيينة ان هذا يتكلم فى القدر - يعنى - إبراهيم بن أبى يحيى ، فقال سفيان : عرفوا الناس أمره واسألوا ربكم العافية .

وقال صالح [5] الرى : دخل رجل على ابن سيرين وأنا شاهد ففتح بابا من أبواب القدر فتكلم فيه . فقال ابن سيرين : إما أن تقوم وإما أن نقوم .

وقال سلام [6] بن مطيع : قال رجل من أهل الأهواء لأيوب لا أكلمه بكلمة فقال ولا بنصف كلمة .

وقال أيوب [7] : مازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بعدا .

وقال سفيان [8] الثورى رحمه الله : البدعة أحب إلى إبليس من المعصية . . المعصية يتاب منها والبدعة لايتاب منها .

وقال [9] : من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة .

ولما مرض سليمان [10] التيمى بكى بكاء شديدا فقيل له مايبكيك [11]، الجزع من الموت ؟

---

(١) صحتها : اسدد اى سر فى الطريق السليم .

(٢) كالسابقة .

(٣) ابن الجوزى ص ١٢ والراوى محمد بن داود عن عيسى بن على القيسى قال .

(٤) ابن الجوزى ص ١٤ والصواب محمد بن داود الحدائى .

(٥) ابن الجوزى تلبيس ابليس ص ١٢ .

(٦) حاضر مشاهد .

(٧) ابن الجوزى فى تلبيس ابليس ص ١٢ والصواب سلام بن أبى مطيع والنص هكذا خطأ وصوابه « قال رجل من أهل الأهواء لأيوب أكلمك بكلمة قال لا ولانصف كلمة » .

(٨) ايوب هو السختيانى كما فى ابن الجوزى ص ١٣ .

(٩) ابن الجوزى ص ١٣ وفيه البدعة يثاب منها وما هنا أصح .

(١٠) ابن الجوزى ص ١٣ ومعنى نقض الإسلام إلخ خرج منه شيئا فشيئا .

(١١) ابن الجوزى فى تلبيس ابليس ص ١٣ والصواب سليمان الهيثمى .

(١٢) الصواب اتجزع .

فقال : لا ولكنى مررت على قدرى فسلمت عليه وأخاف أن يحاسبنى ربى عليه [١]

وقال الفضيل [٢] بن عياض : من جلس إلى صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإيمان أو قال الإسلام من قلبه .

وقال [٣] : إذا رأيت مبتدعا فى طريق فخذ فى طريق آخر ولايرفع لصاحب بدعة إلى الله عمل . ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام .

وقال [٤] : من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها [٥] .

وقال [٦] : من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة ، وإذا علم الله من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له .

وقال محمد بن النضر [٧] الحارثى : من أصغى إلى صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه .

وقال الليث بن سعد [٨] : لو رأيت صاحب هوى يمشى على الماء ماقبلته .

وقال الإمام الشافعى [٩] رضى الله عنه : أما أنه قد قصر لو رأيته يمشى فى الهواء ماقبلته .

وسأل رجل عمر بن عبدالعزيز [١٠] عن الأهواء فقال : الزم دين الصبى فى المكتب واله عما سوى ذلك .

وقال مالك بن أنس : إياكم والبدع ، قيل يا أبا عبدالله ومالبدع ؟ قال أهل البدع الذين

---

(١) أنظر ابن الجوزى فى تلبيس ابليس ذم البدع والمبتدعين ص ١٤.

(٢) الفضيل بن عياش بن مسعود بن بشر التيمى من أئمة الصوفية المشهورين ولد بخراسان وقيل بسمرقند ونشأ بأبيتور ومات بمكة فى المحرم سنة ١٨٧ كان شاطرا يقطع الطريق فسمع من يقرأ : « الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » فقال : يارب قد آن وله حكم كثيرة ومناقب جمة وانظر ابن الجوزى فى تلبيس ابليس ص ١٤.

(٣) انظر ابن الجوزى ص ١٣.

(٤) نفس المصدر والصفحة ومعنى كريمته ابنته.

(٥) اى وسيعاقب عقاب قاطع الرحم .

(٦) ابن الجوزى ص ١٤ وفيه أن يغفر الله له سيئاته.

(٧) ابن الجوزى ص ١٤ وفيه محمد بن النضر الحارثى .

(٨) ابن الجوزى ص ١٤ وفيه صاحب بدعة يمشى إلخ .

(٩) ابن الجوزى ص ١٤ وصحته انه (أى الليث) ماقصر لو رأيته يمشى على الهواء ماقبلته .

(١٠) الدرامى ص ٧٧ ج ١ وفيه عليك بدين الأعرابى والغلام فى الكتاب وابن الجوزى ص ٨٦.

يتكلمون فى أسمائه وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولايسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون كما تكلموا فى الأحكام ولكنه باطل يدل على باطل .

وسئل سفيان الثورى عن الكلام فقال : دع الباطل أين أنت من الحق . اتبع السنة ودع البدعة .

وقال : وجدت الأمر بالاتباع .

وقال [1] : عليكم بما عليه الحمالون والنساء فى البيوت والصبيان فى المكاتب من الإقرار والعمل .

وقال الإمام الشافعى [2] رضى الله عنه : لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ماخلا الشرك خير له من أن يلقاه بشىء من الأهواء .

وقال أيضا : لأن يبتلى المرء بما نهى الله عنه ماخلا الشرك بالله خير له من أن يبتليه بالكلام . . .

وقال : ماارتدى أحد الكلام فأفلح .

وقال أيضا : [3] حكى فى أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم فى العشاير والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام .

وقال مالك : بئس القوم هؤلاء أهل الأهواء لايس.. م عليهم .

وقال ابو الحسن البغوى : قد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم .

وقال ابن عمر فى أهل القدر : خبرهم أنى برىء منهم وأنهم براء منى .

وقال ابوقلابة [4] : لاتجالسوا أصحاب الأهواء فإنى لا آمن من أن يغمسوكم فى ضلالهم ويلبسوا عليكم بعض ماتعرفون .

وقال سفيان : من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائى ولايلقها فى قلوبهم .

وقال أبوالحسن البغوى : قد كفر بعض أهل العلم طوائف منهم فروى عن جماعة من السلف تكفير من قال بخلق القرآن .

---

(١) ابن الجوزى ص ٨٧ وفيه (بما عليه الحمالون والنساء) .

(٢) ابن الجوزى ص ٨٠ وابن عبدالبر ص ١١٦ جـ٢ بمناسبة مناظرته لحفص الفرد .

(٣) ابن الجوزى ص ٨٠ واحياة علوم الدين ص ٨٤ .

(٤) الدارمى جـ١ ص ٩٠ وفيه لاتجالسوا . . ولاتجادلوهم .

وروى ذلك عن مالك وابن عيينة وابن المبارك والليث بن سعد ووكيع بن الجراح .

وناظر الإمام الشافعى لحفص الفرد وكان يسميه لحفص الفرد فقال : القرآن مخلوق ، فقال الشافعى كفرت بالله العظيم .

وقال محمد بن إسماعيل البخارى : نظرت فى كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت قوما أضل فى كفرهم من الجهمية وإنى لأستجهل من لايكفرهم إلا من لايعرف كفرهم .

وقال : ماباليت صليت خلف اليهود والنصارى وحكمى عن عبدالله بن أحمد عن أبيه فيمن قال بخلق القرآن أن لايصلى خلفه الجمعة ولاغيرها إلا أن لايدع إتيانها . فإن صلى أعاد الصلاة .

وقال مالك بن أنس : من بغض أحدا من أصحاب النبى ﷺ وكان فى قلبه عليهم غل فليس له حق فى فيىء المسلمين . ثم قرأ : « **مَا أَفَاءَ الله عَلىَ رَسُولِه مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى** » إلى قوله «**وَالَّذِينَ جَاءوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإخواننا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ** » . . . سورة الحشر الآيات : ٧ ، ٨ ، ٩ .

وقال سفيان الثورى : من قدم عليا على أبى بكر وعمر فقد أزرى بالمهاجرين .

وذكر بين يديه رجل ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية « **مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلىَ الْكُفَّار رُحَمَاء بَيْنَهُمْ** » . . إلى قوله : « **لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّار** » ثم قال : من أصبح من الناس فى قلبه غل على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية .

وقال سفيان الثورى : من قدم عليا على أبى بكر وعمر أزرى بالمهاجرين والأنصار وأحسبه أن لاينفعه مع ذلك عمل .

وقال أبو الحسن البغوى : وهذا الهجران والتبرؤ والمعاداة لأهل البدع والمخالفين فى الأصول . أما الاختلاف فى الفروع بين العلماء فاختلاف رحمة أراد الله أن لايكون على المؤمنين حرج فى الدين فعلى المسلم إذا رأى رجلا يتعاطى شيئا من الأهواء والبدع معتقدا ويتهاون بشىء من السنن أن يهجره ويتبرأ منه ويتركه حيا وميتا فلا يسلم عليه إذا لقيه ولايجيبه إذا ناداه : والنهى عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير فى حقوق الصحبة دون ماكان فى حق الدين فإن هجر أهل البدع والأهواء دايم إلى أن يتوبوا فعليك ياأخى باتباع السنة وقبولها وموالاة أهلها واجتناب البدع وردها ومعاداة أهلها .

قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : كلمنى كلمات جوامع موانع فقال : لاتشرك بالله شيئا وزل مع القرآن حيث زال ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيدا رفيضا ومن جاءك بالباطل فرده عليه وإن كان قريبا حبيبا وعليك بها قال ابن عمر رحمه الله : ثلاث أحب لنفسى ولاخوانى

هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عليها ، والقرآن أن يتفقهوا ويسألوا عنه ويدعو الناس إلا من خير .

وقال الأوزاعى رحمه الله تعالى : خمس كان عليها أصحاب النبى ﷺ لزوم الجماعة ، واتباع السنة ، وعمارة المسجد ، وتلاوة القرآن ، والجهاد فى سبيل الله ـ عز وجل ـ رزقنا الله الاتباع وإحياء السنن ، وجنبنا البدع والأهواء فى السر والعلن .

فصل
فى تمييز البدعة عن السنة

اعلم رحمك الله : أن السنة فى اللغة : الطريق ، ولاريب فى أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهل السنة . لأنهم على تلك الطريق التى لم يحدث منها حادث ، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه ، والبدعة ، عبارة عن فعلة تصادم الشريعة بالمخالفة ، أو توجب التعاطى عليها بزيادة أو نقصان .

وقد كان جمهور السلف يكرهون ذلك وينفرون من كل مبتدع وإن كان جائزا حفظا للأصل وهو الاتباع .

وقد قال زيد بن ثابت لأبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ حين قالا له أجمع القرآن : كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ .

وعن عبدالله بن أبى سلمة : ان سعد بن مالك رحمه الله تعالى سمع رجلا يقول : لبيك ذا المعارج . فقال : ماكنا نقول هذا على عهد رسول الله ﷺ .

وعن أبى البحترى قال : أخبر رجل ابن مسعود رضى الله عنه أن قوما يحلون فى المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول : كبروا الله كذا وسبحوا الله كذا واحمدوه كذا وكذا . قال عبدالله : فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتنى فأخبرنى بمجلسهم ، فاما جلسوا أتاه الرجل فأخبره فجاء عبدالله بن مسعود فقال : والذى لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلما أو لقد فضلتم أصحاب محمد علما . فقال عمرو بن عتبة نستغفر الله فقال عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يمينا وشمالا لتضلن ضلالا بعيدا .

وعن عبد الله بن عون قال : كنا عند إبراهيم النخعى فجاء رجل فقال : ياأبا عمرو وأنا أدعو الله أن يشفينى . فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى عرفنا كراهية ذلك فى وجهه . وذكر إبراهيم السنة فرغب فيها ، وذكر ما أحدث الناس فكرهه وقال فيه .

وجاء أصحاب الحديث إلى ذى النون فسألوه عن الخطرات والوساوس فقال أنا لاأتكلم فى شىء من هذا فإن هذا محدث سلونى عن شىء من الصلاة أو الحديث .

وقال محمد بن زياد : رأى ذو النون على خفاً أحمر فقال انزع هذا يابني فإنه شهوة مالبسه رسول الله ﷺ إنما لبس رسول الله ﷺ خفين أسودين ساذجين . فقد تبين لهو أن القوم كانوا ينحرزون عن بدعة وإن لم يكن بأس لئلا يحدثوا ما لم يكن .

فصل
وقد جرت محدثات

وقد جرت محدثات لاتصادم الشريعة ولم تتعاط عليها فلم يروا بفعلها بأسا بل قال بعضهم إنها قربة وهو الصحيح .

كما روى أن الناس كانوا يصلون فى رمضان وحدانا وكان الرجل يصلى فيصلى بصلاته الجماعة فجمعهم عمر رضى الله عنه على أبى بن كعب فلما خرج فرآهم قال : نعمت البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل من هذه ، يعنى صلاة آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله [1] .

وقال الحسن : القصص بدعة ونعمت البدعة كم من أخ يستفاد ودعوة تستجاب . والحوادث تنقسم إلى بدعة مستحسنة وإلى بدع مستقيمة .

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : البدعة بدعتان : بدعة محمودة وبدعة مذمومة فما وافق السنة فهو محمود وماخالف السنة فهو مذموم ، واحتج بقول عمر رضى الله عنه نعمت البدعة هذه .

أحدهما : ماأحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو اجماعا فهذه البدعة الضلالة .

والثانى : ماأحدث من الخير لاخير فيه لواحد من هذا فهى محدثة غير مذمومة . وقد قال عمر : فى قيام شهر رمضان نعمت البدعة هذه ، يعنى أنها محدثة لم تكن وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى .

وقال بعضهم : وإنما كان لأن النبى ﷺ حث على قيام شهر رمضان وفعله هو ﷺ واقتدى به بعض الصحابة ليلة بعد الأخرى فهى مشروعة فى الأصل . وكذا قول الحسن فى القصص نعم البدعة لأن الوعظ مشروع ومتى استند المحدث إلى أصل مشروع لم يذم ، فالبدعة الحسنة متفق

---

(١) البخارى كتاب الصيام ج ٣ .

على جواز فعلها والاستحباب لها رجاء الثواب لمن حسنت نيته فيها وهى كل مبتدع موافق لقواعد الشريعة غير مخالف لشىء ولايلزم من فعله محذور شرعى وذلك نحو بناء المنابر والربط والمدارس وخانات السبيل وغير ذلك من أنواع البر التى لم تعهد فى صدر الإسلام فإنه موافق لما جاءت به الشريعة من اصطناع المعروف والمعاونة على البر والتقوى .

ومـابعـده من البدع الحسنة التصانيف فى جميع العلوم النافعة الشرعية على اختلاف فنونها وتعيين قواعدها وتفسير الكتاب العزيز وجمـع الأخبار النبوية وتفسيرها والكلام على الأسانيد والمتون وتتبع كلام العرب واستخراج علوم جمة منه فذلك كله وما شاكله معلوم حسنه ظاهر فائدته معين على معرفة أحكام الله ومفهم معانى كلامه وسنة رسوله وكل مأمور به لايلزم من فعله محذور شرعى .

قال ابوسليمان الخطابى رحمه الله فى شرح قوله ﷺ كل محدث بدعة هذا خاص فى بعض الأمور ومن بعض وهو كل شىء أحدث على غير مثال أصل من أصل الدين وعلى غير عبارة وقياس ، وأما ماكان منها مبنيا على قواعد الأصول ومردود إليها فليس بدعة ولا ضلالة ، وأما إذا كانت البدعة كالمتم فقد اعتقد نقص الشريعة ، فإن كانت مضادة فهى أعظم شىء لم يكن قبل لامستند لهم فيه .

فالبدعة المستقيمة هى ماكان مخالفا للشريعة أو ملتزما لمخالفتها وذلك منقسم إلى محرم ومكروه ويختلف ذلك باختلاف الوقائع وبحسب ما به مخالفة الشريعة تارة ينتهى ذلك إلى مايوجب التحريم وتارة لايتجاوز معه كراهة التنزيه وكل موفق يتمكن بعون الله من التمييز بين القسمين مهما رسخت قدمه فى إيمانه وعلمه .

ثم وضح بعض أنواع البدع وأن منها ما هو فى العقائد المؤدية إلى الضلال والخسران مثلها الاعتراض على ما أحدثه أهل الضلال والظلمة . وأهل الفرق الضالة ست وقد انقسمت كل فرقة منها اثنى عشرة فرقة فذلك اثنتان وسبعون فرقة الذين أخبر النبى ﷺ أنهم فى النار وليس نحن هنا بصدد بيانها ولكن من لزم السنة والجماعة وأعرض عن أصول هذه البدع وفروعها كان فى الفرقة الناجية بفضل الله تعالى .

الامام القسطلانى

هو الإمام الحافظ شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلانى المصرى .

ولد فى الثانى عشر من شهر ذى القعدة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة من الهجرة ٨٥١هـ بمصر .

وابتدأ نشأته المباركة بحفظ القرآن الكريم ، كما حفظ بعض الكتب منها الشاطبية ، وحج بيت الله الحرام أكثر من مرة ، وجاور سنة أربع وثمانين وثمانمائة ٨٨٤هـ .

وتلقى العلم على كثير من الشيوخ منهم الشيخ خالد الأزهرى والسخاوى وشيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصارى ، وعند مجاورته أخذ بمكة المكرمة عن كثير من العلماء منهم النجم بن فهد وغيره من الشيوخ وكان رضى الله عنه إماما حافظا متقنا تتلمذ على يديه كثير من الشيوخ وكان يعظ ويدرس بمسجد عمرو بن العاص .

وتوفى بالقاهرة يوم الخميس السادس من المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ٩٢٣هـ ودفن بالمدرسة العينية بالقرب من منزله بجوار الإمام العينى .

● **إرشاد السارى**

وللإمام القسطلانى كتب كثيرة : منها شرح الشاطبية ، ولطائف الإشارات فى القراءات الأربع عشرة والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية . ومع أعظم مؤلفاته وأوسعها فى مجال السنة النبوية كتابه القيم « إرشاد السارى إلى صحيح البخارى » وهو شرح أوجز من شرح الحافظ بن حجر ، ومن شرح العينى ، وكان يعتمد كثيرا على شروح سابقيه لاسيما « فتح البارى » وكتب له مقدمة تناول فيها منزلة الحديث وعناية المسلمين ، وقد طبع الكتاب مرارا .

الامام الشعرانى الأزهرى المحدث

● نسبه ومولده

هو عبدالوهاب بن أحمد بن على بن أحمد بن على بن محمد بن زوقا بن الشيخ موسى المكنى بأبى العمران بن السلطان أحمد بن السلطان سعيد بن السلطان فاشين بن السلطان محيا بن السلطان زوقا بن السلطان ريان بن السلطان محمد بن موسى بن السيد محمد بن الحنفية بن الإمام على بن أبى طالب رضوان الله تعالى عليه .

فهو من أصل علوى هاشمى ، ومن بيت طيب طاهر جمع مع عراقة النسب وشرف المحتد سمو النشأة وطهارة المنزع وعظيم الصلة بالله سبحانه وتعالى فرفرف علم التصوف الإسلامى على هذه الدوحة الشريفة التى أخرجت إلى العالم الإسلامى أبطالا كبارا ، وأمجادا عظماء ، جمعوا بين الملك والتصوف ، وماكان التصوف بمجاهدته وزهادته ليصرفهم عن الملك والولاية ، وإدارة شئون الحياة ، وإنما استطاع هذا البيت العظيم أن يرتفع فى الحياة بما له من خصائص وبما امتاز به من سمات الإيمان والرشاد . ولقد تحدث الشعرانى مؤرخا لنفسه فقال :

« أحمد الله تعالى حيث جعلنى من أبناء الملوك فإنى بحمد الله تعالى عبدالوهاب بن أحمد بن على بن أحمد بن على بن محمد بن زوقا بن الشيخ موسى المكنى بأبى العمران بن السلطان أحمد بن السلطان سعيد بن السلطان فاشين بن السلطان محيا بن السلطان زوقا بن السلطان ريان بن السلطان محمد بن موسى بن السيد محمد بن الحنفية بن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عليه .

وكان جدى السابع الذى هو السلطان أحمد سلطانا بمدينة تلمسان فى عصر الشيخ أبى مدين المغربى ، ولما أجتمع به جدى موسى قال له الشيخ أبومدين لمن تنتسب ؟ قال والدى السلطان أحمد فقال له : إنما عنيت نسبك من جهة الشرف ، فقال : انتسب إلى السيد محمد بن الحنفية . وقد كانت ولادة الشعرانى على أصح ماروى فى ٢٧ من شهر رمضان عام ٨٩٨هـ فى بلدة قلقشندة وهى قرية جده لأمه ثم انتقل بعد أربعين يوما من ولادته إلى قرية أبيه التى كانت نسبته إليها وهى قرية من قرى مصر ، وقيل ولد بها ثم انتقل إلى القاهرة سنة إحدى عشرة وتسعمائة .

● نشأته

نشأ الشعرانى يتيما من الأبوين فكان الله وليه ونصيره ، وعونه وملجأه ، وقد حفظ القرآن الكريم فى باكورة طفولته بالقرية كما حفظ أبوشجاع والأجرومية ودرس هذين الكتابين على أخيه الشيخ عبدالقادر بعد وفاة والده ، وكان قانعا لم تطمع نفسه إلى زخرف الحياة الدنيا ، ولم يمتد نظره إلى مباهجها أو مناصبها ، فلم يتول ولم يرتبط بعمل دنيوى وإنما كانت وجهته خالصة لله سبحانه وتعالى ، وقناعته هذه جعلته يزهد فيها عند الناس فأورثه ذلك عزة بالغة ، وحبًّا فى الله ، واستغراقا فى العبادة اعتمادا على الله وحده وتوكلا صادقاً على من بيده ملكوت السماوات والأرض وهو على كل شىء قدير .

وهذا التوكل الذى نهجه الشعرانى كان سبباً فيما يأتيه من رزق من حيث لايحتسب .

وقد بين ذلك من منن الله عليه « إنه لم تكن هناك عوائق دنيوية تعيقنى عن طلب العلم والعبادة . وكانت القناعة من الدنيا باليسير سداى ولحمتى ، وهذه القناعة أغنتنى عن الوقوع فى الذل لأحد من أبناء الدنيا ، ولم يقم لى أننى باشرت حرفة ولاوظيفة لها معلوم دنيوى من منذ بلغت ولم يزل الحق تعالى يرزقنى من حيث لاأحتسب إلى وقتى هذا ، وعرضوا على الألف دينار وأكثر فرددتها ولم أقبل منها شيئا ، وكان التجار والكبراء يأتون بالذهب والفضة فأنثرهما فى صحن جامع الغمرى فيلتقطه المجاورون » .

إنها الزهادة الصادقة ، والعزوف الحق عن نفع الحياة وطيباتها فلقد استبدل بها طيبات ماعند الله ، وماعند الله خير وأبقى .

وإذا نظرنا إلى بداية الشعرانى فى عبادة ربه وتقواه ، وتبتله وتنسكه والسن التى ابتدأ منها السير فى طريق ربه مستغرقا فى جلال الربوبية متصوفا ومتنسكا ، ومتعبدا ومتهجدا لوجدنا أمرا عجبا .

إنه كان يقوم الليل وهو فى الثامنة من عمره ، وأن التبكير بالعبادة فى مثل هذه السن إنما يدل على فطرة ذكية ، وغريزة طاهرة ، وبيئة نقية كريمة .

وإلى جانب هذا كان ذا ألمعية نابهة ونبوغ مبكر وولع بتحصيل العلم ومدارسته واستيعابه ، وقبل أن يتم العاشرة من عمره كان قد درس من كتب النحو ماأهله لمجالسة العلماء ، يساعده على ذلك بصيرة نيرة وإشراقات روحية وحافظة واعية تقويها تقوى الله سبحانه وتعالى فهو الذى يعينه ويساعده على العلم « واتقوا الله ويعلمكم الله » .

وبعد أن مات أبوه كفله أخوه الشيخ عبدالقادر وكان عالما يكن لأخيه كل حب وإعجاب وتقدير وإخلاص . أحاط عبدالقادر أخاه الشعرانى بعظيم العناية الكاملة .

ويتحدث الشعرانى عن تلك الفترة التى حضر فيها إلى القاهرة فيقول :

« كان مجيئى إلى القاهرة افتتاح سنة عشره وتسعمائة ، وعمرى إذ ذاك اثنتا عشرة سنة فى جامع سيدى أبى العباس الغمرى . وحنن الله على شيخ الجامع وأولاده فمكنت بينهم كأنى واحد منهم آكل مايأكلون وألبس مايلبسون ، فأقمت عندهم حتى حفظت متون الكتب الشرعية على الأشياخ ولم أزل بحمد الله محفوظ الظاهر من الوقوع فى المعاصى عزيزا عند الناس ، يعرضون على كثيرا من الذهب والفضة فتارة أردها وتارة أطرحها فى صحون الجامع فيلتقطها المجاورون .

ويذكر المؤرخون أن الشعرانى حضر من قريته إلى الأزهر حيث قضى خمس سنوات يتلقى العلم والمعرفة على يد شيخه « على الشونى » ثم انتقل بعد ذلك إلى مسجد الغمرى بناء على مشورة شيخه على الشونى .

ومسجد الغمرى هذا كان فى تلك الحقبة بمثابة معهد علمى يجمع بين التعليم وإجراء الأرزاق من الأوقاف والهبات وتخصص للعلم فيها ، وقد ظل فى هذا المسجد سبعة عشر عاما ثم انتقل إلى مدرسة أم خوند، ويقول على مبارك محدثا عن تلك الفترة من حياته « ولقد راض الشعرانى نفسه على النهج الصوفى وهو فى جامع الغمرى . فطار ذكره وذاع فى الناس أمره وكان شيخه على الشونى قد أذن له فى أن يرتب بهذا المسجد مجلسا للصلاة على رسول الله ﷺ ولكن أولاد الغمرى أكل قلوبهم الحسد على تلك المكانة العالية التى ظفر بها الشعرانى فطلبوا منه أن يغادر مسجدهم .

ثم حط رحاله بمدرسة أم خوند وأقام تجاهها ستة أيام فرأى فى منامه أن رسول الله ﷺ قد أذن له بالإقامة بها فدخلها مع أسرته .

● **طلبه للعلم**

عرفنا فيما سبق نشأة « الشعرانى » وانقطاعه الكامل لله سبحانه وتعالى وكان يبكر بتحصيل العلم ومطالعة كثير من الكتب واستيعابه لها لم يزل فى سن الصغر ومثل هذه النشأة الفذة من التوفيق العجيب والنبوغ المبكر والعناية الملازمة له من الله سبحانه وتعالى تدل على أن شخصيته العلمية والصوفية قد أخذت مكانتها منذ الصغر حتى أصبحت فى منزلتها المرموقة وأن الرجل لم يكتف بما كان عليه من نباهة الذكر والعناية والتوفيق وإنما أخذ يجاهد فى سبيل العلم ويهاجر من أجل تحصيله فها هو ذا يهاجر من قريته إلى القاهرة يعيش فى المساجد ليله ونهاره فى تبتل وتعبد والهجرة فى سبيل العلم لها عند الله مكانة عظيمة ولصاحبها يوم القيامة منزلة جليلة فمن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة .

والهجرة فى سبيل العلم حين تتمحض فيها النية لله سبحانه وتعالى ولرسوله فهى لله وحده وهكذا من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله كما يقول رسول الله ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته لله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه » . وفى طلبه العلم اتصل بخيرة علماء القاهرة جلال الدين السيوطى وزكريا الأنصارى وناصر الدين اللقانى والرملى والسمنودى، وقد عرف منذ نشأته العلمية باحترامه لشيوخه وإجلاله لهم بقلب مخلص وتواضع جم وأدب حسن ونفس تتسع لشتى جوانب العلم والمعرفة فقد درس التصوف والفقه والحديث والتفسير واللغة والأصول فتفتحت مداركه العقلية لكل معارف عصره العلمية وقد تحدث الشعرانى عن دراسته فقال : ثم لما جئت إلى مصر حفظت كتاب المنهاج للنووى ثم ألفية ابن مالك ثم التوضيح لابن هشام ثم جمع الجوامع ثم ألفية العراقى ثم تلخيص المفتاح ثم الشاطبية ثم قواعد ابن هشام وغير ذلك من المختصرات وحفظت هذه الكتب حتى صرت أعرف متشابهاتها كالقرآن من جودة الحفظ ثم ارتفعت الهمة إلى حفظ كتاب الروض مختصر الروضة لكونه أجمع كتاب فى مذهب الشافعى فحفظت منه إلى باب القضاء على الغائب وهو فى أواخر الكتاب فلقينى بعض ارباب الأحوال بباب الخلق خارج باب زويلة فقال لى مكاشفا قف على باب القضاء على الغائب ولاتقض على غائب بشىء . فما قدرت بعد ذلك على حفظ شىء منه لكننى طالعت الكتاب ودرسته نحو مائة مرة وكنت أقرأ محفوظتى للمتن فى الشرح وأنظر كل شىء توقفت فى فهمه حتى صار شرحه للشيخ زكريا عندى نصب عينى ثم لقينى الشيخ أحمد البهلول رضى الله عنه فقال لى مكاشفا أقبل على الاشتغال بالله ويكفيك من العلم ماقد تعلمته . فشاورت فى ذلك مشايخى فقالوا : لاتدخل طريق القوم إلا بعد شرح محفوظاتك كلها على الأشياخ فإذا فهمتها وتبحرت فيها فعليك بطريق القوم .

وقرأت محفوظاتى على شيوخى وهم نحو خمسين فقرأت على الشيخ أمين الدين شرح المنهاج للجلال المحلى وكنت أطالع على درسى هذا القوت للأذرعى والقطعة والتكملة للأسنوى والزركشى والقطعة للسبكى والعمدة لابن الملقن وشرح ابن قاضى شهبة وشرح الروض للشيخ زكريا الأنصارى وأكتب زوائد هذه الكتب على الشيخ جلال الدين وألصق فيها أوراقا حتى ربما تصير الحواشى أكثر من الكتاب حتى أقرأها كلها عليه وقرأت عليه أيضا شرح جمع الجوامع للشيخ جلال الدين وحاشية الشيخ كمال الدين وشرح العراقى للجلال الحافظ السخاوى .

وهكذا يتضح لنا أن الشعرانى قد أحاطت دراساته الواعية المستفيضة بكثير من المعرفة والعلم وأنه قد احاط علما بكثير من الكتب فى مختلف أنواع الثقافة والمعرفة وكان فى كل ذلك يلم بدقائق العلوم واسرارها . وهذا شأن المخلص لثقافته البصير بعلوم شريعته ولغتها والذى أوتى من نفاذ

البصيرة وتقوى القلب ماجعل له حظا وافراً من تعليم الله سبحانه وتعالى له الذى يفتح على أحبائه وأصفيائه ويلهمهم من أنوار علمه مايضىء لهم طريق الحياة ، وبذلك يفقون على معارف دقيقة وعلوم عظيمة يتفضل الله عليهم بها .

● الشعرانى وعلم الحديث

وقد حبب إلى الإمام الشعرانى علم الحديث حبا جما فلزم الاشتغال به والأخذ عن كبار المحدثين وألف فى الحديث فاختصر السنن الكبرى للإمام البيهقى كما ألف كتاب « كشف الغمة » وقد قرأ الشعرانى على الشيخ نور الدين الجارحى شرخ ألفيه العراقى كما قرأ على القسطلانى كل المواهب وغالب شرحه للبخارى ومن أهم مؤلفاته فى الحديث كتابه « كشف الغمة عن جميع الأمة » وقد وضح الإمام الشعرانى الباعث له على تصنيف هذا الكتاب، وهو وقوع جماعات من المتصوفين فى حدة بسبب اختلاف العلماء وإلحاحهم عليه أن يدون كتابا يشتمل على أدلة المذاهب الأربعة المشهورة وغيرها من صريح السنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين من أقوال المجتهدين التى لم تصرح بأحكامها الشرعية ليعرفوا ماشرعه الرسول ﷺ ويعملوا به فهو الذى يسألون عنه أمام الله تعالى فاستجاب لهذه الرغبة وشرع يجمع فى أحاديث الشريعة وآثارها .

● مكانته العلمية

فى مدرسة « أم خوند » بعيدا عن ضوضاء الحياة ، ولهوها ، وبعيدا عن فتن الناس ودسائسهم ، استقر المقام بالشعرانى وأقبلت عليه أيام المنن ، وأخذ مجده العلمى تتسع جوانبه ، وأخذ مجده الصوفى تمتد أبعاده .

إنه أقام فى تلك المدرسة مجالس للعلم ، وأخرى للعبادة ، وابتدأ طلاب العلم ، وعشاق المعرفة يلتفون حوله ويعبون من منهله كما أخذ المريدون وأهل الحب الالهى والتصوف يقصدونه لالتماس البركة والانتفاع بمجلسه .

وذاع صيته ، وانتشر ذكره وارتفع علمه بين الأرجاء فأمه الكثيرون من الأمراء وأصحاب الوجاهة .

وصار زعيما شعبيا له كلمته وله صوته المسموع فى مصر . وأصبح مطاعا فى استانبول عاصمة الإسلام ، ومقر الخلافة آن ذاك .

وحينما جاء السلطان سليم إلى مصر ـ وهو خليفة العالم الإسلامى يومئذ التف حوله الأمراء والكبراء ، والعلماء والفقهاء كل يلوذ به ويسير فى ركابه ويحف به ، مقدمين له التقدير اللازم والاحترام المطلوب ، إلا أن الشعرانى ظل لايسعى إلى الخليفة ولايذهب إلى ركابه ولم يتقدم منه مثل غيره ، إنه لم يرد أن يقدم للسلطان ماقدموه من آيات الولاء حفظا على كرامته كعالم ، وصونا

لعزته كمؤمن ، واحتراما لمكانته كرجل عابد يقتدى به الكثير ، إنه إذن يرى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

بقى الشعرانى مكانه ، فضرب مثلا رائعا فى مكانة العلم والعلماء تلك المكانة التى من أجلها تبسط الملائكة أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وهى أيضا التى بسببها سيرفع الله ذكره ويرفع قدره .

وكانت الكرامة العظيمة التى يكرم الله سبحانه دائما وأبدا بها أولياءه ، وأحباءه ، وأصفياءه .

فلئن لم يذهب الشعرانى إلى السلطان كما ذهب الكثيرون ، فإن السلطان قد أحس بمكانة الرجل وعلم درجته ، وتعرف على طريقه فماذا ترى السلطان إذن يفعل ؟

وماذا سيكون موقف الشعرانى وقد علم أن السلطان على علم بتخلفه عن المجىء إليه ؟ إنه ظل فى مكانه كما هو حتى جاء السلطان نفسه وشق طريقه إلى الشعرانى فى موكب حاشد : وجمع غفير يخيم على الأمراء العجب وعلى الناس الغرابة ، ولكن حين يعلمون أن للعلم مكانة يرفع الله بها أصحابه الذين صانوه ، وأن للتقوى منزلة يعز الله بها أصحابها ، حين يعلم الناس ذلك لايعجبون .

إنه يوم تارخى حقا لهذين الرجلين ، ومن هذا اليوم لم يعص حاكم للشعرانى أمرا ، ولم يرد له طلبا بعد مارأى من مكانته ، وعرف من منزلته .

وكان لزاوية الشعرانى دور هام فى القرن العاشر الهجرى من الناحية العلمية والتعبدية وكان لها أثر كبير فى الداخل عملا وعلما وعبادة ، وأثر عظيم فى المجتمع المصرى ، فصارت مدرسة للعلم والتعليم ، وزاوية للعابدين والمتصوفين ، ومسجدا للنسك والصلاة ، وقد أوقف القاضى محيى الدين أوقافا كثيرة على تلك الزاوية .

وقد سارع الأمراء والسادة يوقفون عليها أملاكهم وأموالهم وينفقون عليها الكثير من المنح والهدايا لما رأوا ماتقوم به من رسالة سامية ومن تعاليم كريمة .

وتوالى طلاب العلم ، وعشاق المعرفة على تلك الزاوية يؤمونها ويأتون إليها ينهلون من علومها ومعارفها ، ويدرسون فيها العلوم الشرعية والعربية وغيرها ، كما أقبل عليها كثير من المريدين الذين يشقون طريقهم لله على هدى وبصيرة وقد كفل الشعرانى للطرفين من طلاب العلم ، ومن المريدين الراحة والمعيشة ، وهيأ جواً علميا كريما . وجوا روحيا صافيا فى ذلك الوقت .

وهكذا استتبت الحياة واستقرت داخل الزاوية وقامت برسالتها خير قيام ، وصارت لها ميزانية كبيرة ، تقوم بتوفير المعيشة ، وتدبير أمور الحياة للطلاب والمريدين ، محاولا إتمام الحياة بنعمها على تلاميذه وأبنائه فمن لم يتزوج عمل على تزويجه ، ومن لم يحج عمل على أدائه فريضة للحج .

وامتدت رسالة الزاوية إلى خارج الطلاب والمريدين ، إلى سائر الفقراء والمحتاجين .

وبهذا استطاعت الزاوية أن تؤدى رسالة العلم والتصوف على أكمل الوجوه ، وتحولت الزاوية إلى اذاعة ملائكية تتصل فيها قراءة القرآن ليلا ونهارا وتتسع مجالس العلم فيها ، ومجالس الذاكرين ، إنها أصبحت كما يقول الشبلى المؤرخ .

إنه لم ير فى مشارق الأرض ومغاربها خيرا من زاوية الشعرانى علما وفضلا وتصوفا وأدبا .

إن الشعرانى قرأ كثيرا من العلوم والمعارف ، وحفظ واستوعب كثيرا من الثقافات إلا أن ذلك كله لم يأت ولم يكن شيئا مذكورا بجانب العلم الغزير الذى منحه الله له ، وفتح به عليه .

فلقد فتح الله عليه من أبواب المعرفة والعلم الشىء الكثير ، وذلك حين أخذ العهد على شيخه الخواص ولقنه الذكر والأوراد وأخبره بما سيكون عليه شأنه من فتح إلهى عظيم .

ولما فتح الله عليه عرض على شيخه مارأى فقال له :

تم امرك وعلا شأنك وروى قلبك فابق على ماتكتب.فسجل الشعرانى تلك الفيوضات فى كتابه : « الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية » .

وقد أقبل الشعرانى على التأليف والكتابة فى كثير من فروع العلم والمعرفة ، فى شتى علوم التصوف والفقه والأصول والتفسير والحديث والنحو والطب والكيمياء والأخلاق وغيرها واستغرق بعضها خمسة مجلدات .

ويتحدث شيخ الإسلام الفتوحى الحنبلى عن مكانته العلمية قائلا : إن الشعرانى قد أحاط من العلم بما لم يحط به . وقد قرأ من الكتب مالا يعرف له اسما ، وإنه لو ادعى تأليفها ماوجد فى مصر منازعا .

وكثرة توجيهه وتقريره لجميع مذاهب المجتهدين وتأليفه كتبا كثيرة ابتكرها ولم يسبق إليها ، وإجازة العلماء من أهل المذاهب الأربعة لمؤلفاته .

يتبين ذلك كله بما وضحه فى كتابه المنن إذ يقول :

ومما من الله تبارك وتعالى به علىَّ مطالعتى لكتب أئمة المذاهب الثلاثة زيادة على مذهبى وذلك اننى لما تبحرت فى مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه احتجت إلى معرفة المسائل المجمع عليها بين الأئمة ، أو التى اتفق عليها ثلاثة منهم وذلك لأجتنب العمل بما منعوه وأمتثل أمرهم فيما أمرونا به وإن لم يكن مذهبى فأعمل لما أجمعوا عليه أو اتفق عليه ثلاثة منهم على وجه الاعتناء والتأكيد أكثر مما انفرد به واحد أو اثنان لأن ماأجمعوا عليه ملحق بنصوص الشارع ﷺ ، فمما طالعته

مقارىء الحديث

لقد انتشرت فى مصر مقارىء للقرآن الكريم وأخرى للحديث الشريف ، ومقارىء جمعت بين القرآن والحديث ، ولئن قلّت أو كادت لاتوجد هذه المقارىء إلا أنه يوجد حتى الآن بعض المقارىء التى أعرفها شخصيا فى الشرقية منها فى قرية الجوسق « مقرأة » لصحيح البخارى فى بيت آل حجازى اكرمهم الله .

ومنها مقارىء جامعة بين القرآن والحديث والمأثورات ودلائل الخيرات فى الساحة الهاشمية ببلدنا بنى عامر . . ونقدم للقراء هذا البحث المستفيض عن تلك المقارىء :

فى كتب الحنفية شرح الكنز وشرح مجمع البحرين والحدادى وفتاوى قاضى خان وشرح القدورى والبزازية والخلاصة وشرح الهداية وتخريج أحاديثها للحافظ الزيلعى وهو كافل بأدلة الحنفية كلها وكنت أراجع فى مشكلات هذه الكتب الشيخ نور الدين الطرابلسى والشيخ شهاب الدين الشلبى والشيخ شمس الدين الغزى الكبير وغيرهم رضى الله تعالى عنهم .

وطالعت من كتب المالكية المدونة الكبرى ثم اختصرتها وهى عشرة مجلدات وطالعت كتاب الموطأ وشروح رسالة ابن أبى زيد وشرح مختصر الشيخ خليل وكتب ابن عرفة وابن فرحون وكانت مطالعتى للمدونة باشارة رسول الله ﷺ وكنت أراجع فى مشكلات هذه الكتب الشيخ شمس الدين اللقانى والشيخ شرف الدين الخطاب والأخ الصالح الشيخ عبدالرحمن الأجهورى وغيرهم رضى الله تعالى عنهم .

وطالعت من كتب الحنابلة الخرقى وعدة مختصرات قالوا ولم يدون الإمام أحمد له مذهبا وإنما مذهبه الآن ملفق من صدور أصحابه فإنه كان مذهبه الحديث وكان يقول أستحى من رسول الله ﷺ أن أتكلم فى معنى كلامه فقد لايكون ذلك مراده ، وكان رضى الله تعالى عنه يقول : أو لأحد كلام مع رسول الله ﷺ ؟

وبلغنا أنه وضع فى أحكام الصلاة نحو ثلاثين مسألة . ومما يبرز لنا مكانه العظيم فى أنه منح الفهم فى كتاب الله تعالى يستخرج من كنوزه المكنونة ، ومن نفائسه المصونة كثيرا من العلوم والمعارف التى تتفتح له آفاقها اللدنية ، وهذا من خصوصيات الذين كشف الله لهم الحجب ومنحهم من فيوضاته الشىء الكثير .

يقول الشعرانى عن ذلك [1] :

ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على أنه تعالى أعطانى الفهم فى القرآن العظيم وهو مقام عظيم قل من أعطيه من الفقراء « وكان سيدى إبراهيم المتبولى يقول أعطيت استخراج العلوم من القرآن العظيم من فقه وأصول ونحو ومعان وبيان وجدل وعروض وغير ذلك فلو جلس إلى منصف نظيف القلب من الأدناس خال من الحسد لبينت له مادة كل علم وأوضحت له ذلك حتى لايبقى عنده فى ذلك شك ولكن السالم مما ذكرتها قليل وجوده » .

وأيضا فمما منحه الله تعالى من العلم أنه استوعب المذاهب الأخرى كما يقول :

ومما أنعم الله تبارك وتعالى به على كثرة توجيهى وتقريرى لجميع مذاهب المجتهدين حين تبحرت فى علومهم حتى كأنى فى حال تقريرى لها واحد منهم وربما ظن الداخل على وأنا أقرر فى

(١) المنن : للشعرانى .

المحلى لجمع الجوامع وحاشية ابن أبى شريف وكتاب اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر وكتاب الجوهر المصون فى علوم كتاب الله المكنون وهو مشتمل على نحو ثلاثة آلاف علم منثورة على سور القرآن، وكتاب طبقات الصوفية وهى من أبى بكر الصديق رضى الله عنه إلى ختام سنة ستين وتسعمائة ذكرت فيه مناقب كل من كان له كلام أحفظه فى الحقيقة أو الشريعة لاغير. وذكرت فيه العلماء الأحياء والفقراء الأحياء الذين وقع لى بهم صحبة ومما صنفته كتاب مفحم الأكباد فى بيان مواد الاجتهاد ، وكتاب حد الحسام على من أوجب العمل بالالهام ، وكتاب التتبع والفحص على حكم الالهام إذا خالف النص ، وكتاب البروق الخواطف لبصر من عمل بالهواتف ، وكتاب رسالة الأنوار فى آداب العبودية ، وكتاب كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان وهى نيف وسبعون سؤالا فى التوحيد سألنى عنها علماء الجان ، وكتاب فرائد القلائد فى علم العقائد ، وكتاب الجواهر والدرر جمعت فيه ماسمعته من العلوم والأسرار من سيدى على الخواص رحمه الله تعالى ، وكتب الكبريت الأحمر فى بيان علوم الكشف الأكبر ، وكتاب الاقتباس فى علم القياس وكتاب تنبيه المغترين فى القرن العاشر على ماخالفوا فيه سلفهم الطاهر وغير ذلك مما سرت به الركبان .

وقد بين صاحب المناقب الكبرى أن مصنفات الإمام الشعرانى جاوزت الثلاثمائة كتاب فى شتى أنواع العلوم كالتفسير والحديث والفقه والتصوف والطب واللغة ومن أشهرها : الطبقات الكبرى والميزان فى الفقه المقارن واليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر ولوامع الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية ، ولطائف المنن والأخلاق إلى غير ذلك .

وقد أجاز العلماء من أهل المذاهب الأربعة لمؤلفاته ومدحوها وأثنوا عليها أطيب الثناء مما يدل على عظمته العلمية .

وقد حاز الشعرانى حب أشياخه ورضاهم تلك نعمة عظيمة من نعم الله تعالى عليه لأن هذا الرضا من الأشياخ عنوان على رضا الله لأنهم واسطة بين العبد وبين ربه فى السلوك .

ومما يشهد بالمكانة العلمية له قول كثير من المستشرقين كقول فولدرز :

إن الشعرانى كان من الناحية العلمية والنظرية محدثا من الطراز الأول، وكان فى الوقت نفسه كاتبا بارزا أصيلا فى ميدان الفقه وأصوله وكان مصلحا لايكاد الإسلام يعرف له نظيرا وإن كتبه التى تجاوزت السبعين عدا من بينها أربعة وعشرون كتابا يعتبر ابتكارا محضا أصيلا لم يسبق إليه ولم يعالج فكرتها أحد قبله .

ويقول المستشرق ماكدونالد : إن الشعرانى كان رجلا دراكاً نفاذاً مخلصا واسع العقل .

علم المحدثين وعمدة النقاد

الحافظ شرف الدين الدمياطى

٦١٣ - ٧٠٥ هـ ١٢١٧ - ١٣٠٦م

عاش الحافظ أبومحمد شرف الدين عبدالمؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف الدين التونى الدمياطى - ويعرف بابن الماجد - حياته الطويلة الحافلة فى الفترة من أوائل القرن السابع الهجرى إلى أوائل القرن الثامن .

وهى فترة حفلت بأحداث جد خطيرة شغلت العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، كان من أبرزها خطراً وأعمقها أثراً سقوط الخلافة الإسلامية فى بغداد سنة ٦٥٦هـ ، وماصاحب ذلك من موجات الغزو المتتالية على البلاد الإسلامية من التتار والمغول والصليبيين .

وقد تميزت هذه الفترة بطائفة من العلماء والفقهاء الذين عاصروا الحافظ الدمياطى ، من أمثال سلطان العلماء العز بن عبدالسلام ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، والحافظ زكى الدين المنذرى ، والشرف اليونينى ، والحافظ بن مَسْدى ، وأبى شامة المقدسى ، وابن دقيق العيد ، ونصير الدين الطوسى ، وابن خلكان ، وطائفة أخرى أدركت هؤلاء وأخذت عنهم ، ولحقت بعصرهم ، منهم الحفاظ المشاهير : المزِّى والذهبى والبرزالى وابن ناصر الدين ، وابن كيكلدى والتقى السبكى وغيرهم . . . .

وكان لهؤلاء العلماء أثرٌ كبير فى مجرى الأحداث السياسية والأحوال العامة ، التى زخر بها هذا العصر ، بما قدموه من الفتاوى الفقهية والآراء الاجتهادية والمؤلفات الهامة ، وبما أبدوه من المشاركة الفعالة فى جميع ماشغل أولى الأمر والحكم فى العالم الإسلامى عصرئذ ، مما حفظ على المسلمين كلمتهم ، ووحد صفوفهم وجمع شملهم ، ورفع لواء دينهم وصان شريعتهم وأحكامها .

(١) مقدمة المتجر الرابح فى ثواب العمل الصالح للدمياطى تحقيق محمد رضوان وعبدالملك بن دهيش .

فى هذه الفترة الخطيرة ، فى سنة ثلاث عشرة وستمائة منها ، ولد حافظ عصره ومسند وقته الحافظ الدمياطى فى « تونة » من عمل مدينة تنِّيس [تعرف الآن بكوم سيد عبدالله بن سلام فى جزيرة ببحيرة المنزلة] . وكانت نشأته بمدينة دمياط أحد ثغور البلاد المصرية العامة ، وفيها تفقه فى مذهبه وقرأ القراءات على الأخوين الإمامين أبى المكارم عبدالله وأبى عبدالله الحسين ابنى منصور السعدى وسمع بها الحديث منهما ، ومن الشيخ أبى عبدالله محمد بن موسى بن النعمان وهو الذى أرشده لطلب الحديث ، بعد أن كان مقتصرا على الفقه وأصوله على مذهب الإمام الشافعى ، وكانت سِنه عندما طلب الحديث ثلاثا وعشرين سنة .

ثم انتقل إلى الإسكندرية ، فسمع بها فى سنة ست وثلاثين وستمائة على الجم الغفير والعدد الكثير من علمائها وبخاصة من أصحاب الحافظ أبى طاهر السلفى ، ثم قدم القاهرة وعُنى بهذا الشأن رواية ودراية ، ولازم الحافظ زكى الدين عبدالعظيم المنذرى ، فسمع عليه وأخذ عنه .

وفى سنة ثلاث وأربعين حج إلى الحرمين الشريفين ، وارتحل إلى الشام سنة خمس وأربعين ، وإلى الجزيرة وإلى العراق مرتين .

وفى هذه البلاد أخذ عن شيوخها وسمع عليهم وانتفع منهم .

كما أنه سمع على شيوخ دمشق وحماة وحلب التى لازم فيها الحافظ أبا الحجاج يوسف بن خليل - وماردين وبغداد ، وفيها خرَّج أربعين حديثاً لأمير المؤمنين المستعصم بالله أبى أحمد عبدالله بن المستنصر بالله العباسى ، آخر الخلفاء العباسيين ببغداد .

وكانت أكثر إقامته فى دمشق والقاهرة ، وفيها نشر علمه وانتفع به الطلاب وأخذ عنه الفقهاء والعلماء ، وبلغ فى العلم مكانة مرموقة حدت بالإمام تاج الدين السبكى أن يصفه فى طبقات الشافعية الكبرى : « بحافظ زمانه ، وأستاذ الأستاذين فى معرفة الأنساب ، وإمام أهل الحديث المجمع على جلالته ، الجامع بين الدارية والرواية بالسند العالى القدر . . . . » . كما جعلت المؤرخ صلاح الدين بن شاكر الكتبى فى كتابه « فوات الوفيات » يصفه : « بالإمام البارع الحافظ النابه المجود علم المحدثين ، عمدة النقاد . . . . » . كما قال عنه الحافظ المزى : مارأيت أحفظ منه . وكما يقول البرزالى : « كان آخر من بقى من الحفاظ وأهل الحديث أصحاب الرواية العالية والدراية الوافرة » . وكما يقول الذهبى فى معجمه : « العلامة الحافظ الحجة أحد الأئمة الأعلام وبقية نقاد الحديث » . وكما وصفه الإمام أبوحيان الأندلسى : « بحافظ المشرق والمغرب » .

ولاشك أن ماذكره هؤلاء العلماء عنه يعبرّ بصدق وحق عن قيمة هذا الإمام الجليل الذى بلغ فى علوم عصره ، وخلَّف من المصنفَات الجليلة مايشهد بعلو كعبه ورفعة منزلته بين معاصريه ، كما يوضح مكانة من أخذ عنهم وسمع عليهم من العلماء الكبار فى العلم الإسلامى فى أمثال : بن المُقَيرَّ ويوسف بن عبدالمعطى المَحَلىِّ والعَلَم بن الصابونى والكمال بن الضرير وابن العلّيق وابن

قميرة وموهوب الجواليقى وهبة الله بن محمد بن مفرج الواعظ وشعيب بن الزعفران وابن رواح وابن رواحة وابن الجميزى والرشيد بن سلمة ومكى بن علّان ، وأصحاب السِّلفى ، وشُهده وابن عساكر ، وخلق من أصحاب المحدث ابن شاتيل والقزاز وابن برِّى النحوى وابن كليب وابن طبرزد وحنبل والبوصيرى والخشرى . وقد بلغ عدد شيوخه ـ كما ذكر الحافظ بن حجر فى الدرر الكائنة ـ ألفا ومائتين وخمسين شيخا [1] .

ومع جلالة قدر هؤلاء الشيوخ ورفعة منزلتهم كانت للحافظ الدمياطى مكانة رفيعة أتاحت له أن يُملىَ ويحُدِّث فى حياتهم ، ويحتل بينهم مركزاً مرموقاً جعل كثيراً من رفقائه وقرنائه يأخذون عنه ويسمعون منه ويكتبون أماليه .

ومن مشاهير العلماء الذين تتلمذوا على الحافظ الدمياطى وأخذوا عنه : الصاحب كمال الدين بن العديم ، وأبو الحسين اليونينى ، والقاضى علم الدين الأختائى ، وعلم الدين القونوى ، والشيخ أثير الدين أبو حيان النحوى ، والحافظ فتح الدين بن سيد الناس ، والعلم البرزال ، والزكى المِزّى ، والعمر النويرى ، ومحيى الدين النواوى ، وتقى الدين السبكى الذى كان أكثرهم ملازمة له وأخصهم بصحبته ، وهو آخر خلق الله من المحدثين به عهداً .

لقد كانت للحافظ الدمياطى فى حياته وجاهة وحرمة وجلالة ، فقد كان موسعاً عليه فى الرزق ، وتولى مناصب علمية هامة كمشيخة الظاهرية والمنصورية ، وكان جميل الصورة جدًّا ، مليحَ الهيئة ، حسنَ الخلق ، بساما ، نقيَّ الشَّيْبة ، فصيحاً لغويًّا ، مقرئاً سريع القراءة ، جيدَ العبارة كبيرَ النَّفْس ، كثير التفنن حسنَ المذاكرة ، حسنَ العقيدة .

وتلك صفات إذا اجتمعت لأحد ، حفظت عليه حرمته ورفعت درجته وصانت كرامته . فما بالك إذا اقترنت بهذه الصفات المنزلةُ العاليةُ فى العلم والمعرفةُ وجودةُ التصنيف .

● **وفاته**

وقد ظل الدمياطى طول حياته يصنف ويجمع ويدرس فى جميع الفنون وبخاصة علوم الحديث ، حتى مات فجأة حين صعد إلى بيته فغشى عليه فى السلم ـ كما يقول ابن حجر ـ أو كما يقول ابن تغرى بردى . كانت وفاته فجأة بالقاهرة بعد أن صلى العصر غشى عليه فى موضعه . فحمل إلى منزله فمات من ساعته ، وكان ذلك فى يوم الأحد الخامس عشر من ذى القعدة سنة خمس وسبعمائة للهجرة النبوية ، ودفن فى مقابر باب النصر بالقاهرة ، وصلىَ عليه بدمشق صلاة الغائب . رحمه الله تعالى وعفا عنه ونفعنا ببركته وعلمه .

---

(١) راجع معجم شيوخ الدمياطى (ويوجد منه الجزء الثالث فقط فى مكتبة الأزهر بالقاهرة برقم ٣٢٦ مصطلح وعليه سماعات وإجازات مؤرخة سنة ٦٨١ وعليها أيضا خط المؤلف .

● مصنفاته

ذكرت المصادر التى ترجمت للدمياطي عدداً من مصنفاته ، وصل بعضها إلى علمنا ولم يصل إلينا بعضها الآخر ، وربما كانت له مصنفات أخرى لم يذكرها المترجمون له ولم تحفظ لنا المكتبات منها شيئا بين مقتنياتها ، وهاهى أسماء ماأمكننا جمعه من تأليفه مرتبة أبجدياً .

١ـ أخبار عبدالمطلب بن عبد مناف .

٢ـ أخبار بنى نوفل .

٣ـ الأربعون الأبدال فى تساعيات البخارى ومسلم (انظر رقم ٩) برنامج المكتبة الخالدية بالقدس ٧٦ [١]

٤ـ الأربعون الحلبية فى الأحكام النبوية .

٥ـ الأربعون فى الجهاد .

٦ـ الأربعون المتباينة بالإسناد المخرجة على الصحيح من حديث أهل بغداد .

٧ـ الأربعون الصغرى «مختصر الكتاب السابق» .

٨ـ التسلىّ والاغتباط بثواب من تقدم من الأفراط [دار الكتب ١٦٠ حديث م] .

٩ـ جزء فيه أحاديث عوال وأبدال وموافقات وتساعيات ومصافحات وأناشيد ومقطعات Esc. 1800, 12 (الاسكوريال بمدريد) .

١٠ـ ذكر أزواج النبى ﷺ وأولاده وأسلافه .

١١ـ السيرة النبوية (لعله الكتاب الآتى برقم (٢٠) .

١٢ـ العقد المثمن فيمن اسمه عبدالمؤمن .

١٣ـ فضل الخيل « منه نسخ خطية فى باريس ٢٨١٦ ، أيا صوفيا ٤١٥٨ ، أسعد أفندى ١٨٢٤ ، وهو مطبوع » .

١٤ـ قبائل الخزرج « ويسمى أيضا : أخبار قبائل الخزرج أخى الأوس » .

١٥ـ كشف المغطى فى تبين الصلاة الوسطى « دار الكتب ٥٩٣ حديث » .

١٦ـ المائة التساعية فى الموافقات والأبدال العالية .

١٧ـ المتجر الرابح فى ثواب العمل الصالح .

١٨ـ المجالس البغدادية .

١٩- المجالس الدمشقية .

٢٠- مختصر فى سيرة سيد البشر - خ .
Bank xv 1007. (بانكبور بالهند)

٢١- معجم شيوخ الدمياطى (١-٣) الجزء الثالت ففط بالمكتبة الأزهرية برقم ٣٢٦ مصطلح .

٢٢- حواش على البخارى بهوامش نسخته .

٢٣- حواش على مسلم بهوامش نسخته .

هذه هى أسماء المؤلفات التى جمعناها من الكتب التى ترجمت له وهى المذكورة فى مصادر ترجمته بعد قليل بالإضافة إلى ماجاء فى فهارس دار الكتب المصرية والأزهرية ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وتاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان .

مصادر الترجمة

١- تذكرة الحفاظ	للذهبى	المتوفى سنة ٧٤٨هـ ٤ : ١٤٧٧ (طبع الهند ١٣٧٧/١٩٥٨م)
٢- طبقات القراء	للذهبى	المتوفى سنة ٧٤٨هـ ٤ ٥٨٢ (طبع القاهرة ١٩٦٩ بتحقيق الشيخ محمد سيد جاد الحق)
٣- فوات الوفيات	لابن شاكر الكتبى	المتوفى سنة ٨٦٤هـ ٢ : ١٧ (طبع بولاق ١٢٨٣)
٤- مراة الجنان	لليافعى	المتوفى سنة ٧٦٨هـ ٤ : ٢٤١ (طبع الهند ١٣٧١)
٥- طبقات الشافعية	للسبكى	المتوفى سنة ٧٧١هـ ٦ : ١٣٢ (طبع المطبعة الحسنية)
٦- تاريخ علماء بغداد	لابن رافع السلامى	المتوفى سنة ٧٧٤هـ ١٢٠ . ١٣٢ (طبع بغداد ١٣٥٧)
٧- الدرر الكامنة	لابن حجر	المتوفى سنة ٨٥٢هـ ٢ : ٤١٧ (طبع الهند ١٣٥٠)
٨- النجوم الزاهرة	لابن تغرى بردى	المتوفى سنة ٨٧٤هـ ٨ . ٢١٨ (طبع دار الكتب)
٩- المنهل الصافى	لابن تغرى بردى	المتوفى سنة ٨٧٤هـ ٣ ، ٣٥٤ (مخطوطة دار الكتب رقم ١١١٣)
١٠- حسن المحاضرة	للسيوطى	المتوفى سنة ٩١١هـ ١ : ١٦٧ (طبع مصر)
١١- شذرات الذهب	لابن العماد	المتوفى سنة ١٠٨٩هـ ٦ : ١٢ (طبع القاهرة ١٣٥١)
١٢- درة الحجال	لابن القاضى	

المحدثون المصريون
من القرن الحادى عشر
حتى القرن الرابع عشر الهجرى

محدث العصر وعلامة مصر الامام
عبدالرؤوف المناوى

هو الإمام عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن على الحدادى المُناوى بضم الميم كما فى كشف الظنون .

كان أعلم معاصريه بالحديث وأكثرهم فيه تصنيفا وإجادة وتحريراً .

وصفه الحافظ المقرى فى فتح المتعال بالعلامة محدث العصر علامة مصر .

وقال عنه : لقيته وزرته فى بيته وجاءنى إلى منزلى ثم نقل عن شرحه الكبير على الجامع الصغير ، فقال الذى مزج فيه الشرح بالمشروح امتزاج الحياة بالروح .

ولد سنة ٩٥٢ ، ومات بمصر سنة ١٠٣١ ، وأخذ التفسير عن النور على بن غانم المقدسى والنجم الغيطى والشمسى الرملى وأخذ التصوف عن جماعة منهم الشيخ منصور الغيطى والشعرانى وغيرهم .

ولم يخل من طاعن وحاسد حتى دس عليه السم لكون أهل عصره كانوا لايعرفون مرتبة علمه لانزوائه عنهم وانقطاعه للتصنيف .

ومن تصانيفه فى الحديث وعلومه شرح على متن النخبة كبير وآخر صغير ، وشرح على شرح النخبة سماه « اليواقيت والدرر » وشرح على الجامع الصغير سماه : « فيض القدير » فى عدة مجلدات ضخمة .

وشرح قطعة من زوائد الجامع الصغير سماه « مفتاح السعادة » وله كتاب جمع فيه ثلاثين ألف حديث بين فيها من الزيادة على « الجامع الكبير » وعقب كل حديث بيان رتبته سماه « الجامع الأزهر من حديث النبى الأنور » وهو فى ثلاثة مجلدات ، وكتاب آخر فى الأحاديث القصار عقب كل حديث بيان رتبته سماه « المجموع الفائق من حديث خاتمة رسل الخلائق » .

وكتاب انتقاه من لسان الميزان بين فيه الموضوع والمنكر والمتروك والضعيف ورتبه كالجامع الصغير . وكتاب فى الأحاديث القصار جمع فيه عشرة آلاف حديث سماه « كنز الحقائق فى حديث خير الخلائق » رتبه على حروف المعجم وله شرح على الأربعين النووية .

وله كتاب فى الأدعية المأثورة وكتاب فى اصطلاح الحديث سماه « بغية الطالبين لمعرفة إصطلاح المحدثين » والطبقات الكبرى سماها « الكواكب الدرية والصفوة بمناقب آل بيت النبوة والاتحافات السنية بالأحاديث القدسية » مرتبة على حروف المعجم .

الامام المحدث الشيخ الشرقاوى

هو[1] من أعلام العلماء ، والمحدثين الفضلاء جمع بين العلم والعمل ، وخدمة الإسلام والوطن ، فكان عالما دينيا ، وزعيما وطنيا ، يدافع عن الوطن الإسلامى ويجاهد فى سبيل الله ، وإلى جانب هذا فقد كان متعدد المواهب غزير العلم والتصانيف ألف فى السنة وفى شرح الحديث كتابه القيم « فتح المبدىء شرح مختصر الزبيدى » وألف فى العقائد والفقه واللغة والتفسير .

الشيخ الامام عبدالله الشرقاوى

وهو[1] الإمام الشيخ عبدالله بن حجازى بن إبراهيم الشافعى الأزهرى الشرقاوى ، ولد فى قرية الطويلة من ضواحى بلبيس بالقرب من قرية القرين فى محافظة الشرقية سنة ١١٥٠هـ ومنها أخذ نسبته .

حفظ فى طفولته القرآن الكريم فى القرين حيث نشأ بها ، وتطلع إلى المعرفة ، فشد رحاله إلى الجامع الأزهر حيث درس على كثير من أعلام علمائه مثل الشهاب الملوى والشهاب الجوهرى ، والعلامة الشيخ على الصعيدى والشيخ الإمام الحفنى ، والشيخ الإمام الدمنهورى ، ومال بفطرته الطبيعية إلى التصوف فتلقن مبادىء الطريقة الخلوتية على الإمام الشيخ الحنفى فاستولى عليه التدله والذهول والهيام كما يسميه الصوفية بالجذب وثاب إلى نفسه بعد أيام ، ثم اتصل بالصوفى الشهير العارف بالله الشيخ محمود الكردى ولازمه ، فرباه وأرشده وقطع به مدارج الطريق ، ولقنه أسراره فأصبح فى مقدمة المريدين وطليعتهم .

وقد تقلبت به الأحوال فتجرع مرارة الفقر كما ذاق حلاوة اليسر ، وعاش فى ظلال الخمول والنسيان كما عاش تحت أضواء الجاه والسلطان ، فاستفاد خبرة وتجربة ضمها إلى ماستفاده من علم وعرفان وإلى ماأحرزه من مجاهدة وروحية فى مجال السلوك الصوفى ، فصقلته التجارب وهذبته المعارف وزكته النفحات .

وبهذا نال الصدارة فى دنياه ، وفاز بالزلفى إلى الله فى أخراه .

ذكر الجبرتى فى تاريخه أنه كان فى قلة من خشونة العيش وذاق مرارة الحياة فلا يطبخ فى داره إلا نادرا ، وبعض معارفه كانوا يواسونه ويرسلون إليه الصحفة من الطعام أو يدعونه ليأكل

---

(١) نقلا عن كتاب مشيخة الأزهر تأليف الأستاذ على عبدالعظيم .

معهم . . ولما عرفه الناس واشتهر ذكره وصله بعض تجار الشام وغيرهم بالهدايا والصلات ، فراجت حاله . وتجمل بالملابس . . . ولما توفى الشيخ الكردى كان من جملة خلفائه ، وضم إليه أشخاصا من الطلبة والمجاورين الذين يحضرون دروسه ، يأتون إليه فى كل ليلة يذكرون معه ويعمل لهم فى بعض الأحيان ثريدا . . . ثم اشترى له دارا وساعده فى ثمنها بعض من كان يعاشره من المياسير ، واستمر على حالته حتى مات الشيخ أحمد العروسى فتولى بعده مشيخة الجامع الأزهر ، فزاد فى تكبير عمامته وتعظيمها ، حتى كان يضرب بعظمها المثل . . . « وكان ولايته هذا المنصب بإشارة من الشيخ محمد بن أحمد الجوهرى صاحب النفوذ الكبير » .

وفى حياته ألمت بمصر أحداث جسام ، حملته فى غمارها إلى القمة وكادت تقذف به إلى الأعماق ، وتورده موارد الهلاك ، لولا ماكان يتمتع به من مكانة علمية ومنصب جليل وقيادة شعبية ، رفعته إلى الزعامة الوطنية ، وجعلته متأثرا بهذه الأحداث ومؤثرا فيها إلى حد كبير .

هذه الأحداث تتعلق بالحملة الفرنسية على مصر ، وسنشير بعد قليل إليها ، ولما تولى مشيخة الأزهر تعرض لأحقاد ومؤامرات عديدة شأنه فى هذا شأن كل من ولى منصبا كبيرا تتطلع إليه الأبصار ، وتتعلق به الأهواء والرغبات ، فقد كان الشيخ مصطفى الصاوى يتطلع إلى هذا المنصب ويرى نفسه جديرا به ، فلما أفلت منه تشبث بالتدريس فى المدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الإمام الشافعى وهو منصب كان موقوفا على من يلى مشيخة الأزهر ، ويتناول فى مقابله مبلغا كبيرا من المال ، وكان الشيخ أحمد العروسى شيخ الأزهر السابق قد تعرض لمثل هذا الموقف حيث نازعه فى التدريس بهذه المدرسة الشيخ محمد المصيلحى الضرير الذى كان يرى نفسه أحق بالمشيخة من العروسى ، فتنازل العروسى له عن الدراسة بها حسما لدواعى الخلاف ، ولما مات المصيلحى تعفف العروسى عنها وأجلس فيها الصاوى - فى التدريس بالمدرسة الصلاحية ، ولكن بعض حاشية الشيخ الشرقاوى حرضوه على إبعاد الصاوى عن هذه المدرسة ، وألقوا فى روعه أن مشيخته لاتتم إلا بالتدريس فيها ، وظلوا ينفثون فى روعه هذه الفكرة بضعة أشهر وكان الشيخ الإمام يثق فى نصيحتهم إياه ، فتحدث فى ذلك مع الشيخ محمد بن الجوهرى وأيوب بك الدفتردار ، فوافقاه على التمسك بحقه ، فذهب فى جماعة كبيرة إلى المدرسة وألقى بها درسا ، فغضب الشيخ الصاوى واتصل بأصدقائه من كبار المماليك فعقد مجلسا فى بيت الإمام الشرقاوى حضره الصاوى وأعوانه ، فقال الشيخ الإمام : اشهدوا ياجماعة أن هذه الوظيفة استحقاقى وقد تنازلت له عنها ، فقال له الصاوى : ارجع أما الآن فلا ، ولاجميل لك الآن فى ذلك ، وحدث أخذ ورد ، وانتهى المجلس إلى ترك التدريس للشيخ الصاوى وظل يقوم بهذه المهمة حتى مات ، فقام الشيخ الإمام بالتدريس فيها دون منازع .

والتدريس موهبة علمية تستولى على قلوب كثير من كبار العلماء ، فيرون فى التدريس زكاة

روحية عن علمهم ، وأداء لحق الله وحق العباد عليهم وإشباعا لهوايتهم العلمية وموهبتهم البلاغية ولاتحول المناصب الكبرى بينهم وبين أداء هذا الواجب الكريم .

وفى العصر الحديث يقوم مقام التدريس عند أصحاب هذه المناصب إلقاء المحاضرات العامة ، والكتابة فى الصحف والمجلات ، وإذاعة الأحاديث فى الإذاعات المسموعة والمرئية « التليفزيون » .

وبعد عدة أشهر طمع القائمون على المدرسة فى المكافأة الموقوفة على من يقوم بالتدريس فيها ، فلم يدفعوا شيئا للشيخ الإمام ، وأخذوا يدسون له عند الباشا الوالى حتى أوغروا صدره عليه ، وهم الوالى بعزله عن المشيخة ثم أمره أن يلزم داره ولايبارحها فتدخل القاضى - ومنصب القضاء كان موقوفا على الأتراك - عند الوالى فأزال مابينهما من جفاء ، وتنازل الشيخ الإمام عن التدريس ، وأناب عنه الشيخ محمد الشبراوى فأراح واستراح ، ولكنها كانت راحة موقوتة لأن الراحة لايمكن أن يظفر بها من يتصدرون للقيادة وماتفرضه عليهم من أعباء جسام ، وماتعطيه لهم من جاه وسلطان ، وماتستدعيه من منافسات وأحقاد .

فما كادت فتنة المدرسة الصلاحية تزول حتى فكر أعداء الشيخ الإمام فى الكيد له ، وتذكروا منصبا كبيرا خاصا بالأزهر كان يتيح لمن يشغله السيطرة على شئون الأزهر ، هذا المنصب يقوم به « ناظر الأزهر » فقد كان الخليفة العزيز بالله ووزيره ابن كلس ، يشرفان على جميع شئون الأزهر ويعاونهما خطيب المسجد ، وظل الأزهر موكولا إلى أحد الحكام أو الأمراء .

وفى عهد الدولة الأيوبية أهملت الدولة أمر الأزهر ، لأنه كان فى نظرها يمثل الدعوة الشيعية ، لأن المذهب الشافعى ، وهو المذهب الرسمى للدولة - يحتم الاقتصار فى صلاة الجمعة على مسجد واحد جامع فى المدينة ، فاستبدل الأيوبيون بالأزهر غيره . وفى عهد المماليك استرد الأزهر مكانته ، فأسند الملك الظاهر برقوق سنة ٧٨٤م ولاية النظر على الجامع الأزهر إلى الطواشى بهادر مقدم المماليك السلطانية . . . . وفى عهد السلطان المؤيد جعل نظارة الأزهر إلى الأمير سودوب القاضى حاجب الحجاب ، ثم عهد بها بعده إلى شمس الدين محمد الماجورى أحد كبار المشتغلين بتجارة الجواهر ، وكان هذا الإشراف مقصورا على الناحية الإدارية مما يتعلق بإصلاحه وتعميره والإنفاق عليه وتعيين الموظفين اللازمين لإدارته . . فلما اقتضت العناية بالأزهر إنشاء شيخ له يتولى جميع شئونه العلمية والإدارية والروحية لم يعد هناك مبرر لقيام « ناظر » يشرف على شئونه الإدارية ، وكان للشيخ أن يختار من يعاونه فى الإشراف على هذه الشئون .

تذكر أعداء الشيخ الإمام منصب النظارة ، فأجمعوا أمرهم على إحيائه مكايدة منهم له ، فتألف حزب بزعامة الشيخ محمد الأمير ، اتصل بكثير من ذوى الرأى ، وأعلن الجميع تعيين الشيخ محمد الأمير ناظرا للأزهر ، وكتبوا تقريراً بذلك أقره القاضى العثمانى وختم عليه الشيخ

السادات والسيد عمر النقيب وكبار أعوانهما من مشايخ الأزهر ، وقام الشيخ الأمير بنشاط كبير فى الإشراف على الخدمة فى المسجد بنفسه وبمساعدة ابنه ، وبذل عناية كبيرة بنظافته وتنظيمه وإنارته ، ولكن الشيخ الشرقاوى استطاع بحكمته ولباقته وسماحته أن يسمو فوق هذه المنازعات .

أما الحملة الفرنسية على مصر ، فقد تمت فى عهد الشيخ ولقيت مقاومة شديدة من الشعب تحت قيادة علمائه الأعلام ، فأبلى الشيخ بلاء حسنا فى هذه المقاومة ولقى فيها مشقة وعناء ، فكان يطفو على أمواج هذه الثورة إلى القمة ويكاد ينحدر منها إلى القرار .

ومن الخير أن نبدأ بذكر نبذة عن الحملة الفرنسية ، ثم نتبعها بذكر ماحمله الشيخ الإمام فى هذه الثورة من أعباء جسام أبلى فيها وابتلى بها فأثر فيها وتأثر بها ، وأدى واجبه العلمى والوطنى بقدر ماأسعفته الظروف .

● الحملة الفرنسية

بعد الحروب الصليبية استيقظت أوروبا من سباتها العميق ، فاقتبست الحضارة الإسلامية ، واستغلت الحضارة الأغريقية والرومانية وتخلصت من معظم القيود والأغلال التى كبلتها مئات السنين ، على حين تخلفت الأمم الإسلامية وتمزق شملها وغطت فى سبات عميق .

ففى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع ، تطلعت دول أوروبا إلى استغلال الشرق العربى وماتضمه دوله من ثراء عريض ، وجذبها إليه أنه الطريق للسيطرة على التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، وأطمعهم فى هذا ضعف الخلافة العثمانية صاحبة السيادة على الدول العربية ، وسهل لهم هذه المهمة أن مصر التى وقفت صامدة كالجبل الشامخ أمام الغزوات الصليبية . أصابها الضعف والتخلف وأصبحت خاضعة لقوى عديدة متضاربة مزقتها شر تمزيق ، فقد كان الحكم للدولة العثمانية ويمثلها وال تركى تتم توليته عن طريق تقديم الرشاوى الكثيرة لحاشية الخليفة ، فإذا تم تعيينه حرص على أن يعوض أضعاف أضعاف ماقدمه من رشاو ، لأنه يعلم أن منصبه مؤقت لا يكاد يتعدى عاماً أو بعض عام ، وفى أحيان قليلة جدا بضعة أعوام ، حتى يقدم غيره من الرشاوى أضعاف ماقدمه الوالى السابق ، وكانت الدولة العثمانية حريصة كل الحرص على سرعة تعيين الولاة حتى لايطمع أحدهم فى الاستقلال بولايته ، وكان الجند العثمانيون فى مصر يقلدون الحاكم فى السلب والنهب وضعف يده عن السيطرة عليهم ، فكلاهما فى الجريمة سواء وزاد الطين بلة أن أمراء المماليك كانوا يتحكمون فى طبقات الشعب فى نظام إقطاعى يشبه نظام الأشراف والنبلاء فى الدول الصليبية ، فكانوا هم الحكام الفعليون للشعب ، وكثيرا ماكانوا يصطدمون بالوالى العثمانى فينزل على حكمهم ، وقد يعزلونه فيولى الخليفة العثمانى واليا سواه .

وكان هؤلاء المماليك يتنافسون فى استغلال طبقات الشعب ونهب مايستطيعون من أموال ،

ومصادرة تجارته ، وكثيرا مايختلفون فيما بينهم فيسوقون طبقات الشعب معهم فى حروبهم المدمرة وفى مؤامراتهم ودسائسهم التى لاتكاد تنتهى حتى تنشب بينهم من جديد .

وتفاقم الخطب حينما تجمع الأعراب ، وفرضوا سيطرة طاغية على الأقاليم ، واستباحوا النهب والسلب وقطع الطرق ، فقد سيطر همام بن يوسف زعيم عرب بنى حبيب على معظم أقاليم الوجه البحرى ، ولم تكن الدولة العثمانية يهمها إلا أن تنال الجزية السنوية المفروضة على البلاد ، ولهذا أصدر السلطان سليم قرارا يضم جميع الأراضى الزراعية إلى ملك الدولة ، ثم تقسيمها وطرحها فى المزايدة بين الراغبين فيها نظير مبلغ سنوى يدفعه الملتزم للدولة ، وفى مقابل ذلك يحل محل الحكومة فى السيطرة والامارة على الأقاليم التى أخذ ألتزامها ، فيجنى من الزراع ماشاء متى شاء فى جميع أوقات العام ، وسيطر أمراء المماليك على الأقاليم عن طريق الالتزام .

ولهذا كان الشعب ممزقا جريحا أشبه بالعبيد الأرقاء ، وحينئذ تطلع الشعب إلى علمائه الأعلام بوصفهم الحراس على تطبيق الشريعة الإسلامية وإقرار العدالة الاجتماعية .

ومن هنا أصبحت لهم قيادة شعبية استطاعوا بها أن يدفعوا المظالم عن الشعب أحيانا . وإن كانت موجات الطغيان تتوالى فى معظم الأحيان .

هذا كله أطمع الفرنسيين فى غزو مصر وضمها إلى أملاكهم ، وكان على رأس فرنسا فى هذا الحين القائد الشهير نابليون بونابرت فدفعته مطامعه ومنافسته لإنجلترا إلى السيطرة على مصر ، وكان على علم تام بظروفها ، فقاد حملة حربية استولت على الإسكندرية وزحف إلى القاهرة وكان قد أعد منشورا مترجما إلى اللغة العربية وقد وزعه على نطاق واسع ، وكان يتظاهر فيه بالإسلام وبحبه للمصريين وصداقته للدولة العثمانية صاحبة الحق الشرعى فى الخلافة على المسلمين ، ويعلن فيه أنه جاء لإقرار الحق ونشر العدالة وتخليص المصريين من طغيان المماليك وظلمهم واستبدادهم ، قال فى أوله :

« بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله ، لا ولد له ولاشريك له فى ملكه ، من طرف الجمهور الفرنساوى المبنى على أساس الحرية والتسوية السر عسكر [1] الكبير بونابرته . . . . ويعلن فيه أنه ماجاء إلا لتأديب أمراء المماليك ثم يقول : « إننى ماجئت إليكم إلا لكى أخلص دينكم وحقكم من يد الطاغية ، وإننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانة وتعالى وأحترم نبيه محمدا والقرآن العظيم . . . . وقولوا أيضا أن الناس متساوون عند الله ثم يتجه إلى العلماء قائلا لهم : « أيها القضاة والمشايخ والأئمة . . قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضا مسلمون خالصون لذلك قد نزلوا فى رومية الكبرى وخربوا فيها كرسى البابا ، والذى كان يحث دائما النصارى على محاربة

---

(١) السر عسكر كلمتان أولاهما فارسية الأخرى عربية ومعناها : القائد أو رئيس الجند .

الإسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالرية [1] الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين . . » ثم يظهر موالات الفرنسيين للدولة العثمانية فيقول : « والفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا المحبين الأخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعداء أعدائه أدام الله ملكه ، وبالمقلوب [2] المماليك امتنعوا عن إطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره . . . » وختم المنشور بأن . . الواجب على المشايخ والقضاة والأئمة أن يلازموا وظائفهم ، وعلى كل واحد من أهل البلد أن يبقى فى مسكنه مطمئنا . وكذلك تكون الصلاة قائمة فى الجوامع على العادة والمصريين بأجمعهم ليشكروا فضل الله سبحانه وتعالى على انقراض دولة المماليك قائلين بصوت عال : أدام الله إجلال العثمانى [3] أدام الله إجلال العسكر الفرنساوى لعن الله المماليك وأصلح حال الأمة المصرية » [4] .

وعلى الرغم مما قاساه المصريون من مظالم المماليك وطغيانهم وجبروتهم ، وعلى الرغم مما عانوه من تعسف وتجبر جنود الأتراك وقسوة وجشع الولاة العثمانيين ، فإنهم لم يستجيبوا لنداء الفرنسيين لأن رابطة العقيدة الإسلامية كانت أقوى من جميع الروابط ، فضلا عن أن الشعب المصرى كان قد بدأ يتيقظ من سباته العميق ويعرف حقوقه المشروعة فكان يطالب بها ، ويستطيع أن يرد الطغاة من المماليك والأتراك عن طغيانهم أحيانا بزعامة علمائه الأعلام من رجال الأزهر الشريف ، وإذا تراخى بعض العلماء لظروف اضطرارية فى مقاومة الفرنسيين ، كان الشعب يرغمهم إرغاما على العودة إلى مقاومة الطغيان ، وكان الشيخ الشرقاوى قد نال ثقة الشعب به وظفر بزعامته قبل الحملة الفرنسية حينما وقف فى وجه الطغاة الظالمين من أمراء المماليك ، فلما جاءت الحملة الفرنسية كان فى مقدمة الزعماء المقاومين للاحتلال الأجنبى ، تارة عن طريق المقاومة الشعبية ، وتارة عن طريق السياسة والمطاولة ، وكان له فيهما المقام المحمود .

زعامة الشرقاوى

من المواقف الكريمة التى رفعت الإمام الشرقاوى إلى مرتبة الزعامة الشعبية ، موقفه فى مقاومة طغيان محمد بك الألفى الحاكم المملوكى الطاغية وكان يشاركه فى الحكم مراد بك وإبراهيم بك ، فقد حضر أهالى بلبيس إلى الشيخ الإمام الشرقاوى وشكوا إليه عن طغيان محمد بن الألفى

(١) فرسان القديس يوحنا الذين احتلوا مالطة وكانوا من قبل مشتركين فى الحروب الصليبية وأصل الكلمة مقتبس من Lavalliere أى الفارس .

(٢) أى مع العكس من ذلك .

(٣) الدولة العثمانية .

(٤) راجع المنشور بتمامه فى كتاب « مظهر التقديس » بذهاب دولة الفرنسيس للجبرتى مطبعة الرسالة سنة ١٩٦٩ ص ٢٨-٢١.

حيث أرسل أتباعه إليهم وطلبوا منهم أموالا لا طاقة لهم بها ، وهددهم بالتنكيل والتعذيب إذا لم يقدموا إليهم ما يطلبون ، واستغاثوا بالشيخ فغضب لغضبهم وحضر إلى الأزهر وجمع المشايخ وكان قد اتصل بمراد بك . وإبراهيم بك فلم يستجيبا له ـ فأغلقوا الجامع وأمروا الناس بإغلاق الأسواق والحوانيت ثم ركبوا فى اليوم التالى واجتمع عليهم خلق كثير من العامة فذهبوا إلى بيت الشيخ السادات . . فأرسل إبراهيم بك إليهم أيوب بن الدفتردار فحضر إليهم وسلم عليهم وسألهم عن مرادهم فقالوا : نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال المكوسات [1] التى ابتدعتموها وأحدثتموها ، فقال : لايمكن الإجابة إلى هذا كله ، فإننا إن فعلنا هذا ضاقت علينا المعايش والنفقات ، فقالوا له : ليس هذا بعذر عند الله ولا عند الناس ، وماالباعث على الإكثار من النفقات وشراء المماليك ؟ والأمير يكون أميراً بالاعطاء لا بالأخذ ، فوعدهم بتبليغ رأيهم وانصرف ، ولكنه لم يعد إليهم بالجواب ، وانفض المجلس ، وركب المشايخ إلى الجامع الأزهر واجتمعت جماهير الشعب ، وباتوا بالمسجد مزمعين على الثورة وأشفق أمراء المماليك والوالى ، فأرسلوا إليهم من يفاوضهم وناب عن الشعب فى هذه المفاوضة الشيخ الإمام السادات والنقيب والبكرى والشيخ الأمير ، وطالت المفاوضات وتمسك المشايخ برأيهم وانتهى الأمر بنزول الأمراء على حكم المشايخ فى رفع المظالم والحكم بالعدل طبقا لأحكام الشريعة الغراء ، وأن يكفوا أتباعهم عن امتداد أيديهم إلى أموال الناس ، وأن يرسلوا الأموال الموقوفة على الحرمين وكانوا قد احتجزوها لأنفسهم ، وتعهدو أن يسيروا فى الناس سيرة حسنة وأنهم تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه العلماء عليهم ، وكان القاضى حاضرا فكتب حجة عليهم بذلك وشهد عليها الوالى ووقع عليها إبراهيم بك وأرسلها إلى مراد بك فوقع عليها وانجلت الفتنة وعاد المشايخ وحول كل منهم جمهرة عظيمة من العامة ، وهم ينادون أن جميع المظالم والضرائب مرفوعة وفرح الناس فرحا عظيما [2] .

وهذه الوثيقة يشبهها بعض المؤرخين بوثيقة إعلان حقوق الإنسان كما يراها البعض وثيقة دستورية تؤكد أن الأمة ـ ممثلة فى علمائها ـ مصدر السلطان ، وإن كان الحكام بعد قليل قد عادوا إلى ممارسة الظلم والطغيان فلم يمض على ذلك نحو شهر حتى نزل مراد بك إلى دمياط وفرض عليها الضرائب الباهظة ، مما مكن الفرنسيين من غزو البلاد لأن الشعب كان لا يثق فى هؤلاء الأمراء .

---

(١) المكس جمعه مكوس هو الضريبة .

(٢) انتهى ملخصا عن الجبرتى « عجائب الآثار » ج ٤ ص ٢٥٥-٢٥٧.

ما كاد الفرنسيون يستولون على القاهرة بعد عدة معارك حتى أصدروا منشورا ثانيا بمعنى منشورهم الأول ، يؤكدون فيه أن الهدف من الحملة الفرنسية هو حماية البلاد من ظلم المماليك ، وأن نابليون يؤمن الناس على أموالهم وعلى حرياتهم وعلى مباشرة عباداتهم ، ويعلن فيه أنه يحترم نبى الإسلام ويقدسه ويقرر أن« المحافظةعلى الأمن من المسائل التى لا تحتمل تأخيرا فسيكون هناك ديوان مؤلف من سبعة أعضاء يجتمعون فى الجامع الأزهر يتصل اثنان منهم دائما بالقائد ، ويتخصص أربعة منهم للمحافظة على الأمن ومراقبة شئون الشرطة » وعقب هذا طلب مقابلة وفد من علماء الأزهر ، وكان الشيخ الشروقاوى « والسيد السادات » والسيد عمر مكرم نقيب الأشراف خارج القاهرة ، فقابله اثنان من كبار العلماء هما الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى فأحسن استقبالهما وطلب أن يعود كبار العلماء الغائبين إلى القاهرة ، وأكد أنه لن يصيبهم سوء ، وأعلن لأعضاء الوفد من عزمه على إنشاء ديوان لأجل راحة العلماء وراحة الرعية ولتنفيذ أحكام الشريعة ، ثم أصدر قرارا بتأليف ديوان يحكم مدينة القاهرة مؤلف من المشايخ السادات والشرقاوى والصاوى والبكرى والفيومى والعريش وموسى السرسى والسيد عمر مكرم نقيب الأشراف ومحمد الأمير[1] وطلب منهم أن ينتخبوا رئيسا لهم يمتثلون أمره وإشارته فاختاروا الإمام الشيخ الشرقاوى ، وحرص بونابرت على التودد إلى مشايخ الديوان ، وكلهم من كبار العلماء وعلى المبالغة فى احترامهم ، وأمر حرس الشرف من الجنود الفرنسيين المرابطين أمام مقر القيادة أن يؤدوا التحية العسكرية بالسلاح لعلماء الأزهر إذا جاءوا إلى مقر القيادة ، فإذا دخلوا خف لاستقبالهم رجال التشريفات والمترجمون للحفاوة بهم ولقيادتهم إلى الصالون الرئيسى فى القصر وتقدم لهم المرطبات والقهوة ، فإذا فرغوا من تناولها دخل عليهم بونابرت ورحب بهم ، وجلس وسطهم متودداً إليهم متناقشاً معهم عن طريق المترجم فى آيات قرآنية ، طالبا منهم شرحها مظهراً الاحترام للشريعة الإسلامية ورسولها الكريم ، وبهذا كسب ثقتهم به ، ثم أصدر قراراً بتخصيص جواد لكل منهم .

وكان استعمال الخيل من قبل مقصوراً على الأتراك والمماليك ، والبغال خاصة بالعلماء ، أما الحمير فتركبها العامة .

ثم يالغ فى الحفاوة بالأعياد الإسلامية وبخاصة المولد النبوى تألفاً للعامة فأمر بأن يشترك الجيش فى الحفاوة بهذه الأعياد بإطلاق المدافع والألعاب النارية وأن تشترك الموسيقى العسكرية فى

---

(١) رفض ثلاثة من هؤلاء العلماء قبول هذا المنصب لأنهم رأوا فيه اعترافا بالولاء لهؤلاء المستعمرين ، وقادوا الثو ضد هذه الحملة فيها بعد وهم الشيخ السادات وعمر مكرم والشيخ الأمير، فأستبدل بهم الفرنسيون المشاي الدمنهورى . والشبراخيتى والدواخلى .

الترفيه عن الجماهير ، ثم أصدر قراراً بتعيين السيد خليل البكرى نقيباً للأشراف وذهب بنفسه لزيارته وخلع عليه خلعة ثمينة ، ثم عين الشيخ محمد المسيرى كبير علماء إسكندرية رئيساً لديوانها ، وطلب من الجنرال مارمون أن يقابله وأن يخبره أن بونابرت يجتمع ثلاث أو أربع مرات كل عشرة أيام مع كبار المشايخ ورؤساء الأشراف الذين ينحدرون من الدوحة النبوية ثم قال فى رسالته : « إنه لا يوجد من هو أكثر منى اعتقادا فى طهارة وقدسية الديانة المحمدية » ثم كتب إلى الشيخ المسيرى رسالة يقول فيها : « تعلمون التقدير الخاص الذى شعرت به نحوكم منذ اللحظة الأولى التى عرفتكم فيها ، إنى أرجو ألا يتأخر الوقت الذى أستطيع فيه جمع كل الرجال العقلاء والمتعلمين فى البلاد وإقامة نظام موحد يقوم على مبادىء القرآن التى هى وحدها المبادىء الحقة والتى هى وحدها قديرة على إسعاد الناس » .

ولكن الجماهير المصرية أدركت بفطنتها وتجاربها العديدة أن الأمر إنما هو إدعاء ظاهرى قائم على الخداع والنفاق لجذب الشعب وإقناعه بقبول الاستعمار الفرنسى والإذعان له .

ولهذا لم تحدث هذه الدعاية آثارها إلا فى عدد قليل من أفراد الجماهير . والمعروف أن الثورة الفرنسية انحرفت عن الديانات السماوية وأحلت محلها عبادة العقل ممثلا فى صورة سيدة ، ونابليون هو سليل هذه الثورة ، ولم يكن ذا عقيدة دينية سليمة ، وكانت آثار الحروب الصليبية ودور فرنسا فيها لا يزال عالقا بأذهان المصريين .

فلم يروا نابليون بونابرت إلا عازيا صليبيا أوروبيا وفد لاستعمار بلادهم وأن ادعاءه الإسلام إنما هو لخداعهم وخداع الخلافة الإسلامية التى أثخنتها الجراح . وكانت عواطف الشعوب الإسلامية متعلقة بهذه الخلافة ، التى تمثل العالم الإسلامى وتوحد كلمته وتبرز قوته أمام العالم كله .

ولهذا أعلن الشعب على الحملة الفرنسية حربا شبيهة بما نسميه الآن حروب العصابات أو حروب الاستنزاف .

وقد عبر نابليون عن هذا فى مذكراته بقوله : « إن الجيش الفرنسى قد استولى على الإسكندرية والقاهرة وانتصر فى معركة شبراريس وإمبابة » ولكن موقف الفرنسيين لم يكن مستقرا بل ظل مزعزعا ، ولم يحتمل المصريون وجود الفرنسيين فى بلادهم إلا كرها . . وهم - بوصفهم مؤمنين مسلمين - لا يخفون حسرتهم واستياءهم من انتصار غير المؤمنين . . وكانوا يعتبرون أنه من العار والخزى أن تسقط مصر فريسة فى أيدى الفرنسيين ، وكان أئمة المساجد يختارون فى تلاواتهم للقرآن الكريم الآيات التى تحض المؤمنين على جهاد الكافرين . إن الجيش الفرنسى - على الرغم من انتصاراته - كانت تحيط به الأخطار ، لأنه كان يصعب عليه أن يصمد فى حرب دينية ، وكان المصريون يعبرون عن ادعائه لمناصرة الإسلام بأنه خداع ومخاتلة ريثما يتهالك ، وأما هو فنصرانى

ابن نصرانى ، كما قرر هذا نقولا ترك [1] وقرر أيضا فى مذكراته « إن المصريين لم يستطيعوا إطلاقا تحمل الفرنسيين بسبب أختلاف الدين واللغة والرأى ، فضلا عن عداء قديم متأصل بين الفرنسيين والمصريين ، يرجع إلى أيام لويس التاسع ملك فرنسا حين بلغ المنصورة ، وحاول الاستيلاء عليها فى الحروب الصليبية [2] وزاد الثورة المصرية اشتعالا منشور أصدره الخليفة العثمانى سليم الثالث بإعلان الحرب على فرنسا سنة ١٧٩٨ م ودعا المصريين إلى الثورة على الفرنسيين وإعلان الجهاد الدينى على الفرنسيين الذين ينكرون وحدانية الله ورسالة محمد ، بل ينكرون وجود الله ويسخرون من جميع الديانات ولا يعتقدون فى البعث والنشور ، ويرون الكتب السماوية مجموعة من الأكاذيب ، ثم أعلن إعداد الجيوش الجرارة والأساطيل الضخمة لتحرير المصريين من قبضة الكافرين [3] وألهب الثورة فى نفوس المصريين ما بلغهم عن تحطيم الإنجليز للأسطول الفرنسى فى موقعة أبى قير ، وفرضهم حصارا بحريا يمنع وصول النجدات الفرنسية إلى جيش الاحتلال ، هذا إلى عدة عوامل أخرى لا يتسع لذكرها المقام .

وقد أنقسم علماء الأزهر إزاء الثورة الفرنسية إلى فريقين : فريق ناوأ الثورة الفرنسية ورفض التعاون معها بزعامة السيد الشيخ محمد السادات ، وفريق هادن الثورة إلى حد ما بزعامة الشيخ الإمام الشرقاوى .

أما السادات فقد رفض قبول عضوية الديوان منذ تشكيله ، وكان نابليون يتودد إليه ، ويرغب فى جذبه للتعاون وكان يتردد على بيته ويقدم إليه الهدايا توجسا منه ، لأنه كان يعتقد أنه على صلة بأمراء المماليك ورجال الدولة العثمانية ، وكان يعرف مكانته الشعبية ثم عينه رئيسا للجنة النظر فى المظالم ، ولما قامت الثورة ضد الفرنسيين تزعمها الشيخ السادات ، وبعد إخماد الثورة فكر نابليون فى إعدامه ، ولكنه وجد أن إعدامه ستكون له نتائج وخيمة . . وظل موضع الريبة حتى قامت الثورة للمرة الثانية ضد الفرنسيين وأسهم فيها الشيخ فاعتقله الفرنسيون ، وأنزلوا به ألوانا شتى من التعذيب والتنكيل على الرغم من شيخوخته وكبر سنه ، وفرضوا عليه أموالا طائلة عجز عن آدائها ، وظل عرضة للعذاب والنكال وأحضروا زوجته لتشاهد زوجها الكهل وهو يتلقى الضرب المبرح فى الصباح والمساء [4] . وقد كان هذا التنكيل هو السبب الكبير فى اغتيال الجنرال كليبر قائد عام الحملة الفرنسية فيما بعد ، أما الفريق الثانى فقد رأى مهادنة الحملة الفرنسية ، ويعلل الشيخ الإمام الشرقاوى زعيم هذا الفريق جنوحه إلى المهادنة فى كتابه « تحفة الناظرين فيمن

---

(١) ترجمة مذكرات نقولا ترك ص ٦٠.

(٢) المصدر السابق ص ٢٤.

(٣) صور من دور الأزهر فى مقاومة الاحتلال الفرنسى ص ٧٠.

(٤) ظل هذا الشيخ الجليل موضع الريبة والتعذيب حتى انتهت الحملة الفرنسية ورحلت عن مصر.

ولى مصر من الـولاة والسلاطين » بعجز الأهالى عن مقاومة الفرنسيين بسبب « هروب المماليك الذين معهم آلات القتال » وحمله على المهادنة اعتقاده أنه بوصفه زعيم الديوان يستطيع أن يدير الأحكام طبقا للشريعة الإسلامية ، وأن يمنع الظلم والعدوان ويكف أذى الفرنسيين عن الشعب حتى تتحرك الخلافة العثمانية لإنقاذ الشعب من استعمار الفرنسيين ، ولعل الأمل كان يراوده فى جذب نابليون وجيشه الفرنسى إلى الإسلام بعد أن تكرر إعلان نابليون إعجابه بالإسلام وحبه لنبى الإســلام ، وبخاصة بعد أن كتب منشورا بعد عودته من الشام أعلن فيه أنه « يجل دين الإسلام ويعظم النبى عليه الصلاة والسلام ، ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم بإتقان . . ومراده أن يبنى مسجدا عظيما بمصر لانظير له فى الأقطار . وأن يدخل فى دين النبى المختار عليه أفضل الصلاة والسلام « وكان نابليون كثيرا مايعلن أمام مشايخ الأزهر رغبته فى اعتناق الإسلام ، ويذكر أن فى استطاعته أن يحمل أفراد الجيش الفرنسى على اعتناق الإسلام بناء على أمر يومى بسيط يصدره لهم ، ثم طلب منهم فى إحدى الجلسات أن يصدروا فتوى يدعون فيها الشعب لأن يقسم له يمين الطاعة والولاء . فتصدى له الشيخ الإمام طالبا منه تنفيذ وعده باعتناق الإسلام وحبب إليه هذه الخطوة وزينها فى قلبه ، وقال له : إنه إذا اعتنق الإسلام انضوى تحت لوائه مائة ألف عربى فى البلاد العربية واستطاع أن يفتح بهم الشرق ، فذكر نابليون أن هناك عقبتين تحولان بينه هو وجنوده وبين الإسلام ، هما تحريم شرب الخمر فى الإسلام ، وعملية الختان . فقال له مشايخ الأزهر إنه من الممكن التجاوز عن هذين الشرطين بصفة مؤقتة ، فراوغهم نابليون وطلب منهم مهلة سنتين يعتاد خلالها الجنود التقاليد الإسلامية وبعدها يعتنقون الإسلام .

وكان الشيخ الإمام يستغل مكانته فى الشفاعة لدى الفرنسيين لدفع الأذى عن زعماء الشعب وذوى المكانة فيهم ، وكثيرا ما كان يقف فى وجه الفرنسيين مدافعا عن كرامته وكرامة ذوى المكانة الشعبية من المصريين . . . وقد كشف الفرنسيون أخيرا أنه يتجاوب مع الثورة ضدهم ، ويمالىء زعماء الثائرين فاعتقلوه فى سجن مع غيره من زعماء الثورة المجاهدين .

ونستطيع أن نسرد بعض مواقفه من الحملة الفرنسية بإيجاز :

أولا : أراد نابليون أن يحمـل العلماء شارة العلم الفـرنسى رمـزا للولاء والـطاعـة فأعـد طيلسانات [1] ملونة بألوان العلم الثلاث الأبيض والأحمر والأزرق ، وطلب العلماء ، فقام بوضع الطيلسان على كتف الشيخ الشرقاوى فى صورة تكريم له ، فغضب الشيخ الإمام ، ولم يرع جرمة نابليون ، ورمى بالطيلسان إلى الأرض « وتغير مزاجه وانتقع لونه واحتد طبعه » . كما ذكر الجبرتى .

---

(١) الطيلسان , مانسميه الآن « بالشلل » الذى يوضع على الأكتاف .

وحاول الترجمان عبثا أن يشرح له ولمن معه من العلماء أن الهدف من هذا إنما هو تكريم للعلماء قائلا : « إنكم صرتم أحبابا لصارى عسكرى « قائد العسكر » وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلامته ، فإن تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والناس وصار لكم منزلة فى قلوبهم ، فقالوا له : لكن قدرنا يضيع عند الله وعند إخواننا من المسلمين . . » .

ثانيا : فى أثناء محنة السادات تقدم الشيخ الإمام الشرقاوى مع بعض العلماء ، وتشفع فى إطلاق سراح زوجة السادات ونقلها من المعتقل الذى كانت تشاهد فيه تعذيب زوجها مبالغة فى التنكيل به وبها ، فلم يسع القائد إلا قبول شفاعته وصحبه وأطلقوا سراحها .

ثالثا : مع ريبة الفرنسيين فى الشيخ الإمام لم يسعهم إلا اختياره فى مقدمة أعضاء الديوان للمرة الثانية سنة ١٢١٣هـ .

رابعا : وفى عيد الاعتدال الخريفى ، أقيمت حفلة كبرى أنعم القائد فيها على الشيخ الإمام بخلعه سمور تكريما له وتبجيلا ، وقبلها الشيخ لأنها لم تكن رمزا للحكم ولا للعلم الفرنسى .

خامسا : كان نابليون وخلفاؤه يزورون الشيخ الإمام فى بيته ، ويبالغون فى الحفاوة به على الرغم من عدم اطمئنانهم إليه نظرا لمكانته العلمية ولقيادته الشعبية ، وكثيرا ماكانوا يذهبون إليه فى مواكب رسمية وطالما قدموا إليه الهدايا والتحف والألطاف ، وأباحوا له ولزملائه ركوب البغال . تمييزا لهم عن العامة [1] .

سادسا : كلما اشتدت الثورة ضد الفرنسيين استعان الفرنسيون بجاهه ونفوذه لتهدئة الثورة ، فكان يحاول أن يتوسط وأن يهادن إشفاقا على الشعب الذى لم يكن يملك سلاحا أو قيادة رشيدة ، حتى تعرض فى بعض المواقف لاساءة الظن به من المكافحين المناضلين من المصريين ، وجرى اتهامه ومن معه من العلماء على أفواه الشعب فقالوا : « هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ، ومرادهم خذلان المسلمين وأخذوا دراهم من الفرنسيين ، وشتموهم وأسمعوهم أقبح الكلام [2] » .

والواقع أن الشيخ الشرقاوى ومن معه من علماء الأزهر ، استطاعوا فى كثير من المواقف أن يجنبوا شعب القاهرة كثيرا من النكبات ، وأن يرفعوا عنه كثيرا من المظالم وأن يخففوا وقع بعضها ، كما استطاعوا أن يحموا الجامع الأزهر من الهدم والتخريب ، وأن يحتالوا لاجلاء الفرنسيين عنه بعد . . .

---

(١) جمع الفرنسيون البغال ومنعوا الشعب من ركوبها ماعدا خمسة من العلماء هم الشرقاوى والمهدى والفيومى والشيخ الأمير وأحمد بن محمود ومحرم .

(٢) مظهر التقديس ص ٢٢١.

احتلاله ، ولما عجزوا بعد الثورة الثانية عن حمايته ، آثروا إغلاقه حتى لايكون هدفا للفرنسيين ، وحاوروا الفرنسيين حتى أخذوا منهم موافقة على إغلاقه - منعا لهدمه وتدميره - إلى حين .

ومع أن الثورة الفرنسية ، فتكت بالآلاف من سكان القاهرة ، وفرضت عليهم الغرامات الباهظة ، وقتلت لفيفا من علماء وطلاب الأزهر ، وعذبت بعض زعمائه ، ولكنها مع هذا كله نبهت أذهان العلماء إلى الحضارة الحديثة ، وجذبتهم إلى العلوم الحديثة ، وأطلعتهم على مظاهر المدنية والعمران ، فقد كانت تضم طائفة من كبار العلماء فى شتى المعارف والفنون ، كشفوا كثيراً من الآثار المصرية القديمة ، واهتدوا إلى فك رموز اللغة الهيروغليفية ، كما درسوا كثيرا من معالم مصر دراسة علمية وسجلوها فى كتاب علمى عظيم هو كتاب « وصف مصر » .

كما درسوا موضوع وصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض ، وأجروا تجارب علمية عديدة أمام علماء الأزهر ، وكونوا مجمعا علميا للقيام بالأبحاث الطبيعية والصناعية والتاريخية والاقتصادية ، وقاموا بإنشاء مطبعة عربية لأول مرة فى الشرق أيضا ، مما جعل معظم المؤرخين يصفون هذه الحملة ، بأنها حملة علمية أكثر منها حملة حربية .

ولو انضم الأستاذ الإمام إلى الفريق المتطرف بزعامة الشيخ السادات ، لفقد السادات حياته ، وفقد كثير من علماء الأزهر حياتهم وأموالهم ، ولهدم الفرنسيون الأزهر ودمروه تدميرا ، ولشوهوا معالم القاهرة وحطموها تحطيما ، فكان من لطف الله أن قاد جماعة من العلماء الثورة ، وأن هادنها إلى حد ما جماعة آخرون منهم .

على أن الإمام الشرقاوى كان ضلعه مع الثوار وإن هادن الفرنسيين فى بعض المواقف مهادنة ظاهرية ، وقد عرف الفرنسيون هذا منه ، فضاقوا به حيناً ، وجاملوه حينا آخر لحاجتهم إليه ، ولقد صاح نابليون مرة « إن هذا الشيخ لايصلح للرياسة » ولكنه أعاد تعيينه بالديوان ، وقبل مغادرته القاهرة أوصى خلفاءه بالتقرب إلى علماء الأزهر وكسب مودتهم ، وقال فى وصيته : « إذا حصلتم على ثقة كبار المشايخ فى القاهرة كسبتم الرأى العام فى مصر كلها » ووجه رسالة إلى الشيخ الإمام ومن معه من أعضاء الديوان حينما غادر مصر نهائيا قال فيها : « لاأحمل للمشايخ إلا المديح وحسن الجزاء » .

وعلى الرغم من مهادنة الشيخ الإمام للفرنسيين فلم تكن أعينهم غافلة عنه ، فقد اتصل بعلمهم أنه يتلقى رسائل من الخليفة العثمانى ، وقد سأله نابليون فى شأن هذه الرسائل فأنكرها ، يقول الجبرتى : « وكاد ينشأ من هذه المسألة فتنة لولا ألطاف الله تعالى [1] » .

---

(١) مظهر التقديس ص ٦٢.

ولما قتل كليبر ظن الفرنسيون أن للعلماء ضلعا فى هذه الحادثة فاحتجزوا الشيخ الشرقاوى والشيخ أحمد العريشى ، وألزموهما بإحضار شركاء القاتل الذين اعترف عليهم وصحبوهما إلى الأزهر حتى قبضوا على ثلاثة منهم ، ولم يعثروا على الرابع ، ولما اشتدت الثورة ضد الفرنسيين اعتقلوا الشيخ الإمام والشيخ المهدى والشيخ الصاوى والشيخ الفيومى ، وحبسوهم بمسجد سيدى سارية بالقلعة فى الساعة الرابعة من الليل ولكنهم راعوا منازلهم ، فأطلقوا لكل شيخ خادما « يطلع إليه وينزل ليقضى أشغاله ، ومايحتاج إليه من منزله والذى يريد من أصحابهم زيارتهم يأخذ له ورقة بالإذن من القائم مقام [1] ثم أطلقوا سراحهم بعد قليل .

ومن هذا يتضح أن الشيخ سلك فى أثناء هذه الأحداث مسلكا متزنا راعى فيه وطنه ، كما راعى الأزهر وعلماءه ، ودفع كثيرا من الشر والأذى عن المصريين ، وإذا كان الشيخ السادات وعمر مكرم وغيرهما قد تزعموا الفريق المتشدد ، والإمام الشرقاوى قد تزعم الفريق السياسى فإن وطنية الفريقين كليهما لاشك فيها .

ولهذا ظل الإمام الشرقاوى متعاونا مع الفريق الأول ولما تعرض كل من السادات ومكرم لمحنة قاسية تنكر لهما كثير من زعماء العلماء ، ولكن الشيخ الإمام الشرقاوى أبى أن يشترك فى عدائهما أو التنكر لهما مع تعرضه للخطر الشديد .

● بعد الحملة الفرنسية

رحل الفرنسيون عن مصر ، وقد تيقظ الشعب المصرى تحت قيادة زعمائه من أعلام العلماء ، وعرف حقوقه وتدرب على مقاومة الطغيان وكان المظنون أن يتمتع بحريته واستقلاله ، ولكن خرج من طغيان إلى طغيان أشد منه حيث وقع فريسة لقوى عديدة متنافرة ، كل منها تحاول أن تمزقه شر تمزيق وأهم هذه القوى : العسكر العثمانيون ، فريق الأنكشارية . فريق الأرناءود « الأليان » ، وكل هذه الفرق تنتمى إلى الخلافة التركية على شدة مابينها من عداء ، ثم فريق الولاة وهو طوائف من الاكراد استجلبها خورشيد باشا ليستغلها ضد الطوائف الأخرى وبخاصة طائفة الانارءود ، وقد أطلق لهم خورشيد باشا العنان فعاثوا فى البلاد فسادا ، وأخذوا ينهبون ويخربون ويشاركون الناس فى مساكنهم واستباحوا الأعراض ، والناس يضجون بالشكوى إلى الوالى فلا يصغى إليهم ففزع الشعب إلى قادته من العلماء فانضم إليه العلماء بزعامة الشيخ الإمام والسادات وعمر مكرم والشيخ الأمير ، وقادوا الثورة ، وانتشر الإضراب فى المدينة وذهب العلماء إلى الوالى فكتب خطابا لزعماء الولاة وأمرهم أن يتركوا البيوت لأصحابها وأن يفرجوا عن النساء المحتجزات ، فلم يصغوا إليه ، وحينئذ اشتدت ثورة الأهالى وغضبهم على الوالى وعلى جنده ، واتجه الولاة إلى

---

(١) المصدر السابق ص ٢٩٠.

قليوب واستولوا على دورها وأحوالها وحبسوا النساء عن الخروج من البلد وقبضوا على كثيرات منهن وباعوهن فى الأسواق ، وفعلوا مثل هذا مع بلدة أبى الغيظ من ضواحى قليوب ، وحينئذ امتنع العلماء عن التدريس بالأزهر ، وقادوا جماهير الشعب فى ثورة عارمة وأعلنوا عزل الباشا وتولية محمد على باشا واليا مكانه فتظاهر بالامتناع والزهد فى الولاية ، ثم أجابهم إلى طلبهم ، فاشترطوا عليه أن يكون منفذا لسياستهم ، مطيعا لأوامرهم حاكما بالعدل ، ورفض خورشيد باشا قبول العزل وقال : إننى مولى من قبل الخليفة فلا أقبل العزل من الفلاحين فزحف الشعب بقيادة العلماء إلى القلعة وحاصروا الوالى فيها وذهب رسول الوالى إليهم قائلا لهم : كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم ، وقد قال الله تعالى : « **أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنكُمْ** » فقال له السيد عمر مكرم « إن أولى الأمر هم العلماء ، وحملة الشريعة والسلطان العادل ، وهذا رجل ظالم وقد جرت العادة من قديم الزمان أن أهل البلد يعزلون الولاة ، وهذا شىء من زمان ، حتى الخليفة والسلطان إذا سار فيهم بالجور فإنهم يعزلونه ويخلعونه . . » واستمر النزاع أياما متطاولة وكثرت الفتن والأحداث حتى اضطر الباب العالى إلى النزول على رأى الشعب وزعمائه وعزل الوالى خورشيد باشا ، ووافق على ولاية محمدعلى ، وذكر فى قراره سبب الموافقة بقوله : « حيث رضى بذلك العلماء والرعية » وهذا اعتراف صريح بحق الشعب وزعمائه فى اختيار حكامه ، وإن كان محمد على قد استغل ثقة العلماء به فى الوصول لأهدافه ثم تنكر لهم ، واستبد بالحكم والسلطان بعد أن جمع فى يديه كل وسائل القوة والسلطان . وفى أيام الفتنة حضر محمد بك الألفى الزعيم المملوكى إلى الزعيمين الكبيرين الشيخ الإمام والسيد عمر يستأذنهما فى الحلول هو وأتباعه وجنوده فى جهة يستقر فيها ، فكتبوا إليه أن يختار أى جهة يستريح فيها ويأتى فى الحضور إلى القاهرة حتى تسكن فيها الفتنة وتستقر الأمور .

ولما هاجم الإنجليز رشيد بعد إحتلالهم الإسكندرية فى مارس سنة ١٨٠٧ ـ اجتمع العلماء بزعامة السيد عمر مكرم والشيخ الإمام وكبار العلماء ودعوا الشعب إلى مقاومة الإنجليز ورتبوا شئون الدفاع عن البلد وأرسلوا الامداد والذخائر إلى رشيد حيث قاوم أهل رشيد الحملة الإنجليزية بقيادة الشيخ حسن كبريت كبير علماء رشيد ونقيب الأشراف بها ، وألحق بالحملة الإنجليزية هزيمة منكرة :

وبهذا استقرت الزعامة الشعبية للعلماء وبخاصة السيد عمر مكرم نقيب الأشراف والشيخ الإمام الشرقاوى شيخ علماء الأزهر .

ولكن محمد على استغل خبثه ودهاءه فى خداع العلماء والدس بينهم حتى أوغر صدور بعضهم على بعض .

ولما تم له ذلك نفى السيد عمر مكرم ، وداهن الشيخ الإمام وخدعه حتى انتهت حياته ، واستبد بالحكم كل الاستبداد .

روى الجبرتى أن محمد على زار الشيخ الإمام فى بيته وقضى معه فترة وكان اثنان من الجند قد لجآ إلى بيت الإمام فزعا من محمد على فرجاه فى العفو عنهما وقال له فيما قال : « لاتفضح شيبتى باولدى ، واقبل شفاعتى » وأعطاهما محرمة الأمان فقال له : « شفاعتك مقبولة ، ولكننا لانعطى محارم ، فأنا أمانى بالقول أو أكتب إليك ورقة وأرسلها بالأمان ، ثم أرسل إليه الورقة فقال لهما الشيخ الإمام إن الباشا أرسل إليكما ورقة الأمان فأظهرا له مخاوفهما من القتل ، فقال الشيخ لهما : « ذلك لايصح ولايكون فكيف يأخذكما من بيتى ويقتلكما بعد أن قبل شفاعتى » فذهبا مع الرسول فقتلهما محمد على .

وهكذا شأن الطغاة لاعهد لهم ولا أمان .

● أخلاقه

كان الشيخ الإمام متسامحا متساهلا ، وقد خاض فى حياته أحداثا جساما كان يلقاها بالمرونة والحكمة كما رأينا موقفه من الشيخ الصاوى ، وموقفه من الشيخ الأمير ، وكما حدث فى الفتنة التى قامت بين طائفة من المجاورين بالأزهر من الشرقاويين وطائفة أخرى من المجاورين برواق معمر ، فقد تعصب الشيخ إبراهيم السجينى للآخرين ضد الشرقاويين وحدثت فتنة انتهت بأن رجا الشيخ الشرقاوى وإبراهيم بك فى بناء رواق خاص بطائفته فأجاب طلبه وبهذا انتهت الفتنة بإنشاء رواق خاص للشرقاويين والتوسعة عليهم .

وقد أعانته نزعته الصوفية على الرفق والتؤدة والتسامح على الرغم مما قاساه من خصومة وعداء وكان كثيرا مايتردد على أضرحة الأولياء للتبرك بهم وبخاصة مسجد السيد البدوى فى طنطا .

ولم يمنعه تصوفه من التمتع بطيبات الحياة فإن الإسلام لايحرم الطيبات ولكنه يمنع الإسراف فيها أو الانشغال بها عن عبادة الله .

وذكر الجبرتى أن الدنيا أقبلت عليه ـ بعد الفقر ـ فاشترى دار ابن بيرة بظاهر الأزهر ، وهى من مساكن الأمراء الأقدمين ، وقد دبرت زوجته ـ بنت الشيخ على الزعفرانى ـ شئونه المالية وقد بدأت حياتها فقيرة مثله ولكنها كانت ماهرة فى الشئون الاقتصادية فترك لها الشيخ تدبير ثروته ، فكانت هى التى تدبر أمره وتحرر كل مايأتيه ويجمعه ، فلما أقبلت عليه الدنيا اشترت الأملاك والعقارات والحمامات والحوانيت ، ولما زوج ابنه عليا سنة ١٢١٧هـ أقام حفلا كبيرا وأنفق نفقات كثيرة ودعا إليه الوالى والأمراء والزعماء « فاجتمع إليه شىء كثير من الهدايا ولما حضر إليه الباشا أنعم على ابنه بأربع أكياس عدتها ثمانون ألف درهم ، وذلك خلاف البقاشيش » [١] .

---

(١) عجائب الآثار ج ٧ ص ١٩٢.

ونلاحظ أن وفرة ثرائه وكثرة أعدائه أتاح لبعض الألسنة والاقلام النيل منه ، حتى الجبرتى المؤرخ لم يتوقف عن تناول الشيخ الإمام بما يمسه فقد ذكر أن أيام رياسته للديوان فى عهد الحملة الفرنسية استفاد بها « يتحصل عليه » من المعلوم المرتب له من ذلك وقضايا وشفعات لبعض الأجناد المصرية وجعالات على ذلك ، واستيلاء على التركات أو ودائع خرجت أربابها فى حادثة الفرنساوى وهلكوا واتسعت عليه الدنيا وزاد طمعه فيها [1] .

أما المعلوم المرتب له فهذا حقه ، وأما الشفاعات فإننا نعلم أنه شفع فى الجنديين اللذين لجأ إليه لدى محمد على وليس لهما مايقدمان إليه ، كما شفع فى زوجة الشيخ السادات فى المحنة التى ألمت بهما ولم يكن لديهما حينئذ مال ، ولجأ إلى بيته الحاج محمد بن قيموا المغربى صاحب الثروة الطائلة خوفا من الفرنسيين وطلبته الرسل فحماه الشيخ ولكنه لم يطمئن على نفسه ففر من بيت الشيخ هاربا ، ولم يكن لديه حين لجوئه مال يدفعه للشيخ الإمام .

ثم إننا نعلم أن الشيخ أنفق اموالا طائلة فى إعداد رواق الشرقاويين إكراما لأهالى الأقليم الذى ينتسب إليه ، ونعلم أن جزءا من ثروته يرجع إلى الهدايا القيمة التى كانت تقدم إليه لمكانته كما حدث فى حفل زواج ابنه ، ونعلم أيضا أن الفضل فى نمو ثروته يرجع إلى تدبير زوجته وحسن قيامها على أمواله .

ومن المعروف أنه لم يسلم أحد فى هذه الحقبة من ألسنة الناس حتى المشايخ السادات وعمر مكرم والمهدى والدواخلى وغيرهم من كبار العلماء والزعماء مما يجعلنا نتحفظ فى قبول الاتهام .

والشيخ الإمام كان يعلم أن الأزهر وديعة فى يديه فكان يهادن أحيانا حرصا على صيانة الأزهر من الاحداث الجسام التى مرت بها البلاد ، ولقد كاد الأزهر يندثر لولا لباقة الشيخ وحسن تأنيه فى الأمور مع تمسكه بالدعوة إلى العدل ووقوفه فى وجه الظلم عدة مرات حتى لقى ربه يوم الخميس الثانى من شوال سنة ١٢٢٧هـ ولقد كان الشيخ الإمام ناظرا على وقف وقفته السيدة الخاتون خوند طغاى الناصرية بالصحراء للصوفية والقراء ، وكان الفرنسيون قد دمروه « فأنشا الشيخ به مسجدا وبنى لنفسه إلى جواره قبرا وعقد عليه قبة وجعل تحتها مقصورة بداخلها تابوت عال مربع وبنى بجانبه قصرا ملاصقا له » [2] وذكر الجبرتى تاريخ هذا الوقف ثم عقب بنقد الشيخ الإمام فقال « لو أنه عمر هذه الخانكاه بدلا من هذا الذى أرتكبه من تخريبها لكان له بذلك منقبة وذكر حسن فى حياته وبعد مماته » [3] وفات الجبرتى أنه ذكر قبل هذا أن الذين خربوها هم الفرنسيون ، وليس

---

(١) المصدر السابق.

(٢) عجائب الآثارج ٧ ص ١٩٤.

(٣) عجائب الآثارج ٧ ص ١٨٩-١٩٧.

الإمام ، كما ذكر أن الشيخ بنى بها زاوية وأنشأ قصرا ، ولم يذكر أنه بناه لنفسه ولعله بناه للصوفية كما كان يحبهم ، وكان ماهناك أنه أعد مدفنا يدفن فيه بعد موته فلا يستحق أن يقال فيه « لو أنه عمر الخانكاه بدلا من الذى ارتكبه من تخريبها . . » .

ومهما يكن من أمر فما سلم صاحب مكانة كبيرة من النقد والتثريب وكل ذو نعمة محسود وبخاصة بين معاصريه ومعاشريه ، والله أعلم بالسرائر . .

● **مكانته العلمية**

كان للشيخ رأى مسموع فى الشئون السياسية كما كان له رأى مسموع فى الشئون الدينية ، فقد كان إثبات هلال شهر رمضان وهلال شوال من شئون القاضى وهو تركى يعينه الخليفة العثمانى ، ويعتبر المرجع الأعلى فى الشئون القضائية وفى تعيين المواقيت ، ففى سنة ١٢١٧هـ ليلة الأثنين كانت مظنة نهاية شهر رمضان فتعذرت رؤية الهلال وكان بالسماء غيم مطبق ومطر ورعد وبرق متواتر فأعلن القاضى أن يوم الاثنين يعادل الثلاثين من شهر رمضان ولكن حضر جماعة من دمنهور وزعموا أنهم رأوا هلال أول رمضان ليلة السبت وبهذا يكون يوم الأحد هو نهاية رمضان . وذهبوا إلى بيت الباشا فأرسلهم إلى القاضى فرد شهادتهم ، فذهبوا إلى بيت الشيخ الشرقاوى فقبل شهادتهم ، وأخذ بها وألزم القاضى بقبولها أخذاً بقول شاهدين عدلين وبقوله ﷺ « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » وكانت وجهة نظر القاضى أنه يترتب على قبول الشهادة أن رجب ٢٨ يوما وشعبان ٢٩ يوما ، ووجهة نظر الشيخ الإمام أن الخطأ وقع فى شهر رجب ، وأننا مقيدون بما ثبت شرعا من الصيام لرؤية الهلال والإفطار لرؤيته .

ومهما يكن من أمر فإننا نأخذ من هذا قوة شخصية الإمام وجهره بما يعتقده حقا وإلزامه القاضى الذى لايخضع إلا لرأى الخليفة بما رآه الإمام وقد نزل الوالى على رأى الشيخ الإمام .

والجبرتى ـ على الرغم من تحامله عليه أحيانا ـ لم يستطع أن يجحد فضله ، فقد ذكر فى ترجمته له أنه [1] « الشيخ الإمام العلامة والنحرير الفهامة ، الفقيه الأصولى النحوى شيخ الإسلام والمسلمين . . » ثم يذكر أنه أفتى فى مذهبه أى تبحر فيه حتى بلغ مرتبة الافتاء ـ وتميز فى الالقاء والتحرير ـ أى فى التدريس والتأليف ـ « ثم سرد مؤلفاته ، وذكر أنه لما مات صلى عليه بالأزهر جمع كثير ودفن فى مدفنه الذى بناه لنفسه ، وأن الباشا « الوالى » أصدر فرمانا بعمل مولد سنوى له ، واحتفى الناس بهذا المولد ، وأقاموا فيه الموائد ومدوا الأسمطة وحضره جمع كبير من الفقهاء والمشايخ والأعيان وأرباب الأشاير « رجال الطرق الصوفية » .

(١) عجائب الآثار جـ٧ صـ ١٨٩-١٩٧.

● مؤلفاته :

١ـ التحفة البهية فى طبقات الشافعية ضمنه تراجم الشافعية حتى سنة ١٢٢١هـ ورتبه على حروف المعجم ، وتوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٥٧٨ تاريخ .

٢ـ العقائد المشرقية فى علم التوحيد .

٣ـ الجواهر السنية فى شرح العقائد المشرقية ـ السابق ذكره ـ وتوجد منه نسخة خطية بدار الكتب رقم ٢٣١١٩ب .

٤ـ حاشية الشرقاوى على كتاب التحرير للشيخ أبى زكريا الأنصارى توجد من الجزء الثانى منه نسختان بدار الكتب رقم ٢١٧٩٩ب ، ٢٣٧٦٣ب ـ فقه الشافعى .

٥ـ حاشية على شرح الهدهدى على أم البراهن المسماة بالصغرى لأبى عبدالله بن يوسف السنوسى ، توجد منه نسخة خطية بدار الكتب رقم ٢٢٩٣٢ب ـ توحيد .

٦ـ شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى ، منه نسة خطية بدار الكتب رقم ٢٣٨١٨ تصوف .

٧ـ ثبت الشرقاوى ذكر فيه أسانيد شيوخه فى التفسير والحديث والفقه وفى الأحزاب والأوراد ، توجد منه أربع نسخ خطية بدار الكتب ، منها نسخة بخطه رقم ٤٦٨ مصطلح الحديث .

٨ـ مختصر الشمائل وشرح المختصر كلاهما من تأليفه [1] .

٩ـ رسالة فى « لا إله إلا الله » .

١٠ـ « فى مسألة أصولية فى جمع الجوامع (أصول الفقه) » .

١١ـ شرح رسالة عبدالفتاح العادلى فى العقائد .

١٢ـ شرح مختصر فى العقائد والفقه والتصوف مشهور فى بلاد داغستان .

١٣ـ شرح الحكم والوصايا الكردية فى التصوف .

١٤ـ شرح ورد السحر للبكرى .

١٥ـ مختصر مغنى اللبيب لابن هشام فى النحو والإعراب

١٦ـ فتح المبدى شرح مختصر الزبيدى فى الحديث طبعت منتخبات منه ومن شرح الشيخ الغزى على هامش كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للبخارى .

(١) هذا الكتاب ومابعده إلى رقم ١٥ أشار إليها الجبرتى فى ترجمته للمؤلف .

١٧ـ تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين مطبوع على هامش كتاب لطائف الأول فيمن تصرف فى مصر من الدول .

ومن هنا نرى غزارة علوم المؤلف وتنوعها على الرغم من التيارات السياسية العنيفة والخصومات العاتية التى خاض المؤلف غمارها .

ومع هذا نرى الجبرتى ينال من الشيخ الإمام بما يمسه مسا عنيفا فى مؤلفاته فقد ذكر فى تعليقه على كتاب الإمام « التحفة البهية فى طبقات الشافعية » أن المؤلف نقل تراجم القدماء عن طبقات السبكى والأسنوى ، ونقل تراجم المتأخرين من كتابه « عجائب الآثار » ـ كما وصف كتابه « تحفة الناظرين » بأنه « فى غاية البرود وأنه حافل بالأخطاء » .

ولعل المعاصرة والمنافسة العلمية جنحت بالجبرتى إلى النيل من الشيخ الإمام ، وإن كان قد أنصفه فى بعض المواقف وليس معنى هذا أن الشيخ الإمام فوق النقد والملاحظة وسبحان من تفرد بالكمال .

ومع أن الشيخ الإمام ألف مصنفات عديدة متنوعة فإنه ألف رجالا من أعلام العلماء وهذا يذكرنا بأن العلامة الشيخ جمال الدين الأفغانى سئل عن سبب إقلاله من التأليف فقال لقد ألفت رجالا .

ومن الرجال الذين ألفهم أو خرجهم الإمام الشرقاوى : الفقيه النبيه الشيخ حسين بن الكاشف الذى جذبه الشيخ إليه فانخلع من الإمارة والقيادة العسكرية ولازم الشيخ وتفقه على يديه .

ومنهم العلامة الشهير إبراهيم البجيرى الذى تخصص عليه فى مصطلح الحديث .

ومن ألمعهم العلامة العمدة الشيخ محمد الدواخلى الذى لازم الشيخ الإمام فى فقه مذهبه وغيره من المعقولات ملازمة كلية وانتسب له وصار من أخص تلاميذه .

المحدث الشيخ أحمد شاكر

هو الشيخ المحدث أحمد شاكر ، عالم السنة المتبحر المحقق الفقيه ولد فى يوم الجمعة ٢٩ من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩هـ الموافق ٢٩ من ينار سنة ١٨٩٢م .

قضى أيام طفولته الأولى بالقاهرة ، ثم سافر مع والده إلى السودان حيث كان والده يعمل قاضى القضاة بالسودان ، ثم عاد بعد أربع سنوات مع والده إلى القاهرة ، وعمل والده أمينا للفتوى بمصر .

وكان والده شيخا لعلماء الإسكندرية . وبعد أن عاد والده إلى القاهرة التحق نجله الشيخ أحمد شاكر بالمعهد الدينى .

وحصل على الشهادة العالمية عام ١٩١٧ ، ثم عين مدرسا بمدرسة عثمان ماهر لأربعة أشهر ، ثم انتقل إلى القضاء وعمل عضوا بالمحكمة الشرعية العليا . وأحيل إلى المعاش عام ١٩٥١م قال [١] عنه الأستاذ محمد حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة فى تحقيق كتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل .

« أحب الشيخ أحمد محمد شاكر السنة المطهرة منذ شبابه الأول وشغف بفقهها والتعمق فى علومها ، والتنقيب عن روائعها ونفائس كتبها » .

ومازال يتعهد هذا الحب وينميه ويسقيه بما يتيح له الله من التوفيق ، فجمع كتب الحديث وعلومه ، المخطوط منها والمطبوع فى كل بلدان العالم ، مما جعل مكتبته لانظير لها مطلقا ، عند عالم ممن أعرف ، على كثرة من أعرف فى البلدان الإسلامية ، وقد وهبه الله صبرا دائبا على الدرس ، وحافظة قوية لايكاد يند عنها شىء ، وذوقا رفيعا فى استكناه الآثار ، واعتبارها بالعقل والنقل ، وإجالة النظر ، وإعمال الفكر دون تقليد لأحد . أو تقبل لرأى من سبق ، وقد ساهم الأستاذ فى إحياء كتب السنة مساهمة مشكورة ، فنشر كثيرا من كتبها نشرا علميا ممتازا ، وهو يتوج أعماله بنشر كتاب « المسند » للإمام العظيم : أحمد بن حنبل ، والمسند مع نفاسته لايكاد يستفيد منه إلا من حفظه على طريقة الأقدمين وهيهات . .

---

(١) من كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين حـ ٤ د. محمد رجب البيومى .

ولقد كانت صعوبة المسند مصدر شكوى من كبار المحدثين وأعلامهم ، وهذا ماجعل الحافظ الـذهبى يقـول : « فلعل الله تبارك وتعالى أن يقيض لهذا الديوان السامى من يخدمه ويبوبه ، ويتكلم عن رجاله ، ويرتب هيئته ووضعه » .

وقد قام المحدث الجليل الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى ، فعمل للمسند فهارس علمية ولفظية تعين الباحث على الاطلاع على مواضع الأحاديث من مسانيد الصحابة ووضع لكل حديث رقما بحسب ترتيبه فى المسند ، وفى آخر كل جزء من الأجزاء يذكر فهرس أرقام الأحاديث مبوبة ويذكر طرف كل حديث .

كما عالج جوانب كثيرة فى المسند فتكلم على الرجال والأسانيد وبيان درجة كل حديث من الصحة أو الحسن أو الضعف مع التنبيه على مافى بعض الأسانيد من وهم أو خطأ .

وقدم فى أول الكتاب بحوثا قيمة سماها « طلائع الكتاب » ذكر فيها أقوال بعض الأئمة فى المسنـد ومنزلته بين دواوين الإسلام كما ذكر فيها ترجمة وافية للإمام أحمد بن حنبل من « تاريخ الإسلام » للذهبى . .

وقال الأستاذ محمد عبدالغنى حسن بمناسبة اخراج الشيخ أحمد شاكر للجزء العاشر من المسند .

وليست مهمة الاستاذ المحقق الشيخ : أحمد شاكر فى تبويب هذا المسند وترتيبه وضبطه ، فإن هذا عمل لاتكتفى به همة صديقنا المحقق الدءوب . . . إنه تخريج لكل حديث من حيث إسناده صحة وحسنا وضعفا ، إنه لاتحقيق لأسماء المحدثين وأعلام الإسناد ، إنه مفتاح لرجال السند حين يريد القـارىء أن يذود لغـريب الحديث ، حين يشرح المحقق كلمة أو يفسر لفظا ، إنه ضبط صحيح بالحروف لا بالحركات لأعلام الرجال الذين تزدحم بهم صفحات المسند إزدحاما يتفق مع كتاب ضخم .

إنك إذا قلبت هذا الجزء بين يديك فإنك واجد أن متن الأحاديث يشغل من كل صفحة سطرا ، أو بضعة أسطر على حين يشغل التحقيق والشرح والتعليق عشرات من السطور فى كل صفحـة . . وقـد بلغت الأحاديث التى ضبطها وحققها المحقق إلى نهاية الجزء العاشر ٦٧١٠ أحاديث مذكورة على غير أبوابها ، ولكن الشيخ شاكر جعل لها فى نهاية كل جزء فهرسا للأبواب يرد فيه كل حديث إلى رقمه ، وقد اختلفت الأبواب بين الإيمان والقرآن ، والسنة ، والعلم ، والذكر ، والدعاء ، والطهارة ، والصلاة ، والجنائز ، والزكاة ، والصدقات ، والصيام ، والحج ، والفرائض ، والوصايا ، والمعاملات ، والرق ، والعتق . . . إلخ .

وقد انتقل الشيخ أحمد محمد شاكر إلى جوار ربه بعد أن أخرج خمسة عشر جزءا وأخرج بعده الأستاذ الدكتور الحسينى هاشم من الجزء السادس عشر حتى الجزء العشرين ، ومن الجزء الحادى والعشرين ابتدأ إخراج باقى الأجزاء بالاشتراك مع الدكتور أحمد عمر هاشم ، نرجو الله تعالى أن يوفقنا إلى استكمال باقى أجزاء المسند إن شاء الله تعالى .

● **تحقيقه « للرسالة »**

إلى جانب مؤلفات المحدث الشيخ أحمد شاكر وتحقيقه لكتاب المسند وغير ذلك ، إلى جانب هذا حقق كتاب : « الرسالة » للإمام الشافعى تحقيقا علميا دقيقا اتسم فيه بالعمق والدقة على أقدم نسخة بخط الربيع بن سليمان تلميذ الشافعى وقام بمقارنتها بغيرها من النسخ الأخرى وخرج الأحاديث النبوية التى وردت فى الرسالة تخريجا علميا دقيقا .

المحدث الشيخ محمد بن
محمد أبى شهبة

هو[1] المحدث الشيخ محمد بن أبى شهبة ، ينتسب إلى أسرة أبى شهبة من الأسر العربية العريقة التى اشتهرت بالفروسية وحب الجهاد فى سبيل الله ، كما ينبىء عن ذلك لقبها . تركزت أصول هذه الأسرة فى عدة قرى من محافظة البحيرة ثم نزح بعض فروعها قديما إلى بعض قرى محافظة كفر الشيخ ومحافظة الغربية .

ولد رحمه الله تعالى فى ١٩١٤/٩/١٥م فى قرية « منية جناج » مركز دسوق .

وقد نذره والده من يوم ولادته للقرآن الكريم ، وتلقى العلم بالأزهر الشريف ، فما أن بلغ الرابعة حتى ذهب به إلى الكتاب .

أتم حفظ القرآن الكريم فى الكتاب فى سن التاسعة إلى جانب تعلمه القراءة والكتابة ومبادىء الدين والسيرة ، ثم فتحت المدارس الأولية فدخل مدرسة بلدته فأتم بها حفظ القرآن الكريم ، وحصل على الشهادة الأولية فى سن الثانية عشرة تقريبا .

وفى عام ١٩٢٥ م دخل معهد دسوق العلمى الدينى وحصل منه على الشهادة الابتدائية وفى عام ١٩٣٠ التحق بمعهد طنطا الثانوى الدينى وحصل على الشهادة الثانوية ، وفى عام ١٩٣٥ التحق بكلية أصول الدين إحدى كليات الأزهر المعمور .

وفى عام ١٩٣٩ حصل على الشهادة العالمية وكان من الأوائل فدخل قسم الدراسات العليا « شعبة التفسير والحديث » .

وبعد دراسة خمس سنوات نجح فى الامتحان التمهيدى لشهادة العالمية من درجة « أستاذ » سنة ١٩٤٤م أمام لجنة من كبار علماء الأزهر ثم اشتغل بإعداد رسالة الدكتوراه .

وفى نوفمبر ١٩٤٦م نوقش فى رسالة العالمية من درجة أستاذ الدكتوراه مناقشة علنية أمام لجنة خماسية من كبار العلماء فحصل عليها بدرجة « الامتياز » .

---

(١) من ترجمته لحياته فى كتابه « السيرة النبوية ».

وفى ديسمبر من تلك السنة عين مدرسا بكلية أصول الدين ومازال يترقى من مدرس إلى أستاذ مساعد حتى وصل إلى أستاذ ، وفى أكتوبر ١٩٦٩ عين أول عميد لكلية أصول الدين أول كلية فى أول فرع أنشىء لجامعة الأزهر بأسيوط ومازال يسير بالكلية قدما حتى اكتملت سنواتها الأربع عام ٧٣/٧٢ وسعى حتى أنشئت بفرع الجامعة كليتان أخريان كلية اللغة العربية وكلية الشريعة الإسلامية والقانون .

وفى مطلع حياته العلمية أعير إلى المملكة العربية السعودية للتدريس بالمعهد العالى السعودى بمكـة المكرمة وللمشاركة فى إصلاح التعليم الدينى ووضع مناهجه ، وقد قضى أربع سنوات بجوار بيت الله الحرام هى ربيع عمره .

وفى سنة ١٩٦٣ ، أعيد إلى كلية الشريعة بجامعة بغداد فمكث فيها عاما ، وفى عام ١٩٦٦ أعيد إلى الجامعة الإسلامية بأم درمان بالسودان فمكث فيها نحو ثلاث سنوات .

وعنى بالتأليف فى علوم القرآن والسنة والدفاع عنهما ضد المبشرين والمستشرقين وأتباعهم وكون مدرسـة علمية من تلاميذه ومـريديه فى مصر وغيرها من البلاد الإسلامية والعربية تعتز بالقرآن وعلومه والسنة وعلومها .

● **مؤلفاته**

١ـ المدخل لدراسة القرآن الكريم .

٢ـ السيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة « جزءان » .

٣ـ أعلام المحدثين .

٤ـ شرح المختار من صحيح مسلم بن الحجاج « ثلاثة أجزاء » .

٥ـ علوم الحديث .

٦ـ فى أصول الحديث .

٧ـ رسالة فى الإسراء والمعراج .

٨ـ الكتب الصحاح فى السنة .

٩ـ نظرة الإسلام إلى الربا وحلول للمشكلة .

١٠ـ الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير .

١١ـ الحدود فى الإسلام .

١٢ـ شرح لصحيح البخارى ، كان قد ألقاه فى أخريات حياته أحاديث فى إذاعة المملكة العربية السعودية رحمه الله رحمة واسعة وأجزل مثوبته آمين .

المحدث الشيخ محمد محمد أبو زهو

هو العلامة المحدث الشيخ محمد محمد حسن أبوزهو ولد فى ٢/٦ سنة ١٩٠٩ فى قرية ديبى مركز رشيد بحيرة ، وتخرج فى كلية الشريعة عام ١٩٣٩م وحصل على الدكتوراه عام ١٩٤٦م عمل إماما بحلوان وبولاق ومنشية البكرى ثم مدرسا بمعهد سوهاج ومن مؤلفاته « مكانة السنة النبوية » . وكتابه القيم النفيس « الحديث والمحدثون » . وهذا الكتاب يعتبر بحق أول كتاب أرَّخ للسنة النبوية وعلومها فى جميع أدوارها وقد حصل بهذا الكتاب على شهادة الدكتوراه .

واشتمل هذا الكتاب على دفاع علمى عن السنة وعلومها ضد مطاعن المبشرين والمستشرقين وأعداء السنة قديما وحديثا وقد جعله فى مقدمة وسبعة أدوار وخاتمة :

فأما المقدمة فتكلم فيها عن معنى السنة ونسبتها إلى الوحى ومنزلتها فى الدين وبيانها للقرآن الكريم .

- وأما الدور الأول : فتكلم فيه عن السنة فى حياة النبى ﷺ .
- والدور الثانى : عن السنة فى عهد الخلافة الراشدة .
- والدور الثالث : عن السنة بعد الخلافة الراشدة إلى منتهى القرن الأول الهجرى .
- والدور الرابع : عن السنة فى القرن الثانى .
- والدور الخامس : عن السنة فى القرن الثالث .
- والدور السادس : عن السنة من مبدأ القرن الرابع إلى سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ .
- والدور السابع : السنة من عام ٦٥٦هـ إلى عصرنا الحاضر .
- وأما الخاتمة : فذكر فيها أنواعا من علوم الحديث .

ومن هذا الكتاب انطلقت رسائل وبحوث علمية وكتب كثيرة كان هذا الكتاب كالدليل لها ، وقد قال عنه فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية السابق ، « وإن كتاب الأستاذ أبى زهو والحمد لله صوت حق ولسان صدق وبلاغ للناس يفخر به العلماء ويعتز به المنصفون من الباحثين ونسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يثيب مؤلفه أجزل الثواب وأن يجزيه عن السنة والكتاب » .

وقد عمل فى السعودية فى دار التوحيد بالطائف والمعهد العلمى والمعهد العالى للقضاء فى الرياض ، وكلية الشريعة بمكة كما عمل فى ليبيا بالجامعة الإسلامية فى الدار البيضاء رحمه الله رحمة واسعة .

المحدث الشيخ محمد عبدالوهاب بحيرى

هو المحدث الشيخ محمد عبدالوهاب بن محمد مصطفى بحيرى .

ولد فى قرية ديبى بمركز رشيد محافظة البحيرة .

فى يوم ١٩١١/١/٢٠م وكان حنفى المذهب .

حفظ القرآن الكريم مع تجويده بكتاب القرية مع متابعة والده الذى كان مهتما بعلوم الدين تخرج فى معهد الإسكندرية الدينى .

سنة ١٣٥١هـ وسنة ١٩٢٣ وكان ترتيبه الأول التحق بكلية الشريعة إحدى كليات الجامع الأزهر .

عمل بالإمامة بمسجد الثورة بمصر الجديدة ـ حاليا ـ السلطان حسين ـ سابقا ـ وبمسجد الخازندارة بشبرا مصر .

درس بكلية الشريعة وحصل على الشهادة العالية سنة ١٣٥٧هـ هجرية سنة ١٩٣٨م وترتيبه الثانى وحصل على الدكتوراه سنة ١٣٦٤هـ وموضوعها « الحيل الشرعية » .

وابتعثه الأزهر للتدريس بجامعة القرويين بالمغرب سنة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤م .

وابتعثه الأزهر للتدريس بكلية الشريعة بالعراق سنة ١٩٦٦ ـ ١٩٧١م .

وابتعثه الأزهر للتدريس بالمعهد العالى للقضاء سنة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٥م .

وابتعثه الأزهر للتدريس بجامعة محمد بن سعود سنة ١٩٧٦م إلى سنة ١٩٧٧م

وله بعض مؤلفات عن السنة ، وأكمل بعض أجزاء من كتاب « الفتح الربانى » الذى صنفه وشرحه الشيخ البنا الشهير بالساعاتى .

وله كتاب « الحيل الشرعية » .

وغير ذلك من الكتب الأخرى والمذكرات العلمية النافعة إلى جانب إشرافه على مئات من العلماء الذين حصلوا على الدكتوراه فى مصر وغيرها من بلاد العالم الإسلامى ، نفع الله به وبعلمه وجزاه خير الجزاء .

ترجمة الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا
صاحب الفتح الربانى (١)

ولد المحدث الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا رحمه الله فى قرية من قرى مصر ومن أعمال مديرية الغربية هى قرية شمشيرة المطلة على النيل وأجمل مافيها سلم حجرى يمتد من المسجد إلى النيل ليتوضأ من يريد الوضوء من ماء النهر .

وقبل أن تضعه والدته رأت فى منامها من يقول لها إذا وضعت فسم مولدك « أحمد » واحرصى على تحفيظه القرآن .

وشب الصغير وتجاذبته أهواء القرية ، وكان والده فلاحا يحرص على زراعة أرضه وأراد أخو المؤلف أن يحمل الصغير على أن يعمل معه فى الفلاحة والزراعة ، ولكن أمه لم تنس الرؤيا التى رأت وتشبثت به دون الأرض وقالت خذوا الأرض ومافيها واتركوا نشأة ولدى على ماأريد ، وكان والده الشيخ عبدالرحمن البنا رجلا صالحا لايقف ضد رغبة طيبة فوافق والد الصغير على رأيها .

والتحق الصبى بكتاب القرية ، ونذرته للقرآن والعلم ، وحفظ القرآن الكريم وتعلم أحكام التجويد على يد معلم القرية الذى جرى العرف على أن يطلق عليه فى قرانا « سيدنا » وهو الشيخ محمد أبورفاعى وكان كفيفا تقيا يفيض وجهه إشراقا وبشرا .

وجاءت المرحلة الثانية ، مرحلة أن يدرس الصبى علوم الشريعة بفروعها من الفقه والتفسير والحديث وغيرها ولايتيسر إلا فى الأزهر والمعاهد الدينية .

ولما كانت القرية أقرب إلى الإسكندرية فهى فى مواجهة بلدة ادفينا وقرية من مدينة رشيد فقد تهيأ الصبى تهيؤ المغتربين فى طلب العلم فما على والدته إلا أن تهيىء له « الزوادة » وهى الخبز وبعض مايتيسر لها من طعام تضعه فى سبت من الجريد أو « قفة » من الخوص .

● طلبه للعلم

وسافر الطالب إلى الإسكندرية ولم يكن معهدها الدينى قد أنشئت مبانيه الحديثة ولكن طلبة المعهد كانوا يدرسون فى مسجد (الشيخ) وكان هو معهد الإسكندرية بمدارسه ومذاهبه الأربعة

(١) من كتابه القيم : « الفتح الربانى » .

(الحنفى) و(المالكى) و(الشافعى) و(الحنبلى) ومازال مسجد الشيخ موجودا حتى الآن قريبا من ميدان المنشية .

وكان المسجد هو مسكن الطالب ومأواه ، فيه يدرس ، وفيه ينام ، وفيه يقوم ساجدا راكعا لله .

● تعلمه صناعة الساعات

ولما تذوق العلم وتقدم فى الدراسة فكر فى المستقبل ومايكون بعد اتمام دراسته وأن كل عالم من العلماء كانت له صناعة بجانب علمه يتكسب منها لئلا يكون العلم وسيلة لطلب الرزق .

ويسر الله له بفضل بركة إخلاصه وصدقه مع الله فالتحق بأكبر محل فى الإسكندرية لإصلاح الساعات وبيعها هو محل الحاج محمد سلطان وكان يفرغ من دراسته يوميا فيسرع إلى صنعته التى أحبها وعشقها حتى أتقنها وبرع فيها وأصبحت بعد ذلك حرفة له وتجارة ومن هنا جاءت شهرته (بالساعاتى) .

● اختياره بلدة المحمودية لإقامته

وعاد إلى القرية عالما صانعا فتزوج منها وسار بأهله إلى بلدة « المحمودية » التى أعجبته عبر رحلته إلى الإسكندرية ورجوعه منها إلى قريته .

وفى المحمودية وهى من أعمال مديرية البحيرة والقريبة من مدينة دمنهور وضع رحاله واستقر به النوى ، ورحب به عالمها وأمامها الشيخ محمد زهران وكان كفيفا بارع الذكاء زاخرا بالعلم والعرفان ، وأصبحا صديقين حميمين ، يتدارسان العلم ، ويتعمقان فى البحث والتحقيق ، وكانت مكتبة المؤلف زاخرة بأمهات الكتب فى الفقه والتفسير والحديث وجميع علوم الشريعة وفنونها .

● قراءته للمسند

وفى سنة أربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، وهى نهاية الحلقة الرابعة من عمر المؤلف أخذ فى قراءة المسند ـ بعد أن يسر الله له قراءة الكتب الستة وغيرها من الأصول المعتبرة عند المحدثين ـ فوجده بحرا خضما يزخر بالعلم ويموج بالفوائد فخطر له أن يرتبه وتهيب العمل فيه واستعظم التبعة ولكن الدافع كان قويا والرغبة إلى الله صادقة فأخذ رأى ذوى البصائر الثاقبة واستشار من لايتهمه دينا وأمانة وصدقا ونصيحة وهو صديقه وشيخه

العالم العامل الصالح الورع الشيخ محمد زهران ، فكل أشار بها قوى العزيمة فبدأ العمل فيه داعيا الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه ويتقبله ويعين على إنجازه بصدق النية فيه [1]

وقد فرغ المؤلف من تبييضه فى نهاية عام ١٣٥١ هجرية بعد أن قرأه بتمامه أربع مرات ثم قرأه للمرة الخامسة وهو يقوم بتصحيحه عند الطبع حتى منتصف الجزء الثانى والعشرين .

● **هجرة الأسرة إلى القاهرة**

ولما كانت هجرة المؤلف إلى الإسكندرية فى طلب العلم كذلك كانت هجرة الأسرة كلها إلى القاهرة فى طلب العلم وذلك حين احتاج النجل الأكبر للمؤلف الإمام الشهيد حسن البنا إلى الالتحاق (بمدرسة) دار العلوم وأراد المؤلف التعرف إلى علماء الأزهر الشريف بالقاهرة والالتقاء بالمحدثين الوافدين من أقطار العالم الإسلامى .

وهكذا وفدت الأسرة كلها إلى القاهرة وعكف المؤلف على كتابه الذى أصبح شغله فى الحياة وحظه منها وأصبح مكتبه فى عطفة الرسام على ناصية مسجد الفكهانى بالغورية مقصد العلماء والباحثين ، ومطلب المحققين والمحدثين لايبرحه إلا للصلاة فى مسجد الفكهانى أو مسجد المؤيد .

ثم دفع بمؤلفه إلى المطبعة التى لاتبعد عن مكتبه إلا خطوات حيث تقع فى شارع الفحامين المقابل لعطفة الرسام وتأتيه « مسودات » المطبعة ملزمة ملزمة فيقوم على تصحيحها بنفسه ويدقق فى ذلك أشد الدقة حتى يتفادى كل مايمكن أن يتفاداه من أخطاء .

وكما كان يفد على مكتبه جلة العلماء ، كذلك كانت تحضر مجموعات من طلبة العلم فى الأزهر الشريف ممن شغفوا بالسنة وأولعوا بدراستها ، حتى اضطر المؤلف أن يقسم الجزء الواحد من الكتاب إلى أربعة أقسام حتى ييسر على طلبة العلم اقتناءه ويخفف عنهم مقدار ثمنه .

● **صفة الشيخ الخلقية والخلقية**

وكان الشيخ رحمه الله ربعة لا بالطويل ولا بالقصير نحيفا قمحى اللون يتكفأ فى مشيته ويغض بصره وكان فى لحيته شعرات سوداء وكانت ثيابه غليظة متواضعة يلبس الجبة والقفطان ويعتم ، عليه سكينة ووقار .

وكان زاهدا ورعا منصرفا عن الدنيا راغبا فى الآخرة لايخوض فيما يخوض فيه الناس ولايتقيد بما يعملون ويشترعون حتى كان لايقدم ساعته حسب التوقيت الصيفى حين كان يفعل الناس ذلك ويقول مالى وللناس إنما أتعامل مع الله جل وعلا

(١) أنظر مقدمة المؤلف فى كيفية العمل فيه فى الجزء الأول صفحة ١٣ ، ١٤ .

● **شعوره بالمرض**

وعندما كان الشيخ رحمه الله يعمل فى الجزء الثانى والعشرين وقد أتم كتاب السيرة النبوية والأبواب المتعلقة به من ذكر أولاده ﷺ وآل بيته الطاهرين وزوجاته أمهات المؤمنين وبدأ العمل فى أبواب مناقب الصحابة رضى الله تعالى عنهم شعر ببدء المرض قال ابنه وعرضت عليه الحضور إلى منزلى لنكون جميعا فى خدمته ونقوم على مطالبه .

فاستمهلنى قائلا سأفعل ذلك إن شاء الله عند لزومه وظل يكتب فى باب المناقب حتى وصل باب ماجاء فى جرير بن عبدالله البجلى وكنت أمر عليه فى مكتبه فى فترات متقاربة وبعد صلاة العشاء من يوم الأحد ٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٨هـ هجرية الموافق ١٦ نوفمبر سنة ١٩٥٨ ميلادية مررت به فابتدرنى بقوله غدا إن شاء الله بعد أن تصلى الفجر أحضر إلىّ مبكرا بعربية تنقلنى إلى بيتك ، ثم طلب الوضوء لصلاة العشاء فقدم إليه فتوضأ ثم نوى الصلاة .

● **ماقرأه فى هذه الليلة فى صلاته من القرآن**

فلما أتم قراءة الفاتحة فى الركعة الأولى قرأ قوله تعالى « كُل نفْسٍ ذَائقَةُ المْوْت وَإنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقيامَةِ فمَن زُحْزِحَ عن النَّار وأُدْخلَ الجنَّة فقدْ فَازَ وَما الحْيَاةُ الدُّنْيا ألاَّ مَتَاعُ الْغُرُور » .

وقرأ بعد الفاتحة فى الركعة الثانية « لتُبْلَوُنَّ فى أمْوالكُمْ وأنفُسكُمْ ولَتَسْمَعُنَّ من الَّذينَ أُوتُوا الْكتَابَ مِنَ قَبلكُمْ ومِنَ الَّذِينَ أشرْكُوا أذى كثيراً وإنْ تصْبروُا وَتَتَّقُوا فإنَّ ذلك من عَزْم الإمور » .

ودخل نفسى من ذلك شىء ، وبكرت صبيحة الاثنين بعربة ركبها ومعه الأصول الباقية من الفتح الربانى بخط يده وبعض مراجع كتب الحديث التى كان يعمل فيها فى الجزء الثانى والعشرين ، ثم جلس فى حجرة النوم وأشار بأن تصف المراجع فى الشباك القريب منه بالحجرة ومعها الأصول وجعل يشير إليها ويتحدث عما أنجزه حتى الآن .

وطيلة يوم الاثنين وهو يحدثنا حديث الواثق المؤمن وعرض لنشأته وصباه وبلدته وكان أصح مايكون صحة وأتم مايكون عافية حتى نسيت ماداخل نفسى من شعور يوم الأحد مساء وقلت لقد من الله على الشيخ بالعافية وظننته سيمكث معنا طويلا يمتعنا بهذا الحديث وينفعنا بهذا العلم ولكن قدر الله كان سابقا وأمره كان نافذا .

وفى يوم الثلاثاء انشغل بربه وانصرف عنا وكان يطلب الوضوء وينظر فى ساعته إذا حضر وقت الصلاة فيؤديها حسبما استطاع .

● **وفاته إلى رحمة الله**

وقبل ظهر يوم الأربعاء ٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٨هـ الموافق ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٨م لقى ربه راضيا مرضيا إن شاء الله تعالى عن سبع وسبعين سنة وبضعة شهور .

وشيعت جنازته وتبعها أهل الفضل والعلم وجماهير غفيرة إلى مسجد الرفاعى بالقلعة ، وأم الناس فى الصلاة عليه الشيخ سيد سابق ، ودفن بقرافة الإمام الشافعى رضى الله عنه بجوار ابنه الإمام حسن البنا رحمهما الله .

● رغبتى فى الاتصال بوالدى رحمه الله

قال ورغبت أن أتصل بسبب إلى والدى غير النسب ، وبسند إلى رسول الله ﷺ وهو شرف الدنيا وعز الآخرة إن شاء الله فطلبت إلى تلميذ والدى العالم الفاضل الشيخ على المؤيد ، أن يجيزنى فتفضل جزاه الله أحسن الجزاء وأجازنى هذه الأجازة وقد استشرت من لا أتهم دينا وأمانة وورعا فأشاروا باثباتها هنا ، أسأل الله تعالى أن تكون مقبولة عنده خالصة لوجهه الكريم :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رافع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات والصلاة والسلام على من أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، القائل من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد . وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار .

وبعد فإن الإسناد فى الرواية من خصائص أمة سيد الأنام وبقاء سلسلته شرف لها لاتصالها بنبيها صلوات الله عليه وعلى آله . وأن من طرق الرواية الاجازة وهى من مطالب الصالحين ، والعمل بها مشهود بين المحدثين .

ولقد أحسن الظن فى أخى فى الله فضيلة الشيخ العالم الفاضل التقى عبدالرحمن ابن أحمد البنا أجزل الله مثوبته فطلب منى اجازته فلم تسعنى مخالفته ، وان لم أكن أهلا لذلك ، فأقول قد أجزته بما تجوز لى روايته من معقول ومنقول وفروع وأصول . وأخص من ذلك ماخصه شيخى التقى الزاهد الورع الحجة الشيخ أحمد ابن عبدالرحمن البنا فى اجازته لى ، وذلك مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ، الذى رتبه وشرحه وسماه الفتح الربانى ، فقد أجازنى بروايته منه . وأنا أجيز نجله الكريم بروايته عنى عن والده ، عن شيخه مفتى وأدى الفرات العلامة السيد محمد بن سعيد العرفى الحسنى . كما اجازه بذلك مفتى الديار الشامية السيد محمد بدر الدين الحسنى عن السيد أبى الخير الخطيب ، عن الشيخ عبدالرحمن الكربرى صاحب الثبت الشهير عن والده محمد ، عن أحمد بن محمد الحنبلى حفيد أبى المواهب ، عن والده عبدالباقى ، عن عمر القارى ، عن البدر الغزى ، عن القاضى زكريا الأنصارى ، عن عبدالرحيم بن محمد الحنفى ، عن أبى العباس أحمد الجوهى ، عن زينب بنت مكى ، عن حنبل الرصافى ، عن هبة الله الشيبانى

عن الحسينى التميمى ، عن أبى بكر القطيعى ، عند عبدالله بن أحمد ، عن والده الإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى .

هذا وأوصى الأخ المجاز كما أوصى نفسى بالتقوى وأرجو أن لاينسانى من صالح دعائه.. وأسأل الله لى وللأخ المجاز الخاتمة الحسنى ، وأن يوفقنا جميعا إلى مايرضيه عنا إنه سميع قريب ، حرر فى أول شهر شعبان المبارك سنة ١٣٨١ كتبه على بن إسماعيل المولى وقد أورد فى نهاية الجزء الأخير من « الفتح الربانى » هذه الترجمة للإمام أحمد قال : اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم والفوز بالجنة والنجاة من النار ، ولاتدع لنا ذنبا إلى غفرته ، ولا هما إلا فرجته ولا حاجة إلا قضيتها .

بهذا الدعاء المأثور الذى كان الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فيما روى يختم كل صلاة ، نبتهل إلى الله فى ختام هذا العمل العظيم الذى عكف عليه والدنا الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا رحمه الله ونسأله تعالى أن يتقبله منه ، وأن يجعله سببا لاستجلاب رحمته يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وقد عبر الشيخ رحمه الله فى مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب عن رغبته فى وضع ترجمة مسهبة لصاحب هذا المسند وراوية الإمام الأجل أحمد بن حنبل الشيبانى رحمه الله . فوضعنا الترجمة التالية وأن لم نكن أخص الناس بها أو أقدرهم عليها سالكين فيها الطريقة السلفية التى هى طريقة الكتاب معتمدين على المراجع الأساسية كتاريخ الإسلام للذهبى والمناقب لابن الجوزى والبداية والنهاية لابن كثير وما الى ذلك . فنقول ، وبالله التوفيق .

الامام أحمد بن حنبل الشيبانى (١)

مولده ونشأته

هو أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلى الشيبانى المروزى « نسبة إلى مرو » ثم البغدادى . قدم به أبوه من مرو وهو حمل فوضعته أمه فى بغداد وتوفى أبوه وهو ابن ثلاث سنين . قال صالح بن الإمام أحمد « قال لى أبى ولدت فى ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة «قال صالح وجىء بأبى أحمد من مرو فتوفى أبوه محمد شابا ابن ثلاثين سنة فوليت أبى أمه . وقال أبى وكانت قد ثقبت أذنى فكانت أمى تصير فيهما لؤلؤتين ، فلما ترعرعت نزعتهما ، فكانتا عنده فدفعتها إلى فبعتهما بنحو من ثلاثين درهما » .

وينسب الإمام أحمد عادة إلى جده فيقال « أحمد بن حنبل » لأن جده كان أشهر من أبيه فقد كان واليا على سرخس ـ من أعمال خراسان ـ وناصر الدعوة العباسية أول عهدها ، وأوذى فى ذلك فى حين كان أبوه « محمد » بتعبير ابن الجزرى « فى زى الغزاة » أى أنه كان من سواد الجند المجاهدين ، وإن روى عن الأصمعى أنه كان قائدا .

وأمه هى صفية بنت ميمونة بنت عبدالملك الشيبانى . فهى شيبانية كأبيه . وكانت هى التى كفلت أحمد وأدبته فأحسنت تأديبه . . . مع الله . .

وشيبان قبيلة ربعية عدنانية من صميم العرب ، تلتقى مع النبى ﷺ فى نزار بن معد بن عدنان . عرفت بالهمة والنخوة والاباء والحمية . وأنجبت الكثير من مشاهير العرب وفرسانهم فى الجاهلية والإسلام . وكانت منازلها بالبصرة . وكان الإمام أحمد إذا جاء البصرة صلى فى مسجد مازن ، وهم من بنى شيبان ويقول : « إنه مسجد آبائى » .

كانت لوائح النجابة تظهر عليه من الطفولة ، فحفظ القرآن ودرس الفقه واللغة وروى عنه أنه قال « كنت وأنا غليم أختلف إلى الكتاب ثم أختلفت إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة » وكان شغفه بالعلم وإقباله عليه يحفزه للخروج قبل انبلاج الفجر فتأخذ أمه ثيابه وتقول حتى يؤذن الناس أو يصبحوا واسترعت نجابته بعض الذين عرفوه وقتئذ . قال الهيثم بن جميل « إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على أهل زمانه » .

---

(١) أثبتنا هذه الترجمة للشيخ استكمالا لرغبته فى اثباتها فى مقدمة الكتاب كتتمة لبيان همته ومحبته للإمام احمد بن حنبل .

● طلبه العلم

عندما بلغ السادسة عشرة جلس إلى القاضى أبى يوسف صاحب أبى حنيفة وروى الحافظ الذهبى فى تاريخه عن الخلال أن الإمام أحمد كان قد كتب كتب الرأى وحفظها ثم لم يلتفت إليها . وشرح الله صدره للحديث فلزم هشيم بن شير بن أبى حازم الواسطى (ولد سنة ١٠٤ هجرية وتوفى سنة ١٨٣ هجرية) الذى إنتهى إليه علم الحديث فى بغداد . وكان هشيم ذا سمت وهيبة رفعه خلقه وعلمه وتقواه وورعه فوق مستوى المنبت والمنشأ . فقد كان أبوه بخارى الأصل . أقام فترة بواسط كان فيها - فيما يقال - طباخا للحجاج بن يوسف - قال حماد بن زيد « مارأيت فى المحدثين أنبل من هشيم » وكان بعض المحدثين يقدمونه على سفيان الثورى - وروى عنه مالك بن أنس وأثنى عليه .

لزم الإمام أحمد هشيما أربع أو خمس سنوات وسمع منه كل ماعنده ، وحفظ كل ماسمعه وروى صالح بن الإمام أحمد عن أبيه قال « كتبت عن هشيم سنة تسع وسبعين ، ولزمناه إلى سنة ثمانين ، وإحدى وثمانين ، واثنتين وثمانين وثلاث ، ومات فى سنة ثلاث وثمانين وكتبنا عنه كتاب الحج نحوا من ألف حديث وبعض التفسير وكتاب القضاء وكتبا صغارا ، وسأله ابنه صالح عن ذلك يكون ثلاث آلاف قال أكثر » .

ومع هذه الملازمة ، فإنه كان يتردد على بعض مجالس المحدثين الآخرين فيروى أنه سمع من عمير بن عبدالله بن خالد قبيل موت هشيم وأنه سمع عن عبدالرحمن بن مهدى وأبى بكر بن عياش .

وبعد موت هشيم أخذ الإمام أحمد يطلب الحديث من مختلف الشيوخ فى بغداد نحوا من ثلاث سنوات وفى السنة السادسة والثمانين بعد المائة بدأ رحلاته للسماع من شيوخ الأمصار كما كان الدأب وقتئذ فرحل إلى البصرة خمس مرات كان يقيم فى بعضها قرابة ستة أشهر ، أو أقل ، ورحل إلى الحجاز خمس مرات لقى فى بعضها الشافعى . قال الإمام أحمد « حججت خمس حجج منها ثلاث راجلا ، وأنفقت فى إحدى هذه الحجج ثلاثين درهما ، وقد ضللت فى بعضها عن الطريق وأنا ماش فجعلت أقول « ياعباد الله دلونى على الطريق » حتى وقعت على الطريق ، ورحل إلى اليمن فسمع من عبدالرزاق بن همام ومكث بها سنتين ورحل إلى الكوفة ، ووعد الشافعى بالرحلة إلى مصر ولكن حالت دون ذلك الحوائل . ولم ينثنى الإمام أحمد عن طلب العلم حتى عندما تقدمت به السن وصار إماما وسأله أحد الناس عن هذا الطلب « إلى متى وقد بلغت هذا المبلغ وصرت إمام المسلمين » فقال ابن حنبل قوله المأثور « مع المحبرة إلى المقبرة » .

ولعل أعظم من أثر فيه من هؤلاء الشيوخ بوجه خاص هما هشيم والشافعى . وعن الأول أخذ الحديث وماينبغى له من وقار ومايجب له من دقة ، وعن الشافعى أخذ أصول الاستنباط الفقهى .

وكان الإمام أحمد حريصا على لقاء ابن المبارك والسماع منه ، فذهب إلى مجلسه سنة تسع وسبعين ومائة أول سماعه من هشيم فقالوا قد خرج إلى طرسوس وتوفى سنة إحدى وثمانين ومائة ، كما تأثر بسفيان الثورى وألم بحديثه ، قال عبدالرحمن بن مهدى عن أحمد « هذا أعلم الناس بحديث سفيان الثورى » وكان كل من سفيان الثورى وعبدالله بن المبارك مثلا فى الجمع مابين العلم والعمل . . . والقوة والورع . . . وهى الصفات التى نجدها بارزة لدى ابن حنبل . وكان الإمام أحمد يرغب الإستماع إلى مالك ولكنه مات قبل أولى رحلاته قال « فاتنى مالك فأخلف الله على سفيان بن عيينة . وفاتنى حماد بن زيد فأخلف الله على إسماعيل بن علية » .

● جلوسه للتدريس

وعندما بلغ الإمام أحمد أربعين عاما جلس للدرس والفتوى بعد أن عرف فضله وظهر علمه وقصده الناس للسؤال وكان مجلسه تلفه السكينة ويغشاه الوقار . نقل الذهبى فى تاريخه عن المروزى صاحب أحمد « لم أر الفقير فى مجلس أعز منه فى مجلس أبى عبدالله . كان مائلا إليهم مقصرا عن أهل الدنيا ، وكان فيه حلم . ولم يكن بالعجول بل كان كثير التواضع والوقار إذا جلس مجلسه بعد العصر لايتكلم حتى يسأل » وقدر الذين يحضرون درسه بالمسجد بعد صلاة العصر بقرابة خمسة آلاف يكتب منهم خمسمائة ، كما كان له بالاضافة إلى درسه العام درس خاص يلقى فيه خاصة تلاميذه .

ولوحظ فى هذه الدروس أن الإمام أحمد بن حنبل كان يعود إلى مراجعه المكتوبة ، ولايكتفى بحافظته القوية تحرزا واحتراسا وأخذا بالأحوط والأثبت وحرصا على الدقة . قال ولده عبدالله « مارأيت أبى حدث من حفظه من غير كتاب إلا بأقل من مائة حديث » وربما ذكر الحديث من ذاكرته فإذا أرادوا كتابته استمهلهم حتى يمليهم إياه من الكتاب قائلا : الكتاب أحفظ شىء . وكان يحث أصحابه وتلاميذه على أن لايحدثوا دون كتاب ، وكان على بن المدينى لايحدث إلا من كتاب وقال « إن سيدى أحمد بن حنبل أمرنى ألا أحدث إلا من كتاب » . وبقدر هذا التشديد فى كتابة الحديث النبوى كان الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه يرفض أن تكتب فتاويه ويكره أن ينقلها أصحابه عنه . قال أحمد بن الحسين بن حسان « قال رجل لأبى عبدالله أريد أن أكتب هذه المسائل فإنى أخاف النسيان فقال أحمد بن حنبل لاتكتب فإنى أكره أن أكتب رأيى » وأحس مرة بإنسان يكتب ومعه ألواح فى كمه فقال لاتكتب رأيا لعلى أقول الساعة بمسألة ثم أرجع عنها غدا . ويروى أن عبدالملك بن عبدالحميد الميمونى المتوفى سنة ١٧٤ قال « سألت أبا عبدالله عن مسائل نكتبها فقال أى شىء تكتب ياأبا الحسن فلولا الحياء منك ماتركتك تكتبها ، وأنه علىّ لشديد والحديث أحب إلى منها . قلت إنما تطيب نفسى فى الحمل عنك . إنك تعلم أنه منذ مضى رسول الله ﷺ قد لزم أصحابه قوم ثم لم يزل يكون للرجل أصحاب يلزمون ويكتبون . قال :

من كتب ؟ قلت أبوهريرة . وكان عبدالله بن عمر [1] يكتب فقال لى فهذا الحديث فقلت له فما المسائل إلا حديث ومن الحديث تشقق » وربما أنكر نسبة مايكتب من فتاويه إليه أو يذكر الرجوع عنها تثبيطا عن كتابتها . ولايتراجع عن ذلك إلا فى حالات خاصة كالتى وردت فى المنهج الأحمد من أن إسحق بن منصور بن منصور المروزى المتوفى سنة ٢٥١ نقل عن الإمام أحمد بن حنبل . فلما أعلن الإمام أحمد رجوعه عن هذه المسائل جمع إسحق تلك المسائل فى جراب وحملها على ظهره وخرج راجلا إلى بغداد وهى على ظهره وعرضها على أحمد واحدة واحدة فأقر له بها وأخذه العجب منه . مما يدل على أن إعلان الإمام أحمد الرجوع أو إنكاره نسبتها إليه لايعود إلى خطأ وإنما المقصود به عدم حمل الناس على الالتزام بها لأنها اجتهاد منه ولأنه لم يكن يستجيز تدوين شىء إلا الكتاب والسنة سواء فى ذلك فتاويه أو فتاوى غيره حتى وإن كان يقدرهم تقديرا كبيرا كعبد الله بن المبارك والشافعى . وكان له فى هذا نظر نافذ وحكمة بالغة ، وإن لم يأخذ الناس بذلك فجمعوا آراءه وجعلوها أصلا للفقه الحنبلى .

كما يلحظ أن الإمام أحمد رحمه الله لم يكن يحدث ابتداء ، ولم يكن هو الذى يستهل بالدرس . وإنما كا يرد على الأسئلة . فإذا لم يسأله أحد لم يتكلم . روى ابن الجوزى عن أبى حاتم الرازى « أتيت أحمد بن حنبل فى أول ماالتقيت به فى سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وإذا هو قد أخرج معه إلى الصلاة كتاب الأشربة وكتاب الإيمان فصلى فلم يسأله أحد فرده إلى بيته ، وأتيته يوما آخر فإذا هو قد أخرج الكتابين فظننت أنه يحتسب فى إخراج ذلك لأن كتاب الإيمان أصل الدين وكتاب الأشربة يفرق الناس عن الشر فإن أصل كل شر من السكر » .

ولم يكن مجلس الإمام أحمد مجلس علم فحسب ، لأن شخصية أحمد بن حنبل نفسه لم تكن تقل عن علمه ، وكان الكثيرون يحتسبون الجلوس إليه ، والتعرف على هديه وخلقه والتأدب بأدبه . وروى ابن الجوزى فى المناقب عن بعض أصحابه « اختلفت إلى أبى عبدالله أحمد بن حنبل اثنتى عشرة سنة ، وهو يقرأ المسند على أولاده ، فما كتبت منه حديثا واحدا وإنما كنت أميل إلى هديه وأخلاقه وآدابه » .

وهذه الملاحظات فى مجموعها تصور الشخصية الفريدة للإمام أحمد من تشدد وتثبت فيما يتعلق بالكتاب والسنة . وعزوف وانصراف عن الناس مهما علت مراتبهم واعتبار العلم أداة لهدى الطالبين وإجابة للسائلين والالتزام بالسمت والأدب والسكينة والتواضع ، والبعد عن الرياء - بل انتفاء - التشدق والزهو بالعلم والمعرفة . وأن يكون ظاهر المرء وباطنه ، علمه وعمله سواء ، وهى

---

(١) هكذا جاء بالأصل « المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ولعل صحتها عبدالله بن عمرو لأنه هو الذى كان يكتب وكان يطلق على صحيفته الصادقة .

منازل لا بقدر عليها كلا القلة المصطفاة . وبحق قال الإمام يحيى بن معين - وهو من هو - « أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل ، والله ما نقوى أن نكون مثله ولا نطيق سلوك طريقه » .

● تقدير معاصريه وثناؤهم عليه

لقد كانت هذه الخلائق من العلم والعمل محل تقدير كل علماء عصره ، فشهدوا له وكتبوا عنه الكتب ، فأفرد البيهقى سيرته فى مجلد ، كما أوردها ابن الجوزى فى المناقب ، وأثبتها فى مجلد لطيف أبوإسماعيل الأنصارى . وأورد سيرته بإفاضه الحافظ ابن كثير صاحب البداية والنهاية والحافظ الذهبى « أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهبى » فى تاريخه مطولا ومسهبا والخطيب البغدادى فى كتابه « تاريخ بغداد » .

وفيما يلى بعض أقوال معاصريه عنه نقلا عن هذه المراجع ، قال حرملة : سمعت الشافعى يقول : خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلا أفضل ولاأعلم ولاأفقه من أحمد بن حنبل . وقال على بن المدينى إن الله أيد هذا الدين بأبى بكر الصديق يوم الردة . وبأحمد بن حنبل يوم المحنة .

وقال أبو عبيد انتهى العلم إلى أربعة أفقههم أحمد . وقال البخارى لما ضرب أحمد بن حنبل كنا بالبصرة فسمعت أبا الوليد الطيالسى يقول لو كان أحمد فى بنى إسرائيل لكان أحدوثة ، وقال السهيل بن الخليل لو كان أحمد فى بنى إسرائيل لكان نبيا ، وقال المزنى : أحمد بن حنبل يوم المحنة وأبوبكر يوم الردة وعمر يوم السقيفة وعثمان يوم الدار وعلى يوم الجمل وصفين ، وقال بشر بن الحافى بعد ماضرب أحمد بن حنبل : أدخل أحمد الكير فخرج ذهبا أحمر ، وقال الميمونى : قال لى على بن المدينى بعدما امتحن أحمد ياميمون : ماقام أحد فى الإسلام ماقام أحمد بن حنبل فعجبت من ذلك عجبا شديدا وذهبت إلى أبى عبيد القاسم بن سلام فحكيت له مقالة على بن المدينى فقال صدق . إن أبابكر وجد يوم الردة أعوانا وأنصار وأن أحمد بن حنبل لم يكن له أنصارا وأن أحمد بن حنبل لم يكن له أنصار ولا أعوان ثم أخذ أبوعبيد يطرى أحمد ويقول لست أعلم فى الإسلام مثله ، وقال إسحق بن راهويه أحمد حجة بين الله وبين عبيده فى أرضه . وقال على بن المدينى إذا ابتليت بشىء فأفتانى احمد بن حنبل لم أبال إذا لقيت ربى عز وجل كيف كان . وقال الخلال سمعت أباالقاسم بن الجبلى وكفاك به يقول أكثر الناس يظنون أن أحمد إذا سئل كأن علم الدنيا بين عينيه . وقال إبراهيم الحربى رأيت أحمد كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين ، وقال عبدالرزاق مارأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولاأورع ، وقال المزنى قال لى الشافعى رأيت ببغداد شابا إذا قال حدثنا قال الناس كلهم صدق قلت هو قال أحمد بن حنبل ، وعن حجاج بن الشاعر مارأيت روحا فى جسد أفضل من أحمد بن حنبل . وعن محمد بن إبراهيم البوشنجى قال مارأيت أجمع فى كل شىء من أحمد بن حنبل ، ولاأعقل . وقال الحسين الكرابيسى مثل الذين يذكرون أحمد عندنا مثل قوم

يجيئون إلى أبى قبيس يريدون أن يهدموه ، وقال يحيى بن معين كان فى أحمد بن حنبل خصال مارأيتها فى عالم قط كان محدثا وكان حافظا ، وكان عالما ، وكان ورعا . وكان زاهدا وكان عاقلا وقال الذهلى اتخذت أحمد حجة فيما بينى وبين الله وقال أبوبكر محمد بن محمد بن رجاء مارأيت مثل أحمد بن حنبل ، ولارأيت من رأى مثله . وقال : سمعت قتيبة يقول إذا رأيت الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة » .

هذه هى بعض أقوال معاصريه فيه ، وهى تدل على إعجاب شديد وتوقير كبير ، وفى بعضها مايفسح مجالا لتصور المبالغة ، ولولا أن عمل الرجل نفسه وأثره فى تلاميذه ينفى ذلك . فمن يحيا مثل حياة أحمد بن حنبل ، ومن يصمد صموده يوم المحنة ، ومن يخرج للناس مثل المسند ، ومن يطبع تلاميذه بطابع التقوى والصلابة فى الحق - وهى كلها حقائق واقعة - لايستكثر عليه ماقيل فيه ، وعلى كراهة الأتقياء لأحاديث المديح والثناء . فإنّ يحيى بن معين ، عندما أكثر جلساؤه الثناء على أحمد بن حنبل ، وقال رجل لاتكثروا . بعض هذا قال « وكثرة الثناء على أحمد تستكثر ؟ لو جلسنا مجالسنا بالثناء عليه ماذكرنا فضائله بكمالها » .

والحق أن شخصية الإمام أحمد بن حنبل وخلقه القوى وترفعه عن الدنيا وزهده فى زخرف الدنيا هو مالا يقل قيمة وأثرا عن جمع الإمام أحمد للمسند أو موقفه يوم المحنة ، لأنه أورث أتباعه هذا الخلق بحيث كاد أن يكون طابعا عاما يغلب عليهم ، وقد وصف أبوالوفاء بن عقيل الفقيه الحنبلى المتوفى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة أصحاب الإمام أحمد بعد مرور زهاء ثلاثة قرون .

« هم قوم خشن ، تقلصت أخلاقهم عن المخالطة ، وغلظت طباعهم عن المداخلة ، وغلب عليهم الجد وقل عندهم الهزل ، وغربت نفوسهم عن ذل المراءاة . وفزعوا عن الآراء إلى الروايات وتمسكوا بالظاهر تحرجا من التأويل وغلبت عليهم الأعمال الصالحة فلم يدققوا فى العلوم الغامضة ، بل دققوا فى الورع وأخذوا ماظهر من العلوم ، وماوراء ذلك قالوا الله أعلم بما فيها خشية من باريها » .

ونسب خمول المذهب الحنبلى إلى ورع أصحابه « هذا المذهب إنما ظلمه أصحابه ، لأن أصحاب أبى حنيفة والشافعى إذا برع واحد منهم فى العلم تولى القضاء وغيره من الولايات ، فكانت الولاية سببا لتدريسه واشتغاله بالعلم .

أما أصحاب أحمد ، فإنه قل فيهم من تعلق بطرف من العلم إلا ويخرجه ذلك إلى التعبد والتزهد لغلبة الخير على القوم فينقطعون عن التشاغل بالعلم » .

فإذا كان هذا هو حال أصحاب أحمد بعد ثلاثة قرون من وفاته ، فلنا أن نتصور أثره فى تلاميذه ومريديه الذين جلسوا إليه وتأدبوا بأدبه وبحق قال تلميذه أحمد بن محمد بن هانى أبوبكر

الأقرم « أحمد بن حنبل رضى الله عنه ستر من الله على أصحابه فينبغى لأصحاب أحمد أن يتقوا الله ولايعصوه مخافة أن يعيروا بأحد » ورفض تلميذه الآخر إبراهيم بن إسحق الحربى أن يقبل عشرة آلاف درهم أرسلها الخليفة المعتضد ، فسأله أن يفرقها على جيرانه فقال للرسول عافاك الله هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغلها بتفريقه . قل لأمير المؤمنين : إن تركتنا ، وإلا تحولنا من جوارك !» .

● **صفته وأدبه**

قال الحافظ الذهبى فى كتابه « تاريخ الإسلام » .

قال عبدالله بن عبدالرحمن الذهبى حدثنى أبى قال مضى عمى أبوإبراهيم أحمد بن سعد إلى أحمد بن حنبل فسلم عليه فلما رآه وثب قائما وأكرمه .

وعن عباس النحوى قال رأيت أحمد بن حنبل حسن الوجه ربعة يخضب بالحناء خضابا ليس بالقانى وفى لحيته شعرات سود ورأيت ثيابا غليظة إلا أنها بيض ورأيته معتما وعليه إزار .

قال المروزى قال أحمد « ماكتبت حديثا إلا قد عملت به ، حتى مر بى أن النبى ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارا فأعطيت الحجام دينارا حين احتجمت .

وقال ابن أبى حاتم ذكر عبداللهبن أبى عمر البكرى قال سمعت عبدالملك الميمونى يقول « ماأعلم أنى رأيت أحدا أنظف ثوبا ولاأشد تعاهدا لنفسه فى شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه ، ولاأنقى ثوبا وشدة بياض من أحمد بن حنبل » .

وقال الخلال أخبرنى محمد بن الجنيد أن المروزى حدثهم قال كان أبوعبدالله لايدخل الحمام ، وكان إذا احتاج إلى النورة تنور فى البيت ، وأصلحت له غير مرة النورة واشتريت له جلدا ليده يدخل يده فيه ويتنور .

قال حنبل رأيت أبا عبدالله إذا أراد القيام قال لجلسائه إذا شئتم .

قال عبدالملك الميمونى « لم يكن أحد أنضر ثوبا ، ولاأشد تعاهدا لنفسه فى ثيابه وشعر رأسه وبدنه من أحمد ، وكان يحب الفقراء ويعرض عن أهل الدنيا ويجلس للفقهاء حيث انتهى به المجلس ولايتصدر ، حسن الجوار . ولايخشى فى الله لومة لائم » .

قال المروزى كان الإمام أحمد إذا ذكر الموت خنقته العبرة وكان يقول : الخوف يمنعنى أكل الطعام والشراب .

وقال « إذا ذكر الموت هان كل شىء من أمر الدنيا إنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس وإنها أيام قلائل وماأعدل بالفقر شيئا » .

وقال أريد أن أكون فى بعض تلك الشعاب بمكة حتى لاأعرف وقد بليت بالشهرة إنى لأتمنى الموت صباحا ومساء .

قال المروزى قلت لأبى عبدالله إنى لأرجو أن يدعى لك فى جميع الأمصار فقال ياأبا بكر إذا عرف الرجل قدر نفسه فما ينفعه كلام الناس .

وقال عبدالله خرج أبى إلى طرسوس ماشيا وحج حجتين أو ثلاثا ماشيا ، وكان أصبر الناس على الوحدة . وقال : كان أبى يصلى فى كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، حتى مرض من تلك الأسواط أضعفته فكان يصلى كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة وقال إسحق بن راهويه كنت أنا وأحمد باليمن عند عبدالرزاق وكنت فوق الغرفة وهو أسفل فاطلعت على أن نفقته فنيت فعرضت عليه فامتنع فقلت إن شئت قرضا ، وإن شئت صلة فأبى فنظرت فإذا هو ينسج التكك ويبيع وينفق . رواها أبوإسماعيل الترمذى عنه .

وعن أبى إسماعيل قال : أتى رجل بعشرة آلاف درهم من ربح تجارته إلى أحمد فأبى أن يقبلها .

قال عبدالله عن أبيه عرض على يزيد بن هارون نحو خمسمائة درهم فلم أقبلها .

وكان الإمام أحمد رضى الله قد ورث عقارا ضئيل القيمة كان يغل فى كل شهر سبعة عشر درهما ، وكان يحاول الاكتفاء به قدر طاقته . وعندما تفجؤه حاجة أو تركبه ضرورة كان يعمد إلى العمل الميسر له مادام حلالا ، ولم يكن هذا الإمام الجليل ليستنكف عن أن ينسج أو ينسخ ، بل ويؤجر نفسه للحمالين ، ويفضل هذا كله على قبول الصلات التى كانت تعرض عليه فى سخاء ، حتى عندما تأتى من بعض شيوخه كعبد الرزاق ، كما رفض رفضا باتا أن ينال شيئا من الصلات التى كان الواثق يصله بها ويفرض عليه قبولها ، ومن باب أولى فإنه كان يرفض كل عمل يربطه بنظام الحكم ويشركه فيما يقوم عليه أو يلتبس به .

● زوجاته وأولاده

قال الخلال أخبرنا المروزى أن أبا عبدالله قال ماتزوجت إلا بعد الأربعين .

قال زهير بن صالح بن أحمد « تزوج جدى بأم أبى عباسة بنت الفضل من العرب فلم يولد له منها غير أبى ثم ماتت » .

قال المروزى سمعت أبا عبدالله يقول « أقامت معى أم صالح ثلاثين سنة فما اختلفت أنا وهى فى كلمة » .

. وقال زهير « لما ماتت عباسة تزوج جدى بعدها امرأة من العرب يقال لها ريحانة فولدت له عبدالله وحده » .

وفى هذا نظر ، لأن عبدالله ولد للإمام أحمد وله خمسون سنة أى بعد زواجه من أم صالح بعشرة أعوام ، وفى رواية المروزى « أقامت معى أم صالح ثلاثين سنة إلخ » كما أن من المعروف أن الإمام أحمد لم يتزوج إلا بعد أن قارب الأربعين .

قال زهير بن صالح لما توفيت أم عبدالله « حسن » فولدت منه زينب ثم الحسن والحسين توأما وماتا بالقرب من ولادتهما ثم ولدت الحسن ومحمدا فعاشا حتى صارا من السن إلى نحو من الأربعين ثم ولدت بعدهما سعيدا .

● قضية المحنة

نشأت هذه المحنة التى حملت اسم « خلق القرآن » من أن المعتزلة الذين كان لهم وقتئذ الحظوة لدى المأمون والغلبة الفكرية عليه كانوا ينفون الصفات عن الله تبارك وتعالى ورأوا أن التعبير السارى عن أن القرآن « كلام الله » يوحى بإثبات صفة ما ، فذهبوا إلى أن القرآن « مخلوق » ولم يعدموا الحجج من المنطق أو من تأويل بعض آيات القرآن الكريم مايعززون به دعواهم ومايجعلهم يرون أن هذه المسألة هى من مسائل العقيدة الكبرى لأنها تتعلق بالله تعالى ، ومن ثم كان إصرارهم عليها وتمسكهم بها وإقحامهم أنفسهم فى معركة ضارية بدأت أولا بعزل كل الذين يختلفون معهم فى ذلك من المناصب ، ثم تطورت إلى مناظرة الشيوخ والعلماء وانتهت إلى إلزام كل الشيوخ والعلماء القول بذلك وتهديد كل من يرفض بالاضطهاد قد يصل إلى حد القتل .

ومات المأمون قبل أن تصل الفتنة إلى مرحلتها الحاسمة ، ذلك أنه كان يؤثر المناظرة ، وإن هدد قبيل موته بحمل المخالفين على السيف . واستجاب كل الذين طولبوا القول لما أراد المأمون ، واعترفوا بدرجات متفاوتة ـ بخلق القرآن بحيث لم يبق فى بغداد فى النهاية سوى أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فى الطريق . قال الإمام أحمد « مارأيت أحدا على حداثة سنه وقدر علمه أقوم بأمر من محمد بن نوح . وإنى لأرجو أن يكون قد ختم له بخير . قال لى ذات يوم ياأبا عبدالله إنك لست مثلى . . إنك رجل يقتدى بك . قدمت الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك فاتق الله واثبت لأمر الله أو نحو هذا . فمات وصليت عليه ودفنته » .

ومن غير بغداد مات عالم مصر يوسف بن يحيى البويطى صاحب الإمام الشافعى ، وهو فى قيوده بعد أن رفض الإقرار بما يريدون . كما توفى فى سجنه نعيم بن حماد .

وهكذا أصبح على الإمام أحمد بن حنبل أن يواجه وحده العاصفة ، وتبلورت فيه وحدة القضية كلها . وكان له من الشهرة والاسم وأمل الناس فيه وتعلقهم به مايجعل موقفه فاصلا . ومن هنا كانت تلك الأهمية التى علقها معاصروه على موقفه . واعتبروه « صاحب المنة على الأمة » وشبهوا موقفه بموقف أبى بكر يوم الردة وعمر يوم السقيفة ولعلهم أيضا كانوا يستطيعون أن يرقوا

به « بدر » عندما قال النبى ﷺ فى ابتهاله المأثور اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم » .

وكان المعتصم راغبا كل الرغبة فى أن يرضخ الإمام أحمد بحيث لا يحتاج إلى استخدام القوة ، وحاول معه كل طرق الاسترضاء « يا أحمد والله إنى عليك لشفيق وإنى لأشفق عليك كشفقتى على هرون ابنى ، ماتقول . فأقول أعطونى شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله » .

ومرة أخرى « يا أحمد أجبنى إلى شىء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدى قلت أعطونى شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله فطال المجلس وقام ورددت إلى الوضع الذى كنت فيه » .

وظلت هذه المحاورات والمداورات ثلاث ليال حتى ضجر المعتصم وقال « العقابين والسياط [1] فجاء الجلادون فقال لهم المعتصم تقدموا فجعل كل جلاد يضرب الإمام أحمد سوطين والمعتصم يقول له شد قطع الله يدك ثم يتنحى ويقوم الآخر والمعتصم يقول فى كل ذلك شد قطع الله يدك فلما ضرب تسعة عشر سوطاً من هذه السياط التى يستنزف كل اثنين منها فوه رجل قال المعتصم « يا أحمد علام تقتل نفسك إنى والله عليك لشفيق ! وجعل عجيف (أحد رجال المعتصم) ينخسه بقائمة سيفه ويقول « أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم » وجعل بعضهم يقول ويلك الخليفة على رأسك قائم وقال بعضهم يا أمير المؤمنين دمه فى عنقى فاقتله وجعلوا يقولون يا أمير المؤمنين أنت صائم ، وأنت فى الشمس قائم وهو يقول ويحك يا أحمد ماتقول والإمام أحمد لا يغير من قوله « أعطونى شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله أقول به » فيأمر الجلادين بالضرب قارنا الأمر بوصيته « شد قطع الله يدك ! » .

قال صالح قال أبى فذهب عقلى ، فأفقت بعد ذلك فإذا الأقياد قد أطلقت عنى فقال لى رجل ممن حضر إننا كببناك على وجهك وطرحنا على ظهرك بارية ودسناك . قال أبى فما شعرت بذلك وأتونى بسويق فقالوا لى أشرب وتقيأ فقلت لا أفطر ثم جىء بى إلى دار إسحق بن إبراهيم فحضرت صلاة الظهر فتقدم ابن سماعة فصلى فلما انفتل من الصلاة قال لى صليت والدم يسيل فى ثوبك فقلت قد صلى عمر وجرحه يثغب دماً .

وكانت المدة منذ أن أخذ إلى أن ضرب وخلى عنه ثمانية وعشرين شهرا ، كان المعتصم فيها نهبة بين أن يلتزم بوصية سلفه المأمون وتوجيه مستشاره أحمد بن دواد الذى لم يظل يؤكد له أن الامام أحمد كافر مشرك قد أشرك من غير وجه . . وبين أن يدعه عندما أعجب بشجاعته وأخذته الشكوك فى سلامة القضية كلها .

---

(١) هى ، كما يفهم من السياق خشبتان يعلق عليها ، أو يثبت عليها من يراد جلده .

وفى الوقت نفسه فلم يكن أحمد بن أبى دواد ليريد أن يقتل ، فعندما قال أحد أتباع المعتصم ياأمير المؤمنين أضرب عنقه ودمه فى رقبتى . قال ابن أبى دواد لاياأمير المؤمنين لاتفعل فإنه إن قتل أو مات فى دارك قال النـاس صبر حتى قتل فاتخذوه إماما وثبتوا على ماهم عليه ، ولكن أطلقه الساعة فإن مات خارجاً عن منزلك شك الناس فى أمره .

وهكذا انتهى الرأى إلى الإفراج عن الإمام أحمد وإعلان ذلك على الملأ ، حتى إذا مات وهو فى بيتـه ، قال حنبـل ابن إسحق لما أمر المعتصم بتخلية أبى عبدالله خلع عليه مبطنة وقميصا وطيلسـانا وخفا وقلنسوة فبينما نحن على باب الدار والناس فى الميدان والدروب وغيرها وأغلقت الأسواق إذ خرج أبوعبدالله على دابة من دار أبى إسحق المعتصم وعليه تلك الثياب وابن أبى دواد عن يمينه وإسحق بن إبراهيم يعنى نائب بغداد عن يساره ، فلما صار إلى دهليز المعتصم قبل أن يخرج قال لهم ابن أبى دواد اكشفوا رأسه فكشفوه يعنى من الطيلسان فقط وذهبوا يأخذون به ناحية الميدان نحو طريق الحبس فقال لهم إسحق خذوا به ههنا يريد دجلة فذهب به إلى الزورق وحمل إلى دار إسحق فأقام عنده إلى أن صليت الظهر وبعث إلى أبى وإلى جيراننا ومشايخ المحال فجمعوا وأدخلوا عليه فقال لهم هذا هو أحمد بن حنبل إن كان فيكم من يعرفه ، وإلا فليعرفه . فقال ابن سماعة حين دخل للجماعة هذا أحمد بن حنبل فإن أمير المؤمنين ناظر فى أمره وقد خلى سبيله وهاهو ذا فأخرج على دابة لإسحق بن إبراهيم عند غروب الشمس فصار إلى منزله ومعه السلطان والناس وهو منحنى فلما ذهب لينزل احتضنته ولم أعلم فوقعت يدى على موضع الضرب فصاح فنحيت يدى فنزل متوكئا على وأغلق الباب ودخلنا معه ورمى بنفسه على وجهه لايقدر يتحرك إلا بجهد وخلع ماكان قد خلع عليه فأمر به فبيع ، وأخذ ثمنه فتصدق به » .

وأوى الإمـام أحمـد بن حنبل إلى بيته ووجه إليه من يبلغ خبره يوما بعد يوم ، ومن يعالج جروحه ، وكان قد أصيب فى غير موضع وظل أثر الضرب بينا فى ظهره إلى أن توفى وظلت إبهاماه متخلعتين تضربان عليه فى البرد حتى يسخن له الماء . وجعل الإمام أحمد كل من أصابه فى حل إلا مبتدع مطبقا قول الله تعالى « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » ومتبعا توجيه النبى ﷺ بالعفو عن مسطح قائلا العفو أفضل .

وعاد الإمام أحمد إلى مجلسه بالمسجد ودرسه حتى مات المعتصم وولى الواثق .

وواصل سياسة سلفه فى الأخذ بخلق القرآن ، ولكنه لم يشأ أن يعيد القصة مع الإمام أحمد بعد أن رأى أنها أكسبته المهابة والجلال والمحبة والتقدير فأرسل إليه نائبه إسحق بن إبراهيم برسالة فى موهن الليل « يقول لك الأمير إن أمير المؤمنين قد ذكرك فلا يجتمعن إليك أحد ولاتساكنى بأرض ولامدينة أنا فيها فاذهب حيث شئت من أرض الله » .

واختفى الإمام أحمد قال إبراهيم بن هانى اختفى أحمد بن حنبل عندى ثلاثة أيام ثم قال اطلب لى موضوعا قلت لا آمن عليك قال أفعل فطلبت له موضوعا فلما خرج قال لى اختفى رسول الله ﷺ فى الغار ثلاثة أيام ثم تحول .

وظل الإمام أحمد على هذا الحال حتى توفى الواثق وولى المتوكل ، فأنهى تلك المأساة ووضع ختامها بعد أن ثبت فشلها وكتب المتوكل إلى إسحق بن إبراهيم برفع الحظر على الإمام أحمد وإكرامه . وأرسل إليه كتابا ومعه بدرة وقال الإمام أحمد إنه قد صح عند أمير المؤمنين براءة ساحتك وقد وجه إليك بهذا المال تستعين به فأبى أن يقبله وقال مالى إليه حاجة فقال ياأبا عبدالله اقبل من أمير المؤمنين مايأمرك به فإن هذا خير لك عنده فاقبل ولاترده فإنك إن رددته خفت أن يظن بك سوءا فحينئذ قبله ، ولكنه لم يستطع النوم ، فلما كان السحر أرسل إلى بعض أصحابه ووجههم إلى توزيع المال على من يعملون من أهل الستر والصلاح ببغداد والكوفة ففرقوها كلها فما بقى فى الكيس درهم ثم تصدق بالكيس نفسه على مسكين .

والحقيقة أن ولاية المتوكل وإن أنهت فصل الاضطهاد فى تلك المأساة إلا أنها فتحت فصلا آخر هو فصل الاصطناع فقد حاول المتوكل بكل طريقة أن يجتذب إليه الإمام أحمد ويجعله من خلصائه ، ورفض الإمام أحمد ذلك ، بل رفض أن ينال من أحمد بن أبى دواد أو يذكره بشىء مع أنه تولى كبر هذه الفتنة وشهد على الإمام أحمد أنه « أشرك من غير وجد » وأجبره المتوكل على الذهاب إليه واضطر الإمام لأن يذهب ولكنه لم يقبل ضيافة المتوكل ، فلم ينزل فى الدار التى أعدها له ، ولم يأكل من المائدة التى رتبها ، بل لقد أمرضه هذا كله ، واحتج بهذا المرض فى رفض الأكل والشراب واللقاء ووجه إليه المتوكل بمال عظيم فرده فقال عبيد الله بن يحيى بن خاقان فإن أمير المؤمنين يأمرك أن تدفعها إلى ولدك وأهلك قال هم فردها عليه فأخذها عبيدالله فقسمها على أهله وولده ثم أجرى المتوكل على أهله وولده أربعة آلاف فى كل شهر فبعث إليه الإمام أحمد أنهم فى كفاية وليست بهم حاجة فبعث إليه المتوكل إن هذا لولدك مالك ولهذا فأمسك .

ولما طالت العلة به أرسل المتوكل ابن ماسويه الطبيب فزاره ثم عاد إلى المتوكل وقال إنه ليست به علة فى بدنه إنما هو من قلة الطعام والصيام والعبادة . فسكت المتوكل .

وأمر المتوكل بشراء دار للإمام أحمد ولكنه رفض ذلك قائلا إنما يريدون أن يصيروا هذا البلد لى مأوى ومسكنا قال صالح فلم نزل ندفع شراء البيت .

وأكدبت هذه الرعاية الإمام أحمد كربا شديداً حتى كان يبكى ويقول سلمت من هؤلاء ستين سنة حتى إذا كان فى آخر عمرى بليت بهم ، والله لقد تمنيت الموت فى الأمر الذى كان (أى فى

فتنة المعتصم) وإنى لأتمنى الموت فى هذا وذلك أن هذا فتنة الدنيا وذلك فتنة الدين ثم جعل يضم أصابعه ويقول لو كانت نفسى فى يدى لأرسلتها ، ويفتح أصابعه .

وكان المتوكل يوجه فى كل وقت يسأل عن حاله ويأمر لآله بالمال دون أن يعلم الإمام أحمد بذلك . وحسن رأيه فى الإمام أحمد بعد مارأى من صدوده حتى رفض فيه كل الوشايات وعندما قالوا له إنه لايأكل من طعامك ، ولايجلس على فراشك ويحرم الذى تشرب قال لهم « لو نشّر المعتصم وقال فيه شيئا لم أقبل منه » .

ولما تأكد المتوكل من عقم كل محاولاته اصطناع الإمام أحمد أو تقريبه سمح له بالعودة وأذن له فى الانصراف فجاء عبيد الله بن يحيى وقت العصر وقال للإمام أحمد إن أمير المؤمنين قد أذن لك ، وأمر أن تفرش لك حراقة [1] تتحدر فيها فقال أبوعبيد الله أطلبوا لى زورقا فانحدر فيه الساعة فطلبوا له زورقا فانحدر من ساعته .

قال حنبل ، فما علمنا بقدومه لى أنه قد وافى فاستقبلته بناحية القطيعة وقد خرج من الزورق فمشيت معه فقال لى تقدم لايراك الناس فيعرفونى فتقدمت بين يديه حتى وصل إلى المنزل فلما دخل ألقى نفسه من التعب والعياء .

وكان فى حياته ربما استعار الشىء من منزلنا ومنزل ولده فلما صار إلينا من مال السلطان ماصار امتنع عن ذلك .

وانتهى بذلك أمر المحنة بعد أن أستمر أربع عشرة سنة ثبت لها الإمام أحمد بن حنبل ثبات المؤمنين الصادقين .

وقد وقف الإمام أحمد رضى الله عنه موقفين جديرين بالتأمل والتقدير .

الأول : موقف الصلابة والبطولة وايثار الموت على التفريط أو التسليم ، وأن « التقية » لايمكن أن تقبل من الإمام الداعية القدوة وإن قبلت من سواد الناس وجماهيرهم .

والثانى : العبارة التى أجمل فيها الإمام أحمد رضى الله عنه رده على هؤلاء المعتزلة فرسان الكلام وأئمة الجدل . فقد رفض أن يدخل فى نقاش ، وتمسك بصيغة واحدة محددة لالبس فيها « أعطونى شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول فيه » وقد أجمل الإمام أحمد فى كلمته هذه المذهب الأمثل والعقيدة السليمة ، فما لم يأت القرآن أو الحديث بشىء فى هذا المجال ، فإن الجدل والرأى وإعمال الفكر مستبعد تماما ، ولامحل له لأنه يتعلق بصفات الله عز وجل . وهى صفات

---

(١) أى سفينة خفيفة خاصة .

لايدركها العقل البشرى ولاتخضع لأحكامه أو تصوراته ـ ولو جاز أن يهتدى إليها العقل لما كان ثمة حاجة لارسال الرسل وبعثة الأنبياء ولجاز أن يقوم بهذا الفلاسفة أو العلماء . فالذين يتصورون أن العقل البشرى يستطيع أن يدرك صفات الله تعالى ، إنما يطعنون الدين ويحاولون هدمه وخدع الناس بمفترياتهم (ومايخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون)

وكل ماسوى الإيمان القلبى فى هذا المجال فهو مجازفة خطرة ، وأخذ بأقيسة باطلة . واعتماد على براهين عاجزة أو فاسدة ، وتوريط للنفس فى متاهات دون هدى أو دليل ، ولعل الإمام أحمد رضى الله عنه كان يستطيع أن يفند هذه الدعوى ويدخل فى الجدل ولكنه آثر أن يقف موقف أهل السنة ، وأن يضع ـ فى هذه المسألة الكبرى من مسائل الاعتقاد ـ السنة والاتباع فى مواجهة الهوى والابتداع ، لأن هذا الوضع هو الوضع الحاسم فى هذه القضية ـ لأن الاجتهاد مستبعد أصلا فى هذا المجال بحيث لايمكن التفكير فيه كوسيلة للاتصال وكسب الخصوم . فالإمام أحمد كان يرى حل المشكلة إنما يكون فى « الموقف » الذى وقفه وبالتالى لايكون هناك داع لحل آخر . ولو أراد مثل هذا الحل لما أعوزه ، ولما كان يعجزه أن يقول ماقاله واحد من عامة المسلمين عندما جابه أحمد بن أبى دواد « شىء لم يدع إليه رسول الله ﷺ ، ولا أبوبكر ، ولاعمر ، تدعو أنت الناس إليه . . ليس يخلو أن تقول علموه أو جهلوه . فإن قلت علموه وسكتوا عنه وسعنى وإياك من السكوت ماوسع القوم ، وإن قلت جهلوه وعلمته أنت ، فيالكع ابن لكع : يجهل النبى ﷺ والخلفاء الراشدون رضى الله عنهم شيئاً وتعلمه أنت » .

كما لم يكن ليدق على ذكاء الإمام أحمد وفراسته ماأدركه أحد أتباع الواثق عندما دخل عليه يوماً وقال له « ياأمير المؤمنين أعظم الله أجرك فى القرآن » فقال : ويلك القرآن يموت ؟ قال أمير المؤمنين كل مخلوق يموت .

كان الإمام أحمد رحمه الله يستطيع أن يقول شيئا كهذا ولكنه لم يكن يريد خلاصاً من محنة أو انتصارا على الخصوم ولكن تقديراً لمبدأ ، وتحديداً لموقف ، وكيف يميل الإمام أحمد ويجادل فى عقيدة وهو الذى يحمل بين جنبيه كتاب الله وتمتزج روحه بالسنة المطهرة ومن هنا قال « أعطونى شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله حتى أقول به » .

وفى كلام الإمام أحمد ، وفى كثير من كتبه ووصاياه بين أن الموقف السليم هو ترك الجدل والمراء واطراح الخصومات والأهواء والوقوف عند السنة المطهرة ، وعدم إفساد القلوب بهذه الشبه والاستدلال على الله ببديع صنعه وسابغ نعمه بل الاستدلال عليها بخالقها ومبدعها جل جلاله .

● ذكر مرضه ووفاته رحمه الله

قال المروزى : مرض أبو عبدالله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول ومرض تسعة أيام ، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجا يسلمون عليه ويرد عليهم بيده وتسامع الناس وكثروا ، وسمع السلطان بكثرة الناس فوكل السلطان ببابه وبباب الزقاق الرابطة الأخبار ثم أغلق باب الزقاق فكان الناس فى الشارع والمساجد حتى تعطل بعض الباعة وحيل بينهم وبين البيع والشراء ، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل إليه وصل من بعض الدور وطرد الحاكة وربما تسلق وجاء أصحاب الأخبار فقعدوا على الأبوابْ وجاءه حاجبه ابن طاهر فقال إن الأمير يقرئك السلام وهو يشتهى أن يراك فقال هذا مما أكره وأمير المؤمنين أعفانى مما أكره ! وأصحاب الخبر يكتبون بخبره إلى العسكر والبرد تختلف كل يوم ، وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه وجعلوا يبكون عليه وجاء قوم من القضاة وغيرهم فلم يؤذن لهم فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين قال ادعوا لى الصبيان بلسان ثقيل فجعلوا ينضمون إليه وجعل يشمهم ومسح بيده على رؤوسهم وعينه تدمع .

فلما كانت ليلة الجمعة ثقل وقبض صدر النهار فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت ، وامتلأت السكك والشوارع .

قال البخارى مرض أحمد بن حنبل لليلتين خلتا من ربيع الأول ومات يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول .

قال صالح وجه ابن طاهر يعنى نائب بغداد بحاجبه مظفر ومعه غلامين معهما مناديل فيها ثياب وطيب فقالوا الأمير يقرئك السلام ويقول قد فعلت مالو كان أمير المؤمنين حاضراً كان يفعل ذلك فقلت أقرىء الأمير السلام وقل له إن أمير المؤمنين قد كان أعفاه فى حياته مما يكره ، ولاأحب أن أتبعه بعد موته بما كان يكره فى حياته ، فعاد وقال يكون شعاره فأعدت عليه مثل ذلك . وقد كان غزلت له الجارية ثوبا عشارياً قوم بثمانية وعشرين درهما ليقطع منه قميصين فأدرجناه فى ثلاث لفائف واشترينا له حنوطا وفرغ من غسله وكفناه وحضر نحو مائة من بنى هاشم ونحن نكفنه وجعلوا يقبلون جبهته حتى رفعناه على السرير .

قال عبدالله بن أحمد : صلى على أبى محمد بن عبدالله بن طاهر غلبنا على الصلاة عليه ، وقد كنا صلينا نحن والهاشميون فى الدار .

قال صالح وجه ابن طاهر من يصلى عليه قلت أنا فلما صرنا إلى الصحراء إذا ابن طاهر واقف فخطا إلينا خطوات وعزانا ووضع السرير فلما انتظرت هنيهة تقدمت وجعلت أسوى صفوف الناس فجاءنى ابن طاهر ، فقبض « ابن طالون » على يدى ومحمد بن نصر على يدى وقالوا الأمير فمانعتهم فنحيانى وصلى ولم يعلم الناس بذلك ـ فلما كان من الغد علم الناس فجعلوا يجيئون ويصلون على القبر ، ومكث الناس ماشاء الله يأتون فيصلون على القبر .

وحضر جنازته جمع حاشد لم ير مثله فى جاهلية أو إسلام وقدرته بعض المراجع بألف وثلثمائة ألف ، بينما قدرته مراجع أخرى بسبعمائة ألف ، وقيل حضرها من الرجال ثمان مائة ألف ومن النساء ستون ألفاً .

فكانت الجنازة جليلة مهيبة ، وحدثاً فذاً ، ورزقت من حرص الناس عليها ماجعل الخليفة ، الذى كان غائبا وقتئذ عن بغداد يقول لنائبه « محمد بن عبدالله بن طاهر » « طوبى لك محمد . . صليت على أحمد بن حنبل رحمه الله » .

ولو أردنا تقصى عناصر القوة والثبات فى هذه الشخصية الفريدة لرأيناها كلها تدور حول محور واحد ، ذلك هو التجرد لله ، الذى قام على أركان منها الإيمان العميق بالله تعالى وأنه وحده الخالق القادر فوق عباده ، وأن من دونه لايملكون لأنفسهم ، أو لغيرهم شيئاً ، ومن هذا الإيمان استمد شجاعته وثباته أمام كل القوى الباطشة أو المغريات الدنيوية . ومنها الاقتداء بسيرة النبى ﷺ بحيث أصبحت منهجه فى حياته وسلوكه وأكله وشربه ولبسه وأدبه فقد تشرب السنة واصطبغ بها ، ومنها الانصراف عن زخرف الحياة ومتاعها والرضا بالكفاف والابتعاد عن كل مايضيع الوقت أو يشغل النفس عن العلم والحديث .

وأخيرا ماوهبه الله من توفيق أعانه أن يلزم نفسه هذا الطريق ، ويأخذها بما يتطلبه من زهد ، وينأى بها عن سفساف الأمور . قال الشافعى : خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلا أفضل ، ولا أعلم ولاأفقه ولاأتقى من أحمد بن حنبل . وقال عبدالرزاق مارأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولاأورع وقال الزعفرانى مارأيت أعقل من أحمد بن حنبل وسليمان بن داود الهاشمى وقال محمد بن إبراهيم البوشنجى مارأيت أجمع فى كل شىء من أحمد بن حنبل ولاأعقل .

بهذه الصفات كان أحمد بن حنبل رجلا عالماً زاهداً ، ورعا قوياً ، من الذين تزيدهم العبادة قوة وهمة فخرج على الناس بهذا الكتاب الجامع « المسند » ليكون للناس إماما .

رحم الله أبا عبدالله رحمة واسعة وأثابه بما قدم من خلق رفيع وعلم غزير تقبس منه الأجيال جيلا بعد جيل حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

المحدث الشيخ عبدالغنى عبدالخالق

ومن أعلام الأزهر : المحدث الفقيه أبوالكمال الشيخ عبدالغنى عبدالخالق .

هو[1] أبوالكمال عبدالغنى بن محمد بن عبدالخالق بن حسن بن مصطفى المصرى القاهرى مولدا ونشأة ووفاة .

و« الكمال » - كما يحلوا له أن يوقع أو يكتب فى كثير من الأحيان : اسم ولده الكبير الدكتور محمد كمال الدين عبدالغنى . و« الحسين » - كما يوقع أو يكتب فى بعض الأحيان - اسم ولده الأستاذ حسن عبدالغنى .

● **مولده ووفاته**

ولد رحمه الله فى (١٩٠٨/٣/١٧) فى مدينة القاهرة بمنطقة « السيدة نفيسة بنت الحسن رضى الله عنهما » حيث كان والده - رحمه الله - شيخا لجامع السيدة نفيسة .

وانتقل - تغمده الله بعفوه - إلى جوار ربه فى مكان ولادته حيث وافاه الأجل فى مدينة القاهرة فى منطقة السيدة نفيسة فى منزل والده - نفسه - عشية الخميس (١٤٠٣/٩/١٨هـ) الموافق (١٩٨٣/٧/٢٨) عن عمر جاوز الخامسة والسبعين بأربعة أشهر .

وفاته حيث توفى أمر كان يحرص عليه ويتمناه . ومن الغريب أن مرض وفاته - رحمه الله - قد بدأ يوم (١٩٨٣/٣/١٧) الذى يصادف مثل يوم مولده قبل خمسة وسبعين عاما .

● **نشأته وأسرته**

أسرة شيخنا - غفر الله له - أسرة علم وفضل ودين ، فوالده الشيخ الزاهد محمد عبدالخالق - رحمه الله - أحد كبار علماء الأزهر ، ذو باع طويل فى كثير من العلوم الشرعية والعربية ، وله مؤلفات لاتزال مخطوطة فى بعض هذه العلوم . ولقد زهد فى المناصب الإدارية الأزهرية ونحوها ،

---

(١) هذه الترجمة من مقدمة كتاب « الإمام البخارى وصحيحه » تأليف د. عبدالغنى عبدالخالق ، والترجمة بقلم تلميذه د. طه جابر فياض العلوانى .

ومال إلى مشيخة الجامع النفيسى ، فعمل شيخاً للجامع المذكور خلفاً عن جده لوالدته ـ الذى كانَ يشغل ذلك المنصب ـ الذى تعتز الأسرة به وتفخر أنه كان فيها منذ العصر العباسى الثانى .

ولقد كان للشيخ محمد عبدالخالق مكانته العلمية الواسعة ، فكان منزله موئلاً لجميع أهل العلم والفضل ، ولذلك فإن أولاده : مترجمنا وشقيقه الأكبر الشيخ مصطفى ـ رحمه الله ـ وشقيقه الأصغر الشيخ أحمد ـ حفظه الله ـ يحتفظون بذكريات كثيرة من أفاضل علماء ذلك الوقت ، الذين كانـوا يرتادون منزل والدهم وغرفة مجلسه فى الجامع ، وكان أبوالكمال بخاصة يتذكر الكثير من النوادر والدقائق العلمية والأدبية التى كانت تثار فى مجلس والده ، وطرائق والده فى معالجتها .

كما أن للأسرة نصيبا من النسب الشريف ، فوالده الشيخ ـ رحمهما الله ـ ينتهى نسبه لأمه بالدوحة النبوية . ويتصل نسبه لأبيه بالصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه .

وشقيق شيخنا الأكبر هو سماحة الشيخ الجليل مصطفى محمد عبدالخالق . كان شيخنا رحمه الله كثير التوقير له ، شديد الاحترام له يعتبره نهاية الأصوليين من قدامى الأزهريين ، فقد حصل على درجة التخصص القديم فى الفقه وأصوله عام ١٩٣٤م ، وعمل بمعاهد الأزهر ثم فى كلية الشريعة فيه إلى أن أصبح رئيسا لقسم أصول الفقه بها أيام لم تكن هذه الرئاسة مناصب إدارية بقدر ماهى مناصب علمية لاينالها إلا أعلم أهل ذلك الاختصاص .

ولقد حضرنا عليه ـ رحمه الله ـ فى الدراسات العليا فكان لايبارى فى ذكائه وفهمه الثاقب لدقائق علم أصول الفقه ، وبصره بالفتاوى الشرعية ، إلى جانب ولعه بالبلاغة والمنطق والعلوم الرياضية ، والشعر والأدب . . وناهيك برجل كان أبو الكمال يعتبره أستاذه الثانى بعد والده ـ رحمهم الله تعالى . .

أما شقيقه الأصغر فهو فضيلة الشيخ أحمد محمد عبدالخالق شيخ الجامع النفيسى الآن حيث خلف والده فى هذا العمل سنة (١٩٤٧) ولازال فيه إلى الآن .

● **زوجته وأولاده وبناته**

أما زوجة شيخنا أبى الكمال ـ رحمها الله ـ فقد كانت ابنة شيخ المعاهد الأزهرية فى حينه المرحوم الشيخ محمد بن عبدالوهاب سالم . وأما أبناؤه فقد أنجب ـ رحمه الله ـ ثلاثة من الذكور هم : الدكتور محمد كمال الدين عبدالغنى ، والاستاذ حسن عبدالغنى ، والمرحوم مجدى عبدالغنى الذى انتقل إلى رحمة الله فى حادث سيارة فى المملكة العربية السعودية فى السنة التى عمل فيها ـ رحمه الله ـ أستاذا فى كلية الشريعة فى الرياض . كما أنجب أربعاً من البنات .

● ثقافة الشيخ وعلومه

حفظ القرآن الكريم فى صغره والتحق بمعاهد الأزهر الشريف ، ثم بكلية الشريعة الإسلامية إحدى كليات الأزهر الجامع الشريف الثلاث ، وتخرج فيها (١٩٣٥) وحصل على درجة الاجازة العالية (الليسانس) فى العلوم الشرعية ، ثم التحق بقسم تخصص المادة وحصل على درجة العالمية من درجة أستاذ (الدكتوراه) فى أصول الفقه . سنة ١٩٤٠ ، وكان موضوع رسالته التى تقدم لها : (حجية السنة) .

وكان رحمه الله تعالى إلى جانب ثقافته الشرعية والإسلامية ذا ذوق رفيع وبلاغة عالية ، ينهل من عيون الأدب العربى ، ويحفظ الكثير من شعره ونثره لفرسان الفن قديماً وحديثا ، وله الكثير من المختارات الشعرية والنثرية مما يدل على طول باعه ورهافة حسه ، وجمال تذوقه . وبلغ من غرامه بالنثر الجيد أنه كان يحفظ العديد من مقامات بديع الزمان الهمذانى ، ورسائل الصاحب بن عباد ، والخوارزمى وغيرهم ، أما أبوتمام فكان يقدمه على غيره من شعراء العربية ، إلى جانب حفظه الكثير من أشعار امرىء القيس وعنترة والنابغة وكعب بن زهير من المتقدمين ، وبشار بن برد وابن الرومى وجرير والفرزدق والمتنبى من المتأخرين ، وبالجملة كان الشيخ رحمه الله يقبل فى قراءته والآداب يقطف من كل بستان زهرة ولعل ذلك يبدو جلياً من معرفتنا بمكتبته الخاصة التى ورث جزءاً منها عن أبيه ثم أضاف إليها فى حياته . فهى ـ بحمد الله ـ مكتبة فريدة من نوعها تضم الآلاف من الكتب والمراجع فى شتى العلوم والفنون ، يجد فيها طالب العلم بغيته : فى الفقه وأصوله والقرآن وعلومه والحديث وفنونه إلى جانب أمهات كتب الأدب وأجناسه ، والنقد ومدارسه والبيان والبلاغة والتاريخ والفلسفة والكثير من الدوريات الأدبية والثقافية والعلمية النادرة مثل مجلة المقتطف والرسالة « القديمة والحديثة » والروايات المترجمة من مختلف اللغات ، وكان ـ عليه الرحمة والرضوان ـ حريصاً على متابعة كل مايجد فى كل فن ليضمه إلى مكتبته . وقد استفاد ـ بحمد الله وتوفيقه ـ من هذه المكتبة كثيرون من طلاب العلم وأهله فكانت لهم مثابة يأوون إليها ، ومعيناً ينهلون منه ، ومصدراً يرجعون إليه كلما عن لهم ذلك . وهم يجدون فى الشيخ ـ رحمه الله ـ بشاشة وترحاباً وعوناً وإرشاداً .

● تدرجه الوظيفى

عمل ـ رحمه الله ـ فور تخرجه من تخصص المادة بكلية الشريعة الإسلامية بالجامع الأزهر ـ ثم جامعة الأزهر حديثاً ـ حتى صار أستاذاً ورئيساً لقسم أصول الفقه بها ، وتخرجت به أجيال من العلماء الأجلاء منذ ١٩٤٠م ولمدة تربو على اثنين وأربعين عاماً قضاها ـ رحمه الله تعالى ـ فى خدمة الشريعة الإسلامية وفى البحث والتوجيه والإرشاد العلمى .

فقد أشرف فى مرحلتى الماجستير « التخصص » والدكتوراه « العالمية » فى علوم الفقه وأصول الشريعة الإسلامية على مايقرب من خمسمائة رسالة علمية وبحث فى جامعة الأزهر وبعض أقسام الشريعة فى الجامعات الأخرى لطلاب من مصر والعالم العربى والإسلامى فى مختلف بقاع المعمورة ، وجلهم - بحمد الله تعالى - من أنجح الخريجين وألمعهم يتسنم الكثيرون منهم أعلى المناصب العلمية ، ويسهمون فى خدمة الشريعة الإسلامية فى كل مكان ، وكان للشيخ ولع خاص بتحقيق التراث ، وقدم ثابتة فى معرفة تراجم الرجال والآثار تجعله فى مقام الإمامة والريادة فى هذا المضمار ، وكان كثير التشجيع لطلابه على المزيد من خدمة التراث الإسلامى بنفض غبار الاهمال عنه ، ونشر درره ، والكشف عن أسراره ومحاسنه وتقريبه لأذهان القارىء والباحث ، وكان يرى أن تحقيق التراث مركب صعب لايقر به إلا من رزق الفهم الثاقب ، والعقل الراجح ، والثقافة العالية المتنوعة فضلاً عن أنه مزلق خطير لمن حرم شيئا من ذلك .

وكان فى شيخنا الجليل عزوف طبعى عن المناصب الإدارية والرئاسية مثل المشيخة والعمادة وماشابهها ، وكان يراها مضيعة لوقت العالم الباحث والفقيه المدقق ومظنة للخلف بينه وبين أصفيائه ، لكنه ساهم فى الكثير من الأنشطة العلمية والثقافية ، فإلى جانب إشرافه على الرسائل العلمية الجامعية كان عضوا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، وقد شارك مع صفوة من العلماء فى عمل موسوعة الفقه الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية إلى جانب عضويته للجنة الفتوى بالجامعُ الأزهر .

كما أنه كان زاهداً فى الاعارة للجامعات خارج مصر متعففاً عن سائر الاغراءات المادية باستثناء فترة قصيرة كانت استجابة لرغبة كريمة عمل خلالها بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى المملكة العربية السعودية « الرياض » وقبل عام (١٩٥٧م) السفر إلى كلية الشريعة الإسلامية فى سوماطرة بجمهورية أندونيسيا رغبة منه فى الخدمة الإسلامية العامة ، إلا أن الظروف السياسية - آنذاك - حالت دون سفره ، ولكنه عمل أستاذاً زائراً لفترات قصيرة بجامعات كثيرة فى العراق والسعودية وليبيا والمغرب ، كما أنه زار الأردن عندما أدى فريضة الحج عام (١٩٧٢م) . وفى احتفال جمهورية مصر العربية بالعيد الألفى للأزهر منحه رئيس الجمهورية المصرية وسام الدولة للعلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى وذلك فى (١٧ مارس ١٩٨٣م) .

● أهم أعماله

١ـ كتاب حجية السنة . رسالته لنيل رسالة الدكتوراه « العالمية من درجة أستاذ » وهى سوف نتحف العالم الإسلامى بها قريباً إن شاء الله ، فهى قيد الطبع .

٢ـ تحقيق كتاب أحكام القرآن للإمام أبى عبدالله محمد بن إدريس الشافعى المتوفى (٢٠٤)هـ . جمعه الإمام الحافظ أبوبكر أحمد بن الحسين بن على بن عبدالله بن موسى البيهقى

النيسابورى صاحب السنن الكبرى المتوفى (٤٥٨)هـ . وقد طبع للمرة الأولى فى « غرة ذى القعدة سنة ١٣٧١هـ » الموافق (٢٣/٧/١٩٥٢)م .

وقد كان الشيخ ينوى إعادة نشره ،وحدثنى فى ذلك كثيراً ، وأنهى كثيراً من التعليقات على المنشور حالياً ، وإن كان بعض التجار قد سطا على الكتاب وأعاد نشره عدة مرات من غير إذن . ولعلنا نوفق إن شاء الله إلى طبع نسخة الكتاب التى أضاف عليها الشيخ إضافات كثيرة نافعة .

٣ـ تحقيق كتاب آداب الشافعى ومناقبه للإمام الجليل أبى محمد بن عبدالرحمن بن أبى حاتم الرازى « صاحب كتابى : العلل ، والجرح والتعديل) . وقد زاد الشيخ عليه وصحح فيه وأضاف إليه من الفوائد مايغرى بإعادة نشره إن شاء الله .

٤ـ تحقيق كتاب الطب النبوى لشمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى الدمشقى ابن قيم الجوزية (٦٩٠ـ٧٥١هـ) . طبعت نسخته التى حققها شيخنا لأول مرة « يوم الخميس ٢٩ من ربيع الثانى ١٣٧٧هـ الموافق ٢١ نوفمبر سنة ١٩٥٧م » ولكن سطا عليه التجار كذلك وتصرفوا فيه ، فمرة يطبعونه مع مقدمة الشيخ ، ومرة يرفعون المقدمة منه ، وفى منزله نسخة عليها إضافات كثيرة .

٥ـ تحقيق كتاب منتهى الارادات فى جمع المقنع مع التحقيق وزيادات لتقى الدين محمد بن أحمد الفتوحى الحنبلى المصرى الشهير بابن النجار : قسمان بمجلدين كبيرين صدر يوم (الخميس ٧ من ذى القعدة ١٣٨١هـ ـ ١٢/٤/١٩٦٢م) .

٦ـ الإمام البخارى وصحيحه ، وهو كتاب حافل بمجلد متوسط كان قد أعده مقدمة لطبعة صحيح البخارى ـ التى نشرها السيد عبدالشكور ـ صاحب مكتبة النهضة ـ بمكة المكرمة سنة ١٣٧٦هـ . فكان كثير من أهل العلم يشترون نسخة الجامع الصحيح هذه للحصول على المقدمة .

٧ـ أصول الفقه لغير الحنفية مع الأساتذة / إبراهم عبدالحميد ـ حسن وهدان عام (١٣٨٢/١٩٦٣) . كتب ـ رحمه الله ـ منها مباحث الحكم كلها .

٨ـ محاضرات فى أصول الفقه جامعة الأزهر كلية الشريعة والقانون قسم الدراسات العليا ـ شعبة الفقه المقارن ـ السنة الثانية . طبعة خاصة بالطلاب .

٩ـ بحوث فى السنة المشرفة ، نشرته كلية الشريعة فى الرياض على صفحات مجلتها « أضواء الشريعة » .

١٠ـ مبادىء كلامية أعدها لدراسة بعض طلابه .

١١ـ حجية الاجماع ، بحث كبير أعده لطلاب الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

● **مباحث فقهية كثيرة ومتنوعة**

لاتزال بخط يده كان يمليها على طلابه فى المراحل الدراسية المختلفة التى كان يدرس فيها منها :

١ـ أحكام الرضاع .
٢ـ الكلام على حقيقة نكاح المتعة ، وبعض مايتصل بذلك « بحث كبير » .
٣ـ مباحث أصولية (فى الحكم والمحكوم عليه . . . إلخ) .

وبعد :

فإنه ليسعدنى أن أقدم لكتاب من أهم الكتب إن لم يكن أهم ماكتب ـ بإطلاق ـ عن حياة الإمام البخارى وصحيحه ، فإن هذا الكتاب على لطافة حجمه وضآلة جرمه قد جمع من المعلومات القيمة ، والنوادر العلمية الدقيقة عن الإمام البخارى وصحيحه مالم يجتمع فى مجلدات . فمؤلفه ـ رحمه الله ـ علامة محقق ، وباحث مدقق ، قل أن يجود الزمان بمثله فى الفضل والعلم والبحث والتدقيق والتحقيق .

وقد بقيت هذه المقدمة عزيزة على الشيخ ـ رحمه الله ـ أثيرة لديه قريبة منه ليضيف إليها ، ويصحح فيها حتى وافاه أجله وهى بالقرب من سرير نومه ، تغمده الله برحمته ، ونفع الله طلاب العلم باثاره ، وعوض المسلمين عنه خيراً .

ومن أعلام الأزهر

المحدث الشيخ الدكتور : محمد السماحى

كثير من الناس يجىء ويمضى دون أن يشعر به أحد . وقليل منهم يجىء فيقدم للعلم وللعلماء أجل الخدمات وسرعان مايملأ سمع الدنيا وبصرها حين تحيطهم أجهزة الإعلام بهالة فيعلو صيتهم ويملأ الخافقين ، ونادر منهم من يجىء للحياة ويقضى عمره كله خادما للعلم منقبا فى بطون الكتب ليرد شبهة أو ليحقق مسألة فيكون نتيجة ذلك أسفارا ضخمة وبالرغم من كل ذلك فهو يعيش فى صمت ويمضى فى صمت . وهم راضون بذلك لايبغون بعد صيت . فقد شغلهم العلم وطلبه ونشره عن طلب الشهرة بين الناس . إذ أنهم يطلبون الجزاء من رب الناس ويبتغون رضاه لارضاهم ، وشيخنا كان من هذه الفئة النادرة فقد توفاه الله فى أوائل ذى الحجة ١٤٠٤هـ ويشاء الله أن تكون النهاية كما يحب الرجل . فقد عاش ماعاش . وأدى للعلم ماأدى وألف من الكتب مايتزود به أساتذة العلم وسخر حياته لعلم الحديث ـ غير ساع لشهرة ولا راغب فيها .

لقد كان عالما لايخشى غير الله فى الحق ، ولايبغى مثوبة من سواه . أصدق مايقال عنه أبيات ترنم بها أمير شعراء العصر الحديث يصف فيها جلالة علماء الأزهر وعزتهم التى لاتعلو عليها فى الخليقة درجة . يقول :

كانوا أجل من الملوك جلالة ... وأعز سلطانا وأفخم مظهرا

زمن المخاوف كان فيه جنابهم ... حرم الأمان وكان ظلهم الذرا

من كل بحر فى الشريعة زاخر ... ويريكه الخلق الكريم غضنفرا

● مولده ونشأته

ولد الدكتور محمد محمد السماحى فى ٩ من مارس ١٩٠٧م فى قرية برج البرلس مركز البرلس غربية . وهى الآن تابعة لمحافظة كفر الشيخ . وقد نشأ رحمه الله فى بيئة دينية . حيث كان أبوه الشيخ محمد السماحى من علماء الأزهر . وكان إماما ومدرسا ومفتيا للبلد . رحمه الله . . كما أن أخاه الشيخ على السماحى كان أزهريا حافظا للقرآن .

حفظ القرآن فى القرية قبل أن يلتحق بالأزهر مع تجويده . فقد كان من محاسن المحفظ أن يحفظ القرآن مجودا . فمن أتم الحفظ أصبح ملما بأحكام التجويد والأداء .

ثم التحق بالأزهر فقضى دراسته الأولية فى معهد دسوق الدينى . بعدها انتقل إلى طنطا للدراسة الثانوية الأزهرية . واتصف فى هذه المرحلة بالجد والاجتهاد فى الدراسة . كما أنه كان مثالا للأخلاق الفاضلة والسلوك الطيب . . كان معروفا بذلك بين أساتذته وإخوانه طوال حياته .

ثم التحق بكلية الشريعة الإسلامية فى بداية إنشائها . وكان يقضى كل وقته فى طلب العلم . وفى عطلات الصيف بخاصة شهر رمضان المبارك كان يحرص على مجالس علم يعقدها يدرس فيها الدين لأهل قريته فى المسجد ، وعلى إقامة ندوات دينية وإلقاء خطبة الجمعة [1] .

● قدر الله

ولما كان فى السنة الرابعة من كلية الشريعة . نجح فى كل العلوم بتفوق عدا علما واحدا هو أصول الفقه . فقد أراد الله ـ لحكمته ـ أن تقل درجة الشيخ فى هذا العلم درجة واحدة عن النهاية الصغرى . حيث حصل فى الامتحان الشفهى للعلم على تسع درجات فقط وكان النجاح فيه من عشر درجات . وكأن الله أراد بذلك أن يحتبسه هذه السنة ليلتحق بتخصص الأستاذية « الدكتوراه للتدريس فى الكليات » والذى لم يكن قد أنشىء بعد . وأنشىء فى السنة التالية وقد كان من أكبر رغباته أن يكون محصلا لأكبر قسط من العلم فى هذا التخصص ليعمل مدرسا بالجامعة . وقد كان هذا سببا جعل زملاءه الذين نجحوا فى السنة الماضية يعجبون أولا لتخلفه عنهم مع تفوقه المشهور . ويتمنون ثانيا لو تخلفوا معه ليلتحقوا بهذا القسم الجديد . والذى أكرمه الله بالالتحاق به . والتخصص الوحيد الذى كان موجودا ومتاحا هو تخصص إجازة التدريس فى المعاهد . وكانت مدة الدراسة به سنتين .

● بين الشريعة وأصول الدين

كانت مدة الدراسة بقسم الاستاذية ست سنوات . أربع منها دراسية (دراسات عليا) وسنتان للدكتوراه . وقد أنهى دراسته بالتخصص بقسم التفسير والحديث بكلية أصول الدين . فقد كان القانون يسمح لمن حصل على عالية الشريعة أن يلتحق بقسم التفسير والحديث بكلية أصول الدين . والذى حصل منه على الاستاذية سنة ١٩٤٤ . وبذلك جمع الشيخ بين علوم الشريعة

---

(١) المعلومات الخاصة بحياة الشيخ حصلت عليها من أخيه الشيخ على السماحى . والخاصة بالمؤلفات فقد حصلت عليها من صهره الشيخ أحمد جابر بإدارة البعوث .

وعلوم أصول الدين حسب رغبته واتجاهه الطيب . ثم عين مدرسا للتفسير والحديث بكلية أصول الدين . وبعد عدة سنوات أعير إلى المملكة الليبية مدرسا للعلوم الدينية هناك لسنوات أخرى .

● أسفاره

قضى عدة سنوات فى ليبيا بعدها عاد إلى كلية أصول الدين وليس هناك من يعرف بالتحديد مدة الأسفار الأولى وتواريخها . ولكن ثمت معلومات تفيد أنه سافر إلى ليبيا فى ١٧ ديسمبر ١٩٦٥ حتى ٣٠ سبتمبر ١٩٦٨ وربما كانت هذه سفرة أخرى غير الأولى ولما عاد إلى الكلية عين رئيسا لقسم الحديث بها . وبعد حين سافر إلى المملكة العربية السعودية مدرسا للحديث النبوى بالدراسات العليا بمكة المكرمة سنة ١٩٧١ ، ١٩٧٢ وعاد منها فى ٩ مارس ١٩٧٢ حيث أحيل إلى المعاش ويبدو أنه قضى هناك فترة أخرى بعد الاحالة إلى المعاش حتى عاد مريضا فى ١٩٧٤ .

● من مواقفه

لم يكن الرجل يسعى لنيل شهرة ولامنصب دنيوى . فقد كان خادما للعلم . وحسبه ذلك وهذا يفسر لنا بعض مواقفه الجريئة فى قول الحق ولو خالف ذلك رؤساءه . وقد خشى عليه كثيرون تشدده فى هذه المواقف . إلا أنه لم يكن ليبالى بما يجره عليه جهره بالحق . ولكن الله حفظه . ونسرد هنا بعض مواقفه .

لما كان فى ليبيا حضر ندوة علمية . وكان أحد رؤسائه يحاضر فيها .
فقال بعض آراء تخالف ماعليه الجمهور . فما كان من الشيخ إلا أن أعلن الرأى الصحيح . وهو مخالف طبعا لرأى المتحدث . ولم يمنعه من الجهر بالحق لومة لائم .

● آثاره

حين نتحدث عن آثار الشيخ السماحى يأخذنا العجب إذا علمنا أن ماطبع منها أقل من نصف مالم يطبع . . وماطبع منها يندر الحصول على نسخ منه الآن ونخشى تراث الشيخ المخطوط أن يلفه النسيان ونسأل الله أن يوفق من يعمل على إصدار بعضه خدمة للعلم . وهذه هى مؤلفاته :

١ـ المنهج الحديث فى علوم الحديث . قسم مصطلح الحديث « طبع » ويحوى أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الوسيط . وهو خاص بالحديث وأطواره التاريخية . قال فى مقدمته :

أما بعد فلما كان حديث رسول الله ﷺ بمثابة الشرح لكتاب الله تعالى ، والحكم فيما اختلف فيه من محتملاته أردت أن أضع دراسة تتعلق ببيان عناية الأمة به إلى اليوم . وبيان خصائصه ومصطلح أهله لتكون دستورا لى أرجع إليه فيما يعرض لى من مشكلات تتعلق بحديث الرسول ﷺ . وأقف منه على مدى الاعتماد عليه فيما يعن لى من حلول فى المسائل الاجتماعية التى تتعلق

بالإصلاح الفردى والجماعى فى هذه الحياة الصاخبة بالمبادىء والآراء . وقد استخرته تعالى فى ترتيبها وتنسيقها ترتيبا وتنسيقا يربطها برباط محكم حديث وينظمها فى أسلوب فذ جديد وقد سميتها : « المنهج الحديث فى علوم الحديث » . وقد طبع الكتاب سنة ١٣٧٧هـ وهو ثلاثة أقسام وقسم مصطلح الحديث إلى قسم الرواية وقسم الرواة .

٢ـ المنهج الحديث فى علوم الحديث . . قسم تاريخ الحديث . وهو ثلاثة أجزاء الأول عن الحديث فى عهد الرسول ﷺ وصحابته (طبع) والثانى عن الحديث فى عصر التابعين وتابعيهم (لم يطبع) والثالث عن تدوين الحديث وأعلام المدونين فيه (لم يطبع)

٣ـ غيث المستغيث فى مصطلح الحديث (طبع)

٤ـ المعلم بشرح المختار من صحيحى البخارى ومسلم (طبع) .

٥ـ أبوهريرة فى الميزان . فيه تمحيص لتاريخ أبى هريرة ، وتفنيد ماألصق به من مفتريات الملحدين والمستشرقين وأذنابهم على ضوء البحث العلمى الصحيح ، والنقد التحليلى الدقيق . وهو رد على « محمود أبى رية » الذى طعن فى روايات أبى هريرة لكثرة الرواية عنه (طبع) .

٦ـ القرآن الكريم والقضايا الإنسانية الكبرى وبينات الكتاب المعجز . تضمن عدة أقسام :

(أ) الرسالة المحمدية وعمومها وختمها .
(ب) إثبات وجود الله تعالى على ضوء العلم .
(جـ) إثبات توحيد الله تعالى ذاتا وعبادة .
(د) اثبات البعث والجزاء الأخروى .
(هـ) المنهج الإصلاحى للفرد وللجماعة (لم يطبع) .

٧ـ آيات الألوهية فى القرآن الكريم (لم يطبع) .

٨ـ التأمين من الزاوية الإسلامية (لم يطبع) .

٩ـ فى ظلال الإسلام . سلسلة من الرسائل حول : الدراسات الاقتصادية ـ التأمين المصارف ـ المعاش (لم يطبع) .

١٠ـ تفسير القرآن الكريم حسب النزول . وانتهى إلى قوله تعالى ؛ « وقيل الحمد لله رب العالمين » نهاية الزمر (لم يطبع) .

وعدا ذلك فقد كتب مذكرات فى شرح بعض الأحاديث التى اختارها لتدرس لطلبة كلية أصول الدين . والتى شرحها شرحا مستفيضا .

كما أنه قد كتب عدة مقالات حول « ابن تيمية يرد على ابن تيمية » كانت تطبع لتوضع فى أيدى طلبة كلية الشريعة بمكة المكرمة ليعرف الطلبة منها حقيقة ماينسبه بعض العلماء إلى ابن تيمية . فكان الشيخ يأخذ المسألة التى يتداولونها من علمائهم عن ابن تيمية ويقارنها بما يردها من كتب ابن تيمية نفسه .

ومن استعراض تلك المؤلفات نرى كيف أن الشيخ قد وهب حياته للقرآن الكريم وللسنة والدفاع عنهما ضد مكائد الكائدين وسموم الحاقدين .

● شيوخه وتلاميذه

لاننسى هنا أن نذكر بعض شيوخ الدكتور السماحى وبعض تلاميذه . فقد كان من شيوخه فى الدراسات العليا فضيلة الشيخ محمد الأودن « رحمه الله » مدرس الحديث بكلية أصول الدين كما أن فضيلة الشيخ الخضر حسين كان من أساتذته فى القسم .

وأما تلامذته فكثيرون من مختلف البلاد والأقطار الإسلامية .

ونهلوا من علم الرجل فى الجامعة ، ومن كتبه المطبوعة وقد ظلت حياته رحلة موصولة فى الجهاد العلمى حتى لقى ربه فى أوائل ذى الحجة ١٤٠٤هـ . وقد كتب عنه أحد تلامذته من محدثى الديار الشامية . نور الدين عتر فى مقدمة أحد كتبه » .

فسلام عليه مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

ومن أعلام الأزهر

المحدث الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف

هو المحدث المحقق الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف عبدالله ولد فى ١٥/٨/١٩٠٦ ميلادية ، وتوفى رحمه الله تعالى فى ٣/٥/١٩٧٠ م

درس الحديث وعلومه فى كلية الشريعة ، وفى كلية أصول الدين ، وكان رئيسا لقسم الحديث بكلية أصول الدين ، ثم وكيلا للكلية . وله مؤلفات عديدة فى الحديث وعلومه ، ألف وصنف فى العديد من فنون علوم الحديث ، وخاصة فى علم الرجال وله مؤلفاته فى علم مصطلح الحديث ، وفى رجاله ، وحقق العديد من أمهات كتب السنة النبوية وعلومها وكان ـ رحمه الله تعالى ـ موسوعة علمية تمشى على الأرض ماسأله أحد عن كتاب يتصل بالحديث إلا أجابه بما فيه الفائدة ولاسأله طالب علم عن موضوع فى علوم الحديث إلا عدد له مراجعه المطبوعة والمخطوطة ، ووجهه إلى أهم المراجع النادرة والتى قد لايعلمها أحد سواه ، وذلك لتضلعه فى هذا العلم واطلاعه الواسع ، واشتغاله المستمر بالسنة النبوية وعلومها ، ومن أبرز تحقيقات المحدث المحقق الشيخ عبدالوهاب عبـداللطيف تحقيقه لكتاب : « تدريب الراوى » للسيوطى . وقد لخص عمله فى هذا الكتاب النفيس بقوله :

وكان عملى فى تحقيق هذا الكتاب أنى راجعت نصوصه على النسخ المخطوطة أولا ثم راجعت الأصول التى رجع إليها المصنف على ماتيسر لى منها وربما تخيرت بعض عبارة من نصوص هذه النسخ إذا ترجح عندى نصها بعد مقابلة كتب الحديث والرجال والعلل وأصول الحديث ثم علقت عليها بما ييسر الفهم على القارىء ويقرب المراد إلى المتعلم ويرشده إلى الأصول والمراجعة فى الكتب الأخرى ويعرفه بالحفاظ والمؤلفين والمصنفات . وذكرت فى التعليقات بعض أنواع من المصطلح لم يذكرها السيوطى وبعض أمثلة من ألفاظ الجرح والتعديل لم تذكر إلا فى كتب الموضوعات غالباً ومرجعى فى ذلك كتب الجرح والتعديل وكتب التاريخ والرجال وكتب العلل والموضوعات وأضفت إلى ذلك بعض الفوائد الحديثية من كتاب الكفاية للخطيب البغدادى ونكت العراقى على مقدمة ابن الصلاح وشرح السخاوى على ألفية العراقى وكان أكثرها مراجعة وبعض الحواشى على فتح المغيث للعراقى وبعض حواشى مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح للبلقينى وألفية السيوطى وشروح النخبة وبعض الفوائد من طبقات الحفاظ للذهبى وذيولها ومن تلخيص العلل المتناهية له

ومن تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق الذى نشرته مكتبة القاهرة تحقيق الاستاذ عبدالله الصديق وماذكر فى كتب الأنساب ومعاجم اللغة والبلدان وأتممت ماوجدته بياضاً فى أكثر النسخ من بعض النسخ الأخرى .

والسيوطى يجمع فى كتاب التدريب ملخصاً كثيرا من المؤلفات فى علم المصطلح ومنها شرح العراقى على ألفيته ومقدمة ابن الصلاح وحاشية الزركشى عليها ونكت العراقى وابن حجر عليها ومحاسن الاصطلاح للبلقينى ومؤلفات ابن حجر والمتفق والمختلف لابن سعيد الأزدى ماكولا وذيوله والمشتبه للذهبى .

ثم قال فى ختام مقدمته لهذا الكتاب : وقد ذكرت له مقدمة بها تاريخ علم مصطلح الحديث وأشهر المؤلفات فيه مع أوصافها ونقدها وذكرت ترجمة للجلال السيوطى بينت فيها نشأته ودراساته وتحصيله ومنزلته العلمية ومؤلفاته فى هذا الفن وماوقع له من حساده ومعاصريه والمسائل التى كانت بينهم ومؤلفاته فيها ثم بيان ضريحه الذى دفن فيه وتحقيق مكانه وقد تم الكتاب بحمد الله فى ربيع الأول من سنة ١٣٧٩هـ .

ومن تحقيقاته كذلك : تحقيقه لكتاب :

« تنزيه الشريعة المرفوعة » عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ، لأبو الحسن على بن عراق الكنانى سنة ٩٠٧ - ٩٦٣هـ

وقد حققه وراجع أصوله وعلق عليه المحدث الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف بالاشتراك مع الأستاذ عبدالله محمد الصديق وقد كتب فى مقدمته هذا الكتاب موضحا أهميته والمزايا التى دفعته لاستحضاره فقال :

هو أجمع كتاب فى الأحاديث والآثار الموضوعة لخص فيه مؤلفه ابن عراقى مافى موضوعات ابن الجوزى ومازاد عليها السيوطى فى اللآلىء المصنوعة وذيلها له . والنكت البديعات فيما تعقبه السيوطى على موضوعات ابن الجوزى وزاد فيه ماستدركه ابن عراق على السيوطى مما تناقض فيه فى مؤلفاته وماوقف عليه مما لم يذكره السيوطى ورتبه كترتيب ابن الجوزى والسيوطى وأهداه للسلطان سليمان خان وامتاز هذا الكتاب بالزيادات على موضوعات ابن الحوزى والسيوطى مما فى العلل المتناهية لابن الجوزى وتلخيصها للذهبى وتلخيص موضوعات الجوزقانى للذهبى ومافى أحاديث الكشاف ومافى تخريج شرح الرافعى ومافى المطالب العالية وتسديد القوس ، وزهر الفردوس ، ولسان الميزان الستة لابن حجر العسقلانى ثم مافى تخريج الاحياء للعراقى والامالى له وتلخيص الموضوعات لابن درباس وغيرها وقد ذكر لها مقدمة نافعه أغنتنا عن ذكر كثير من الفوائد فى هذه المقدمة ثم سرد أسماء الوضاعين والكذابين ومن كان يسرق الحديث ويقلب الأخبار ومن اتهم

بالوضع والكذب ولخص ذلك من ميزان الذهبى والمغنى وذيله له ومن لسان الميزان لابن حجر والكشف الحديث عمن رمى بوضع الحديث للبرهان الحلبى وغير ذلك من الأصول المحررة وبلغ أسماء الوضاعين التى سردها ما يزيد على الألفين وجعل كتابه على ثلاثة فصول (الأول) فيما حكم ابن الجوزى بوضعه ولم يخالف فيه (الثانى) فيما حكم بوضعه وتعقب فيه (الثالث) فيما زاده السيوطى على ابن الجوزى وذكر فى الفصلين الأخيرين علة الحديث التى لم يذكرها السيوطى فى اللآلىء أو الذيل وذكر فيهما كثيراً من الآثار الموقوفة يذكر مخرجها والعلة فى وضعها .

فكان هذا الكتاب خلاصة الكتب فى هذا الباب مع الاستيعاب والتحرير والتيسير بعدم ذكر السند .

وهذه المزايا هى التى دفعتنى لاستحضار نسخة منه فاستحضرتها من المغرب من مكتبة الحافظ السيد أحمد الصديق الغمارى بطنجة وقمت أنا وزميلى المحدث الشيخ عبدالله الصديق الغمارى بتحريرها وتصليح نصوصها بالرجوع إلى ماأمكن لنا الإطلاع عليه من أصول المؤلف أو إلى من نقل عنها وقابلنا النسخة بنسختين من خزانة الكتب بالجامع الأزهر تحت رقمى (٥٠٠-١٤٩٤ حديث) وإحداهما قديمة النسخ وعليها توقيعات وتمليكات وبلاغات ومقابلات ونسختنا استنسخت للأمير عبدالرحمن كتخدا ومحدولة الصفحة الأولى بالذهب وبخط جيد غير أنها كثيرة الخطأ والسقط فأصلحنا أخطاءها وأكملنا سقطها وعلقنا عليها بما اقتضته الصناعة الحديثية ورغب صاحب مكتبة القاهرة الحاج على يوسف فى نشرها فقدمناها له ليطبعها رغبة فى نشر العلم وأحياء كنوز السلف نفع الله بها وأثابنا بما لقيناه من الجهد فى مراجعتها وتصحيحها وبما نويناه من حب الخير ونشر العلم وغفر لنا ذنبنا وإسرافنا فى أمرنا إنه عفو جواد كريم .

وإنتاجه العلمى غزير ، ومؤلفاته وتحقيقاته تتميز بأهمية موضوعها ودقة معالجتها ، وكبر حجمها . . وحاجة العلماء والطلاب إليها .

ومن مؤلفاته فى علوم مصطلح الحديث كتابه « المختصر فى علوم الأثر » ويقع فى ٢٩٦ صفحة بالقطع المتوسط ، وكتاب « المعتصر » إلى غير ذلك من البحوث والمؤلفات النافعة رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

فضيلة الامام الشيخ حسنين محمد مخلوف

ترجمة حياة فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ « حسنين محمد مخلوف » مفتى الدينار المصرية سابقا وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف .

ولـد حفظه الله تعالى يوم السبت ٦ مايو سنة ١٨٩٠م بباب الفتوح بالقاهرة وحفظ القرآن الكريم كله بالأزهر الشريف وجوَّد قراءته على شيخ القراء فى عصره الأستاذ المرحوم الشيخ محمد على خلف الحسينى وهو فى الأزهر ثم التحق به طالباً فى الحادية عشرة من عمره وتلقى فيه دورسه فى مختلف العلوم على علمائه الأجلاء ومنهم المغفور له والده المرحوم العلامة الجليل الشيخ « محمد حسنين مخلوف » العدوى المالكى وكيل الأزهر الشريف ومدير المعاهد الدينية المتوفى سنة ١٩٣٥م ـ والشيخ عبدالله دراز والشيخ عبدالهادى مخلوف والشيخ على إدريس العدوى والشيخ عبدالفتاح المكـاوى والشيخ محمد الطوخى والشيخ يوسف الدّجْوى والشيخ عبدالحكم عطا والشيخ محمد راضى البحراوى والشيخ محمد بخيت المطيعى والشيخ أحمد نصر الفذى والشيخ محمد البيجرمى والشيخ عبدالمعطى الشرشيمى وغيرهم من مشاهير علماء الأزهر الشريف .

ولما أتم دراسة العلم الأزهرية وتلقى علم الحساب والجبر بمسجد المؤيد وأكمل دراسته بجد واجتهاد والتحق بالقسم العالى بمدرسة القضاء الشرعى ، وكانت فى ذلك الوقت تابعة للأزهر ، ودرس فيها العلوم الشرعية ومختلف العلوم الحديثة لمدة أربع سنوات نال بعدها « الشهادة العالمية » وقد أدى الإمتحان أمام اللجنة العالمية الكبرى المؤلفة برئاسة المغفور له الإمام الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر وعضوية المغفور لهم السيد بكرى الصدْفى مفتى الديار المصرية سابقا والشيخ عبدالكريم سَلْمان عضو المحكمة العليا الشرعية ونال شهادة العالمية بتفوق عظيم فى صيف سنة ١٩١٤م ولم يتجاوز عمره الرابعة والعشرين .

وأخذ يلقى دروسه العلمية فى الأزهر متبرعا فقرأ شرح الملوى على السُّلم فى علم المنطق وكتاب الوليدية فى آداب البحث وكاب المقولات الحكيمة فى علم الفلسفة بحاشية والده عليها وكتاب ابن مَسْكَويه فى علم الأخلاق . واستمر فى ذلك ألى أن عين قاضياً شرعيا فى شهر يونيو سنة ١٩١٦ م ومازال يرقى فى القضاء من درجة إلى درجة حتى عين رئيسا لمحكمة الإسكندرية الشرعية سنة ١٩٤١م ثم رئيسـا للتفتيش الشرعى بوزارة العـدل . وقـد سبق اختياره سنـة ١٩٢٨م مفتشـا للمحاكم الشرعية بوزارة الحقانية وتوثقت الصلة بينه وبين وزيرها « على ماهر باشا » ونهض بأعباء

التفتيش والمشاركة فى المشروعات الإصلاحية الهامة بالوزارة ومنها إصلاح « قانون المحاكم الشرعية » وقوانين « المجالس الحسبية » وندب فى ذلك الوقت لتدريس الشريعة الإسلامية فى قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعى لمدة ثلاث سنوات . وفى أكتوبر سنة ١٩٤٤ عين نائباً للمحكمة العليا الشرعية وهو المنصب الذى كان يجب أن يشغله من وقت طويل .

ولما خلا منصب الافتاء للديار المصرية بانتهاء مدة فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ عبدالمجيد سليم عين مفتيا للديار المصرية سنة ١٩٥٠ فوفر كل جهوده للنهضة بهذا المنصب وإعلاء شأنه وحفظ كرامته وظل يعطيه كل وقته وجهوده وفكره إلى أن أنتهت مدة خدمته فى سنة ١٩٥٤م .

وأخذ بعد ذلك فى متابعة مجهوده العلمى بإلقاء الدروس العلمية الشرعية بالمشهد الحسينى يومياً ويصدر الفتاوى فى جريدة منبر الشرق فى باب الافتاء الذى أنشاه خصيصاً لهذا الغرض صاحب الجريدة المرحوم الشيخ على الغاياتى فكان فى ذلك نفع كبير للمسلمين فى سائر البلاد الإسلامية وتم طبعها فى جزئين « فتاوى شرعية وبحوث إسلامية » .

وقد عين عضواً بجماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف سنة ١٩٤٨م ومنح كسوة التشريفة العلمية من الدرجة الثانية وهو رئيس محكمة طنطا الابتدائية الشرعية ثم من الدرجة الأولى وهو فى منصب الافتاء .

كما اختير عضواً تأسيسيا برابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة وكان من مؤسسى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة واشترك فى إعداد الكثير من البحوث والاجتماعات بها ومنح جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام تقديراً لما بذله من مجهودات علمية انتشرت فى سائر البلاد الإسلامية وقد أصدر الكثير من الأبحاث منها :

« كتاب المواريث فى الشريعة الإسلامية » .

وكتاب « كلمات القرآن تفسير وبيان » .

وكتاب (صفوة البيان لمعانى القرآن) الذى وقع الإختيار لنشره بمعرفة اللجنة الوطنية لاحتفالات القرن الهجرى الخامس عشر فى ١٩٨١/١/٢٥م فى أبى ظبى . وكتاب « شذرات ذهبية من وصايا وأحكام إسلامية » .

ورسالة فى ـ القرآن الكريم ـ وفضله العظيم وآداب تلاوته وسماعه

ـ وكتاب الرفق بالحيوان الذى كتبه فى صدر حياته العلمية .

ورسالة ـ فى وصايا نبوية شريفة .

كما قام بتحقيق الكثير من الكتب الفقهية والأحاديث النبوية أهمها .

تحقيق كتاب « شرح الشفا فى شمائل صاحب الاصطفا » (ﷺ) للإمام الفقيه الحجة نور الدين القارى الشهير بـ على القارى وهو فى خمسة أجزاء اشتملت على كل ماينصل بسيرة سيد المرسلين من صفاته ومعجزاته وأعماله وأحاديثه وفضله على سائر المخلوقات .

وكتاب ـ عده الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين لشيخ القراء والمحدثين الإمام محمد بن الجزرى الدمشقى وهو شامل للأحاديث المتعلقة بفضل الذكر وفضل الدعاء وأوقات الاجابة ومايقال فى الصباح والمساء والطهور والمسجد والأذان ومايتعلق بالحج والعمرة والصوم والزكاة وكل مايتعلق بالإنسان ومايعرض له من عوارض وبالأذكار .

وكان حريصاً على مداومة إلقاء الدروس الدينية طوال شهر رمضان المبارك بمسجد المشهد الحسينى بالقاهرة إلى عهد قريب ولازال يتابع قراءة القرآن وتفسيره . أمد الله فى عمره ونفع المسلمين بما قدمه من أبحاث وآراء قدمها ابتغاء وجه الله تعالى فى فتاوى شرعية وقد طبع منها جزءان والآن يجد وطبعهما بعناية كبيرة وفيها فوائد عظيمة .

وهذا عدا رسائل أخرى كثيرة فى موضوعات إسلامية هامة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه التابعين .

العالم الإسلامى والمحدث المصرى

الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى

ومن علماء الحديث المصريين الذين جاهدوا فى مجال تحقيق السنة النبوية وخدمتها الأستاذ محمد عبدالباقى .

هو[1] العالم الجليل الذى خدم مباحث السنة النبوية المطهرة بما لم يخدمها بمثله عمله أحد من معاصريه فيما يبدو لنا ، ولانزكى على الله أحدا ، وهو أيضا المؤلف الجليل الذى يدين له كل معاصر مشتغل بعلوم القرآن والسنة ، حيث يسر لكل هؤلاء السبل الأمينة ليغترفوا من مفردات القرآن والسنة ونصوصها ، مايريدون ومايحتاجون إليه عند الكتابة والتأليف بما وضعه بين أيديهم من معاجم مفصلة لآيات القرآن وكلمات السنة . وستمضى مئات السنين واسم « محمد فؤاد عبدالباقى » أمام أبصار العلماء والباحثين ، لأن كتبه لايمكن إلا أن تكون على مقربة من يمين كل باحث وكل كاتب ، يفزع إليها يستنبئها كلما خانته الذاكرة أو أعوزه الشاهد والدليل .

وقد يحسن أن نأخذ فكرة عاجلة عن الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى قد نستعرض جهودة ، ومؤلفاته .

ولد عليه رحمة الله فى الثامن من شهر إذار « مارس » سنة ١٨٨٢م ، لأبوين مصريين أما الأب فمن بلدة « قمن العروس » من أعمال الواسطى بالصعيد الأوسط . وأما الأم فمن بلدة « يرنبال » إحدى بلاد بحرى الكثيرة ، وهو الابن الكبر لأبويه ، وقد نشأ بالقاهرة إلى أن بلغ الخامسة من عمره ، ثم سافر إلى أسرته إلى السودان ، وكان والده وكيلا للإدارة المالية بوزارة الحربية ، واستقرت الأسرة فى وادى حلفا ، ثم حدثت معركة « ود النجوم » وود النجوم اسم قائدها السودانى الذى كان يحارب مصر وقد قتل فى المعركة ـ وقد حدث بعد هذا أن غادر عميد الأسرة المصرية وادى حلفا إلى أسوان وبقيت الأسرة هناك سنة ونصفا . ودخل ، رحمه الله فى هذه الاثناء مدرسة أسوان الابتدائية . ثم هبطت الأسرة القاهرة .

---

(١) هذه الترجمة بقلم كريمته الأستاذة عفاف محمد فؤاد عبدالباقى نشرت بمجلة الأزهر عدد جمادى الأولى سنة ١٤٠٥هـ .

وفى القاهرة دخل محمد فؤاد عبدالباقى ـ الذى تعرفه اليوم مجامع الاستشراق فى أوروبا ، وترجع إليه فيما أشكل من مسائل الدين الإسلامى ـ مدرسة عباس الابتدائية ، ثم خلفها إلى مدرسة « الأمريكان » فى حى الأزبكية . ولم ينتظم فى دراسة رسمية مألوفة ، بل أخذ يدرس دراسة حرة مضطربة حسب هواه ورغبته ، وبعد أن آنس من نفسه الكفاية العلمية والقدرة على التعليم قام بالتدريس فى بعض المدارس فى مصر ، وكان من زملائه فى هذا المجال المرحوم الأستاذ صادق عنبر الأديب المصرى الشهير ، والمرحوم الأستاذ عبدالله أمين اللغوى المصرى الضليع .

● الوظيفة والقراءات

ثم أعلن البنك الزراعى عن وظيفة مترجم فتقدم إليها ونجح وعين بالبنك فى ٢٠ ديسمبر ١٩٠٥ وقد عمر بهذه الوظيفة ، إذا قيست بمثيلاتها مما شغله أو شغلته من قبل ، فقد ظل بها حتى ٣ أكتوبر ١٩٣٣م بل لعلها كانت سببا يمتد به إلى أبعد من هذا ، فهو لم يتركها إلا عندما صفى البنك أعماله وأحيل إلى بنك التسليف عندئذ أخذ الأستاذ فؤاد مكافأته منه وترك الوظيفة ثم فتح مكتبا للنشر الإسلامى ومكث يديره زمنا طويلا ، ثم تفرغ لخدمة البحوث المتعلقة بالقرآن والسنة ووضع المعاجم المختلفة المتعلقة بها .

وفى الخمسينيات عين رحمه الله محققا ومراجعا بمجمع اللغة العربية . وقد تزوج الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى فى سنة ١٩١٠ ورزقه الله ثلاثة أبناء وثلاث بنات . وأقام مدة فى الروضة ثم انتقل منها إلى الجيزة حيث أقام فى جزء من عمارة على شاطىء النيل المبارك وظل فى هذا المكان إلى أن توفاه الله فى ٢٢ فبراير ١٩٦٨م .

على أن المدة التى قضاها فى البنك الزراعى تعتبر فترة استقرار فى حياته هيأت له القراءة الواسعة فى الأدب الفرنسى . وخاصة فيكتور هوجو ولامارتين ، كما أقبل على أمهات الكتب فى الأدب العربى فقرأ كثيرا كما حفظ كثيرا ومن محفوظه « ديوان الحماسة » . وفى حياته رجال عمقوا أثرهم فى نفسه وهؤلاء هم « بعد والده » الشيخ مصطفى عبدالرازق وقاسم أمين والدكتور عبدالوهاب عزام والشيخ رشيد رضا ، وهذا الأخير يعتبر نقطة تحول فى حياته غيرت مجراها وأعادت تخطيطها ، لوصح هذا التعبير .

ففى سنة ١٩٢٢ تعرف إلى السيد رشيد رضا صاحب المنار وكان لقاء لم يقدر له الفراق إلا بعد أربعة عشر عاما . ولم يكن فراقا بل قدرا خارجا عن اراتهما ـ فقد توفى الشيخ رضا سنة ١٩٣٦ . وكان الأستاذ أحمد فؤاد عبدالباقى رحمه الله يلازم الشيخ رضا ملازمة المريد لأستاذه الشيخ ملازمة فتحت له آفاقا واسعة فى علم الدين والسنة ووجهته كثيرا حتى غدا الأستاذ الشيخ فى سنيه الأخيرة يثق بعلمه ويستعين به فى كثير مما يعرض له .

● آثاره

١- وللأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى مجموعة من الكتب الجليلة النافعة التى تدور كلها حول خدمة علوم القرآن والسنة .

وأعظم كتبه التى كان يعتز بها هو كتابه « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » الذى طبع لأول مرة سنة ١٣٦٤هـ . وهو الكتاب الذى يجمع الألفاظ القرآنية ، ويرتب موادها حسب أوائلها فثوانيها وهكذا ، ويضع الكلمة وأمامها الآية أو الآيات التى وردت فيها ، مع التنبية على المكى والمدنى من هذه الآيات التى تذكر أرقامها .

وقد وضع الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى كتابه بعد أن راجع ماألفه السابقون فى هذا المجال ، من أمثال كتاب « نجوم الفرقان فى أطراف القرآن » للمستشرق الالمانى « فلوجل » وكتاب « مفتاح كنوز القرآن » ، وكتاب « فتح الرحمن » وكتاب « ترتيب زيبا » وغير ذلك .

لقد أخطأ « فلوجل » فى عشرات من الكلمات حين ردها إلى مواردها فاستدركها عليه المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى .

٢- وإذا كان « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » يعتمد على خدمة اللفظ القرآنى بالنص على مواطنه من كتاب الله عز وجل ، فإن الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى قد قام بترجمة كتاب آخر لخدمة القرآن الكريم وآياته » ، ولكن من ناحية الموضوعات والمعانى لامن ناحية الألفاظ والكلمات ، وهذا الكتاب هو « تفصيل آيات القرآن الكريم » الذى وضعه بالفرنسية المستشرق الفرنسى « جول لابوم » . وهذا الكتاب يعد من أسبق الكتب فى جمع وتنسيق موضوعات القرآن الكريم .

٣- وكما خدم الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى كتاب الله عز وجل بهذين المعجمين الجليلين ، خدم سنة رسول الله ﷺ بوضع معجم للحديث الشريف عنوانه « مفتاح كنوز السنة » وهو معجم مفهرس عام تفصيلى موضوع للكشف عن الاحاديث النبوية الشريفة المدونة فى كتب الأئمة الأربعة عشر المشهورين وذلك بالدلالة على موضع كل حديث فى صحيح البخارى وسنن ابن ماجة وأبى داود والترمذى والنسائى والدارمى ، ببيان رقم الباب ، فى صحيح مسلم وموطأ مالك ومسندى زيد بن على وأبى داود الطيالسى ببيان رقم الحديث ، وفى مسند ابن حنبل وطبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام ومغازى الواقدى ببيان رقم الصفحة ، وبذلك يستطيع الباحث أن يقف على الحديث الذى يطلبه بغير عناء ، ويعد هذا الكتاب أحد نفائس الكتب الإسلامية .

هذا وقد أتم الأستاذ عبدالباقى عمله فى هذا الكتاب يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٥٣هـ . ٢٧ يولية ١٩٣٤م .

٤ـ ثم أعقبه بكتاب آخر من عدة أجزاء بعنوان « تيسير المنفعة بكتابى مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » ويراد فى هذا الكتاب تذليل العقبات التى تعترض الطالب للمنفعة من « مفتاح كنوز السنة » بسبب إختلاف الطبعات لكتب الحديث الأصول .

وكتاب « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى » كتاب ضخم جدا ، اشترك معه فى وضعه مجموعة من المستشرقين ، ولقد طبع فى هولندا ، ولهذا الكتاب قصة : حدث عندما طلب الاستاذ محمد فؤاد عبدالباقى إلى الدكتور ونسنك تصريحا بالترجمة بإعتباره مؤلف كتاب « مفتاح كنوز السنة » أن بلغ من استجابة الرجل له أنه لم يكتف بالموافقة فحسب بل أرسل إليه الفصل الأول من « المعجم المفهرس للحديث النبوى » . ولما اطلع عليه وجد به أخطاء كثيرة فضمنها كشفا أرسله إلى دكتور « ونسنك » فسر لذلك كثيرا وكتب إليه يرجوه تصحيح « بروفات » المعجم ومضى فى هذا الطريق حتى وفاته رحمه الله .

وإذا علمنا أن المعجم يقوم به أكثر من أربعين مستشرقا فى أنحاء العالم ثم يصحح عملهم مجتمعين الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى عرفنا قيمة العمل الكبير الذى قام به رحمه الله ، وقيمة الجهد الذى بذله ، ثم بعد هذا أو قبل هذا ، قيمة الكسب العلمى من وراء هذا العمل ، وقيمة الكسب القومى .

● **من أعماله الأخرى**

وهذا الجهد الضخم لم يستنفد طاقة المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى فقد وسعت جهوده العلمية كتبا أخرى عديدة .

ـ فمن الكتب التى أخرجه كتابه « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان » وهو فى ثلاثة أجزاء ، ويضم الأحاديث التى اتفق على روايتها الإمام البخارى والإمام مسلم .

وهناك كتاب سابق لهذا الكتاب اسمه « زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم » للشيخ حبيب الشنقيطى ، ولكن الأستاذ فؤاد عبدالباقى زاد على مافى كتاب الشنقيطى خمسمائة حديث فاتت الشنقيطى ـ رحمه الله ـ

وللأستاذ عبدالباقى كتاب عنوانه « معجم غريب القرآن » مستخرجا من صحيح البخارى . وعنوانه واضح فى الدلالة على موضوعه ، وهو عبارة عن شرح الألفاظ الغريبة التى أوردها البخارى فى صحيحه . . والبخارى بدوره كان قد أخذ هذه الألفاظ من كتاب « مجاز القرآن الكريم لأبى عبيدة » .

كما قام الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى بشرح وفهرسة كتب « موطأ الإمام مالك » و« سن ابن ماجه » ، « صحيح مسلم » كما قام بتخريج الاحاديث الواردة فى كتاب « الأدب المفرد »

للبخـارى ، وتخريج الآيات والأحاديث والشواهد الشعرية الواردة فى كتاب « شواهد التوضيح والتصريح » لابن مالك ، وتخريج الأحاديث والشواهد الشعرية فى « تفسير القاسمى » .

● **كتب مخطوطة**

وله من الكتب المخطوطة التى لم تنشر ـ والتى يحتجب باحتجابها عنا خير كثير : كتاب « قرة العينين فى أطراف الصحيحين » وهو من ألف صفحة من القطع الكبير وفيه اضطلع بتجميع ولم شتات مواضع أحاديث البخارى ، فقد كان البخارى يورد الحديث الواحد فى مواضع عدة حسب المعـانى الواردة به ، حين كان « مسلم » يورد الحديث فى موضع واحد حتى ليصح أن نسمى الكتاب « أطراف البخارى » .

والكتاب الثانى « جامع مسانيد صحيح البخارى » وفيه يورد الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى النصوص المتعددة للحديث الواحد حسب مواضعها فى صحيح البخارى . كما جمع أحاديث كل صاحبى على حدة مرتبـا أسـماء الصحـابـة حسب الحروف الهجائية وذلك بعد أن قسمهم إلى قسمـين : الصحـابـة الرجال ، والصحابيات وعدتهم جميعا ستة وتسعون ومائة صاحبى وهذا الكتاب فى ستة أجزاء .

ومن هنا نستطيع أن ندرك السر فى أن هذا الجهد الصابر قد استغرق مايربو على ألف صفحة من الحجم الكبير ، ولايزال الكتاب فى حوذة أبنائه ينتظر من ينشره من الهيئات لأن تكاليف نشره ينوء بها جهد الفرد .

بل أن من كتبه ماتبنته الهيئات ثم قعدت عن نشره ألا وهو كتابه « جامع الصحيحين » ومازال هذا الكتاب قابعا فى خزانة حديدية بالجامع الأزهر .

وكان الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى يكتب أحيانا بعض المقالات فى بعض المجلات ، ولكنه فى كتابه هذا لايكاد يخرج عن مجال علوم القرآن والسنة .

ومن بين مقالات نشرها تباعا فى مجلة الأزهر « منزلة السنة فى الدين » .

والأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى كان فى مصر مرجع كل من يلم فى كتابته بأمر من أمور القرآن أو الحديث لايستثنى من هذا كبار الكتاب أو العمالقة .

ولم يضن قط على سائل علم ، وقد يحبس نفسه ويكرس وقته على سؤال سائل يوفيه درسا وتمحيصا يستند إلى الأصول الوثيقة . والمراجع العمدة فى الموضوع ، وقد يكتب الصفحات ذات الهوامش حتى ليصلح السؤال أو على الأدق الإجابة عليه ـ موضوعا متكاملا فيه غناء .

وكان رحمه الله يصنع الصنيع مع كل سائل ولم يكن يعرفه من قبل . . . إنه لايفعل هذا من أجل شخصه إنما يفعله إيمانا بحق العلم عليه فهو يعيش فى ميدانه بالرأى والهداية والمشاركة فى صمت وإخلاص لا يحفل بالذكر أو الإعلان .

إن كتب الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى ، بما وراءها من صبر طويل وجهد دؤوب وطاقة الدقة والاتقان ، وأشواق حميمة إلى الكمال الممكن ، بالاستقصار والتجميع والتبويب والفهرسة ـ كتبه هذا كله إضافة علمية فى ميدان الدين تحسب لمصر وعطائها للإسلام .

وحياة الرجل الخاصة تدخل فى باب الغرائب . فنحن فى مصر كنا نسميه « صائم الدهر » فقد كان يصوم العام كله لايفطر فهي إلى أول يوم من عيدالفطر وأيام عيدالأضحى وطعامه نباتى . وكان يصوم بدون سحور ، وكان محافظا فى كل شىء فزيه يتكون من « البدلة الكاملة » صيفا وشتاء لايستطيع حر الصيف أن ينحى « الكرافات » أو « الدبوس » . كما لاتستطيع مواصفات العصر أن تمس المنديل الأبيض فى جيبه أو الطربوش القانى على رأسه أو العصا الأنيقة فى يده .

وكان زاهدا فى الاجتماعات . يفسر هذا وكأنه يعتذر ـ « أن هذا الأمر تقوم ـ تبعا له على الأثر ـ حقوق للناس والتزامات واجبة الرعاية والوفاء . وليس عندى وقت لهذا ولاأنا أطيق التقصير فيها لو لزمتنى » .

وبعد ، فهذه الجهود السخية العطاء ، الموصولة الدأب ، وهذه الحياة التى آضت إلى التبتل من أجل الدين فى صورة مشرقة مشرفة هى أجدى عليه وأقرب إلى الله .

هذه الشخصية الرائعة بصبرها الصابر ، وتصميمها القادر على التجويد . . . شخصية لن تنسى .

ترجمة حياة الشيخ محمد نجيب المطيعى « رحمه الله »[1]

● هو المحدث الشيخ محمد نجيب المطيعى بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن أحمد بن نجيب المطيعى الطوابى .

ولد فى يناير ١٩١٥ بقرية من قرى صعيد مصر « الطوابية » مركز أبنوب الحمام محافظة أسيوط .

● مشايخه ومَنْ أجازوه :

نال فضيلة الشيخ المطيعى أجازات عديدة من الشيخ محمد حبيب الله بن أبى الشنقيطى والسيد علوى المالكى مفتى مكة والسيد حسن الفدعق وكثير من علماء المغاربة والمورتانيين وذلك على علوم الحديث والفقه واللغة .

● حياته وجهاده العلمى

ولد فى أسرة تعمل بالعلم فكان والده وجده من طلبة العلم ومريديه وكان والده رجلا متصوفا وكانت مكتبة الأسرة مليئة بالكتب « وقد أجيز ممن أجاز والده » .

فكان شغوفا على القراءة منذ نعومة أظفاره فقد أتم حفظ القرآن الكريم مجودا بقراءة حفص ونافع وهو لم يتجاوز العاشرة على يد شيخ القرية وفى البيت كان يقرأ ويتهجى على والده فى صحيح البخارى حتى أتم حفظه وهو فى سن الثانية عشرة وحفظ نصف سنن أبى داود وصحيح مسلم وهو فى سن الخامسة عشر وكان حريصا على حضور مجالس العلم فى مسجد جلال الدين السيوطى بأسيوط حيث كان مقر العلم فيها فكان يحضر مجالسه فى يد علماء أفاضل ثم أنتقل مع والده الذى نقل تجارته إلى مدينة الإسكندرية وأنتقل الشيخ إلى حلقات العلم بمسجد أولاد إبراهيم باشا فكان يحضر مجالس العلم ويتلقاه على يد علماء ومحدثين فكانوا يدرسون الأحاديث بالأسانيد كما كانوا يدرسون المعارف وعلوم العقيدة من أمهات الكتب فقد درس فى مذهب المعتزلة المغنى للقاضى عبدالجبار وفى مذهب الماتريدية من كتبهم وفى الفقه المقارن كما حفظ متون الكتب ، ففى مذهب الشافعى حفظ متن أبى شجاع وفى مذهب أحمد متن الخرقى وفى مذهب مالك متن العشماوية وفى مذهب أبى حنيفة متن القديرى ثم قرأ وحفظ شروحها فنشأ مالكيا كما كان والده ثم عقل مذهب الشافعى وتصانيفه حتى حصل أن أكمل فيه شوامخ كتب المذهب كما حفظ متن الأجرمية وألفية بن مالك فى النحو إلى أن أصبح يلقى درسا فى المساجد وهو لايزال عمره خمسة عشر عاما فقد كان يلقى درسا فى مسجد العمرى بالإسكندرية فقام بتدريس زاد المعاد وفتح البارى وصحيح

---

(١) هذه الترجمة حصلت عليها من أسرة الشيخ المحدث رحمه الله .

مسلم وغيره من أمهات الكتب فقد كان شغوفا بالقراءة والعلم كما قرأ كتب إمام الحرمين وعمره عشرون عاما وكذلك كتب فى الأصول وغيرها من العلوم وظل يقرأ ويتعلم ويعلم فقد عمل أستاذا بمعهد الأئمة التابع لوزارة الأوقاف وعميدا لمعهد الدعوة بالمعادى كما عمل رئيسا لقسم السنة وعلوم الحديث بجامعة أم درومان الإسلامية وأستاذا للحديث بجامعة الخرطوم وكذلك بالمركز الإسلامى الأفريقى وبكلية القرآن التابعة للمركز القومى للتعليم الاساسى العالى السودانى كما أسند إليه تدريس الفقه والأصول وتاريخ التشريع فظلت حياة الشيخ كفاحا فى طلب العلم وللتعليم وللدفاع عن سننه الشريفة بقلمه ولسانه .

● **كتبه ومؤلفاته**

كتاب السير المخلص	راجع دار الكتب
كتاب المنعة فى تفصيل السنة والبدعة	راجع دار الكتب
كتاب تاريخ النقود الإسلامية	راجع دار الكتب

كتاب خالد والدعوة المحمدية مكتبة الجامعات للنشر .

وهو يعرض فيه كيف كانت حياة خالد نسبه وميلاده ونشأته وحروبه فى الجاهلية والإسلام وخططه العسكرية وكيف كان رجل سياسة محنك وداعية جهبذ وكيف شهد التاريخ لخالد بأنه رجل حرب وقيادة .

● تحقيق خمسة مجلدات من فتح البيان فى مقاصد القرآن لحسن خان تحقيق وتكملة المجموع شرح المهذب لأبى إسحق الشيرازى « الناشر مكتبة الأرشاد جدة » وهو على مذهب الإمام الشافعى فقد شرح الإمام النووى فيه حتى البيوع حتى وافته المنية فجاء الشيخ السبكى وشرح بابين حتى الرد بالعيب ثم وافته المنية وظل الكتاب دون تكملة سبعة قرون كاملة حتى أتمه الله على يد الشيخ المطيعى من المراجعة وحتى أتم اثنين وعشرون مجلدا والذى يستعرض امهات الكتب فى مختلف المذاهب كالمحلى لابن حزم والام للإمام الشافعى والمغنى لابن قدامة فى فقه الحنابلة يجد أن المجموع أحد هذه الموسوعات الحافلة بالآراء الفقهية بجميع أئمة المذاهب الأربعة وأن كانت غايته فى المرتبة الأولى خاصة بالفقه الشافعى مع تميزه باستقصاء آراء المذاهب واستيعاب ارائها والترجيح والتكملة من الجزء الثانى عشر وحتى الثانى والعشرين قد حذا فيها حذو الإمام النووى فهو يحاكى أسلوبه ومنهجه بحيث لايشعر القارىء وهو بين يدى الكتاب بالخلل أو الفرق فهو على نمط واحد وكأن الله أحيا الإمام النووى لكى يتمه كما أن الكتاب لم يقتصر على الأبواب المعروفة فى الفقه ولكنه تكلم عما أستحدث كشركات التأمين والبنوك وقد عمل لها جزءا كاملا فى التكملة سلسلة تحت راية السنة وبدأها بتبسيط علوم الحديث وأدب الرواية وهو يوضح تعريف الحديث الصحيح والسقيم ويبين مناهج علماء الجرح والتعديل فى تقديم

الرجال ويذكر فى ساحة الدعوة روادها الأوائل من السابقين وأهل بدر وفى عالم الرواية يذكر من أختلط فى آخر عمره ومتى أختلطوا ومن روى له فى حياته وقبل أختلاطه وبعده ومن هم العشرة المبشرون بالجنة ومن هم الفقهاء السبعة ومَنْ هم مهاجروا الحبشة .

●(صلة السنة بالقرآن وطريقة استنباط الأحكام من حديث خير الأنام وهو عبارة عن بحث قدمه فضيلته فى مؤتمر السيرة الثالث بدولة قطر ثم أضاف إلى البحث بابا يوضح فيه كيفية استخراج الأحكام من حديث خير الآنام وقد طبع الكتاب والبحث فى كتاب واحد تحت أسم صلة السنة بالقرآن ثم أنتقل فيه أيضا إلى ذكر مناظرة: الإمام الشافعى التى جاءت فى الام والتى رد فيها على منكرى الخبر عن رسول الله ثم انتقل إلى الوصوليين بصلة السنة بالقرآن عندهم وأن ابن حزم لايفعل أحد الوجهين عن الآخر ثم تناول حجية السنة عند أبى حنيفة وأصحابه وصلة ذلك بالقرآن فى اثبات صحة خبر الأحاد فى قراءة ابن مسعود لقوله تعالى : « ثلاثة أيام متتابعات فى الحج » .

ثم أنتقل إلى كلام الأصوليين إلى مايوثق العلائق بين القرآن والسنة ثم ذكر منزلة السنة من القرآن عند ابن قيم ثم صلتها بالقرآن فى رسالة الإمام الشافعى ولايزال تحت الطبع من السلسلة والناشر مكتبة المطيعى .

● البخارى المفترى عليه وهى سلسلة مقالات نشرت فى مجلة الأزهر ١٩٧٥ لسنة حتى ١٩٧٧

● درة الناصحين على أبشار اللامذهبين وهو للرد على دعاة اللامذهبين ومنكرى هذا المنهج العلمى السلفى المبارك ومن يدعى القدرة على الاجتهاد المطلق دون الرجوع إلى الأئمة الأربعة .

● كتاب حقيقة محمود محمد طه أو الرسالة الكاذبة وهو للرد على الدعوة المضلة المضللة التى قامت فى السودان على يد المرتد الأثم وقد ظل الشيخ به وبدعوته حتى نفذت الحكومة حكم المحكمة السودانية بإعدام هذا المدعى الكاذب « محمود محمد طه » .

● كتاب أحكام التصوير فى الإسلام طبعة مكتبة المطيعى وهو ردود على أسئلة قدمت إليه فى أذاعة القرآن الكريم بجمهورية مصر العربية وقد جمعت فى كتيب صغير يجمع فيه حكم التماثيل أن كانت مشوهة أو نصفية وحكم الستائر التى عليها رسوم ونقوش وحكم ورق الحائط الذى عليه تصاوير وحكم التصوير الفوتوغرافى وحكم الرسوم المطبوعة فى الكتب وحكم العرائس المستعملة فى لعب الصغار كما أن له مقالات فى مجلات الأزهر والاعتصام والمسلمون يبين فيها للناس ماليس حديثا وماليس صحيحا وفتاوى وأحكام شرعية .

كما أن له العديد من الفتاوى التى قد نشرت فى مجلة الاعتصام كما أذاعت القرآن الكريم العديد من الفتاوى ، كما ان له العديد من المحاضرات والدروس وخاصة بيت طلبة العلم لقد حرص تلاميذه على تسجيلات صوتية وهى فى شرح صحيح البخارى وصحيح مسلم وكتاب قليوبى وعميرة فى فقه الشافعى وشرح أحياء علوم الدين للغزالى وشرح كتاب الاشباه والنظائر .

كما أن له تسجيلات صوتية فى تفسير القرآن وأن كانت قد وافته المنية قبل اتمامه .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وجزاه الله خير الجزاء على ماقدمه من جهود تذكر فتشكر فى خدمة الإسلام والسنة النبوية .

المحدث : الشيخ زكى ابراهيم[1]
رائد العشيرة المحمدية

تعريف موجز بفضيلة الإمام رائد العشيرة :
وشيخ الطريقة المحمدية ومجدد التصوف فى هذا العصر :

(١) هو العارف الداعية ، القطب المجاهد ، الكاتب ، الخطيب ، الشاعر المحاضر ، المعتصم بالله « السيد محمد زكى إبراهيم » وكنيته : « أبو البركات » ولقبه « زكى الدين » وقد ولد ببيت الأسرة ببولاق مصر ، ووالده القطب الشريف الحسينى « السيد إبراهيم الخليل بن على الشاذلى » ووالدته الشريفة الحسنية « السيدة الزهراء فاطمة النبوية » بنت القطب الأكبر الشيخ « محمود أبو عليان الشاذلى » وله ولدان ضابط ومهندس وبنت مفتشة بالقوى العاملة وكلهم متزوج وله أولاد .

وهو خريج الأزهر ويجيد عدة لغات وكان مفتشا للتعليم بوزارة التربية والتعليم ، ثم أستاذا بالدراسات العليا ، والمعهد العالى لتدريب الأئمة والوعاظ ، ثم عميدا لمعهد «إعداد الدعاة » . . إلخ . .

(٢) وهو رائد العشيرة المحمدية ، ومؤسسها ؟ ومؤسس مجلة (المسلم) المجلة الصوفية الأولى فى العالم الإسلامى ، ومؤسس معهد (إعداد الدعاة) أول معهد شعبى من نوعه ، ومؤسس الطريقة المحمدية الشاذلية ومجدد مسجد ومشهد المشايخ بقايتباى ، ومراقد ومسجد أهل الله ببرقوق ، ثم هو عضو بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ؟ واللجنة الدينية العليا بمحافظة القاهرة والمؤتمر العالمى للسيرة والسنة .

(٣) وقد أهداه الرئيس جمال عبدالناصر « وشاح الرواد الأوائل ونوط التكريم » وأهداه الرئيس السادات « نوط الامتياز الذهبى » من الطبقة الأولى . وأهداه الرئيس حسنى مبارك « وسام العلوم والفنون » المخصص لكبار العلماء والأدباء ، ثم أهداه نوط الامتياز مرة أخرى ، كما أهداه الرئيس اليمنى « السلال » و« شاح اليمن والخنجر » وأهدته محافظة القاهرة ، ووزارة الشئون الاجتماعية ، وبعض المؤسسات الكبرى : عددا من شهادات التقدير والأوسمة .

(٤) ثم هو مؤسس مؤتمر الهيئات والجمعيات الدينية ، للعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية ، باشتراك أخيه فى الله الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر والأستاذ الشيخ حسنين

(١) هذه الترجمة من بعض المطبوعات التى حصلنا عليها من دار العشيرة المحمدية والتى تفضل الإمام رائد العشيرة بإرسالها مشكورا .

مخلوف عميد الإفتاء وعضوية جمهرة رؤساء وعلماء وممثلى الجماعات الإسلامية الرسمية والشعبية بمصر .

(٥) كما كان أمينا ورائدا دينيا لجماعات الشبان المسلمين والمؤتمر القرآنى برئاسة نائب رئيس الجمهورية السيد حسين الشافعى ، واللجنة العليا للدعوة بالأزهر برئاسة الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود ، وكان خبيرا للجنتين التاريخيتين لإصلاح التصوف برئاسة السيد وزير الداخلية والشيخ الباقورى وزير الأوقاف وقتئذ (ر) .

كما كان عضوا إداريا عاملا فى أكثر من جماعة وهيئة ولجنة إسلامية واجتماعية وثقافية عامة وخاصة : رسمية وشعبية ، بمصر والخارج : منها جماعة (أبولو) للشعراء برئاسة المرحوم أحمد شوقى أمير الشعراء ، كما اشتغل فترة بالصحافة والنشاط النقابى للمعلمين ، كل هذا رغم امتحانه الدائم بالأمراض الشديدة والمواجع المستمرة ، وبرغم مايبذل بكل السخاء ، وبالغ الجود ، من ماله الخاص فى سبيل الدعوة والإسلام بلا من ولاأذى .

(٦) وله مؤلفاته النادرة الكثيرة الدقيقة فى التصوف الإسلامى والدفاع العلمى عنه وبيان أصيله ودخيله ، ثم مؤلفاته فى بقية العلوم الإسلامية والأدب والشعر والاجتماع والمعارف العامة ، وله نشاطه الدينى بالأذاعة والتليفزيون والجرائد والمجلات بمصر وغيرها ، وله خطبه ومحاضراته ودروسه المشهورة والمسجلة على الكاسيت بالمساجد والنوادى والأحفال وغيرها .

وهو يكافح التطرف والتشدد ، بقدر مايكافح التخريف والتحريف والتظاهر والرياء والضعف داعيا إلى الوسطية والسماحة والحب والسلام والعلم والعلاقة بالله ، والتقريب بين طوائف المسلمين على أساس الربانية القرآنية .

(٧) وله دعوته العلمية الثائرة القوية العملية إلى تحرير التصوف وتطهيره وإدماجه فى الحياة الجادة ، على طريق الكتاب والسنة ، قولا وعملا ، ثم دعوته إلى « الجامعة الصوفية العالمية » كنواة للتجمع الإسلامى ، وإنشاء : (دائرة المعارف الصوفية التاريخية) ومع كل هذا لم يقبل يوما مشيخة مشايخ الطرق الصوفية ، ولا عضوية مجلسها الأعلى إيثارا لحريته فى دعوة الاصلاح الصوفى والمذهبى وغيره .

(٨) وكل ذلك بالتعاون الكامل ، مع شقيقه ونائبه وأمين سره ورفيق جهاده ، العارف بالله الداعية (السيد محمد وهبى إبراهيم) حامل نوط الامتياز الذهبى ، ومسئول الإدارة بالعشيرة والطريقة لجميع الأنشطة والمؤسسات المحمدية بالمدن والأقاليم . ثم بمشاركة العارف بالله السيد أبو التقى أحمد خليل (رضى الله عنهم وتقبل منهم جميعا) .

(٩) هذا وقد قطع شيخنا مدارج السلوك الصوفى وأتم مسيرة « الأسماء السبعة » ثم « الثلاث عشرة » ثم « التسعة والتسعين » إلى « الاسم المفرد والأعظم » ودخل الخلوة الصغرى والكبرى مرات ، ومارس العلوم الفلكية والروحية وأجرى الله على يديه الكرامات ، وتتلمذ عليه كبار القوم والسادة من الشباب والعلماء والأدباء ، وقد أسلم على يديه عدد من القساوسة والشمامسة وغيرهم وزارته الوفود والشخصيات الكبرى من أطراف الوطن الإسلامى فهو قطب وقته مجدد عصره ، لامحالة ، وقد لاقى فى سبيل دعوته مالايوصف من أنواع الأذى البالغ ماديا وأدبيا وهو سعيد مستمر صامد ، حتى يلقى الله مجاهدا راضيا مرضيا إن شاء الله .

نفعنا الله به وبعلومه وربانيته ، ووفقنا إلى الاقتداء به ، والثبات على طريقه ، وخدمة دعوته بفضله تعالى ونعمته .

(أمانة الدعوة بالطريقة المحمدية)

● اياك . . اياك

اياك أن تضيع وقتك فى الجدال مع عبيد الدولار، وعباد الدينار ، وعملاء الوهابية السياسية والسلفية العمياء التى لاهم لها إلا تمزيق الأمة وتفريق الشمل ، وزعزعة الأمن ، وزلزلة العقائد ، باسم التوحيد المظلوم والسنة المتهمة ، فكل الناس عندهم بين مشركين مبتدعين جهلة مارقين ، حصب جهنم . دعهم فانك إن آتيتهم بكل آية ماتبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، ومابعضهم بتابع قبلة بعض .

دعهم وتوكل على الله مستمرا فيما وفقك الله إليه .

● « ياأخى فى الله »

اننا ندعو الله لك بمزيد من العلم والايمان والعمل فلا تجعل هذا التعريف « تميمة » فى بيتك لمجرد البركة ، ولكن عليك بعهد الله ، أن تطالعة بامعان . وأن تراجعة بين الحين والحين وأن تعرضة للتذكرة والتبصرة . ولتجديد الهمة . والاقبال على الله . والصلح عليه تعالى . تحصيلا لنفحات القرب ومدد الدعوة . وتوسلا إليه تعالى فى تحقيق الآمال ودفع السوء . واللطف فيما جرت به المقادير ، ونشر هذا الطريق الطاهر المبارك ، فيمن هم أهل له من الأصدقاء والأحبة .

إن هذا التعريف مفتاح لكتاب « البيت المحمدى » الذى يجب أن تستوعبه .

● ياأخى فى الله

ياأخى فكن بشوشا متفتحا ، طلقا سمحا باسما مبشرا ميسرا ، رفيقا رقيقا عابدا شأنك المحبة والسلام . ولاتكن نكدا عابسا منقبضا متطرفا شاذا معقدا مكروها من الله والناس .

ياأخى :

انشر الحب بين الناس ، انشر الأمل فيهم ، ادعهم إلى الربانية الحقة بعملك ، ادعهم إلى الله بسلوكك ، حببهم فى دينهم ، وفى ربهم وفى نبيهم ، وفى آل البيت الأطهر ، وفى أولياء الله الأكرمين ، وفى كل طوائف أهل القبلة ، واعتذر عن الأغلاط والأخطاء فكلنا بشر ، فيه كدر ، واصفح الصفح الجميل .

● **بعض تفاصيل وبيان « الشيخ المحدث » :**

بالإضافة إلى مادرسناه من مناهج « علم الحديث والرجال » مما كان مقررا فى أيامنا على طلبة شهـادة « العـالمية القديمة » فقد شغفت شغفابالغا بهذا العلم ، للحاجة الماسة إليه فى بحوثى وتحقيقاتى ومناظراتى لمواجهة سيل العرم الضارى الموجه إلى الدعوة الصوفية من خصومها أدعياء السلفية المظلومة .

وهم قد زعموا لأنفسهم الاختصاص بعلوم الحديث والسنة ، فجعلوها احتكارا فيهم بلا دليل صحيح .

ومن ثم ارتبطت بكثير ممن أدركتهم من السادة علماء الحديث ، وتلقيت عنهم ، وأخذت منهم بقدر ماوسعتنى طاقتى وظروفى الحياتية فمثلا :

١ـ قرأت على مولانا المرحوم المحدث الثبت المتكمن الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى الذى كان ضيف القاهرة ماشاء الله من أبواب الصحيحين ، وتاريخهما ، كما تلقيت عنه كتابه الفريد « زاد المسلم » وشرحه « فتح المنعم » له ، ثم مستدرك الحاكم ، والمستدرك عليه والصغرى والكبرى للنسائى .

وبقية مؤلفاته ومنظوماته ، وبكل ذلك أجازنى والحمد لله .

(٢) وتلقيت عن مولانا المحدث الثبت المحقق الشيخ أحمد بن الصديق الغمارى أيام إقامته ضيفا على مصر الإذن « بالترغيب والترهيب » للمنذرى ، كما قرأت عليه ألوانا من الصحيحين وصحيح ابن حيان وأبى عوانة وابن جريمة وسنن الترمذى وأبى داود . ومايتعلق بها جميعا وقد اجازنى بذلك مع بقية مؤلفاته، رحمه الله .

(٣) وتلقيت الإذن من مولانا بركة الوقت محدث العصر العارف بالله الشيخ أحمد عبدالرحمن البنـا بكتـابه « ترتيب مسند الإمام أحمد » وشرحه له ، وقد قرأت عليه شرحه للوظيفة الزروقية، فأجازنى بكل ذلك ، وبقية مؤلفاته رضى الله عنه .

(٤) وفى زياراتى للمدينة النبوية المنورة أثناء عمراتى قرأت ماشاء الله على مولانا العارف العـالم المحدث المبارك الشيخ أحمد عبدالجواد ، من الجامع الكبير والصغير للسيوطى . وكتاب الجامع الأزهر ، فأجازنى بهذا مع إجازتى بكتابه العظيم (جامع الأحاديث) .

(٥) وفى زياراتى أيضا للحرم الأكبر الشريف أثناء العمرة أجازنى المرحوم العلامة المحدث العارف الله السيد عباس علوى مالكى والد حبيبنا فى الله الدكتور محمد علوى مالكى بعد ماقرأت عليه ماشـاء الله من كتـاب «الأسـماء والصفـات» للبيهقى «وبلوغ المـرام» لابن حجر وشرحه للصنعانى (ومصابيح السنة) ورسالته الخاصة عن (الحديث الضعيف) فقد أذننى بكل ذلك وبما حصله أو تلقاه عن مشايخه رضى الله عنهم جميعا .

(٦) تلقيت عن شيخنا العالم العارف المحدث الحجة الشيخ محمد الحافظ التيجانى بزاويته المعـروفة بالقاهرة الإذن بمعاجم الطبرانى الثلاثة و«المطالب العالية» وأبواب من سفر ابن ماجه ومفردات متفرقة عن ابن شاهين وعبدالرزاق وابن عبدالبر ، وبهذا أجازنى كما أجازنى بكل مروياته ومخطوطاته ومطبوعاته فى علم الحديث ، رحمه الله .

(٧) وقرأت على العلامة الباحث المحدث الفقيه الحجة الشيخ محمد زاهد الكوثرى (مسند أبى حنيفة) و(موطأ مالك) وقرأت عليه بعض كتب الرجال وبخاصة ماجاء عن الذهبى وابن القـطان وابن حجـر وابن عبدالبر ، والعراقى وابن معين ، مرورا بابن الجوزى وغيره ، وبهذا أجازنى رضى الله عنه .

(٨) وعـلى العـالم المعمـر المحـدث الصـالـح الشيخ محمـد عبدالله العربى تلميذ الشيخ الباجورى، قرأت « مختصر ابن أبى جمرة ومختصر الزبيدى، والمختارة للمقدسى » وكتب الإمام النووى خصوصا « الأذكياء والأربعين » وبعض « المهذب » وبهذا أجازنى والحمد لله .

(٩) وقـد صح لى اللقـاء والأخذ بالسند عن جماعة من السادة منهم مولانا الشيخ الخضر حسـين ، والأمير عبدالكريم الخطابى والسيد اليمنى الناصرى ، وحفيد محدث المغرب الشيخ عبدالكبير الكتانى والأخ الشيخ عبدالله الصديق الغمارى وقد اجازنى بكتبه « الكنز الثمين ، والرد المحكم والأحاديث المنتقاة والحجج البينات وآخرون لم يحضرنى ذكرهم الآن .

(١٠) وكذلك صح لى اللقاء وتبادل الأخذ والاجازة مع الأخ المحدث المرحرم الشيخ محمد نجيب المطيعى ، والمرحوم الأخ المحدث الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف . . والمرحوم الأخ العارف المحـدث الشيخ الحسينى أبـوهاشم ، والإمام الجليل شيخ الإسلام الدكتور عبدالحليم محمود والداعية الشيخ عبدربه سليمان رضى الله عنهم أجمعين .

وكل كتاباتى ومؤلفاتى أو جلها بحمد الله على أسلوب المحدثين رواية ودراية وتحقيقا ونقدا .

ويتضح هذا جليا فى مثل كتابنا (أصول الوصول) و(وعصمة النبى ﷺ حقيقة قطعية الثبوت) والنوافل الثوابت (ووظيفة الحديث الضعيف) (والإفهام والإفحام فى أحكام الوسيلة والقبور فى الإسلام) وليلة (النصف فى ميزان الانصاف العلمى) وأهل القبلة كلهم موحدون « والسلفية المعاصرة إلى أين » وهكذا نحو خمسين مؤلفا مطبوعة ، بحمد الله .

المحدث الشيخ محمد الحافظ التيجانى رحمه الله

[1]هو المحدث الشيخ محمد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم الشريف الحسينى من جهة أبيه ويتصل نسبه بسيدنا الحسن رضى الله عنه من جهة جدته لأبيه : فإنها من آل سيدى الشيخ سليم السباعى صاحب المسجد المعروف بالسبتية بمصر القاهرة ، أما أمه فمن بنى رزاح فصيلة سيدنا عمر بن الخطاب من بنى عدى بن كعب وأمها شريفة من آل الخطيب النازلين ببنى رزاح .

ولد رضى الله عنه عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف هجرية فى ربيع الثانى فى بلدة كفر قورص مركز أشمون بأقليم المنوفية من أعمال الديار المصرية ، ونشأ بين أبوين كريمين عفيفين حريصين على تربيته وتعليمه أحسن تربية وتعليم ، وقد ظهر عليه أثر ذلك ولله الحمد ، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه .

وهل ينبت الخطمى إلا وشيجه   وتغرس إلا فى منابتها النخل

فهو العالم العلامة ، والدراكة الفهامة ، فلا عار على من وصفه بالقطبانية ولاملامة ، حامل أنوار وأسرار الطريقة ، الجامع بين الشريعة والحقيقة . ممن جمع الحسنيين والشرفين . محدث الصوفية وصوفى المحدثين ، وهو لسانهم القاطع حجج المنكرين بالبراهين . أديب الصوفية وصوفى الأدباء فى الإنشا لو أدركه لاستضاء به صبح الأعشى ، وهو فقيه الصوفية وصوفى الفقهاء فأين لأترابه إلى مبدئه الانتهاء ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق ، كلامه يقرع القلوب قبل الآذان وتنشق له الجلاميد والجدران .

وإذا تكلم فى لحقائق مرة   بهر العقول ، كلام عبد صالح

فهو رضى الله عنه إذا تكلم فى الحقيقة جاء بها يبهر العقول مما لايوجد عند من تقدمه من أهل النقول ، وإنما هو فيض ربانى ومدد روحانى ، يأتيه من جده بواسطة شيخه قطب الأقطاب . خاتم الأولياء بلا ارتياب . أبى العباس سيدى أحمد بن محمد التجانى . سقانا الله من بحره بأعظم الأوانى ، ولم لا وهو القائم بأمور طريقته فى جميع أحيانه ، الذاب عنها بقلمه ولسانه ، فتراه فى خطبه يتلقف الحكمة من الحضرة الربانية ، فينطق بها كما هيه ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ، فهو المدافع عن الكتاب والسنة . وطرق الصوفية فى مشارق الأرض ومغاربها بالخطب والمؤلفات ، فى المناظرات والمراسلات ففتح الله به أعيناً عمياً ، وآذانا صماً وقلوباً غلفاً كالحجارة أو أشد قسوة ، فهدى الله من هدى به للإسلام والايمان والإحسان ، وتمادى على ضلالته

(١) هذه الترجمة حصلنا عليها من بعض المقالات التى نشرت بإحدى المجلات الإسلامية ، وقد بعث بها إلينا نجل المحدث الشيخ التيجانى رحمه الله تعالى .

من سبقت له سابقة الخسران ، فهو ولله الحمد رضى الله عنه ، من له الأذن الخاص فى التربية كما شاهد ذلك منه وشهد به معاصروه مع أن المعاصرة هى أكبر حجاب ، قال الشاعر :

ترى الفتى ينكر فضل الفتى لؤماً وبغضاً فإذا ماذهب
لج به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب

وقال الآخر :

قل لمن لايرى المعاصر شيئا ويرى للأوائل التقديما
إن هذا القديم كان حديثا وسيسمى هذا الحديث قديماً

* نشرت هذه الترجمة [1] فى مجلة «طريق الحق» كتبها الشيخ محمد فال بن فتى من علماء شنقيط :

يعيش رضى الله عنه متواضعا زاهدا لايمتاز عن جلسائه ومريديه بجلسة ولامجلس يدخل على الأمراء بلباسه الذى يلبسه مع الفقراء لايتصنع لأحد بالغا مابلغ ولاتأخذه فى الله لومة لائم ، لايقر على منكر ، ولايتواضع لغنى لغناه ، ولايقبل الهدية إلا ممن علم صدقه ويكافئه عليها تأسيا بجده صلى ﷺ ، فإنه كان يقبل الهدية ويكافىء عليها ، ولما فى ردها من كسر خاطر مهديها ، وهو لايقابل أحدا بسوء ، وهو من حسن الخلق والكرم بالمكانة التى لاتدرك . لاتعلم شماله ماأنفقت يمينه ولايمينه ماأنفقت شماله . متأدب بآدب السنة مجانب كل بدعة ضلالة ، يظن كل أصحابه أنه أحب إليه من غيره ويبش فى وجوههم كلهم . يرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم ويعظهم بالمواعظ التى تنشق لها الحجارة ؛ لأن كل قول يخرج عليه كسوة القلب الذى خرج منه فما خرج من القلب بصدق نية دخل القلب وماخرج من اللسان لايجاوز الآذان . قال الشاعر :

كل قلب بكسوة القلب آت حين يلقىء على أداة السميع
فالمصافى مقاله المر حلو لو تحرى إذاية بشنيع
والمعادى مقاله الحلو مر وكفى بالله واقياً فى الجميع

وتراه رضى الله عنه حلو الفكاهة لين الجانب . يمزح ولايقول إلا الحق . يبين الحق للناس فى قالب أدبى عادى لاينكره إلا مكابر وماكان برهانه فى نفسه لايحتاج فيه إلى استدلال فإذا وضحه شرحه حتى يستوى فى معرفته العالم والجاهل فإذا تمكن من قلوبهم سلموا وأذعنوا ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، وهذا من مقتضى قوله تعالى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) إبقاء للخصم لئلا ينفر فيبطل المقصود من إقامة الحجة . ولقد كنت معه رضى الله عنه فى مناظرة بعض جناة المنكرين فكانوا يسيئون معه الأدب فأغضب أنا وأريد مكافأتهم فيضحك هو لهم ويثبطنى عنهم حتى يقيم عليهم الحجة وينقطعوا ويقروا بالعجز . وقد رجع كثير منهم بهذا السبب عن إنكاره ودخل فى الطريقة ولو خاصمناهم

وشاتمناهم لم نبلغ مقصودنا من إقامة الحجة عليهم ، ومجاملة الخصم ولو كان مبطلا أنجع من مدابرته لقوله تعالى للكفار (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) .

وهو رضى الله عنه من حسن الخلق وتحمل أذى الناس بالمكان الذى لايعلمه إلا من مارسه وقد هدى الله به كثيرين فى جميع الاقطار حتى ترجمت رسائله فى الإسلام باللغات الاجنبية فكانت سببا فى دخول الإسلام فيهم ، كنت أسمع به قبل لقائنا لبعد صيته فأظنه من المتقدمين فإذا هو من أترابنا معناه أكبر من سنه . رحل إلى السودان خمس مرات والحجاز ثمانى مرات وفلسطين وسوريا وتونس والجزائر ومراكش من المغرب الأقصى ولقى بها الكثير من العلماء والصالحين .

مؤلفاته ـ الحق فى الحق والخلق ـ أصفى مناهل الصفا فى مشرب خاتم الأولياء ـ قصد السبيل فى الطريقة التجانية ـ فصل المقام فيما يرفع الإذن فى الحال ـ سبيل الكمال « رسالتان إلى ألمانيا فى الإسلام » وهى التى ترجمت باللغة الألمانية ـ والرسائل من الأولى إلى السادسة فى فنون مختلفة وأجوبة عن مسائل مشكلة وتراجم بعض الصالحين . رسول الإسلام ﷺ ورسالته الجامعة ـ رد أوهام القاديانية فى قوله تعالى : وخاتم النبيين ـ رؤية النبى ﷺ فى اليقظة ـ الحد الأوسط بين من أفرط ومن فرط ـ أهل الحق العارفون بالله ـ رد على بعض المنكرين الأشقياء ـ التوفيق بين الطوائف الإسلامية المعاصرة فى الأصول ـ معنى قوله ﷺ تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ـ شروط الطريقة التجانية .

وأكثر هذه المؤلفات مطبوع أو تحت الطبع ، وماطبع منها يقسم أكثره على الناس بلا مقابل إلا مؤونة الطبع ، وقد أجازنا ولله الحمد فى جميع مؤلفاته وناولنا أكثرها . جعلنا الله ممن انتفع بها .

● مشيخته فى العلم والطريقة والحديث :

قرأ القرآن على الشيخ عبدالله حمادة والشيخ سليمان البنا برواية حفص وقرأ بعضه على الشيخ خليل الجنائنى عن الشيخ متولى شيخ القراء بمصر ، وقرأ اللغة على الشيخ يوسف الكومى والشيخ محمد المهدى والشيخ إسماعيل الاسلامبولى، وصحب الشيخ عبدالمنعم قاسم الفقيه المالكى ، والتفسير عن الشيخ يوسف الدجوى ، وصحب الشيخ محمد ماضى الرخاوى ، وكان علامة الأصول فى الأزهر فى وقته ، والشيخ السكندرى ، ولازم الشيخ سلامة العزامى القضاعى الشافعى إمام عصره فى سائر العلوم الدينية والفنون .

وقد كان قبل تقيده بالطريقة التجانية أخذ عدة طرق وأجيز فيها كالخلوتية التى كانت طريقة أجداده والنقشبندية والشاذلية فكان ذلك سببا فى دخوله فى الطريقة التجانية أخذها عام ثمان وثلاثين وثلاثمائة ألف ، أولاها عن الشريف سيدى الشيخ أحمد السباعى البقارى من أولاد أبى

السباع الساكنين بحوز مراكش ، وهم شرفاء حسنيون سكن مصر وتوفى بالكتامية بجوار بير شمس من قرى مديرية المنوفية بمصر وهو أخذ عن سيدى الشيخ أحمد التجانى الشنقيطى على سيدى الحاج الحسين الأفرانى عن سيد العربى بن السائح بسنده ، وكذلك أخذ عن الشيخ بدر سلامة مؤلف النفحة الفضلية والهداية المحمدية ، وهو عن سيدى أحمد التجانى الشنقيطى ، ومن أسانيد سيدى الشيخ السباعى والشيخ بدر الشريف سيدى محمد بن أحمد الدروامى المتوفى بالمغرب الأقصى .

وقد أخذ أيضا عن الشيخ مدكور الطصفاوى عن سيدى البشير الزيتونى عن سيدى إبراهيم الرياحى عن الشيخ التجانى رضى الله عنه ، وقد أخذ مباشرة عالياً عن شيخ شيوخه السيد أحمد التجانى الشنقيطى المتقدم ذكره وصحبه وقرآ عليه كتابه الفتوحات الربانية وأجازه فيه بخط يده على نسخة منه ، وكذلك على غيره من مؤلفاته ، واختصه بصلاة الفاتح بنية الاسم الأعظم وقد أجازنى بذلك ولله الحمد ، وكذلك أخذ عن سيدى السيد عبدالمالك بن العلمى العارف بالله والدال عليه بحاله ومقاله وكان سفيرا بين دار الشيخ رضى الله عنه وجميع الاحباب نائبا عنهم فى الشروط والأسباب .

وكانت خالته تحت مولانا البشير وكان آية من آيات الله فى السر والبركة والكشف والتقوى والاستقامة ، وكان يحب شيخنا صاحب الترجمة محبة خاصة ، أذن له فى كل ماعنده وكان لايعطى إذناً ولا إجازة غالباً مادام فى الديار المصرية إلا بواسطة شيخنا صاحب الترجمة وقال له ماقال الشيخ التجانى رضى الله عنه للحاج على حرازم برادة : من كان يطلب منا شيئاً فليطلبه من فلان ماقاله قلناه ومن أذنه أذناه .

وكذلك أخذ عن الشيخ العالم العلامة المحدث المقدم البركة الشيخ ألفا هاشم بن أحمد بن سعيد الفوتى بن أخى صاحب الرماح توفى بالمدينة المنورة عام تسع وأربعين وثلاثمائة وألف عن سبع وستين سنة وأذن كل منهما للآخر ماعنده وتبادلا الثياب والمسابح .

وكذلك أخذ عن مولانا صفوة قطب الأقطاب محمد الكبير بن سيد البشير التجانى وأطلق له فى الإذن والتقديم الإطلاق العام ، وفاز منه بالضمان فغار بعض الإخوان من ذلك فقال لهم سيدنا محمد الكبير : « والله مازدت على أن نفذت مابرز من الحضرة » أو كلاماً هذا معناه ، وقال له وكتب : قد اتخذنا الخير الأمثل الشيخ محمد الحافظ التجانى حبيباً لنا فى الدارين لاينفصل عنا بذنب ولاينقطع عنا بعمل .

وقد أخذ أيضا عن الشيخ السيد العارف بالله العالم العامل والشيخ الكامل القاضى سيدى أحمد سكيرج ذى التآليف العديدة المفيدة ، بلغت مؤلفاته مائة وأربعين أيام إقامتى معه لتصحيحها

عام ثمان وخمسين ولعله زادها بعدى لأنه عاش بعدى خمس سنين وتوفى عام ثلاث وستين وثمانمائة وألف عن ثمان وستين سنة . كان شديد المحبة لصاحب الترجمة يلهج بذكره كثيراً وأنا أراه نسخة منه .

والله والله العظيم ومن أقام حجته للخلق برهاناً
إن الذى قلت بعض من محاسنه مازدت إلا لعلى زدت نقصاناً

وقد أخذ أيضا من سلالة القطب المكتوم وختم الولاية المعلوم سيدى محمود بن سيدى البشير التجانى أخى سيدى محمد الكبير المتقدم ذكره ، وكذلك أخذ عن سيدى محمد بن الغازى الرباطى وسيدى محمد النظيفى السوسى المراكشى صاحب الجريدة والتآليف المفيدة الشاهدة على قدمه فى الطريقة ، ومعرفته ، لقيته فى المحرم فى زاويته عام ثمان وخمسين وناولنا مؤلفاته وأجازنى فيها ، توفى عام سبع وستين عن نحو مائة سنة إلا سنتين .

وكذلك أخذ عن الشيخ الدرديرى الخليفة واد دوليب عن والده عن سيدى عمر بن سعيد ، وعن الشيخ مولود فال رضى الله عنه : والسيد إبراهيم ابن المختار الشنقيطى التشيتى ، وكذلك أخذ عن الحاج بنقاسم بوكابو الوهرانى ، وكذلك أخذ عن الشريف عبدالمنعم محمد المدفون بأم سعدون عن سيدى محمد العالى مباشرة ، وكذلك أخذ عن الشيخ مبشر بن سيدى عمر بن سعيد الفوتى ، وعن الشيخ إبراهيم الخزامى عن الشريف طاهر الحمادى عن السيد محمد بن المختار السقاف عن الشيخ التجانى رضى الله عنه .

وأما شياخته فى الحديث : فمذكورة فى إجازته لنا بأسانيدها إلى رسول الله ﷺ، ولنذكر أصولها :

أخذ موطأ الإمام مالك إمام دار الهجرة رضى الله عنه عن إمام المحدثين العلامة محدث المغرب الأقصى الرحالة الشيخ محمد عبدالحى الكتانى بسنده إلى رسول الله ﷺ، وله فيه طريق أخرى عن السيدة الصالحة أمة الله ابنة الحافظ الكبير الشيخ عبدالغنى الدهلوى عن أبيها بسنده إلى رسول الله ﷺ . ويروى صحيح البخارى عن العلامة محدث المغرب محمد عبدالحى المتقدم ذكره بسنده إلى رسول الله ﷺ، ويروى كتب السنة والتفسير والفقه من طريق إمام دار الحديث بدمشق الشام شيخ المحدثين بالمشرق الشيخ بدر الدين الحسينى عن الشيخ إبراهيم السقا عن الشيخ الأمير الصغير عن الشيخ الأمير الكبير عن شيوخه الذين حواهم ثبته المعروف « ثبت الأمير » .

ويروى السنة المحمدية وعلومها من فقه وتفسير وغير ذلك عن شيخنا السيد محمد عبدالحى الكتانى وعن الشيخ محمد الصادق الرياحى التونسى حفيد شيخ الإسلام سيد إبراهيم الرياحى عن العلامة الشيخ الطيب النيفر عن العلامة الشيخ الماحى الدارفورى المتوفى قرب المدينة المنورة

وهو عن شيخنا علامة زمانه سيد أحمد بن محمد التجانى الشريف الحسنى رضى الله عنه وهو عن الشيخ سيد محمود الكردى وهو عن شيخ الإسلام الشيخ الحفنى ، ويروى عن الشيخ الحفنى بسند أعلى من هذا عن الشيخ بدر الزهيرى الخلوتى المتوفى بطنطا سنة **١٣٦٣** هـ عن خمسين ومائة سنة وستة أيام عن والده الشيخ بدر عن شيخ الإسلام عبدالله الشرقاوى عن الشيخ الحفنى .

ويروى كتب السنة وغيرها عن العلامة الشيخ ألفا هاشم والشيخ محمد عبدالباقى الانصارى كلاهما عن الشيخ صالح الظاهرى وثبته وثبت الشيخ محمد عبدالباقى مطبوعان . ويروى عن المحدث الشيخ عبدالستار الصديقى الحنفى الهندى المتوفى بمكة المكرمة عنه مباشرة ويروى عنه وعن المحدث الصالح الشيخ عبدالله الغازى الهندى المكى عن العلامة الشيخ حسين بن السيد محمد الحسينى المكى ، ويروى عن الشريف العلامة الواصل الكامل الشيخ محمد خفاجى الدمياطى والشريف السيد كمال الدين القاوقجى ثبت والده العلامة الإمام العارف السيد الشيخ أبى المحاسن القاوقجى وهو مطبوع أيضا .

ونرجو من الله بمحبتنا له وبأخوتنا فى الله ومحبتنا فى الله وتصديقنا لسائر أولياء الله أن يجعلنا من الآمنين الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

مقارىء الحديث

لقد انتشرت فى مصر مقارىء للقرآن الكريم وأخرى للحديث الشريف ، ومقارىء جمعت بين القرآن والحديث ، ولئن قلّت أو كادت لاتوجد هذه المقارىء إلا أنه يوجد حتى الآن بعض المقـارىء التى أعـرفهـا شخصيا فى الشرقية منهـا فى قرية الجوسق « مقرأة » لصحيح البخارى فى بيت ال حجازى اكرمهم الله .

ومنهـا مقـارىء جامعـة بين القرآن والحديث والمأثورات ودلائل الخيرات فى الساحة الهاشمية ببلدنا بنى عامر . . ونقدم للقراء هذا البحث المستفيض عن تلك المقارىء :

مقارىء الحديث النبوى
فى مصر

أما مقارىء كتاب الله العزيز ، فلا زالت بحمد الله آهلة عامرة فى مصر ، ففى المساجد الكبرى يجتمع القارئون فى ساعات محددة ليتناوبوا القراءة فى أجزاء المصحف ، كما أن جماعات شتى فى المدن والقرى تحدد ليلات الجمعة ميعادا للتلاوة المباركة فى منازل مشتهرة يؤمها القارئون وفق نظام متبع ، حيث تكون لكل قارىء ليلته الآهلة فى منزله يستقبل بها إخوانه ومعهم أجزاء المصحف الكريم ليقوموا بالقراءة أسبوعيا دون عائق ، هذا غير الاجتماعات التعليمية لأعلام القراء ممن يتلون بقراءات غير قراءة حفص المشتهرة فى هذا البلاد ، تدارسا وتثقيفا وإلماما بأحد علوم القرآن .

هذا عن قراءة كتاب الله .

فماذا عن قراءة الحديث النبوى الشريف ؟

الحق أن الجيل الماضى كان خاتمة لعهد زاهر حظيت فيه الكتب المشتهرة الجامعة لأحاديث رسول الله بالتلاوة المباركة إذ كانت تلقى من الاحتفاء والإقبال مايجعل انتشارها سنة متبعة ، والمسنون من رجالنا اليوم يذكرون مجالس الشيخ يوسف الدجوى والشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى ، والشيخ محمد إبراهيم السمالوطى والشيخ منصور ناصف ، وكلهم من علماء الحديث ، يشرحونه فى الدروس الدينية تارة ، ويجلسون للاستماع المتصل تارة أخرى ، مما سنلم ببعضه بعد حين .

وقد يظن ظان أن تلاوة الحديث فى مجالس العلم لاتؤدى فائدتها الجزيلة إذا لم تقرن بالشرح بحيث يكون مجلس الحديث درسا لاقراءة ، والحقيقة أن نور الحديث يشع على القلوب المؤمنة فتأخذ بنصيبها فيه ، كل على حسب استعداده .

فالحديث كلام عربى يفيض على سامعيه وتاليه معا بأطيب النفحات ، وفيه ذكرى

---

(١) مقال بمجلة الأزهر ، جمادى الآخرة سنة ١٤٠٧هـ لفضيلة الدكتور محمد رجب البيومى

لمن كان له قلب ، فمحاولة الصد عن قراءته المتتابعة استجابة لمعانى العجز والكسل وحرمان من مجالس الخشوع والسمو وإصغاء لهواجس الريب الخادع ، فلينتبه الغافلون .

ومن فضل الله أن مصر ـ كنانة الله فى أرضه ـ قد سعدت بالحديث النبوى منذ أشرق الإسلام فى ربوعها الآهلة ، إذ عرف تاريخها العلمى من رجالها محدثين أفذاذا عكفوا على آثار رسول الله حفظا واستظهارا وفهما واستنباطا وإسنادا ، وصحائف التاريخ العلمى لمصر تنطق باحتفائها البالغ بهذا العلم الشريف، وقد اشتهر من رجال الحديث بها الإمام الشافعى صاحب المذهب الفقهى والليث بن سعد وعبدالله بن وهب المصرى صاحب كتاب (الجامع فى الحديث) وشهرة الإمام الطحاوى المصرى بالحديث ذائعة لدى الدارسين ، وله اجتهادات كانت موضع النظر حيث أجاز الرواية عن مستورى الحال ، وعارضه بعض من لم يجيزوا اتجاهه بأدلة لامجال لاستقصائها الآن ، ثم توالى ركب المحدثين فى مصر ليضم أبابكر بن الحداد ، والحافظ ابن خزابة ، وأبا اسحق المالينى وأبا نصر البكرى ، وأبا اسحق النعمانى والحافظ السلفى وابن دحية والحافظ المنذرى وابن دقيق العيد وتقى الدين السبكى والبلقينى وابن حجر والعينى والقسطلانى والسيوطى ، ولكل منهم مقامه الجهير فى دنيا الحديث ، وكيلا نطيل بذكر أمثال هؤلاء الأفذاذ فاننا نذكر مايغنى عن السرد الطويل حتى ننقل عن تاريخ الحركة العلمية فى العصر المملوكى أن صحيح البخارى وحده قد شرحه أكثر من أربعين محدثا من أئمة هذا العصر ، نذكر منهم : سراج الدين البلقينى وأبا على بن المنير ، والحافظ مغلطاى ، وشهاب الدين بن حجر ، وبدر الدين الزركشى ، وسراج الدين بن الملقن ، وبدر الدين العينى وأبا العباس القسطلانى وبدر الدين الدمامينى ، هذا عن البخارى وحده .

أما شروح مسلم والترمذى وسنن أبى داود والموطأ وسنن البيهقى وسنن ابن ماجه فقد ذاعت كما ذاع شرح البخارى فى تصانيفه العديدة ذات الأجزاء الطوال ، وقد يفيد فى هذا المجال أن يرجع القارىء إلى ماكتبه الأستاذ محمود رزق سليم فى الجزء الثانى من موسوعته ، ففيه غناء واشباع [1]، وكل ذلك يشير إلى احتفاء مصر بحديث رسول الله فى زمنها السالف !

وقد يكون ماذكرناه تمهيدا منطقيا لبعض مانريد .

---

(١) عصر سلاطين المماليك جـ ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦

كان الأزهريون فى قديمهم الغابر لايدرسون السنة فى موجزات أو مختارات تتبع ببعض الشروح والتعليقات ، وتوصف بالمذكرات كما نشاهد اليوم ولكنهم كانوا يدرسون السنة فى مصادرها الأصلية ، حيث يقرأ الكتاب من ألفه إلى يائه بعناية واحكام ، والمتتبع لتراجم العلماء فى تاريخ الجبرتى ، يعجبه أن يجد الكتب الأصلية فى السنة المطهرة مما درس طالب الأزهر ، فالشيخ شمس الدين الحنفى مثلا يدرس فى مجال السنة سنن أبى داود وسنن النسائى وسنن ابن ماجه والموطأ للإمام مالك ، ومسند الإمام الشافعى ومعاجم الطبرانى وصحيح أبى حيان والمستدرك للنيسابورى .

وليس الحفنى بدعا فى هذا الالمام البارع بأمهات كتب الحديث ، بل ان زملاءه وأساتذته وتلاميذه كانوا ينتحون ما انتحاه ! وأكثرهم كان حريصا على أن يتصل اسمه برجال السند ليكون حلقة فى السلسلة المنتهية بصاحب الأثر كالبخارى ومسلم ومالك !

هذا الشغف البالغ باتصال السند إلى أرقى مصادره فى الكتاب المشروح دفع العلماء إلى الحرص على سماع المتن من الأساتذة فى مجالس التلاوة ! وقد تخصص كل دارس بكتاب يختاره من كتب السنة ليذكر فى حلقة اسناده ! ولكن العلامة الأمير رحمه الله قد دفعته همته إلى أن يكون حلقة فى سلسلة السند لافى كتاب واحد بل فى ثلاثة كتب من أمهات كتب الحديث هى الموطأ للإمام مالك وصحيح البخارى وصحيح مسلم ، وعنه روى الكثيرون فى مجالس القراءة الواعية متون مالك والبخارى ومسلم ، وتوالى تلاميذه ومن تبعهم باحسان ، حتى ماقبل جيلنا المعاصر ، فاجتهدوا فى الرواية ليصلوا بالسلسلة إلى مدها المتصل ، وياله من مجد حافل يحس الدارس شرفه فى نفسه حين يعلم أنه سعد بعده بين الرواة ! لهذا كثرت مجالس القراءة للحديث النبوى يتصدرها محدث حافظ يتصل نسبه العلمى بآباء من كرام المحدثين ، وهو فى مجلسه يستمع المتن مصححا ، وشارحا ومجيزا ، ولمجلس الحديث رسمه الطاهر مأخوذا عن الإمام مالك بن أنس إذ كان يتزين لمجلس الحديث ، متوضئا فمصليا ركعتين ، فمستمعا إلى النص النبوى يتلى عليه من الموطأ فى مهابة تعم الحلقة بمن فيها حتى قال فيه القائل :

يدع السؤال فلا يراجع هيبة والحاضرون نواكس الاذقان

وأى هيبة أروع من هيبة عالم امام بين يدى حديث رسول الله ، وفى حرمه الشريف ، على قيد خطوة من مقامه الكريم ، أجل ، كثرت مجالس التلاوة للحديث منذ ثابر عليها العلامة الأمير الكبير فى مساجد عدة ، حتى إذا لحق بربه كان نجله العلامة محمد الأمير

الصغير خليفته في أستاذية هذا المجلس ، وكأنه أحس أن مؤلفات والده وحواشيه فى النحو والفقه والبيان والتفسير والتوحيد لم تكوّن وحدها شخصيته العلمية ، بل لابد من محاكاته فى مجلس القراءة للحديث النبوى بمصر ليكون حلقة بعده فى سلسلة الاسناد ، ثم جاء من بعده تلميذه العلامة إبراهيم السقا خطيب الجامع الأزهر ، فتسلم الراية هو ونفر من زملائه ، لكل شيخ مسجد خاص يتلى فيه حديث رسول الله ﷺ ، ثم عم الفضل وازدهر ، حين أخرجت حلقة الشيخ السقا تلميذها المحدث الإمام سليم البشرى ، شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، إذ كان مع تنوع معرفته العلمية متخصصا فى الحديث رواية ودراية ، وقد قضى أكثر من تسعين عاما فى حياته ، انصرف أكثرها إلى دراسة الحديث النبوى وتلاوته فى مساجد السيدة زينب والسلطان الحنفى ومحمد أبى الذهب ! هذه المساجد التى أذاعت شهرة الشيخ سليم الحقيقة فى علم الحديث حتى عرف بالشيخ المحدث وقال شاعر النيل حافظ إبراهيم فى رثائه :

هوى ركن الحديث فاى ركن ... لطلاب الحقيقة والصواب
موطا مالك عز البخارى ... ودع لله تعزية الكتاب
قضى الشيخ المحدث وهو يملى ... على طلابه فصل الخطاب
ولم تنقص له التسعون عزما ... ولاصدته عن درك الطلاب

وكأنى بحافظ إبراهيم يشير فى البيت الأخير إلى جودة حفظه مع ارتفاع سنه ، لأن الشباب من تلاميذه قد هالهم أن يحفظ الأستاذ الأكبر موطأ مالك وصحيحى البخارى ومسلم حفظا لم تنقص منه التسعون ، إذ بقيت له فى شيخوخته ذاكرة الشباب بالنسبة لحديث رسول الله ﷺ ، وماتحقق ذلك إلا بمجالس القراءة المتواصلة للحديث الشريف ، وقد خرجت هذه المجالس ثلاثة من أفذاذ العلماء فى هذا المضمار هم الأساتذة الكبار : محمد إبراهيم السمالوطى ، ويوسف الدجوى ، ومنصور ناصف ، وكلهم صاحب حلقة فى تلاوة الحديث .

● المحدث الشيخ السمالوطى :

أما الأستاد محمد إبراهيم السمالوطى فقد كان صاحب حلقة حديثية للشرح بالمسجد الحسينى ، وحلقة أخرى للقراءة بمسجد السيدة زينب ، وقد ذكرت مجلة الأزهر فى نعيه ، بعدد صفر ١٣٥٥هـ وكانت تسمى حينئذ مجلة (نور الإسلام) ذكرت أن له عناية خاصة بعلم الحديث دراية ورواية ، فكان نبراسا منيرا طالما سطع ضوؤه فى أفق هذا العلم فانتفع به الطلاب وجماهير المسلمين ، وحاز بذلك عظيم التقدير » ، وسلسلة نسبه الحديثى تتصل هكذا :

يروى السمالوطى عن سليم البشرى عن إبراهيم السقا عن الأمير الصغير عن الأمير الكبير عن على الصعيدى عن محمد عقيلة المكى عن حسن العجمى عن أحمد بن محمد اليمنى عن يحيى بن مكرم الطبرى عن ابن صدفة الدمشقى عن ابن عبدالأول الغوغانى عن أبى لقمان يحيى بن عماد عن محمد بن يوسف الفربرى عن الإمام البخارى رضى الله عنه : وقد يكون راو أو اثنان قد سقطا دون قصد ، ولكن السلسلة ذات واقع متداول لالبس فيه .

● المحدث الشيخ منصور ناصف :

● أما الشيخ منصور ناصف ، فقد ألف كتاب التاج الجامع للأصول فى خمسة أجزاء كبار ، وقد كان تلميذا فى حلقة الشيخ سليم البشرى ، وعهدى به فى أوائل الأربعينيات من هذا القرن إذ كان يعقد مجلس القراءة بعد العصر من أيام الاثنين فى المسجد الزينبى حيث كان أحد أئمته ، وكان هو الذى يتولى قراءة الحديث بنفسه ، إذ لم يكن له من تلاميذه من يقرأ وهو يستمع ! وأذكر أن أحد زملائنا من طلبة كلية اللغة العربية حينئذ لم يدرك مغزى الحلقة ، فبادر بعد انتهاء الشيخ من مجلسه ليسأله : مافائدة القراءة دون شرح ؟ فابتسم الشيخ وقال : الشرح موجود ، وله أوقات كثيرة ، والكتب المشروحة أكثر ، والشيخ منصور تلميذ البشرى ، يقرأ البخارى عن سماعه مسلسلة الإسناد الخاصة به هى سلسلة الشيخ السمالوطى حيث تماثل التلميذان فى هذا المجال .

● المحدث الشيخ الدجوى :

أما النادرة العجيبة حقا فهو الأستاذ العلامة الشيخ يوسف الدجوى رحمه الله ، وكان له مجلسان ، مجلس للتفسير بالرواق العباسى ، ومجلس للحديث بالجامع الأزهر أولا ، وبمنزله أخيرا حين تقدمت به السن ، يقول الاستاذ الإمام عبدالحليم محمود عن مجلس الدجوى فى التفسير[1] .

« لقد كنا نحضر درس المرحوم العالم الكبير العارف بالله فضيلة الشيخ يوسف الدجوى ، فى الرواق العباسى ، بعد صلاة الفجر ، وكان درسا فى التفسير ، كان درسا رائعا حقا ، يجمع بين الدراسة الكسبية ، والالهامات الربانية ومما يؤسف له أن أحدا لم يدون هذه الدروس ولو دونت لأفادت علمها ، وأفادت دررا من الالهامات » .

أما مجلس الحديث فما أكثر من انتفعوا بمشاهدته ، وكان من طلابه الأستاذ الكبير محمد زاهد الكوثرى وكيل المشيخة العثمانية وهو من غزارة علم ، وعمق بحث وسعة اطلاع ، يقول الشيخ الكوثرى[2] .

---

(١) شمس الدين الحفنى ص ٣٥ للدكتور عبدالحليم محمود.

(٢) الغيث المروى فى ترجمة الدجوى ص ٤٣ .

« وقد تلقيت موطأ مالك من الأستاذ الدجوى رحمه الله فى مجالس آخرها فى اليوم الثانى والعشرين من صفر ١٣٦١هـ بقراءتى عليه لجميعه إلا بعض مواضع يسيرة منه ، فقد ناوبنى فيها الشيخ على الخصوصى فى بعض المجالس فأجازنى به ، وبجميع ماله من الروايات اجازة عامة ، وساق سنده فى الموطأ عن الشيخ أحمد منة الله عن الأمير الكبير بسنده بطريق السقاط ، ورجال هذا السند كلهم من المالكية من الأستاذ الدجوى الى الإمام مالك رضى الله عنه .

وإذن فالكوثرى من رواة الموطأ عن الدجوى حتى ينتهى إلى مالك بن أنس ، وقد ذكر الشيخ محمد حبيب الشنقيطى مؤلف (زاد المسلم) سلسلة له تتصل أيضا بصاحب الموطأ . وكان الشيخ حبيب الله أستاذا للحديث النبوى بكلية أصول الدين ، وكان يقرأ البخارى فى ليال معروفة بمنزله القاهرى بالقلعة ، كان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية ، والكهرباء منطفئة ، ولكن أنوار الشموع تضىء فى منزل الشيخ الشنقيطى بالقلعة ليواصل القارىء تلاوة الحديث باطمئنان ! .

هذه نماذج من مجالس الحديث النبوى فى مصر ، نؤرخ لها لنحث على استعادتها ، ولن أقول ان احياء الحديث النبوى قد اندثر بعد هذه المجالس فلدينا كتب أفردت للحديث النبوى مابين جديد وقديم ، فحركة النشر والتأليف والتحقيق والتخريج والنقد والجرح والتعديل لاتزال تجد من المتخصصين فى جامعات العلم من يقوم بها ، ودروس الحديث فى المعاهد والكليات ، لاينقطع لها مد ، ومعاجم الحديث المفهرس تنشر وتذاع ، والدفاع عن السنة المطهرة له أبطاله المعلمون فى ساحات الصيال ، يردون الهجوم المغرض ممن يلوون الحق بألسنتهم ليظهر فى صورة الباطل ، ولكننا بعد ذلك كله فى حاجة إلى مجالس الحديث تلاوة وعبادة ، لأن نور الحديث المتلو يضىء قلب المؤمن كما يضىء القمر صفحة السماء .

أذكر أن الأستاذ الدكتور منصور فهمى قد تقدم للدكتوراه فى باريس برسالة عن المرأة جانبت الحق فى اتجاهها المعوج ، إذ ألصقت بالإسلام ماليس فيه ، وقامت القيامة فى مصر ، تفنيدا واستنكارا ، ولم يستطع الدكتور منصور أن يواجه العاصفة ، ولكنه اهتدى إلى الشيخ الأكبر حسونة النواوى شيخ الأزهر إذ ذاك يسترشده ويستهديه ، فما كان من الشيخ إلا أن قدم له صحيح البخارى ليقرأ أحاديثه بامعان ، وخلا الدكتور إلى كلام الرسول شهورا متصلة ، فأشرق نور الحق فى قلبه ، ولمس من أسرار الشريعة ماكان غائبا

عن وعيه ، وأعلن فى مذكـراتـه أن صحيح البخـارى قد هداه إلى الصراط المستقيم ، والدكتور منصور أديب مفكر ذو منطق وبيان ، ومثله لايصدر حكمه دون اقتناع ، فإذا صحح له حديث الرسول ماشط من آرائه ، فعن يقين يرفده العقل وتضيئه الحجة حتى يسلس القياد ، وهذا ماكان .

ان مجالس الحديث النبوى تنتظر من يعيدها ، وحبذا لو عرفت مساجد خاصة بتلاوتها فى أيام تحدد ، وساعات ترصد ، إنها تكونِ حينئذ واحة الظل فى هجير الصحراء ، ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله . أ . هـ .

د. محمد رجب البيومى

ترجمة المؤلفين

١ ـ أ . د . الحسينى هاشم

٢ ـ أ . د . أحمد عمر هاشم

المحدث الشيخ الحسينى هاشم

هو الشيخ الجليل المحدث فضيلة الاستاذ الدكتور الحسينى عبدالمجيد هاشم ، أحد شيوخ الحديث النابهين فى الأزهر الشريف وأحد شيوخ الطريقة الهاشمية الذين لهم فضلهم وعلمهم ، وأحد أعلام الإسلام الذين طوفوا بالأقطار الإسلامية ونشروا فى أرجائها العلم والحديث .

حفظ القرآن الكريم منذ صغره والتحق بالأزهر الشريف حتى حصل على الدكتوراه .

ومن عرفه عرف السماحة والنبل والعلم والورع وسنقدم ترجمة موجزة لحياته ، ونردفها ببحث شيق كتبه صديق عمره فضيلة الاستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ، وكان قد نشره فى مجلة الأزهر الشريف .

الاسم الاستاذ الدكتور حسين عبدالمجيد السيد هاشم « والشهرة ـ الحسينى عبدالمجيد هاشم » .

تاريخ الميلاد : ١٩٢٥/٣/٢١م

جهة الميلاد : بنى عامر ـ مركز الزقازيق ـ محافظة الشرقية

محل الاقامة : ٨ شارع أحمد سمير الصاوى ـ شقة ٦ ـ عمارة مسجد الصفا ـ أمام قصر الطاهرة ـ سراى القبة ـ القاهرة ـ ج.م.ع

المؤهلات : الشهادة العالية من كلية أصول الدين عام ١٩٥٣ ـ جامعة الأزهر . شهادة العالية مع اجازة التدريس عام ١٩٥٤ ـ شهادة العالمية (الدكتوراه) مع درجة استاذ عام ١٩٦٤ .

تاريخ التعيين : ١٩٥٤/١٢/٥

التدرج الوظيفى : مدرس بالمعاهد الدينية ١٩٥٤/١٢/٥ مدرس تفسير وحديث بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ١٩٦٥/١٢/١٩ استاذ مساعد بقسم الحديث بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ١٩٧١/٦/٣٠ ـ وكيل وزارة لشئون مكتب فضيلة شيخ الأزهر ١٩٧٧/٧/٢٥ وكيل وزارة ـ أمين عام مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ١٩٧٨/٦/٨ .

ثم عين وكيلا للأزهر الشريف وظل فى هذا المنصب حتى لحق بربه تعالى رحمه الله رحمة واسعة .

تدرج الدرجات :

مدرس بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر ١٩٦٥/١٢/١٩

استاذ مساعد بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر ١٩٧١/٦/٣٠

استاذ بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر ١٩٧٦/٧/٧

وكيل وزارة لشئون مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٩٧٧/٧/٢٥

وكيل وزارة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٨/٦/٨

عضو مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٨/٦/٨

عضو المجلس الصوفى الأعلى

عضو جمعية التراث

عضو لجنة الاقتصاد الإسلامية العليا

عضو اتحاد الكتاب

مقرر اللجنة التحضيرية للمجلس الإسلامى الأعلى

المؤلفات

١ـ الإمام البخارى محدثا وفقيها ـ مطبعة الدار القومية للطباعة والنشر

٢ـ اصول الحديث النبوى ومقاييسه ـ مكتبة الرافعى

٣ـ شرح رياض الصالحين جزء ١ ـ المكتبة الحديثة

٤ـ شرح رياض الصالحين جزء ٢ ـ المكتبة الحديثة

٥ـ حجة الإسلام الإمام الغزالى ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٦ـ البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف جزء ١ ـ طبعة الأزهر

٧ـ البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف جزء ٢ ـ طبعة الأزهر

٨ـ البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف جزء ٣ ـ طبعة الأزهر

٩ـ الوحى الإلهى ـ دار الكتاب العربى

١٠ـ الرصافى ـ طبعة الدار القومية للطباعة والنشر

١١ـ مسند الإمام أحمد الجزء ١٦ ـ طبعة دار المعارف

١٢ـ مسند الإمام أحمد الجزء ١٧ ـ طبعة دار المعارف

١٣ـ مسند الإمام أحمد الجزء ١٨ ـ طبعة دار المعارف

١٤ـ مسند الإمام أحمد الجزء ١٩ ـ طبعة دار المعارف

١٥ـ مسند الإمام أحمد الجزء ٢٠ ـ طبعة دار المعارف

١٦ـ بحث عن صحيح الترمذى ـ دار التراث الإنسانية
١٧ـ تفسير الفخر الرازى ـ دار التراث الإنسانية
١٨ـ ابن جنى ـ دار التراث الإنسانية
١٩ـ الفكر الإسلامى ومقارنة الأديان ـ تحت الطبع
٢٠ـ دائرة معارف السنة الشريفة (عشرون جزء تقريبا) ـ تحت الطبع
٢١ـ مفاهيم إسلامية ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٢٢ـ أئمة الحديث ـ طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
٢٣ـ الدين القيم ـ جزءان ـ طبع مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

الإشراف العلمى :

أشرف على عشرات من رسائل الدكتوراه والماجستير فى مصر والبلاد العربية .

البعثات للخارج :

١ـ ندب للتدريس بمعهد القويرى بليبيا ٢٣/١١/١٩٥٧ حتى ٤/١٠/١٩٥٨
٢ـ ندب للتدريس بجامعة أم درمان بالسودان عام ١٩٦٦ حتى ٣١/٧/١٩٦٩
٣ـ ندب للتدريس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ٢٤/٩/١٩٧٠ حتى عام ١٩٧٧ أستاذا بها بقسم الدراسات العليا . .

المؤتمرات :

١ـ مؤتمر القرآن بالسودان عام ١٩٦٨ .
٢ـ مؤتمر الهيئات الإسلامية برابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة عام ١٩٥٧ .
٣ـ المؤتمر الإسلامى العالمى بسيرى لانكا من ٣٠/٦/١٩٧٨ إلى ٣/٧/١٩٧٨ .
٤ـ المؤتمر السنوى العاشر للجمعية التعليمية الإسلامية فى كيرالا بالهند من ٣ : ٥ مارس سنة ١٩٧٨ .
٥ـ مؤتمر العلوم الإسلامية الثانى فى استنبول ـ جمهورية تركيا ـ من ١٨ : ٢١/٩/١٩٨١ .
٦ـ مؤتمر الحلقة الدراسية ـ بنيامى ـ بالنيجر ـ فى ١/٦/١٩٧٨ وموضوعها ـ الحريات وحقوق الإنسان فى نظر الإسلام .
٧ـ حضور اجتماعات اللجنة الفنية المشتركة للتعليم والبحث العلمى بالخرطوم من ٥ : ١١ مايو ١٩٧٨ .
٨ـ حضور الندوة التى ينظمها المركز الإسلامى فى واشنطن عن الإسلام فى العالم المعاصر وذلك لمدة عشرة أيام ومدة الندوة من ٧ فبراير إلى ٩ فبراير ١٩٨٠ .

المحدث الشيخ الحسينى هاشم

من أعلام الأزهر

أكتب هذا المقال وأنا مشرد الذهن ، مبلبل الخاطر ، فقد فاجأنى نعى الشيخ الحسينى هاشم مفاجأة قاسية ، لم يسبق لها تمهيد يلطف من حدتها .

وكل من يعرف الراحل الكريم قد استشعر مزيد اللوعة على فقده ، إذ كان من هؤلاء الصفوة الذين يحوزون حب الناس جميعاً ، فلا تجد لهم إنسانا واحدا يقاسمهم العداء وذلك لسلوك مثالى يتأرج بعبير الإسلام ، ويضرب المثل فى كرم النفس ، وسلامة الصدر ، وكرم الإيثار مع تواضع أصيل لايعرف التصنع ، ونبل عريق يتحاشى المباهاة .

وقد نشأ الحسينى فى أسرة طاهرة تجمع عناصر الفتوة الإسلامية الأصيلة ، وتتمسك بتقاليد الإسلام فيما تأخذ وفيما تدع ،وتترجم عن شمائل الطبيعة النقية ، والفطرة الخالصة التى جبلها الله على المودة والحب والتقوى المتحرزة عن الصغار الدافعة إلى البذل والإيثار .

لقد زاملت الفقيد فى عهد الدراسة الأولى ، وزرت بيته الكريم فى «بنى عامر» إحدى قرى الشرقية ، فكنت أجد عميد الأسرة العارف بالله الشيخ أحمد هاشم رائع الهيبة ، فياض البر ، حسن اللقاء ، كان زعيماً دينيا تهوى إليه القلوب من كل ،فج ، فمسجده الفسيح آهل « بالغادى والرائح » وبيته العامر نافح بالخير والزاد لكل وافد .

وأصوات التسبيح تتردد فى كل مكان ، ومجالس البر والمصالحة والدعوة إلى التئام الشمل لاتكاد تنقطع ، إذ مايكاد يقع حادث فى قرى الشرقية ، حتى يلجأ المتنازعون إلى الشيخ الكبير وكأنه رئيس محكمة رسمية ، فيفصل فى الأمر فصل الحكم العدل ، ويجد من حلاوة القبول وسماحة الرضا مايسهل العسير مهما كان شاقا حرجا .

والقرى المصرية فى حاجة إلى هذا النمط من الهداة ، يكونون موضع الثقة البالغة من النفوس ، فيجذبون إلى ساحة الخير كل شارد ، ويضمدون بالحكمة والموعظة الحسنة دامى الجراح .

---

(١) كتب هذه الترجمة فضيلة الاستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ونشرت بمجلة الأزهر فى ربيع الأول سنة ١٤٠٧هـ

حدثنى عالم كبير من مفكرى أبناء الشرقية فقال : ماعرفت رجلا كالشيخ أحمد هاشم ، وقع نزاع بين قريتين وسالت الدماء وطالب كل فريق بالثأر ، وجاء الخبر إلى العارف بربه فهرع سريعاً إلى القريتين ، ودعا السكان جميعاً إلى ضيافته فى قريته يوم الجمعة فانهالت الوفود خلف الوفود حتى ضاقت بهم الأرض ، ووسعهم منزل الرجل سماحة وإيناساً وطعاماً وشراباً ثم استمع إلى كل فريق ، وأشار بالصلح داعيا إلى التجاوز فتراضى المتخاصمون على كثرتهم المفرطة وخرجوا أحباباً يتعانقون !

فى هذه البيئة الكريمة نشأ الشيخ الحسينى هاشم كما نشأ ابن عمه الشيخ محمود هاشم .

وقد كنا بمعهد الزقازيق الدينى نزور « بنى عامر » فى أيام الخميس والجمعة ، لننتقل إلى جو دينى خالص ولنرى مثلا نادراً لايعرفه على حقيقته إلا من شاهده فالشيخ الكبير لايكاد ينام الليل فإذا أذن الفجر تقدم الناس إلى الصلاة ثم دعا بأكواب اللبن ففرقها بنفسه على الحضور قبل أن يبارحوا المسجد ، ثم يمضى إلى الساحة ليستقبل الناس مستمعا إلى مايرجون ، وهو لاينى عن التسبيح والذكر ، ومراعاة الوافدين بأكثر مما يستطيع .

[النشأة الأولى]

فى هذا الأفق الملائكى الناضر عرفت الحسينى هاشم طالباً بمعهد الزقازيق ، فعرفت شمائله التى لازمته صغيراً ، وصحبته كبيراً ، دون أن يتغير فى شىء كان منذ صغره حيياً خجولاً ، لايقتحم المجالس ، ولايرفع الصوت بالمعارضة . بل كان يقبل على الدرس فى صمت ، ويسأل أستاذه فى هدوء ، ويتعهد رقيقى الحال من زملائه بالمعونة ، فكان يشترى الكتب الدراسية لبعض من لم يستطع الشراء ، وكان منزله فى عهد الطلب صورة مصغرة من منزله الآن فى عهده الأخير ، يؤمه الزملاء عن محبة راغبة ، وودٍ أكيد فلا يجدون غير البشاشة الحانية .

وقد وفقه الله فى ميدان التحصيل منذ نشأته متجهاً إلى حقل الدعوة الدينية خطيباً فى المساجد ، وواعظاً فى الندوات ، ثم التحق بكلية أصول الدين .

من أعلام الأزهر

ولم يشأ أن يقصر دراسته على العلم وحده ، فاتجه إلى الأدب ، ونشر فى الصحف الأسبوعية مقالات تنبىء عن موهبة واستعداد ، وماكان يعرف الزهو فى شىء ، بل كان يعرض نتاجه الأدبى فى حياء بالغ ، وكنت موضع مشورته إذ ذاك فجعلت أقارن بين تواضعه الخجول على حسن استعداده وتشامخ غيره على جدب موهبته فأرى عجباً أى عجب .

وقد لايعرف القارىء أن الحسينى هاشم نشأ شاعراً ، ونظم عدة قصائد لم تحظ بقبوله فآثر الاغضاء عنها ، ماتت إحدى شقيقاته وهو طالب بكلية أصول الدين فبكاها بدموعه ، ثم استجاب إلى قريحته فنظم قصيدة باكية بادر بقراءتها علىَّ فى مسودتها المتواضعة ، فأخذتها منه ، ثم تقدمت بها إلى مجلة الثقافة دون أن يعلم فنشرت بالعدد الصادر بتاريخ ٣ يولية سنة ١٩٥٠ ، ومنها هذه الأبيات .

قل للنـواعس بعـدهـا	إن المحـاسـن فى الـتراب
قل للورود تبـعـثـرى	فالـروض أصـبـح كالـيـبـاب
وقـع المـصـاب ولـيس كل	مصـيـبـة مثـل المـصـاب
أنـا لا أحس من الحـيـا	ة سوى الـتـيـاع واضـطراب
أنـا لسـت جبـارا فلا	أقـوى على حمل المـصـاب
يامـوت أنـت فجـعـتـنـى	فامسـح بنـفسـك ذا العـذاب
أنـقـذ وجـودى من حيـا	ة عيـشـهـا الـسـم المـذاب
فالـقـبر آمـال الـذى	فقـد الأحـبـة والـصـحـاب

وفـاجـأت الحسينى بالقصيدة على صفحـات مجلة الثقـافـة وهى حينئذ من مجلات الأدب ، ذات القدر الرفيع ، ولازلت أذكر ، ابتسامه الطريف وهو يقول : أنت بعثتها للمطبعة دون أن يقرأها الدكتور أحمد أمين

فى ميدان الوظيفة

بعد أن تخرج الحسينى من كلية أصول الدين عين أستاذا للتفسير والحديث بمعهد الزقازيق الدينى ، ثم انتدب إلى التدريس بمعهد غزة الدينى ، وغزة يومئذ فى كنف الإدارة المصرية ، ولكنه لم ينس صحبته للكتابة العلمية النافعة بالمجلات الدينية ، وهى صحبة وثيقة الصلة بمشاعره الذاتية .

وكـانت المنـاسبات العلمية تدعوه إلى السجال العلمى بين الأساتذة والنظراء من زملائه ، والمجال العلمى يتطلب اعتدادا وجرأة ، وهما غير ماطبع عليه الحسينى من تواضع وهدوء ، ولكنه عمل على التوفيق بين النزاعات المتضاربة ليسهم بدوره فى تصحيح الأخطاء ونصرة مايراه من الحق المبين .

---

(١) للاستاذ الدكتور الحسينى رحمه الله قصيدة « القدوة الحسنة والإدارة الاسلامية » نشرت بمجلة الأزهر عدد «صفر ١٤٠٤ ص ٢٤٥» - مجلة الأزهر .

أذكر أن عالماً كبيراً من أساتذته أخرج مؤلفاً علميا ألم فيه بحديث عن المفسر المؤرخ أبى جعفر الطبرى فلم يضعه موضعه العلمى الصحيح بل قاسه بغير ميزان عصره ، إذ لابد من تقرير البيئة العلمية الخاصة فى كل زمان .

وقد قرأ الحسينى ماكتب أستاذه عن الطبرى ، وتحرج أن يقف منه موقف المعارض ، كما تحرج أن يسكت عن خطأ يجب تصحيحه ، وأذكر أنه قابلنى حينئذ ، فأشرت عليه أن يقول مالديه دون تحرج ، فاختلاف الرأى لايفسد قضية الود ولكنه سكت قليلاً ثم قال ، سأنشر فصلا « بمجلة الأزهر » عن مكانة أبى جعفر الطبرى فى التفسير والتاريخ فأصحح أخطاء الأستاذ دون أن أشير إليه ، فاذا ألم القراء بمقالى عن الطبرى أدركوا ماأعنيه دون أن أجابه أستاذى ، وفعلا ظهر عدد رمضان سنة ١٣٨٣هـ من مجلة « الأزهر » يتضمن كلام الحسينى عن الطبرى دون أن يشعر أحد أنه يصحح خطأ رآه .

وهذا السلوك النفسى يكشف عن مشاعر الرجل ، ويصور مذهبه الخلقى الذى التزمه طيلة حياته ، ولو كنت مكانه لنقدت المقال مصرحا بخطأ من وقع فى الخطأ ، فما من أحد ينجو من الاعتراض ، ولكن الطبائع تتعدد ، وأشرف هذه الطبائع مااتجهت بصاحبها إلى المسالمة والاحتياط .

ولاأنسى موقفاً آخر للحسينى ، فقد كتب أحد زملائه مقالاً علمياً « بمجلة الأزهر » ذهب فيه إلى أن « البسملة » ليست جزءاً من السورة القرآنية وساق أدلة جمعها من أقوال بعض العلماء ، فلم يقع المقال موقع القبول من الحسينى ، وكتب رداً مؤيداً بالحج نشرته « مجلة الأزهر » وعقب عليه الأستاذ عبداللطيف السبكى مؤيداً مزكيا ، ولكن الدكتور الحسينى أشار إلى الزميل بوضوح ، وحين سألته عن اختلاف مسلكه فى النقد عما عرفته منه حين كتب مقاله عن الطبرى ، قال : إن الأول أستاذى وله حق الإذعان .

والثانى زميلى ، ومن حقه أن يبدى الرأى ، ومن حقى أن أعقب !

هذا وقد كان أحد العلماء نشر مقالاً بجريدة الجمهورية عن تعدد الزوجات فى الإسلام نزع فيه منزعا غاليا ، فرد عليه الحسينى بأدلة مقنعة ، ولكن جريدة الجمهورية حينئذ لم تنشر رد الحسينى فقابلنى ليقدم إلىّ ماكتب ، وليسأل فى تواضع : هل أنا مخطىء؟ قلت : أنا معك ، وابعث بردك إلى مجلة الأزهر لأن تجلية الحقائق على صفحاتها أكمل وأوفى ، وقد كان ، فنشر الحسينى رده بعدد شوال ١٣٨٠هـ ، وأذكر أن الأستاذ

الزيات قد حذف منه بعض الحقائق المشتهرة لذيوعها ، وكان صدر الحسينى فسيحا حين قال لى : إن الزيات يعلمنا كيف نهجر المقدمات وندخل فى الموضوع !

رسالة الدكتوراه عن البخارى

التحق الحسينى بالدراسات العليا بكلية أصول الدين ، وهو مدرس بالمعهد الدينى ، ووفق بنجاح حتى حصل على درجة الدكتوراه برسالته العلمية عن « الإمام البخارى محدثاً وفقيهاً » ، وهى أنضج ماكتب الدكتور بحثاً واستقصاء ودفاعاً عن السنة المجيدة وقد كانت المناسبة ملحة لصدور مثل هذه الرسالة القيمة ، لأن الجو الدينى قد تسمم بكتاب سماه صاحبه « أضواء على السنة المحمدية » وقد لاقى قبولاً من زعانف مغرضة لاتعرف عن تدوين السنة شيئاً ، وقد سرها أن يكون هذا الكتاب معول هدم للحقائق الثابتة فأكثرت له الطبل المدوى دون تحقيق .

وكان من العجب العاجب أن الذين عدوه بحثاً رائعاً فى بابه ليسوا من رجال الحديث ، ولايكادون يلمون بحقائق العلم الصحيح ، وكانت الأمانة العلمية تدعوهم إلى أن يقفوا فى الكتابة عند اختصاصهم ، ولكنها مصر التى تفتح باب الحديث عن كتب الإسلام لكل كاتب ، علم أو جهل ، فجاء كتاب الدكتور الحسينى ليفند ماسيق من لغط لاتراعى فيه الحقيقة ، ولاتؤخذ من لبابها الصحيح .

والحسينى هادىء الطبع ، مهذب النقاش وهو بهدوء طبعه ، وسلامة منهجه ، يجذب إليه المنصفين ممن ينشدون الاستماع إلى القول دون صخب مفرقع ، لأن الضجيج وإن كان فى موكب الحق لايتعب الاقناع الشافى ، ولكن التمسك بآداب البحث والمناظرة فى دفع الحجة ، وايضاح الدليل هو السبب القريب إلى الاقناع ، وإذا كان البخارى رضى الله عنه قد اشتهر بالحديث وحده فإن الناحية الفقهية فى أثره العلمى كانت فى حاجة إلى مزيد من الجلاء .

وقد قدم الحسينى إمام المحدثين فقيهاً له منحاه الهادىء فى الاستدلال والتوجيه والاعتصام بالأثر النبوى فى الرأى ، والباب الرابع من الرسالة الخاص بفقه البخارى يجمع من الحقائق المتناثرة مايؤلف موضوعاً جديداً نسج الحسينى خطوطه خيطا خيطا حتى استوى ضافى الذيول بهيج الرواء ! وقد أفاض فى الحديث عن نشأة البخارى وحياته العلمية ، وعن حركة تدوين السنة قبل الإمام ، وعن منهج البخارى فى التدوين .

وأذكـر أن بعض الناقدين أخذ على الحسينى تعصبه الشديد للبخارى ! وهو مأخذ موضع نظر ، لأن المؤلف يتعصب للحق حين يتعصب للإمام ، وماذا عسى ينتظر القارىء من دارس يتحدث عن إمام تناوله الأدعياء بالطعن المغرض فزعموا أن الصحيح فى كتابه الخالد قليل قليل ! إنها فرية مغرضة لايكون دفعها تعصبا للرجل بل تعصباً للحقيقة التى أوشكت أن تضيع بين قوم يهرفون بما لايعرفون .

لقد خص الباحث ثلاثة فصول من كتابه للرد على الشبه الظالمة التى تنسج افتراء حول السنة المطهرة ، وهو فى الوقت نفسه يظهر صحة المنهج الذى احتذاه البخارى فى التدوين ، وإذا كانت هذه الشبهة قد ترددت فى كتب الاستشراق فقد أجاد الباحث تتبعها فى مظانها تتبعاً يقظاً حذراً ، كما سرد بعض الأحاديث التى وجه إليها الطعن وبين خطأ ماقيل،وعرض لما قالـه الأستـاذ الدكتور أحمد أمين فى ضحى الإسلام إذ أشار إلى قلة اهتمام الدارسين بالمتن ، وكثرة اهتمامهم بالسند فذكر أن الاهتمام بالسند والمتن معاً كان من دأب المحدثين .

وأظن أستـاذنـا الخضر حسين رحمه الله قد كتب فصلاً خاصاً بهذه الناحية جلا فيه الحقيقة جلاء ساطعاً ، ولعل كثرة الحديث عن رجال الاسناد والحرص على تدوين حياتهم وتتبع ماروى من أخلاقهم تتبعاً دقيقا لايغفل الهاجسة المستترة هو الذى أكثر الحديث عن رجـال الاسناد بصورة جعلت ماقيل عن المتن يبدو فى صورة أقل ! ولكن المسألة ليست مسألة كم فحسب ، فقد فحص السند كما فحص المتن .

وإذا كان الحسينى قد اهتم بتفنيد كل مادعاه المغرضون من ريب ، فقد قام مقاماً كبيراً ، وقد بلغ رسالته العلمية مبلغ الجودة المتقنة ، ذات الهدف النبيل .

أعمال شتى

تصـدر الـدكتـور الحسينى بعد الدكتوراه لتدريس الحديث بكلية أصول الدين فى مصر ، وفى كليات مماثلة بالسودان والمملكة العربية السعودية ، وأصدر كثيرا من الكتب لتلاميذه فى هذا المجال ، وقد كان أثيراً لدى تلاميذه وزملائه معا لما حباه الله من خلق نبيل .

أذكر أنه فى أثناء بعثته إلى المملكة العربية السعودية بمكة المكرمة تولى تدريس الحديث لطلبة الدراسات العليا بكلية الشريعة هناك ، وكان بعض أساتذته بكلية أصول الدين بمصر يزامله فى التدريس للمادة ، فى فرقة مماثلة ، فتوجه ـ رحمه الله ـ إلى أستاذه فى قاعة

الدرس وجلس فى صفوف التلاميذ ، فدهش الأستاذ وتساءل عن موقف الحسينى ، فقال الدكتور فى براءة ، أنا تلميذك ، وقد كنت أستمع إليك فى كلية أصول الدين بمصر ، ولابد أن أواصل الاستماع هنا لأستفيد ، فقام الأستاذ وعانقه متأثرا .

وأنا أحرص على تدوين هذه المآثر الخلقية لأنها نادرة الوقوع فى زمننا هذا .

وإذا صدرت عن مثل الدكتور الحسينى فإنها تصبح مظنة القدوة ، وموضع الاحتذاء ، ممن يسرهم أن يتمسكوا بالصراط القويم .

أذكر أن المحدث الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محمد شاكر كان يقوم على إخراج « مسند الإمام أحمد بن حنبل » فى عدة أجزاء بلغت العشرين [1] وقد أوفى على الغاية فى دقة التخريج ، والصبر على المراجعة والتوفيق بين الروايات المختلفة بها لايستغرب من مثله ، ثم انتقل إلى رحمة الله ، فرأى الناشر أن يستعين بالدكتور الحسينى فى تهيئة مابقى من أجزاء المسند . وقد كنت فى زيارة الحسينى فوجدته يقول فى حيرة ، لقد عهد إلى أن أقوم مقام العلامة الشيخ أحمد شاكر ، وأين أنا منه ؟ بل أين أنا من تلاميذه ؟ إن العبء ضخم ، والجهد محدود ، فماذا ترى ؟

قلت إن حبك لحديث رسول الله سيمدك بالعزم والأيد إن شاء الله ، فصاح الحسينى يقول : والله لقد استحييت من رسول الله أن أرفض هذا العمل ، وسأبذل جهدى ، فإذا قصرت عن الغاية المثلى التى التزمها الشيخ شاكر ، فليغفر الله لى .

وقد نشر الحسينى بعض الأجزاء وتقدير عمله العلمى يرجع إلى ذوى الاختصاص .

أحاديثه الاذاعية

عرفنا معدن الدكتور الحسينى العلمى فيما كتبه عن البخارى رضى الله عنه وكذلك فيما أخرجه عن « الوحى الالهى » وعن « أئمة الحديث النبوى » وغيرهما من بحوثه المشتهرة ، وأذكر أنه أصدر كتابا عن الشاعر العراقى معروف الرصافى يلم بمواقفه الاجتماعية والقومية ، مما يدل على أنه لم ينس هوايته الأولى للأدب ، وشغفه بالشعر ، والمقالة الفنية .

---

(١) ماطبع من مسند أحمد بدار المعارف قبل أن يتولى الدكتور الحسينى هاشم مهمته باخراج المسند - خمسة عشر جزءا .

أما ماأشير إليه الآن فهو أحاديثه الدينية التى يلقيها فى الاذاعة والتليفزيون وقد جمع بعضها فى كتابه « الدين القيم » بجزأيه ، وهى أحاديث سهلة ذات منزع ميسر ، حدده الإمام الأكبر عبدالحليم محمود رحمه الله ، حيث أوصى تلميذه وصهره الدكتور الحسينى بمراعاة حق العامة فى الهداية والارشاد إذ رأى الإمام الأكبر أن فريقاً من كبار المتحدثين لايفرقون بين الكلمة المذاعة والمقال العلمى ، فهم يحدثون جمهرة المستمعين ، وكأنهم يؤلفون كتابا ، والإمام الأكبر يدعو المتحدث فى مجال عام أن يراعى حق الجمهور فى استيعاب النفع ، ويأخذ على فريق من العلماء محاولة غموض مصطنع لايصل بالمعلومات الدينية إلى ذهن السامع من أيسر طريق .

وقد استجاب الحسينى فى أحاديثه العامة إلى دعوة أستاذه ، فتعمد التبسيط تعمداً ، وأذكر أنى قلت له فى مجال الحوار الخاص بهذه النقطة أن الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبدالله دراز رحمه الله كان يرضى حاجة العامة والخاصة معاً ، بوضوحه ودقته ، إذ كان يحسن اجتماعهما معاً ، فسامعه يتشبع بآرائه مهما بلغت درجة ثقافته ارتفاعاً وانخفاضاً ، ذكرت ذلك للحسينى فقال ، ومن مثل دراز حتى ينحو منحاه ؟

ولست بذلك أضائل من قدر الأحاديث الإذاعية ولكنى أعرف أن مقتضى الحال سر بلاغى دعا إليه النقاد ، وأن التيسير أولى من التعسير إذا وجه الخطاب إلى الجمهور ، والنفوس البشرية تسأم الجد المتعمق ، ومن واجب الداعية أن يمهد لهذه النفوس طريق الاصغاء ، لا أن يدعوها إلى العزوف .

على أن الحسينى لم يقتصر على أحاديث الإذاعة إذ كان يزور مساجد الشرقية زيارات متتابعة ليلقى العظات الموسمية ، وإن القرى الهادئة فى مراكز منيا القمح وكفر صقر وأبو حماد وبلبيس وفاقوس وغيرها . وقد سعدت بالراحل العزيز ، واطمأنت إلى وعظه المتكرر ، كما استشعرت حزنا على فقده ، إذ كان مصباح توجيه ، ولواء هادية .

لقد مضى الداعية العارف بالله الشيخ محمود هاشم إلى ربه ، فكان بقاء الحسينى من بعده عزاء للذين يعرفون مكانة الأسرة الهاشمية فى المجتمع الإسلامى .

وقد شاء الله أن يلحق به ، لينكأ جرحا لايجد الاندمال ، ولكن الله لن يضيع ما تواصوا بالحق ، واعتصموا بالخير وسيهيىء من الخلف من يرعى أمانة السلف أما وحشتى القاسية لرحيل الحسينى فليس لها غير الصبر الجميل .

المحدث الدكتور أحمد عمر هاشم

فى قرية الشيخ أبى هاشم ببنى عامر من قرى محافظة الشرقية ولد د. أحمد عمر إبراهيم إسماعيل محمد الهاشمى العزازى الحسينى ، يصل نسبه إلى سيدنا الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه .

كان والدى رحمه الله رحمة واسعة ممن أحرزوا العلم القديم فى الأزهر القديم ، وتفرغ للدعوة والطريق ، ونذرنى لخدمة العلم والأزهر ، فنشأت أول مانشأت فى كتاب القرية أحفظ القرآن الكريم ، ثم التحقت بمعهد الزقازيق الدينى وفى المرحلة الاعدادية « وكانت تسمى قديما : الابتدائية » الفت كتابا عبارة عن قصة أدبية ، وقصائد شعرية بعنوان : « نهاية أمل » وفى المرحلة الثانوية الفت مسرحية شعرية دينية مستمدة من كتاب الله تعالى بعنوان « أصحاب الجنة » .

وبعد انتهاء المرحلة الثانوية التحقت بكلية أصول الدين وقد كنت محبا لدراستها ، مقبلا على علومها ، يدفعنى إلى ذلك ماكنت اطمح إليه من الدراسات الاسلامية ودراسة السنة النبوية وماكان يرجوه والدى رحمه الله أن أكون احد علماء الإسلام واستقبلت الدراسة فى الكلية بهذه القصيدة التى نشرت فى احدى صحف الكلية آنئذ :

لما دخلتك يا أصول الدين	قد زاد حبى واطمأن يقينى
ورأيت فيك مشاهدًا وفاقة	بالخير من حين هناك لحين
فعميدنا الورع التقى وصاحب القلب	النقى رعى أصول الدين
لم يأل جهداً إنه حفز النهى	وبنوره وصلاحه يهدينى
يا رب قد يممت وجهى شطركم	وكفى بهذا يا أجل معين
كلية الإسلام أنت منارة	سيما الهدى يبدو بكل جبين
ضمى إليك الوافدين فإنهم	قد شاقهم لدناك ألف حنين
رب الورى يرعاك حق رعاية	يا خير حصن للدعاة حصين

وبعد أن انتهت مرحلة الدراسة من كلية أصول الدين عينت ـ لمدة عام واحد ـ مدرسا بمعهد الزقازيق الدينى ثم عينت معيداً بكلية أصول الدين بالقاهرة . ثم مدرساً مساعداً فمدرساً فأستاذاً مساعداً فرئيساً لقسم الحديث فعميداً لكلية أصول الدين بالزقازيق . ثم نائباً لرئيس جامعة الأزهر لشئون التعليم والطلاب فى ١٩٨٩/٦/٢٩ م .

● الأعمال والزيارات والمؤتمرات العلمية التى شارك فيها د. أحمد عمر هاشم :

ـ عمل استاذا بكلية الشريعة بمكة المكرمة فى الفترة من ١٩٧٦ إلى ١٩٨٠ م .
ـ المؤتمر العلمى للسنة النبوية بالجزائر (ممثلا للأزهر) .
ـ المؤتمر العالمى للسنة والسيرة باسلام آباد (ممثلا للأزهر) .
ـ المؤتمر الطبى الإسلامى بكراتشى .
ـ مؤتمر السنة والسيرة بالقاهرة ـ الأزهر الشريف
ـ مؤتمر شئون الدعوة الإسلامية بالأزهر .
ـ سافر رئيسا لبعثة الحج لجامعة الأزهر سنة ١٩٨٤م .
ـ سافر إلى ماليزيا عضوا فى وفد جامعة الأزهر لتسلم جائزة (تون عبد الرازق) التى منحت للجامعة .
ـ مثل الأزهر فى مؤتمر الإمام مسلم بالرباط سنة ١٩٨٧م .
ـ سافر إلى الامارات العربية المتحدة (دبى) لعقد الاتفاقية الثقافية بين جامعة الأزهر وكلية الدراسات الإسلامية والعربية ووضع المناهج العلمية لها .
ـ سافر إلى الكويت للمشاركة فى الموسم الثقافى فى شهر رمضان سنة ١٤٠٧ .
ـ سافر إلى ألمانيا الاتحادية لحضور الندوة الخاصة بمناسبة العيد الألفى للأزهر الشريف .
ـ سافر إلى السودان استاذا زائرا لجامعة أم درمان الإسلامية .
ـ سافر إلى فوبرتال بألمانيا الغربية بدعوة من المركز الاسلامى لحضور المؤتمر الذى اقامة المركز هناك حيث قدم بحثا عن « الاسلام » وتحديات العصر » .
ـ سافر إلى العراق عضوا فى مؤتمر السلام الذى عقد فى بغداد فى الفترة من ١٩٨٩/١/١٠ إلى ١٩٨٩/١/١٥ .
ـ سافر إلى جدة بالمملكة العربية السعودية ؛ لحضور الندوة الدينية التى اقامها النادى الثقافى وألقى محاضرة بعنوان « فقه الدعوة » سنة ١٩٨٨ .
ـ أسهم بمحاضرات فى الموسم الثقافى بالجزائر فى شهر رمضان عام سنة ١٤٠٩ .
ـ مثل جامعة الأزهر فى مؤتمر رابطة الجامعات الاسلامية بقسنطينة بالجزائر وقدم بحثا عن أساليب التعاون بين الجامعات الاسلامية سنة ١٩٨٩ .
ـ شارك فى ندوة السنة النبوية بالأردن سنة ١٩٨٩ .
ـ عضو مجمع البحوث الإسلامية (هيئة كبار العلماء) .
ـ عضو المجلس الأعلى للطرق الصوفية ممثلا للأزهر الشريف .
ـ عضو اتحاد كتاب مصر .
ـ عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
ـ عضو مجلس الشعب .

مؤلفات أ. د. أحمد عمر هاشم

١ـ السنة النبوية وعلومها .
٢ـ قصص السنة .
٣ـ دعائم الاسلام .
٤ـ الاسلام وبناء الشخصية .
٥ـ منهج الاسلام فى العقيدة والعبادة والاخلاق .
٦ـ الاخلاق فى ضوء الكتاب والسنة .
٧ـ الإسلام والشباب .
٨ـ السنة النبوية فى مواجهة التحدى .
٩ـ الإسلام وإقرار الأمن .
١٠ـ من هدى السنة فى العبادات .
١١ـ من توجيهات الرسول ﷺ
١٢ـ قبس من الحديث النبوى .
١٣ـ فى ظلال الهدى النبوى .
١٤ـ فى رياض السيرة النبوية .
١٥ـ المنهج النبوى فى تعليم المسلمين .
١٦ـ معالم على طريق السنة .
١٧ـ مناهج المحدثين .
١٨ـ قواعد أصول الحديث .
١٩ـ تدريب الراوى (تحقيق) (جـ ١ ، جـ ٢) .
٢٠ـ الكفاية فى علم الراوية (تحقيق)
٢١ـ المسند للإمام أحمد بن حنبل (تحقيق) (جـ ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) .
٢٢ـ المحدثون فى مصر والأزهر .
٢٣ـ من توجيهات الشريعة الإسلامية .
٢٤ـ أضواء من هدى النبوة .
٢٥ـ شرح وتحقيق صحيح مسلم . (١ ـ ٥) خمسة أجزاء .
٢٦ـ منهج التشريع الإسلامى فى بناء الفرد والأسرة والمجتمع .

٢٧- الدعوة الاسلامية منهجها ومعالمها .
٢٨- (فتح المبدى) (تحقيق) (جـ ١ ، جـ ٢ ، جـ ٣ ، جـ ٤) .
٢٩- نسمات إيمانية (ديوان شعر) .
٣٠- منهج الدفاع عن الحديث النبوى .
٣١- التصوف الإسلامى فى مواجهة الشبهات .
٣٢- التربية الإسلامية للصف الثالث الاعدادى .
٣٣- التربية الإسلامية للصف الأول الثانوى .
٣٤- التربية الإسلامية للصف الثانى الثانوى .
٣٥- التربية الإسلامية للصف الثالث الثانوى .
٣٦- الاسراء والمعراج .
٣٧- رمضان والصيام .
٣٨- فقه الدعوة .
٣٩- أزمة الخليج فى ميزان الاسلام .
٤٠- واجب الأمة الاسلامية .

خاتمة

لقد جاء هذا الكتاب بياناً لإبراز جهود أعلام المحدثين من علماء مصر والأزهر ، فقد نشر الأزهر الشريف.السنة النبوية فى آفاق العالم الإسلامى رواية وتأليفا وشرحا وتحقيقا .

فأشرقت النهضة فى ربوع العالم الإسلامى وجامعاته ومعاهده ومساجده وصحفه وإذاعاته ، فكان جديرا بالمسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها أن يهنىء بعضنا بعضا بجهود الأزهر الشريف ، الذى حفظ على المسلمين عزتهم بحراسته لدين الله ، للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ولغة القرآن الكريم وآدابها ، وفقه الكتاب والسنة ، والعقيدة السليمة التى وقفت لصد تيارات الإلحاد الشيوعى والوجودى ، وغلو الغالين وتحريف المبطلين والمفرطين .

من أجل ذلك علم المسلمون فى العالم أجمع على مر السنين والقرون مكانة الأزهر وتمكنت قداسته فى نفوسهم حتى قالوا : المصحف الشريف ، والسنة الشريفة ، والكعبة الشريفة ، والأزهر الشريف ، وأطلق المسلمون على العلماء المجاورين لبيت الله الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، المجاورين وقالوا : جار الله الزمخشرى ، وجار الله البخارى وغيرهما لمجاورتهم لبيت الله الحرام . كذلك أطلقوا على العلماء والطلاب الوافدين على الأزهر لتلقى العلم فى رحابه بأنهم المجاورون . وفى الحرم المكى والأزهر يقول شوقى :

إن الذى جعل العتيق مثابة   جعل الكنانى المبارك كوثرا

وعلم المسلمون بأن معنى البيت المعمور الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم ، أنه الذى فى السماء موازيا ومقابلا للكعبة المشرفة ، ويعمر بالملائكة ، فقالوا كذلك عن الأزهر ، الأزهر المعمور لأنه معمور بالعلم بعلمائه كواكب الرسالة ، ومعمور بطلابه علماء المستقبل من أرجاء الدنيا حملة رسالة الإسلام ، الذين يبلغون رسالات ربهم . وفى ذلك يقول أمير الشعراء :

يافتية المعمور سار حديثكم   ندا بأفواه الركاب وعنبرا

والأزهر الشريف الذى يلتقى العلماء فى رحابه من أنحاء العالم قد فتح للمسلمين جميعا منذ القدم أروقته باسم الأخوة الإسلامية .

بنيت حوله الأروقة لاستقبال طلاب العالم الإسلامى ، وقد سبق بهذه السنة الحسنه جامعات الدنيا ، فحوله رواق الأتراك ، ورواق الشوام ، ورواق السودان ، ورواق الحجاز ، ورواق الهند ، ورواق المغاربة ، ورواق أفغانستان . . وهكذا . وتلاقت فى رحابه أجناس المسلمين لافرق بين أبيض وأحمر إخوة متحابين ينهلون علم الإسلام من معهد الإسلام الأزهر الشريف ، وعادوا إلى بلادهم ينشرون نور دين الله فى أرض الله حمل هذه الأمانة وتبليغ الرسالة إلى العالم الإسلامى . وفى هذا العهد المبارك نشطت رسالة الأزهر ، إذ تستقبل مراقبة البعوث بمجمع البحوث طلاب أكثر من سبعين دولة ويزيد عددهم على ثلاثة عشر ألف طالب تسكنهم بمدينة البعوث الإسلامية وترعاهم وتلحقهم بالمعاهد الأزهرية التى ضوعفت وكثرت فى عهدنا المعاصر وكانت خيرا وبركة وتلحقهم بجامعة الأزهر وكلياتها المتعددة ، وبأقسام الدراسات العليا للحصول على الماجستير والدكتوراه من جامعة الأزهر التى كثر عدد كلياتها وتعددت روافدها فى الأقاليم لتخرج الدعاة وعلماء الإسلام لمصر وللعالم الإسلامى .

وهذه السنة الإسلامية الحسنة التى نهج عليها الأزهر ، استجابة لقوله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) وقوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا) وقوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) .

وإن مجلس مجمع البحوث الإسلامية بأروقته العلمية ولجانه المتخصصة قد دأب يواصل تقنين الشريعة الإسلامية على المذاهب الفقهية الأربعة ، واهتم الباحثون فى كل مكام بهذا التقنين العلمى الإسلامى ، وطلبته من المجمع الدوائر العلمية فى أقطار العالم ليهتدوا به . ولجنة السنة بمجلس مجمع البحوث الإسلامية سائرة فى تحقيق أكبر كتاب فى عالم السنة وهو (جمع الجوامع) للسيوطى وهو من علماء الأزهر الذين أثروا المكتبة الإسلامية فى علوم القرآن والسنة ووهبوا حياتهم للعلم . كما تحقق كتاب شرح السنة للبغوى وأصول وأمهات كتب السنة النبوية .

وقامت إدارة البحوث بالمجمع بطبع مصحف الأزهر الشريف والعناية به ، وأعد الأزهر مطبعة خاصة بالمصحف ليلبى حاجة العالم الإسلامى . كما تقوم إدارة البحوث بحراسة التراث والفكر الإسلامى .

ولجنة الفقه فى مجلس المجمع تبين مايهم المسلمين فى أمور دينهم وقضاياهم الاقتصادية والاجتماعية .

ولجنة التفسير تواصل تأليف كتاب التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ولجنة العقيدة تبين العقيدة السليمة وتتصدى لرد الشبهات دفاعا عن ديننا الحنيف .

ويشرع المجمع فى إحياء تراث مخطوطات مكتبة الأزهر هى إحدى إدارات المجمع ، ويؤمها الباحثون من مصر والعالم اسلامى ، فهى مرآة تعبر عن جهود علماء الأزهر على مر السنين ، وبها

أكثر من ثلاثين ألف مخطوط من عيون التراث الإسلامى ، فضلا عن المطبوعات الإسلامية التى تتميز بإقتنائها مكتبة الأزهر .

ويصدر المجمع سلسلة شهرية تعالج أهم القضايا الإسلامية ، كما يصدر مجلة الأزهر التي تنشر الثقافة الإسلامية الأصيلة . وإدارة البعوث بالمجمع ترسل علماء الأزهر إلى جامعات ومعاهد العالم الإسلامى والمراكز الثقافية فى أوروبا وأمريكا وغيرهما . وفى هذا العلم أرسلت مايقرب من ستة آلاف عالم أزهرى إلى أكثر من خمسين دولة . وينفق الأزهر على المبعوثين الذين يرسلهم على حسابه الخاص أربعة ملايين ونصف المليون من الجنيهات المصرية . وإدارة الوعظ تنشر تعاليم الإسلام فى الداخل والخارج .

وهذا الكتاب الذى قدمنا فيه بعض جهود المحدثين الأزهريين هو خطوة على الطريق لابراز أمجاد الإسلام وحضارته الإسلامية التى ترتكز على الأصلين الكريمين : الكتاب والسنة .

حفظ الله الأزهر الشريف وحفظ الله مصر وسائر بلاد المسلمين وحفظ الله رئيسها السيد محمد حسنى مبارك ووفقنا جميعا لخدمة الإسلام والسنة النبوية المطهرة وبالله التوفيق .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محتويـات الكتـاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع ٩٣/٢٠٢٦
I. S. B. N 977 - 215 - 094 - 8

دار غريب للطباعة

١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص . ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩

يشتمل على جهود المحدثين من علماء الإسلام فى مصر والأزهر الشريف ، وكيف نشروا السنة النبوية فى آفاق العالم الإسلامى روايةً وتأليفاً وشرحاً وتحقيقاً .

وفى هذا الكتاب تراجم للمحدثين منذ الفتح الإسلامى وإلى عصرنا الحاضر وإبراز لمناهجهم فى مؤلفاتهم ويوضح الكتاب الصحابة الذين نزلوا مصر وكان لهم أكبر الأثر فى تخريج جيل من بعدهم من التابعين ثم أتباع التابعين وهكذا ... حيث تَسَلْسَلَت الروايات عنهم ، وروى التابعون عنهم ، كما روى أتباع التابعين عن التابعين. وهكذا عَبْر الأجيال والقرون - مما كان له اكبر الأثر فى اضاءة الحياة الإسلامية فى مصر بنور العلم والحديث منذ الفتح الإسلامى إلى أن قام الأزهر الشريف بعلمائه الأعلام بنشر عبير الإسلام بمن يرسلهم إلى بلاد العالم الإسلامى ، ومن يستقبلهم من طلاب العلم والمعرفة والكتاب موسوعة جديدة فى عالم الدراسات الإسلامية ويكشف النقاب عن أهم المصادر والمراجع الإسلامية المعتمدة، التى تمثل أشرف تراث فى الوجود .

دار غريب للطباعة

١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة

ص ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩